

البدایة والنہایة

من خزانة معاوية ٤١هـ - إلى ترجمة مروان بن الحكم ٦٥هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤هـ

محققه وشرح أماريته وعلّق عليه

أكرم جبر اللطيف البوشي

راجعته

دكتور بشار عواد معروف

دكتور عبد القادر النازوط

لجنة الثامن

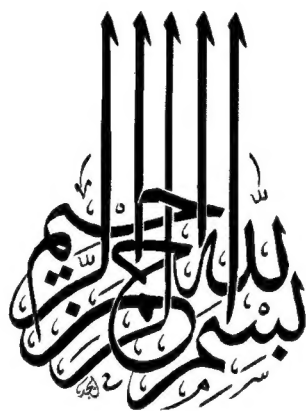
إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

إدارة الشؤون الإسلامية

دولة قطر



البداية والنهاية

من خلافة معاوية ٤١ هـ - إلى ترجمة مروان بن الحكم ٦٥ هـ

الجزء الثامن

○ الموضوع: تاريخ
العنوان: البداية والنهاية ٢١١١
تأليف: الإمام ابن كثير
تحقيق: مجموعة من المحققين
إشراف: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط والدكتور بشار عواد معروف

طبعة خاصة
بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

ISBN 978-9953-520-84-1

© حقوق الطبع محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

ISBN 978-9953-520-84-1



9 789953 520841

○ الورق: كريم / الطباعة: لوانان / التجليد: فني / كعب لوحة
○ القياس: ٢٨×٢٠ / عدد الصفحات: ١٠٣٠٤ / الوزن: ٢٦ كغ

دمشق - سوريا - ص.ب: ٣١١
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي - صالة المبيعات تلفاكس: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠
الإدارة تلفاكس: ٢٢٤٣٥٠٢ - ٢٢٥٨٥٤١
بيروت - لبنان - ص.ب: ١١٣/٦٣١٨
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة - تلفاكس: ٠١ ٨١٧٨٥٧ - جوال: ٠٣ ٢٠٤٤٥٩
www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان [رضي الله عنه ^(١) وملكه]

قد تقدّم في الحديث أنّ الخلافة بعده عليه السلام ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً ، وقد انقضت الثلاثون سنة بخلافة الحسن بن علي ، فأيام معاوية أول المُلْك ، فهو أول ملوك الإسلام وخيارُهم .

قال الطبراني ^(٢) : حدثنا علي ^(٣) بن عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا الفضيل بن عياض ، عن ليث ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبي ثعلبة الخُشَني ، عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالا ^(٤) : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ بَدَأَ رَحْمَةً وَنَبْوَةً ، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً ، ثُمَّ كَائِنَ مُلْكًا عَضُوضًا ^(٥) » ، ثُمَّ كَائِنَ عُتُورًا وَجَبَرِيَّةً وَفَسَادًا فِي الْأَرْضِ ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْفُرُوجَ وَالْخُمُورَ ، وَيُزْزَقُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُنْصَرُونَ حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ » . إسناده جيد ^(٦) .

وقد ذكرنا في « دلائل النبوة » الحديث الوارد من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر - وفيه ضعف - عن عبد الملك بن عُمَيْر ^(٧) قال : قال معاوية : [والله ما حَمَلَنِي عَلَى الْخِلَافَةِ إِلَّا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِي : « يَا مُعَاوِيَةُ ^(٨) إِنْ مَلَكَتْ فَأَحْسِنْ » . رواه البيهقي ^(٩) عن الحاكم ، عن الأصم ، عن العباس بن محمد ، عن محمد بن سابق ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن إسماعيل . ثم قال البيهقي : وله شواهد من وجوه أخر ، منها :

حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص ، عن جدّه سعيد : أنّ معاوية أخذ الإداوة ^(١٠) فتبع رسول الله ﷺ فنظر إليه ، فقال له : « يَا مُعَاوِيَةُ إِنْ وَلِيْتَ أَمْرًا فَاتَّقِ اللَّهَ وَاعْدِلْ » . قال معاوية :

- (١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط ، وستأتي ترجمة معاوية لاحقاً في سنة ٦٠ هـ .
- (٢) الطبراني في الكبير (٢٠ / رقم ٩١) .
- (٣) في أ : عمر ، خطأ .
- (٤) في أ ، ط : قالوا : والمثبت من ب وهو الوجه .
- (٥) قال ابن الأثير في النهاية : أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم ، كأنهم يُعضون عضاً .
- (٦) هكذا قال ، وفي قوله نظر ، فإن ليث بن أبي سليم ضعيف ، وعبد الرحمن بن سابط . قيل : لم يدرك أبا ثعلبة الخشني كما قال في تهذيب الكمال (١٧ / ١٢٤) (بشار) .
- (٧) تحرف في ط إلى : عمر .
- (٨) ما بين حاصرتين سقط من أ . والخبر والحديث في سير أعلام النبلاء (٣ / ١٣١) .
- (٩) البيهقي في « دلائل النبوة » (٦ / ٤٤٦) .
- (١٠) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، وجمعها أداوى .

فما زلتُ أظنُّ أني مبتلى بعملٍ لقول رسول الله ﷺ^(١) .

ومنها حديث راشد بن سعد ، عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ » . قال أبو الدَّرْدَاءِ : كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها^(٢) .

ثم روى البيهقي من طريق هُشيم ، عن العوّام بن حَوْشب ، عن سليمان بن أبي سليمان ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الْخِلَافَةُ بِالْمَدِينَةِ ، وَالْمُلْكُ بِالشَّامِ » . غريب جداً .

وروى من طريق أبي إدريس ، عن أبي الدَّرْدَاءِ قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ [عموداً]^(٣) الْكِتَابِ احْتِمَلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصْرِي ، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتْنُ بِالشَّامِ »^(٤) .

وقد رواه سعيد بن^(٥) عبد العزيز ، عن عطية بن قيس ، عن يونس^(٦) بن ميسرة . عن عبد الله بن عمرو . ورواه الوليد بن مسلم ، عن عُفَيْرِ بْنِ مَعْدَانَ ، عن سليمان بن^(٧) عامر ، عن أبي أمامة .

وروى يعقوب بن سفيان^(٨) ، عن نصر بن محمد بن سليمان السلمي الحمصي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن [أبي] قيس^(٩) ، سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله ﷺ : « رَأَيْتُ عموداً مِنْ نُورٍ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي سَاطِعاً حَتَّى اسْتَقَرَّ بِالشَّامِ » .

وقال عبد الرزاق^(١٠) : عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عبد الله بن صفوان قال : قال رجل يوم صَفِّينَ : اللَّهُمَّ الْعَنْ أَهْلَ الشَّامِ . فقال له علي : لَا تَسِبَّ أَهْلَ الشَّامِ [جماً غفيراً]^(١١) فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ [فإن بها الأبدال] ^(١٢) .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٠١/٤) وهو حديث معلول بالإرسال ، فإن جد عمرو بن يحيى وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لم يثبت له سماع من معاوية ، ولذلك قال الهيثمي بعد أن أورده في مجمع الزوائد (١٨٦/٥) : « رواه أحمد وهو مرسل » .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) في الأدب ، باب في النهي عن التجسس ، وهو حديث صحيح .

(٣) سقط من ط .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٨/٥ - ١٩٩) وهو حديث صحيح .

(٥) وقعت في ط عن وهو خطأ .

(٦) في (أ) أبو الحسن بن ميسرة بدل عن يونس بن ميسرة وهو خطأ ، ويونس بن ميسرة كنيته أبو حَلْبَسٍ ، وهو من رجال التهذيب .

(٧) في ط عن .

(٨) في المعرفة والتاريخ (٣١١/٢) .

(٩) سقطت من ط ، وقد تنبه إلى ذلك محقق المعرفة والتاريخ وأشار إليه في حاشيته .

(١٠) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٥٥) .

(١١) سقط من ط .

(١٢) زيادة من ط .

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً^(١) .

فضل معاوية [بن أبي سفيان رضي الله عنه]^(٢)

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو عبد الرحمن القرشي الأموي ، خال المؤمنين ، وكاتب وحي رب العالمين .

أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح . وقد روي عن معاوية أنه قال : أسلمت يوم عمرة القضية^(٣) ، ولكنني كتمت إسلامي من أبي إلى يوم الفتح^(٤) .

وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية ، وأفضت إليه رئاسة قريش بعد يوم بدر ، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب . وكان رئيساً مطاعاً ذا مال جزيل ، ولما أسلم قال : يا رسول الله مُزني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال : « نعم » . ثم سأل أن يزوجه رسول الله ﷺ بابنته [الأخرى]^(٥) وهي عزة^(٦) بنت أبي سفيان ، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة ، فلم يقع ذلك ، وبيّن رسول الله ﷺ أن ذلك لا يحلّ له . وقد تكلمنا على هذا الحديث في غير موضع^(٧) . وأفردنا له مصنفاً على حدة والله الحمد والمثنة . والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ مع غيره من كتاب الوحي رضي الله عنهم .

ولما فتحت الشام ولّاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأقرّه على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلاداً أخرى . وهو الذي بنى القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة . قاله الحافظ ابن عساكر .

ولما ولي عليّ بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممّن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولّي عليها سهل بن حنيف ، فعزله ، فلم ينتظم له عزله ، والتفّ على معاوية جماعة من أهل الشام ، ومانع عليّاً عنها وقال : لا أباعه حتى يسلم إليّ قتلة عثمان فإنه قُتل مظلوماً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

(١) وحديث الأبدال ضعيف في المرفوع .

(٢) زيادة من ط .

(٣) في ط القضاء وكلاهما صحيح ، ويقال لها أيضاً : عمرة القصاص ، وعمرة الصلح . وكانت في ذي القعدة من سنة سبع للهجرة . سيرة ابن هشام (٣/ ٣٧٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٢) .

(٥) سقطت من ط .

(٦) وقيل : اسمها حمّة ، وقيل : درة . ترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٧١ ، ١٠٢ ، ١٩٦) .

(٧) سيورده المؤلف لاحقاً في هذا الجزء ضمن ترجمة معاوية بن أبي سفيان .

وروى الطبراني عن ابن عباس أنه قال : ما زلت موقناً أن معاوية سيلبي الملك [والسلطان]^(١) من هذه الآية . وقد أوردنا سنده ومتمنه عند تفسير هذه الآية . فلما امتنع معاوية من بيعة علي كان من صفيين ما قدّمنا ذكره . ثم آل الأمر إلى التحكيم ، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوّة جانب أهل الشام في الصورة^(٢) الظاهرة ، واستفحل أمر معاوية ، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجَم كما تقدّم . فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي . وبايع أهل الشام معاوية . ثم ركب الحسن في جنود العراق من غير إرادة منه ، وركب معاوية في أهل الشام . فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما بالصُلح . فانتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة ، وسلّم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان ، وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة إحدى وأربعين - ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعدما بايعه الناس . واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً وبُعداً وقرباً ، وسَمّيَ هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة . فولّى معاوية قضاء الشام لفضالة بن عبيد ، ثم بعده لأبي إدريس الخولاني . وكان على شرطته قيس بن حمزة . وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون^(٣) بن منصور الرومي .

ويقال : إنّ معاوية أول من اتخذ الحرس ، وأول من حزم الكتب وختمها .

وكان أول الأحداث في دولته رضي الله عنه :

خروج طائفة من الخوارج عليه

وكان سبب ذلك أنّ معاوية لما دخل الكوفة وخرج منها الحسن بن علي وأهلُه قاصدين الحجاز ، قالت فرقة من الخوارج - وهم نحو من خمسمئة - : جاء ما لا يُشكُّ فيه ، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه ، فساروا حتى قرّبوا من الكوفة وعليهم فروة بن نوفل^(٤) ، فبعث إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام ، فطرد الخوارج الشاميّين ، فقال معاوية [لأهل الكوفة]^(٥) : لا أمان لكم عندي حتّى تكفوا بوائقكم . فخرجوا إلى الخوارج ، فقالت لهم الخوارج : ويلكم ماذا تبغون ؟ أليس معاوية عدوّكم وعدوّنا ؟ فدعونا حتّى نقاتله ، فإن أصبناه كنّا قد كفيناكموه ، وإن أصابنا كنتم قد كُفيتُمونا . فقالوا : لا والله حتّى نقاتلكم .

(١) سقط من ط .

(٢) في ط : الصعدة .

(٣) تحرف في ط إلى : سرحون .

(٤) تحرف في أ إلى : موكل .

(٥) سقط من ط .

فقلت الخوارج : يرحم الله إخواننا من أهل النهر ، كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة . فاقْتَتَلُوا ، فهزمهم أهل الكوفة وطردهم .

ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على أهل الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له المغيرة بن شُعْبَة : أتوليّه الكوفة وأبوه بمصر ، وتبقى أنت بين لَحْيَيْ^(١) الأسد ؟ ففناه عن ذلك ، وولّى عليها المغيرة بن شُعْبَة ، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال : أتجعل المغيرة على الخراج ؟ هلاً وليت الخراج رجلاً آخر ؟ فعزله عن الخراج وولّاه على الصلاة . فقال المغيرة لعمرو في ذلك ، فقال له عمرو : ألسْتَ المشيرَ على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو ؟ قال : بلى ! قال : فهذه بتلك .

وفي هذه السنة وثب حُمُرَان بن أَبَان على البصرة ، فأخذها وتغلّب عليها ، فبعث معاوية جيشاً ليقتلوه ومنّ معه . فجاء أبو بَكْرَة الثقفي إلى معاوية ، فسأله في الصّبح والعفو ، فعفا عنهم وأطلقهم ، وولّى على البصرة بُسر^(٢) بن أَبِي أَرْطَاة ، فتسلّط على أولاد زياد يريد قتلهم ، وذلك أنّ معاوية كتب إلى أبيهم ليحضّر إليه فتلبّث ، فكتب إليه بُسر بن أَبِي أَرْطَاة : لئن لم تسرع إلى أمير المؤمنين وإلاّ قتلت بَنِيكَ ، فبعث أبو بَكْرَة إلى معاوية في ذلك [فأخذ لهم أماناً منه]^(٣) . وقد قال معاوية لأبي بَكْرَة : هل من عهد تعهده إلينا ؟ قال : نعم ، أعهدُ إليك - يا أمير المؤمنين - أن تنظرَ لنفسك ورعيّتك وتعمل صالحاً فإنّك قد تقلدْتَ عظيماً ، خلافة الله في خلقه ، فاتّقِ الله ، فإنّ لك غايةً لا تعدّوها ، ومن ورائك طالباً حثيثاً ، وأوشك أن يبلغَ المدى فيلحق الطالب ، فتصير إلى مَنْ يسألكَ عمّا كنتَ فيه ، وهو أعلم به منك ، وإنّما هي محاسبةٌ وتوقيفٌ ، فلا تُؤثّرَن على رضا الله شيئاً .

ثم ولّى معاوية - في آخر هذه السنة - البصرة لعبد الله بن عامر ، وذلك أنّ معاوية أراد أن يولّيها لعُتْبَة بن أَبِي سفيان ، فقال له ابن عامر : إنّ لي بها أموالاً وودائع ، وإن لم تولّيها هلكْتُ . فولّاه إيّاها [وأجابه إلى سؤاله في ذلك]^(٤) .

قال أبو مَعْشَر : وحجّ بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . وقال الواقدي : إنّما حجّ بهم عُنْبَسَة بن أبي سفيان . فالله أعلم .

ومن أعيان من توفي هذا العام :

رفاعة بن رافع^(٥) : ابن مالك بن العجلان . شهد العقبة وبدراً وما بعدها .

(١) اللحيان : جانبا الفم .

(٢) تحرف في أفي أكثر من موضع إلى : بشر .

(٣) سقط من ط .

(٤) زيادة من ط و ب .

(٥) طبقات ابن سعد (٥٩٦/٣) طبقات خليفة (١٠٠) تاريخ خليفة (٢٠٥) مسند أحمد (٤/٣٤٠) تاريخ البخاري الكبير =

استأمن له [رسول الله ﷺ]^(١) عُمير بن وهب الجُمحي وكان صاحبه وصديقه في الجاهلية كما تقدّم ،
فقدم به في وقت صلاة العصر ، فاستأمن له ، فأمنه رسول الله ﷺ [أربعة أشهر]^(٢) ، واستعار منه أدراعاً
وسلاحاً ومالاً . وحضر صفوان حُنيئاً مشركاً ، ثم أسلم [ودخل الإيمان قلبه]^(٣) ، فكان من سادات
المسلمين كما كان من سادات الجاهلية .

قال الواقدي : لم يزل صفوان مقيماً بمكة حتى توفي بها في أول خلافة معاوية .

عثمان بن طلحة^(٤) : ابن أبي طلحة بن عبد العزّي بن عبد الدّار العبدي الحَجَبِي .

أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص في أول سنة ثمان قبل الفتح . وقد روى الواقدي عنه
حديثاً طويلاً في صفة إسلامه .

وهو الذي أخذ رسول الله ﷺ منه مفتاح الكعبة عام الفتح ، ثم ردّه إليه وهو يتلو قوله تعالى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] وقال له : « خُذْهَا يَا عَثْمَانُ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنْزِعُهَا
مَنْكُمُ إِلَّا ظَالِمٌ »^(٥) . وكان عليّ قد طلبها [من النبي ﷺ]^(٦) فمنعه من ذلك .

قال الواقدي : نزل المدينة حياة رسول الله ﷺ ، فلمّا مات نزل مكة ، ثم لم يزل بها حتى مات في
أول خلافة معاوية .

عمرو بن الأسود السَّكُونِي^(٧) : كان من العُباد الرّهّاد . وكانت له حُلّة بمئتي درهم يلبسها إذا

(١) سقط من ط وب .

(٢) زيادة من ط .

(٣) زيادة من ط .

(٤) طبقات ابن سعد (٤٤٨/٥) طبقات خليفة (ت ٧٣ و ٢٥٠٣) المعرفة والتاريخ (٢٧٢/١) الجرح والتعديل (١٥٥/٦)
مشاهير علماء الأمصار (ت ١٣٠) معجم الطبراني الكبير (٥٣/٩ ، ٥٥) جمهرة أنساب العرب (١٢٧) الاستيعاب
(١٠٣٤/٣) الجمع بين رجال الصحيحين (٣٥٢/١) تاريخ ابن عساكر (٥٢/١١ ب) أسد الغابة (٥٧٨/٣) تهذيب
الأسماء واللغات : القسم الأول من الجزء الأول (٣٢٠) مختصر تاريخ دمشق (٩٥/١٦) تهذيب الكمال (ورقة
٩١٤) سير أعلام النبلاء (١٠/٣) تاريخ الإسلام (٣٨٠/١ و ٢٣٢/٢) الكاشف (٢١٩/٢) تهذيب التهذيب
(٣/٣٠/١) العقد الثمين (٢١/٦) الإصابة (ت ٥٤٤٢) تهذيب التهذيب (١٢٤/٧) خلاصة الخزرجي (٢٦٠) .

(٥) أخذ النبي ﷺ منه مفتاح الكعبة عام الفتح . أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٢٩) في الحج ، باب استحباب دخول
الكعبة للحاج وغيره .

وأما قوله : خذها يا عثمان خالدة . . . ظالم . فقد رواه الطبراني في الكبير رقم (١١٢٣٤) والأوسط رقم (٤٩٢)
وفي سنده عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف .

(٦) سقط من ط .

(٧) طبقات ابن سعد (٤٤٢/٧) تاريخ البخاري الكبير (٣١٥/٦) تاريخ البخاري الصغير (١٢٢/١) ثقات العجلي (٣٦٢)
المعرفة والتاريخ (٣١٤/٢ و ٣٤٨) الجرح والتعديل (٢٢٠/٦) مشاهير علماء الأمصار (ت ٨٦٠) تاريخ داريا (ص =

قام إلى صلاة الليل . وكان إذا خرج إلى المسجد وضع يمينه على شماله مخافة الخيلاء .

روى عن : معاذ ، وعبادة بن الصّامت ، والعرباض بن سارية ، وغيرهم .

وقال أحمد في « الزهد »^(١) : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا أبو بكر ، عن حكيم بن عمير وضمرة بن حبيب قالا : قال عمر بن الخطاب : مَنْ سرّه أَنْ ينظرَ إلى هَدْي رسول الله ﷺ فلينظرْ إلى هَدْي عمرو بن الأسود .

عاتكة بنت زيد^(٣) : ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزّي ، وهي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة .

أسلمت وهاجرت ، وكانت من حسان النساء وعبادهن .

تزوَّجها عبد^(٤) الله بن أبي بكر ، فتتيم بها ، فلما قُتل عنها في غزوة الطائف آلت ألا تتزوَّج بعده ، فبعث إليها عمر بن الخطاب - وهو ابن عمها - فتزوَّجها ، فلما قُتل عنها تزوَّجها بعده الزبير بن العوام ، فقتل عنها بوادي السباع^(٥) ، فلما بعث إليها علي بن أبي طالب ليتزوَّجها قالت له : إني أخشى عليك أن تُقتل ، فأبت أن تتزوَّجه ، ولو تزوجته لقتل عنها أيضاً ، فإنها لم تزل [بلا زوج]^(٦) حتى ماتت في أول خلافة معاوية في هذه السنة رحمها الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان والروم ، فقتلوا من أمرائهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً ، وغنموا وسلموا . وفيها ولّى معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة ، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام ، وعلى

(٧٠) حلية الأولياء (١٥٥/٥) الإكمال لابن ماكولا (٣٥٣/٦) أنساب السمعاني (٨٠/٩) (العنسي) ، تاريخ ابن عساكر (١٣/١٩٦/أ) أسد الغابة (٤/١٩٢) مختصر تاريخ دمشق (١٩/١٧٦) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٠) تاريخ الإسلام (٣/١٩٤) سير أعلام النبلاء (٤/٧٩) الكاشف (٢/٢٨٠) الإصابة (ت ٦٥٢٦) تهذيب التهذيب (٨/٤) خلاصة الخزرجي (٢٨٧) .

(١) ورواه أيضاً أحمد في المسند (١٨/١ - ١٩) وإسناده ضعيف .

(٢) في ط : بن وهو خطأ .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/٢٦٥) نسب قريش (٣٦٥) تاريخ البخاري الصغير (١/٣٧) المعارف (٢٤٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٣/١١٠٢ ، ١١٠٦) الاستيعاب (٤/١٨٧٦) أسد الغابة (٧/١٨٣) الإصابة (كتاب النساء/ت ٦٩٥) خزنة الأدب (٤/٣٥١) أعلام النساء لكحالة (٣/٢٠١) شاعرات العرب (ص ٢٣٣) .

(٤) تحرفت في ط إلى : عبيد .

(٥) « وادي السباع » : بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال . معجم البلدان (٥/٣٤٣) .

(٦) سقط من ط .

الكوفة المُغيرة بن شعبة ، وعلى قضائها شريح القاضي ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى خُراسان قيس بن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر . [واستقضى مروانُ على المدينة عبدَ الله بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة عَميرة بن يَثْرِبِي]^(١) .

وفيها تحرّكت الخوارج الذين كانوا قد عَفَا عنهم عليٌّ يوم النّهروان ، وقد عوفي جرحاهم ، وثابت إليهم قواهم . فلما بلغهم مقتلُ علي ترحّموا على قاتله ابن مُلجم وقال قائلهم : لا يقطع الله يداً علت قَذال^(٢) عليّ بالسيف . وجعلوا يَحْمَدُونَ الله على قتل علي ، ثم عزموا على الخروج على الناس ، وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يزعمون .

وفي هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية - وكان قد امتنع عليه قريباً من سنة في قلعة عُرفت به يقال لها : قلعة زياد - فكتب إليه معاوية : ما يحملُكَ على أن تهلك نفسك ؟ أقدم عليّ فأخبرني بما صار إليك من أموال فارس وما صرفتَ منها وما بقي عندك فأتيني به وأنت آمن ، فإن شئت أن تقيم عندنا فعلت ، وإلاّ فاذهب حيث ما شئت من الأرض فأنت آمن . فعند ذلك أزمع زياد المسير إلى معاوية ، فبلغ المغيرة قدومه ، فخشي أن يجتمع بمعاوية قبله ، فسار نحو دمشق إلى معاوية ، فسبقه زياد إلى معاوية بشهر ، فقال معاوية للمغيرة : ما هذا وهو أبعد منك وأنت قد خرجت قبله^(٣) وقد سبقك إليّ ؟! فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين إنه ينتظر الزيادة وأنا أنتظر التّقصان . فأكرم معاوية زياداً ، وقبض منه ما كان معه من الأموال ، وصدّقه فيما صرفه [وما بقي عنده]^(٤) .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

فيها غزا بُسر بن أبي أُرطاة بلاد الروم ، فتوغّل فيها حتى بلغ القُسطنطينية ، وشتا ببلادهم فيما زعمه الواقدي ، وأنكر ذلك آخرون وقالوا : لم يكن بها مشى لأحد قط ، فالله أعلم .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارج وجند الكوفة ، وذلك أنهم صمّموا - كما قدّمنا - على الخروج على الناس في هذا الحين ، فاجتمعوا في قريب من ثلاثمئة عليهم المستورد بن عُلْفَة^(٥) ، فجهّز إليهم

(١) ما بين حاصرتين من آ فقط ، وقد تحرف فيها عميرة إلى : عمير . أخبار القضاة لوكيع (١/٢٩٠) وقد شكّل فيه عميرة - رسماً - بضم الميم : وهو خطأ .

(٢) « القذال » : جماع مؤخر الرأس .

(٣) وردت هذه العبارة في ط : وأنت جئت بعده بشهر .

(٤) سقط من ط .

(٥) كذا قيده ابن مأكولا في إكماله (٦/٢٥٨ - ٢٥٩) وقد تحرف في الأصول - في غير موضع - : إلى : علقمة .

المغيرة بن شعبة جنداً عليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف ، فسار إليهم ، وقدم بين يديه أبا الرّواع في طليعة هي ثلاثمائة على عدة الخوارج ، فلقاهم أبو الرّواع بمكان يقال له المذار^(١) ، فاقتتلوا معهم ، فهزمهم الخوارج ، ثم كروا عليهم فهزمتهم الخوارج [ولكن لم يقتل أحد منهم]^(٢) ، فلزموا مكانهم في مقابلتهم^(٣) ينتظرون قدوم أمير الجيش معقل بن قيس عليهم ، فما قدم عليهم إلا في آخر نهار بعد أن غربت الشمس ، فنزل وصلّى بأصحابه ، ثم شرع في مدح أبي الرّواع ، فقال له أبو الرّواع : أيها الأمير ! إن لهم شداتٍ منكراً ، فكن أنت رداءً^(٤) الناس ، ومُرّ الفرسان فليقاتلوا بين يديك . فقال له معقل بن قيس : نعم ما رأيت . فما كان إلا ريثما قال له ذلك حتى حمل الخوارج على معقل وأصحابه ، فانجفل^(٥) عنه عامة أصحابه ، فترجّل عند ذلك معقل بن قيس وقال : يا معشر المسلمين الأرض الأرض ، فترجّل معه جماعة من الفرسان والشجعان قريب من مئتي فارس منهم أبو الرّواع الشاكري ، فحمل عليهم المستورد بن علفة [أمير الخوارج]^(٦) بأصحابه ، فاستقبلوهم بالرماح والسيوف ، ولحق بقيّة الجيش بعض الفرسان فذمّهم وعيّرهم وأنّبهم على الفرار ، فرجع الناس إلى معقل وهو يقاتل الخوارج بمن معه من الأنصار^(٧) قتالاً شديداً والناس يتراجعون في أثناء الليل ، فصنّفهم معقل بن قيس ميمنةً وميسرةً وربّهم وقال : لا تبرحوا على مصافكم حتى نصبح فنحمل عليهم ، فما أصبحوا حتى هربت الخوارج ، فرجعوا من حيث أتوا ، فسار معقل في طلبهم وقدم بين يديه أبا الرّواع في ست مئة ، فالتقوهم عند طلوع الشمس ، فثار إليهم الخوارج ، فتبارزوا ساعة ، ثم حملوا حملة رجل واحد ، فصبر لهم أبو الرّواع بمن معه ، وجعل يذمّهم ويعيّرهم ويؤنّبهم على الفرار ويحثّهم على الصبر ، فصبروا وصدقوا في الثبات حتى ردوا الخوارج إلى أماكنهم . فلما رأت الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتلهم شيء ، فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا في أرض بهرسيير^(٨) ، واتبعهم أبو الرّواع ولحقه معقل بن قيس ، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة ، فركب إليهم شريك بن عبيد - نائب المدائن - ولحقهم أبو الرّواع بمن معه من المقدّمة .

(١) « المذار » : موضع بين واسط والبصرة . معجم البلدان (٨٨/٥) .

(٢) ما بين حاصرتين من طوب .

(٣) في ط : مقاتلتهم .

(٤) « الردء » : العون والنصير .

(٥) « انجفل القوم » : هربوا مسرعين .

(٦) من آفقط .

(٧) في ب : الأبطال . وقوله من الأنصار ليس في أ .

(٨) كذا قيدها ياقوت في معجمه (٥١٥/١) وقال : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن ، وهي معربة من ده أردشير أو به

أردشير ، ومعناه : خير مدينة أردشير . وهي غربي دجلة . وقد تحرفت في أ وب إلى : نهر سير ، وفي ط إلى :

نهرشير .

[قال ابن جرير ^(١) : وفيها مات عمرو بن العاص بمصر ومحمد بن مسلمة - قلت : وسنذكر ترجمة كل واحد منهما في آخر السنة - فولَّى معاوية بعد عمرو على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو . قال الواقدي : فعمل له عليها سنتين] ^(٢) .

أما عمرو بن العاص ^(٣) : فهو : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد ^(٤) بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لُؤي بن غالب القرشي السهمي ، أبو عبد الله ، ويقال : أبو محمد .

أحد رؤساء قريش في الجاهلية . وهو الذي أرسلوه إلى النَّجَاشي ليردَّ عليهم مَنْ هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يُجِبهُم إلى ذلك لعدله ، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك ، فيقال : إنه أسلم على يديه ، والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد وعثمان [بن طلحة] بن أبي طلحة العنبري .

وكان عمرو أحد أمراء الإسلام ، وهو أمير غزوة ذات السَّلاسل ^(٥) ، وأمدَّ رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفاروق .

وقد قال الترمذي ^(٦) : حدثنا قُتيبة [حدثنا ابن لهيعة] ^(٧) حدثنا مِشْرَح بن هاعان ^(٨) ، عن

(١) تاريخ الطبري (١٨١/٥) .

(٢) ما بين حاصرتين ورد هنا في أ وب ، أما في ط فقد ورد قبل خبر الوقعة المتقدمة .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/٢٥٤ و ٧/٤٩٣) نسب قريش : ٤٠٩ ، طبقات خليفة (ت ١٤٧ ، و ٩٧٠ ، ٢٨٢٠) مسند أحمد (٤/٢٠٢) المجبر (٧٧ ، ١٢١ ، ١٧٧) تاريخ البخاري الكبير (٦/٣٠٣) ثقات العجلي (٣٦٥) المعارف (٢٨٥) المستدرک (٣/٤٥٢) المعرفة والتاريخ (١/٣٢٣) تاريخ الطبري (٤/٥٥٨) الجرح والتعديل (٦/٢٤٢) مروج الذهب (٣/٣٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٧٦) الولاة والقضاة (انظر الفهرس) جمهرة أنساب العرب (١٦٣) وغيرها ، الاستيعاب (٣/١١٨٤) الجمع بين رجال الصحيحين : (١/٣٦٢) أنساب السمعاني (٧/٢٠٤) تاريخ ابن عساكر (١٣/٢٤٥) آ) جامع الأصول (٩/١٠٣) أسد الغابة (٤/٢٤٤) الكامل في التاريخ (٣/٢٧٤) الحلة السيرة (١/١٣) تهذيب الأسماء واللغات : القسم الأول من الجزء الثاني (٣٠) مختصر تاريخ دمشق (١٩/٢٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٤١) تاريخ الإسلام (٢/٢٣٥) تهذيب التهذيب (٣/١٠١) آ) سير أعلام النبلاء (٣/٥٤) العبر (١/٥١) الكاشف (٢/٢٨٧) مرآة الجنان (١/١١٩) العقد الثمين (٦/٣٩٨) غاية النهاية (١/٦٠١) الإصابة : (ت ٥٨٨٤) تهذيب التهذيب (٨/٥٦) النجوم الزاهرة (١/١١٣) حسن المحاضرة (١/٢٢٤) خلاصة الخزرجي (٢٩٠) شذرات الذهب (١/٢٣٢) .

(٤) في الأصل سعد ، والتصحيح من كتب الأنساب والإصابة .

(٥) كانت هذه الغزوة في جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة . قال ابن إسحاق : سميت بذلك لأنهم نزلوا على ماء لجذام اسمه السلسل وخبرها في السيرة النبوية (٤/٦٢٣) وما بعدها ، وطبقات ابن سعد (٢/١٣١) ، ومعجم البلدان (٣/٢٣٦) .

(٦) الترمذي في جامعه (٣٨٤٤) في المناقب ، وقال : هذا حديث غريب (يعني ضعيف) لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن مشرَح وليس إسناده بالقوي ، والحديث محتمل للتحسين وله شاهد عند أحمد (٢/٣٥٤) من حديث أبي هريرة بلفظ «ابن العاص مؤمنان ، هشام وعمرو» فهو به حسن .

(٧) سقط من أ .

(٨) تحرفت هاعان في آ ، ط إلى : عاهان .

عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَسْلَمَ النَّاسُ وَأَمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ » .

وقال أيضاً^(١) : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا أبو أسامة ، عن نافع بن^(٢) عمر الجُمَحِي ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قَالَ : قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ مِنْ صَالِحِي قُرَيْشٍ » .

وفي الحديث الآخر : « ابنا العاص مؤمنان »^(٣) .

وفي الحديث الآخر : « نِعَمَ أَهْلُ الْبَيْتِ : عَبْدُ اللَّهِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ »^(٤) . رَوَاهُ فِي فُضَائِلِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ .

ثم إن الصَّدِيقَ بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام ، فكان مَمَّنْ شهد تلك الحروب ، وكانت له بها الآراء السَّديدة ، والمواقف الحميدة ، والأحوال السَّعيدة .

ثم بعثه عمر إلى مصر ، فافتتحها ، واستنابه عليها ، وأقرَّه فيها عثمان بن عفَّان أربع سنين ثم عزله - كما قدمنا - وولَّى عليها^(٥) عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، فاعتزل عمرو بفلسطين ، وبقي في نفسه من عثمان رضي الله عنهما ، فلما قُتِلَ عثمان سار إلى معاوية ، فشهد معه موافقه كلَّها بصفين وغيرها ، وكان هو أحد الحكمين .

ثم لما أن استرجع معاوية مصر وانتزعها من يد محمد بن أبي بكر استعمل عمرو بن العاص عليها ، فلم يزل نائبها إلى أن مات في هذه السنة على المشهور ، وقيل : إنه توفي سنة سبع وأربعين ، وقيل : سنة ثمان وأربعين ، وقيل : سنة إحدى وخمسين ، رحمه الله .

وقد كان معدوداً من دهاة العرب وشجعانهم وذوي آرائهم .

وله أمثال حسنة ، وأشعار جيِّدة . وقد روي عنه أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل . ومن شعره :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتْرُكْ طَعَاماً يُحِبُّهُ وَلَمْ يَنْهَ قَلْباً غَاوياً حَيْثُ يَمَّمَا

(١) الترمذي رقم (٣٨٤٥) في المناقب ، وقال : هذا حديث إنما نعرفه من حديث نافع بن عمر الجمحي ، ونافع ثقة ، وليس إسناده بمتصل ، وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة .

(٢) في ط : عن ، وهو خطأ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٠٤/٢) والطبراني في الكبير (٢٢/رقم ٤٦١) وهو حديث حسن .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٦١/١) بسند رجاله ثقات ، لكنه منقطع ، فهو ضعيف .

(٥) في ط وب : « فيها » ، وما أثبتناه من م وهو الأولى .

قَضَى وَطَرًا مِنْهُ وَغَادِرَ سُبَّةٍ إِذَا ذُكِرَتْ أَمْثَالُهَا تَمَلُّاُ الْفَمَا^(١)

وقال الإمام أحمد^(٢) : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله - يعني ابن المبارك - أخبرنا ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماسه حدثه قال : لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى ، فقال له ابنه عبد الله : لم تبكي ؟ أجزعا على الموت ؟! فقال : لا والله ، ولكن مما بعد الموت . فقال له : قد كنت على خير ، فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتح الشام ، فقال عمرو : تركت أفضل من ذلك كله : شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على ثلاثة أطباق^(٣) ليس فيها طبق إلا قد عرفت نفسي فيه ، كنت أول شيء^(٤) كافراً ، وكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلو مت حينئذ وجبت لي النار ، فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس حياءً منه ، فما ملأت عيني من رسول الله ﷺ ، ولا راجعته فيما أريد حتى لحق بالله حياءً منه ، فلو مت يومئذ قال الناس : هنيئاً لعمرو ؛ أسلم وكان على خير فمات ، نرجو له الجنة . ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري علي أم لي ، فإذا مت فلا تبكين علي باكية ، ولا تتبعني مادحاً ولا ناراً ، وشدوا علي إزارني مخلصم ، وسئوا علي التراب سئاً^(٥) فإن جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الأيسر ، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حَجَراً ، وإذا وارثتموني فاقعدوا عندي قدرَ نحر جزور [وتقطيعها]^(٦) أستأنس بكم .

وقد روى مسلم هذا الحديث في « صحيحه »^(٧) من حديث يزيد بن أبي حبيب بإسناده نحوه ، وفيه زيادات على هذا السياق حسنة ، فمنها قوله : كي أستأنس بكم لأنظر ماذا أراجع رسل ربّي عز وجل . [وفي رواية : أنه بعد هذا حوّل وجهه إلى الجدار وجعل يقول : اللهم أمرتنا فعصينا ، ونهيّتنا فما انتهينا ، ولا يسعنا إلا عفوك .

وفي رواية : أنه وضع يده على موضع الغلّ من عنقه ، ورفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم لا قوي فأنتصر ، ولا بريء فأعتذر ، ولا مُستكبر بل مُستغفر ، لا إله إلا أنت . فلم يزل يرددّها حتى مات رضي الله عنه]^(٨) .

(١) البيتان من قصيدة له يذكر فيها عمارة بن الوليد المخزومي ، أوردها صاحب الأغاني (٥٨/٩ - ٥٩) والبيتان أيضاً في الاستيعاب (١١٨٨/٣) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٥٢/١٩) وسير أعلام النبلاء : (٥٨/٣) .

(٢) في مسنده (١٩٩/٤) .

(٣) أي : على ثلاث حالات .

(٤) كذا في أوب وم ومسند أحمد . ووقعت في ط : كنت أول قريش .

(٥) سنّ التراب وشنّه - بالشين - يعني : صبّه .

(٦) زيادة من المسند .

(٧) برقم (١٢١) في الإيمان : باب كون الإسلام يجب ما قبله .

(٨) ما بين حاصرتين من ط وب وم . وقد أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢٦٠/٤) من حديث طويل بإسناد قوي . وأورده =

وأما محمد بن مَسْلَمَةَ الأنصاري^(١) : فإنه أسلمَ على يدي مصعب بن عُمير قبل أُسَيْد بن حُضَيْر وسعد بن معاذ . شهد بدرًا وما بعدها إلا تبوك ، فإنه استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في قول ، وقيل : استخلفه في قَرْقَرَةَ الْكُدْر^(٢) .

وكان فيمن قتلَ كعب بن الأشرف اليهودي . وقيل : إنه الذي قتل مَرْحَباً اليهودي يوم خيبر أيضاً . وقد أمره رسول الله ﷺ على نحو من خمس عشرة سَرِيَّة .

وكان ممن اعتزل تلك الحروب بالجمال وصِفِّين ونحو ذلك ، واتخذ سيفاً من خشب ، وقد ورد في حديث قدَّمناه أنه أمره رسول الله ﷺ بذلك ، وخرج إلى الرَبَذَةِ^(٣) . وكان من سادات الصحابة .

وكان هو رسول عمر إلى عمَّاله [بسائر البلاد]^(٤) . وهو الذي شاطرهم - أي : صادرهم - عن أمر عمر له في ذلك .

وله وقائع عظيمة ، وصيانة وأمانة بليغة رضي الله عنه ، واستعمله عمر على صدقات جُهَيْنَةَ .

وقيل : إنه توفي سنة ست - أو سبع - وأربعين ، وقيل غير ذلك ، وقد جاوز السبعين ، وترك بعده عشرة ذكور وست بنات .

وكان أَسَمَرَ شديد السُّمرة طويلاً أصلع ، رضي الله عنه .

= الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٦- ٧٧) .

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٤٣) طبقات خليفة (٨٠ ، ١٤٠) تاريخ خليفة (٢٠٦) مسند أحمد (٣/ ٤٩٣ و ٤/ ٢٢٥) تاريخ البخاري الكبير (١/ ٢٣٩) تاريخ البخاري الصغير (٨٠) المعارف (٢٦٩) المعرفة والتاريخ (١/ ٣٠٧) الجرح والتعديل (٨/ ٧١) مشاهير علماء الأمصار (ت ٩٣) المستدرك (٣/ ٤٣٣) الاستبصار (٢٤١) الاستيعاب (٣/ ١٣٧٧) تاريخ ابن عساكر (١٥/ ٤٧٧/ آ) أسد الغابة (٥/ ١١٢) مختصر تاريخ دمشق : (٢٣/ ٢١٣) تهذيب الكمال (ورقة ١٢٧١) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٤٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٦٩) العبر : (١/ ٥٢) الكاشف (٣/ ٨٦) مجمع الزوائد (٩/ ٣١٩) تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٤) الإصابة (٩/ ١٣١) خلاصة الخرجي (٣٥٩) شذرات الذهب (١/ ٢٣٤) .

(٢) ويقال : قرارة الكدر ، كما في طبقات ابن سعد (٢/ ٣١) . وكانت هذه الغزوة في المحرم من سنة ثلاث للهجرة . وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية وراء سد معونة ، وبين المعدن والمدينة ثمانية برد . معجم البلدان (٤/ ٣٢٦ و ٤٤١- ٤٤٢) .

(٣) « الربذة » : قرية من قرى المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز . والحديث الذي أشار إليه المؤلف أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٣) وفي سننه علي بن زيد وهو ضعيف .

(٤) من أ فقط .

وممن توفي فيها :

عبد الله بن سَلام^(١) : أبو يوسف الإسرائيلي ، أحد أحبار اليهود .

كان حين قدم رسول الله ﷺ المدينة في نخل له . قال : فلما قدم كنتُ فيمن انجفل إليه ، فلما رأيتُ وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ »^(٢) .

وقد ذكرنا صفة إسلامه في أول الهجرة ، وماذا سأل رسول الله ﷺ من الأسئلة النافعة الحسنة .

وهو ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة^(٣) ، فيقطع له بها .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون ، وشتوا هنالك .

وفيها غزا بُسر بن أبي أرطاة في البحر .

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة ، وذلك أنه ظهر فيها الفساد بسبب لينه ؛ فإنه كان لئناً العريكة سهلاً كريماً ، وكان لا يأخذ على أيدي السُّفهاء ، ولا يقطع لَصاً ، ويريد أن يتألف الناس . [قال ابن جرير^(٤) : شكى عبد الله بن عامر إلى زياد فساد الناس ، فقال : جرّد فيهم السَّيف . فقال ابن عامر : إني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي . قال : فذهب عبد الله بن الكوّاء إلى معاوية فشكا ابن عامر ،

(١) طبقات ابن سعد (٣٥٢/٢) تاريخ ابن معين (٣١١/٢) طبقات خليفة (٨) تاريخ خليفة (٥٦ ، ٢٠٦) مسند أحمد (٤٥٠/٥) تاريخ البخاري الكبير (١٨/٥) المعرفة والتاريخ (٢٦٤/١) الجرح والتعديل (٦٢/٥) مشاهير علماء الأمصار (ت ٥٢) المستدرك (٤١٣/٣) الاستبصار (١٩٣) الاستيعاب (٩٢١/٣) جامع الأصول (٨١/٩) أسد الغابة (٢٦٤/٣) تهذيب الكمال (٧٤/١٥) طبقات علماء الحديث (٨٦/١) سير أعلام النبلاء (٤١٣/٣) تذكرة الحفاظ : (٢٦/١) تاريخ الإسلام (٢٣٠/٢) العبر (٥١/١) الكاشف (٨٥/٢) تذهيب التهذيب (٢/ ورقة ١٥١) إكمال مغلطي (٢/ ورقة ٢٧٨) مجمع الزوائد (٣٢٦/٩) نهاية السؤل (ورقة ١٧٢) تهذيب التهذيب (٢٤٩/٥) الإصابة (١٠٨/٦) النجوم الزاهرة (١٢٥/١) طبقات الحفاظ (٧) خلاصة الخرجي (٢٠٠) شذرات الذهب (٢٣٣/١) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥١/٥) والترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤) و (٣٢٥١) والدارمي (٣٤٠/١) كلهم من طريق عوف بن أبي جميلة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن سلام . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح . وقوله : انجفل إليه ، أي : ذهب إليه مسرعاً .

(٣) وردت هذه الأحاديث في سير أعلام النبلاء (٤١٧/٢ - ٤١٨) وتخريجها ثمة .

(٤) في تاريخه (٢١٢/٥ - ٢١٣) .

فاستعمل^(١) طُفَيْل بن عوف اليشكري على خراسان ، وكان طُفَيْل هذا عدوَّ ابن الكوّاء . فلما بلغ ابن الكوّاء ذلك قال : إنّ ابن دَجَاجَة لقليل العلم في^(٢) ، أظنّ أن ولاية طُفَيْل خراسان تسوءني ؟! لوددت أنه لم يبق في الأرض يشكريّ إلّا عاداني وإنه ولأهم^(٣) . فعزل معاوية ابن عامر عن البصرة ، وبعث إليها الحارث بن عبد الله الأزدي .

ويقال : إنّ معاوية استدعاه إليه ليزوره ، فقدم ابن عامر على معاوية دمشق ، فأكرمه وردّه إلى عمله ، فلما ودّعه قال له معاوية : ثلاث أسألُكهنّ فقل : هنّ لك . [قال ابن عامر : هنّ لك]^(٤) وأنا ابن أمّ حكيم . فقال معاوية : تردّ عليّ عملي ولا تغضب ، قال ابن عامر : قد فعلت . قال معاوية : وتهب لي مالك بعرفة ، قال : قد فعلت . قال : وتهب لي دُورَكَ بمكة ، قال : قد فعلت . فقال له معاوية : وصلتك رَحِم . قال ابن عامر : يا أمير المؤمنين وإني سائلُك ثلاثاً فقل : هنّ لك . [فقال : هنّ لك]^(٥) وأنا ابن هند . قال : تردّ عليّ مالي بعرفة ، قال : قد فعلت . قال : ولا تحاسب لي عاملاً ولا أميراً ، قال : قد فعلت . قال : وتُنكحني ابنتك هنداً ، قال : قد فعلت . ويقال : إن معاوية خيّر بين هذه الثلاث وبين الولاية على البصرة ، فاختار هذه الثلاث ، وانعزل عن البصرة .

قال ابن جرير^(٦) : وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن أبيه بن سميّة بأبيه أبي سفيان . وذلك أن رجلاً [من عبد القيس]^(٧) شهد على إقرار أبي سفيان أنه عاهرَ بسميّة أمّ زياد في الجاهليّة ، وأنها حملت بزياد هذا منه ، فلما استلحقه به قيل له : زياد بن أبي سفيان .

وقد كان الحسن البصري ينكر هذا الاستلحاق ويقول : قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش ، وللعاهرِ الحجر »^(٨) .

(١) سقطت هذه اللفظة من الأصل ، واستدركتها من تاريخ الطبري .

(٢) سقطت هذه اللفظة من الأصل ، واستدركتها من تاريخ الطبري .

(٣) ما بين حاصرتين من أ فقط . وورد مكانه في ط و ب : فذهب عبد الله بن أبي أوفى المعروف بابن الكوا فشكاه إلى معاوية .

(٤) سقط من ط و ب ، والمثبت في أ وتاريخ الطبري .

(٥) سقط من ط و ب .

(٦) في تاريخه (٢١٤/٥) .

(٧) سقط من ط .

(٨) رواه أحمد في المسند (١٢٩/٦) والبخاري رقم (٢٠٥٣) ومسلم رقم (١٤٥٧) من حديث عائشة ورواه أحمد

(٢٣٩/٢) ومسلم رقم (١٤٥٨) والبخاري رقم (٦٧٥٠) من حديث أبي هريرة .

وقوله : « الولد للفراش » معناه : أنه إذا كان للرجل زوجة أو مملوكة صارت فراشاً له ، فأنت بولد لمدة الإمكان

منه ، لحقه الولد وصار ولداً يجري بينهما التوارث وغيره من أحكام الولادة سواء كان موافقاً له في الشبه أم مخالفاً .

ومدة إمكان كونه منه ستة أشهر من حين أمكن اجتماعهما .

وقال أحمد^(١) : [حدثنا هُشيم^(٢) حدثنا خالد ، عن أبي عثمان قال : لما ادَّعى زياد لقيتُ أبا بكرة فقلت : ما هذا الذي صنعتُم ؟! إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : سمعت أذني رسول الله ﷺ يقول : « من ادَّعى أبا في الإسلام غير أبيه - وهو يعلم أنه غير أبيه - فالجنة عليه حرام » فقال أبو بكرة : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ . أخرجاه^(٣) من حديث أبي عثمان عنهما .

قلت : أبو بكرة اسمُه نُفَيْع ، واسم أمه سُمَيَّة أيضاً .

وحج بالناس في هذه السنة معاوية .

وفيها عمل معاوية المقصورة [بالجامع]^(٤) بالشام ، ومروان مثلها بالمدينة .

وفي هذه السنة توفيت :

أُم حَبِيبَةَ^(٥) : بنت أبي سفيان ، أخت معاوية ، وأُم المؤمنين ، واسمها رَمْلَة .

أسلمت قديماً ، وهاجرت هي وزوجها عُبيد الله بن جحش^(٦) إلى أرض الحبشة ، فتنصّر هناك زوجها ومات بالحبشة ، وثبتت هي على دينها رضي الله عنها . وبتُّها حَبِيبَة هي أكبر أولادها من عُبيد الله بن جحش ، ولدتها بالحبشة ، وقيل : بمكة قبل الهجرة .

ولما تأيَّمت من زوجها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فتزوَّجها منه ، وولي

= وأما قوله : « للعاهر الحجر » فقد قال العلماء : « العاهر » : الزاني . ومعنى له الحجر أي : له الخيبة ، ولا حقَّ له في الولد .

(١) في مسنده (١/١٦٩) .

(٢) سقط من أ .

(٣) البخاري رقم (٦٧٦٦) ، ومسلم (٦٣) في الإيمان : باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم .

(٤) هذه اللفظة من أ فقط . وقد قال ابن قتيبة في الأوائل (ص ٣٣) وأول من اتخذ المقصورة في المسجد معاوية ، وذلك أنه أبصر على منبره كلباً . وحول نشأة المقاصير انظر ما كتبه الدكتور حسين مؤنس في كتابه المساجد من سلسلة عالم المعرفة العدد (٣٧) ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٥) طبقات ابن سعد (٩٦/٨) تاريخ ابن معين (٧٣٦) طبقات خليفة (٣٣٢) تاريخ خليفة (٧٩ ، ٨٦) مسند أحمد

(٦/٣٢٥ و ٤٢٥) المعارف (١٣٦ ، ٣٤٤) المعرفة والتاريخ (٣/٣١٨) الجرح والتعديل : (٩/٤٦١) المستدرک

(٤/٢٠) الاستيعاب (٤/١٨٤٣) تاريخ ابن عساكر : تراجم النساء : ص ٧٠ ، أسد الغابة (٧/١١٥) تهذيب الكمال

(ورقة ١٦٩٠) سير أعلام النبلاء (٢/٢١٨) تاريخ الإسلام : (٢/٢٥٣) العبر (١/٥٢) الكاشف (٣/٤٢٦) مجمع

الزوائد (٩/٢٤٩) تهذيب التهذيب (١٢/٤١٩) الإصابة (١٢/٢٦٠) خلاصة الخزرجي (٤٩١) شذرات الذهب

(١/٢٣٦) أعلام النساء لكحالة (١/٤٦٤) .

(٦) في الأصل : عبد الله بن جحش ، وهو خطأ ، فعبد الله أخوه ، صحابي جليل ، من شهداء أحد .

العقد خالد بن سعيد بن العاص ، وأصدقها عنه النجاشي أربعمئة دينار ، وحملها إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع^(١) .

ولما جاء أبوها عام الفتح ليشدَّ العقد [الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ]^(٢) دخل عليها فثنت عنه فراش رسول الله ﷺ فقال : والله يا بنية ما أدري أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه ؟! فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك ، فقال لها : والله يا بنية لقد لقيت بعدي شراً^(٣) .

وقد كانت هي من سادات النساء وأمهات المؤمنين ، ومن العابدات الورعات .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سُهَيْل^(٤) ، عن عوف بن الحارث قال : سمعت عائشة تقول : دعنتي أم حبيبة عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : يغفر الله لي ولك ما كان من ذلك كله وتجاوزت عنه وحاللتك ، فقالت : سررتيني سررك الله . وأرسلت إلى أم سلمة ، فقالت لها مثل ذلك^(٥) .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

فيها ولَّى معاوية البصرة للحارث بن عبد الله الأزدي ، ثم عزله عنها بعد أربعة أشهر ، وولَّى زياداً [فقدم زياد]^(٦) الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فأقام بها ليأتيه رسول معاوية بولاية البصرة ، فظنَّ المغيرة أنه قد جاء على إمرة الكوفة ، فبعث إليه وائل بن حُجْر ليعلم خبره ، فاجتمع به فلم يقدر منه على شيء ، فجاء البريد من معاوية إلى زياد بأن يسير إلى البصرة والياً عليها ، واستعمله على خراسان وسجستان ، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

ودخل زياد البصرة في مستهل جمادى الأولى ، فقام في أول خطبة خطبها - وقد وجد الفسق ظاهراً بالبصرة - [فقال فيها : أيها الناس ! كأنكم لم تسمعوا ما أعدَّ الله من الثواب لأهل الطاعة ، والعذاب لأهل المعصية ، أتكونون كمَن طَرَقَتْ عينه الدنيا ، وسَدَّتْ مسامعه الشهوات فاختر الفانية على الباقية . . .]^(٧) .

(١) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٧ - ٩٩) .

(٢) من (أ) فقط .

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٩ - ١٠٠) .

(٤) في الأصل : سَهْل ، وهو خطأ .

(٥) طبقات ابن سعد (٨/ ١٠٠) .

(٦) من (ط) و (ب) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) و (ب) و (م)، وهو جزء من خطبته المعروفة بالبراء التي أكثر كُتب التاريخ والأدب من تناقلها، انظر مثلاً: تاريخ الطبري (٥/ ٢١٧-٢٢١) والبيان والتبيين (٢/ ٦١-٦٦) والعقد الفريد (٤/ ١١٠-١١٢) .

ثم ما زال يُقيم أمر السُلطان ويجرّد السيف حتى خافه الناسُ خوفاً عظيماً ، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة ، واستعانَ على عمله بجماعة من الصّحابة ، وولّى عمران بن حصّين القضاء بالبصرة ، وولى الحكم بن عمرو نيابة خراسان ، وولّى سَمُرّة بن جُنْدَب وعبد الرحمن بن سَمُرّة وأنس بن مالك .

وكان زياد حازم الرأي ، ذا هيبة ، داهية ، وكان مفوّهاً فصيحاً بليغاً . قال الشعبي : ما سمعت متكلماً قطّ تكلم فأحسن إلّا أحببتُ أن يسكت خوفاً من أن يُسيء إلّا زياداً ، فإنه كان كلّما أكثر كان أجود كلاماً .

وقد كانت له وجّاهة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفي هذه السنة غزا الحكم بن عمرو الغفاري - نائب زياد على خراسان - جبل الأشلّ^(١) عن أمر زياد له في ذلك ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وغنم أموالاً جمّة ، فكتب إليه زياد : إنّ أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يُصطفى له كلُّ صفراء وبيضاء - يعني الذهب والفضّة - من هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو الغفاري : إنّ كتاب الله مقدّم على كتاب أمير المؤمنين ، وإنه - والله - لو كانت السماوات والأرض على عبد^(٢) فأتقى الله لجعل له مخرجاً . ثم نادى في الناس : أن اغدّوا على قسم غنيمتكم ، فقسّمها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية ، وعزل الخمس كما أمر الله ورسوله . ثم قال الحكم : اللهم إنّ كان لي عندك خيرٌ فاقبضني ، فمات بمرو من خراسان رحمه الله .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم ، وكان أميراً على المدينة [وكانت الولاة والعمال هم الذين كانوا في السنة الماضية]^(٣) .

وفي هذه السنة توفي :

زيد بن ثابت الأنصاري^(٤) : أحد كتّاب الوحي ، وقد ذكرنا ترجمته في أواخر السّيرة ، وهو

(١) في الأصول : الأسل وهو تصحيف . قال ياقوت في معجمه (٢٠٠/١) الأشلّ : جبل في ثغور خراسان ، غزاه الحكم بن عمرو الغفاري .

(٢) في ط : عدو .

(٣) ما بين حاصرتين من أ فقط ، وشبيهه في تاريخ الطبري (٢٢٦/٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (٣٥٨/٢) طبقات خليفة (٨٩) تاريخ خليفة (٢٠٧) مسند أحمد (١٨١/٥) تاريخ البخاري الكبير

(٣/٣٨٠) ثقات العجلي (١٧٠) المعارف (٢٦٠) المعرفة والتاريخ : (٣٠٠/١ ، ٤٨٣) فضائل الصحابة للنسائي

(١٦٤) أخبار القضاة (١٠٧/١) الجرح والتعديل (٥٥٨/٣) ثقات ابن حبان (١٣٥/٣) مشاهير علماء الأمصار

(ت٢٢) معجم الطبراني الكبير (١١١/٥) المستدرک (٤٢١/٣) جمهرة ابن حزم (٣٤٨) الاستيعاب (٥٣٧/٢)

طبقات الشيرازي (ص٤٦) الجمع لابن القيسراني : (١٤٢/١) تاريخ ابن عساكر (٦/ورقة ٢٧٨/أ) أسد الغابة

(٢٧٨/٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٠/١) تهذيب الكمال (٢٤/١٠) طبقات علماء الحديث (٨٩/١) سير أعلام

النبلأ (٤٢٦/٢) تاريخ الإسلام (٢٢٥/٢) تذكرة الحفاظ (٣٠/١) العبر (٥٣/١) الكاشف (٢٦٤/١) معرفة القراء =

الذي كتب هذا المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان له في ذلك ، وهو خط جيّد قويّ جدّاً فيما رأيته .

وقد كان زيد بن ثابت من أشدّ الناس ذكاءً ، تعلّم لسان يهود وكتابهم في خمسة عشر يوماً . [قال أبو الحسن بن البراء : تعلّم الفارسيّة من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً ^(١) وتعلّم الحبشيّة والروميّة والقبطيّة من خدام رسول الله ﷺ .

قال الواقدي : وأول مشاهده الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة .

وفي الحديث الذي رواه أحمد والنسائي ^(٢) : « وأعلّمهم بالفرائض زيد بن ثابت » .

وقد استعمله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على القضاء .

وقال مسروق : كان زيد بن ثابت من الراسخين في العلم ^(٣) .

وقال محمد بن عمرو ^(٤) ، عن أبي سلمة ، عن ابن عباس : أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب ، فقال له : تنح يا بن عم رسول الله ، فقال : لا ، هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا ^(٥) .

وقال الأعمش : عن ثابت بن ^(٦) عبيد قال : كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته ، ومن أزمته ^(٧) إذا خرج إلى الرجال .

وقال محمد بن سيرين : خرج زيد بن ثابت إلى الصلاة ، فوجد الناس راجعين منها ، فتوارى منهم وقال : مَنْ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ ^(٨) .

= الكبار (٣٦/١) تذهيب التهذيب (١/ ورقة ٢٤٨) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٥٠) مجمع الزوائد (٩/ ٣٤٥) غاية النهاية (١/ ٢٩٦) نهاية السؤل (ورقة ١٠٥) تهذيب التهذيب (٣/ ٣٩٩) الإصابة (٤/ ٤١) النجوم الزاهرة (١/ ١٣٠) طبقات الحفاظ (ص ٨) خلاصة الخزرجي (١٢٧) كنز العمال (١٣/ ٣٩٣) شذرات الذهب (١/ ٢٣٧) تاريخ التراث العربي (٢/ ١٨) .

(١) ما بين حاصرتين من (ط) و (ب) .

(٢) أحمد في مسنده (٣/ ١٨٤) ، والنسائي في الكبرى رقم (٨٢٨٧) . وأخرجه أيضاً الترمذي رقم (٣٧٩١) ، وابن ماجه (١٥٤) وهو حديث صحيح .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣٦٠ / ٢ .

(٤) تحرف في (أ) إلى : محمد بن عمر . ومحمد بن عمرو : هو أبو الحسن محمد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني ، راوية أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٠) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري بهذا الإسناد ، وصححه الحاكم (٣/ ٤٢٣) .

(٦) وقعت في ط : عن ، وهو خطأ .

(٧) في ط : أذمها تحريف . وقوله : من أزمته ، أي : من أرزتهم وأوقرهم .

(٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٩) .

مات في هذه السنة وقيل : في سنة خمس وخمسين ، والصحيح الأول ، وقد قارب الستين ، وصلى عليه مروان بن الحكم . وقال ابن عباس : لقد مات اليوم علمٌ كثير^(١) .

وقال أبو هريرة : مات حَبْرُ هذه الأمة^(٢) .

وفيه مات :

سَلَمَةُ بن سَلَامَةَ^(٣) : ابن وَقْش^(٤) عن سبعين سنة .

وقد شهد بدرًا ومابعدًا .

ولا عَقَبَ له .

وعاصِمُ بن عَدِي^(٥) : وقد استخلفه رسول الله ﷺ حين خرج إلى بدر على قُباء وأهلِ العالية ، وشهد أحدًا وما بعدها ، وتوفي عن خمس عشرة^(٦) ومئة سنة .

وقد بعثه رسول الله ﷺ هو ومالك بن الدُّخْشُم إلى مسجد الضَّرَّار فحرَّاه^(٧) .

(١) وقع في (ط) : عالم كبير . وقد أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣٦١/٢ - ٣٦٢) والحاكم (٤٢٨/٣) والطبراني برقم (٤٧٤٩) والفسوي (٤٨٥/١) من طرق عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار قال : لما مات زيد بن ثابت جلسنا إلى ابن عباس في ظل ، فقال : هكذا ذهاب العلماء ، لقد دفن اليوم علم كثير . ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢٦٢/٢) والطبراني برقم (٤٧٥٠) والحاكم (٤٢٧/٣ - ٤٢٨) من طرق عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد قال : قال أبو هريرة حين مات زيد بن ثابت : اليوم مات حبر هذه الأمة ، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً . ورجاله ثقات ، إلا أن يحيى بن سعيد لم يسمع من أبي هريرة .

(٣) طبقات ابن سعد (٤٣٩/٣) طبقات خليفة (٧٧) تاريخ خليفة (٢٠٧) مسند أحمد (٤٦٧/٣) تاريخ البخاري الكبير (٦٨/٤) المعرفة والتاريخ (٣٣٤/١) الجرح والتعديل (١٦١/٤) مشاهير علماء الأمصار (٧٤) المستدرک (٤١٧/٣) الاستبصار (٢٢٢) الاستيعاب (٦٤١/٢) أسد الغابة (٤٢٨/٢) تاريخ الإسلام (٢٢٧/٢) سير أعلام النبلاء (٣٥٥/٢) الإصابة (٢٣٠/٤) .

(٤) تحرف في (ب) إلى : قيس .

(٥) طبقات ابن سعد (٤٦٦/٣) مسند أحمد (٤٥٠/٥) تاريخ البخاري الكبير (٣٠٣٧/٦) المعارف (٣٢٦) المعرفة والتاريخ (٢١٥/٢) الجرح والتعديل (٣٤٥/٦) ثقات ابن حبان (٢٨٦/٣) معجم الطبراني الكبير (١٧١/١٧) الاستيعاب (٧٨١/٢) أسد الغابة (١١٤/٣) تهذيب الكمال (٥٠٧/١٣) الكاشف (٤٦/٢) تجريد أسماء الصحابة (١/٢٩٧٦) العبر (٥٣/١) تهذيب التهذيب (٢/ورقة ١١١) إكمال مغلطاي (٢/ورقة ٢١٨) نهاية السؤل (ورقة ١٥٤) تهذيب التهذيب (٤٩/٥) الإصابة (٤٣٥٣/٢) خلاصة الخزرجي (١٨٢) شذرات الذهب (٢٣٨/١) .

(٦) وقع في (ط) : خمس وعشرين ، وهو خطأ .

(٧) كان ذلك أثناء غزوة تبوك . سيرة ابن هشام (٥٢٩/٢) وطبقات ابن سعد (٤٦٦/٣) .

وفيهما توفيت :

حَفْصَةُ بنتُ عمر^(١) : ابن الخطاب ، أمُّ المؤمنين ، وكانت قبلَ رسول الله ﷺ تحت حُنَيْس^(٢) بن حَذَافَةَ السَّهْمِي ، وهاجرت معه إلى المدينة ، فتوفي عنها بعد بدر ، فلما انقضت عدَّتُها عرضها أبوها على عثمان بعد موت زوجته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ فأبى أن يتزوَّجها ، فعرضها على أبي بكر ، فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثم عن قريب خطبها رسول الله ﷺ فتزوَّجها ، فعاتب عمر أبا بكر بعد ذلك ، فقال له أبو بكر : [مامنعني أن أردَّ عليك إلا أن رسول الله ﷺ كان قد ذكرها]^(٣) ولو تركها لتزوَّجْتُها^(٤) .

وقد روينا في الحديث : « أن رسول الله ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ ثم راجعها »^(٥) .

وفي رواية : « أن جبريل أمره بمراجعتها وقال : إنها صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ ، وهي زوجتك في الجنة »^(٦) .

وقد أجمع الجمهور على أنها توفيت في شعبان من هذه السنة عن ستين سنة ، وقيل : إنها توفيت أيام عثمان ، والأول أصح ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين

فيها شتا المسلمون ببلاد الروم لأجل الجهاد مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل : كان أميرهم غيره ، فالله أعلم .

[وحج بالناس فيها عُتْبَةُ بن أبي سفيان أخو معاوية ، والعمال على البلاد هم المتقدم ذكرهم]^(٧) .

(١) طبقات ابن سعد (٨١/٨) طبقات خليفة (٣٣٤) تاريخ خليفة (٦٦) مسند أحمد (٢٨٣/٦) المعارف (١٣٥) وغيرها ، المستدرک (١٤/٤) الاستيعاب (١٨١١/٤) أسد الغابة (٦٥/٧) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٨٨) تاريخ الإسلام (٢٢٠/٢) سير أعلام النبلاء (٢٢٧/٢) الكاشف (٤٢٣/٣) العبر (٥٠/١) مجمع الزوائد (٢٤٤/٩) تهذيب التهذيب (٤١١/١٢) الإصابة (١٩٧/١٢) خلاصة الخزرجي (٤٩٠) كنز العمال (٦٩٧/١٣) شذرات الذهب (٢٢٩/١) أعلام النساء لكحالة (٢٧٤/١) .

(٢) تحرف في أ إلى : حنيس ، وفي ط إلى : حنيس .

(٣) مكانه في ط و ب : إن رسول الله كان قد ذكرها ، فما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ .

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٠٥) في المغازي و(٥١٢٢) في النكاح من حديث ابن عمر عن عمر .

(٥) حديث صحيح أخرجه أبو داود (٢٢٨٣) في الطلاق : باب في المراجعة ، وابن ماجه (٢٠١٦) والنسائي (٢١٣/٦) من حديث عمر . وفي المجتبى للنسائي : ابن عمر ، محرف .

(٦) رواه الحاكم (١٥/٤) وأبو نعيم (٥٠/٢) وهو حديث حسن بطرقه .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) و (ب) و (م) .

وممن توفي في هذه السنة :

سالم بن عمير^(١) : أحد البكّائين المذكورين في القرآن^(٢) .

شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد كلها .

سراقة بن كعب^(٣) : شهد بدرًا وما بعدها .

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد^(٤) : القرشي المخزومي . وكان من الشُّجعان المعروفين ، والأبطال المشهورين كأبيه . وكان قد عظم [أمره ، وعلا قدره]^(٥) ببلاد الشام كذلك حتى خاف منه معاوية . ومات وهو مسمومٌ ، رحمه الله وأكرم مثواه .

قال ابن مندّة وأبو نعيم الأصبهاني : أدرك النبي ﷺ .

وقد روى ابن عساكر من طريق أبي عمر : أن^(٦) عمرو بن قيس روى عنه عن النبي ﷺ في الحِجامة بين الكتفَين . قال البخاري^(٧) : وهو منقطع . - يعني مرسلًا .

وقال الزبير بن بَكَّار^(٨) : كان عظيم القدر في أهل الشام ، شهد صفّين مع معاوية . وكان كعبُ بن جُعيل مدّاحاً له ولأخويه مُهاجر وعبد الله .

وقال ابن سُميع : كان يلي الصّوائف زمن معاوية ، وقد حفظ عن معاوية .

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٣٥ - ٦٣٦) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٠) الاستيعاب (٢/ ٥٦٧) أسد الغابة (٢/ ٣١١) الإصابة (٣٠٤٦ ت) .

(٢) قال الواحدي في أسباب نزول القرآن (ص ٢٥٨) : قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة : ٩٢] نزلت في البكّائين ، وكانوا سبعة . . . أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا نبي الله إن الله عز وجل قد ندبنا إلى الخروج معك ، فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزوا معك . فقال : لا أجد ما أحملكم عليه . فتولوا وهو يبكون . وذكر الخلاف في أسماء هؤلاء السبعة ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٨١ - ٣٨٢) وابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٥٢٨) وغيرهما .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٧) الجرح والتعديل (٤/ ٣٠٨) الاستيعاب (٢/ ٥٨٠) أسد الغابة (٢/ ٣٣٠) الإصابة (٣١١٤ ت) .

(٤) نسب قريش (ص ٣٢٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٩) الجرح والتعديل (٥/ ٢٢٩) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٥٢) الاستيعاب (٢/ ٨٢٩) أسد الغابة (٣/ ٤٤٠) تاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٤) العبر (١/ ٥٣) الإصابة (ت ٦٢٠٧) شذرات الذهب (١/ ٢٣٩) .

(٥) من (أ) فقط .

(٦) في (ط) : من طريق أبي عمران عمرو . . وهو خطأ ، فعمر بن قيس كنيته : أبو ثور . . ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (١٩/ ٢٨٠) وغيره .

(٧) تاريخه الكبير (٥/ ٢٧٧) ، ونقله ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٦) .

(٨) ينظر نسب قريش لمصعب الزبيري (٣٢٤) ، وتاريخ دمشق (٣٤/ ٣٢٦) .

وقد ذكر ابن جرير^(١) وغيره : أنَّ رجلاً يقال له ابن أثال - وكان رئيس الذمّة بأرض حمص - سقاه شربة فيها سمّ فمات .

وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ، ولا يصح ، والله أعلم .

وقد رثاه بعضهم^(٢) فقال :

أَبُوكَ الَّذِي قَادَ الْجِيُوشَ مُغَرَّباً إِلَى الرُّومِ لَمَّا أُعْطِيَ الْخَرْجَ فَارِسُ
وَكَمْ مِنْ فَتَى نَبَّهَتْهُ بَعْدَ هَجْعَةٍ بَقَرَعٍ لَجَامٍ وَهُوَ أَكْتَعُ نَاعِسُ
وَمَا يَسْتَوِي الصَّفَانِ صَفٌّ لَخَالِدٍ وَصَفٌّ عَلَيْهِ مِنْ دِمَشْقَ الْبَرَانِسُ

وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد قدم المدينة ، فقال له عروة بن الزبير : ما فعل ابن أثال ؟ فسكت خالد بن عبد الرحمن ، ثم رجع إلى حمص فثار على ابن أثال ، فقتله ، [فحبسه معاوية ثم أطلقه ، ثم قدم المدينة ، فقال له عروة : ما فعل ابن أثال]^(٣) ؟ فقال : قد كفيْتُك إيَّاه ، ولكن ما فعل ابنُ جرموز ؟ فسكت عروة .

وفيها توفي محمد بن مسلمة في قول ، وقد قدّمنا وفاته .

هَرَمَ بن حَيَّان^(٤) الْعَبْدِي^(٥) : كان أحد عمّال عمر بن الخطّاب ، ولقي أويساً القرني ، وكان من عقلاء الناس وعلماهم وعبادهم .

ويقال : إنه لما دُفِنَ جاءتْ سحابة فروّت قبره ، ونبتَ العشبُ عليه من وقته ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

فيها شتا المسلمون ببلاد الروم [لأجل الجهاد]^(٦) .

(١) تاريخ الطبري (٢٢٧/٥) .

(٢) هو كعب بن جعيل الذي ورد ذكره قبل أسطر . والأبيات في نسب قريش (ص ٣٢٦) ، وتاريخ دمشق (٣٣٢/٣٤) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من (ط) . تاريخ الطبري (٢٢٩/٥) .

(٤) كذا في (ب) ، ومثله في مصادر ترجمته اللاحقة ، ووقع في (أ) و (ط) والقاموس المحيط : حبان ، خطأ .

(٥) طبقات ابن سعد (١٣١/٧) طبقات خليفة (ت ١٥٨١) الزهد لأحمد (٣٣١) المعمرن والوصايا (١٥٩) تاريخ

البخاري الكبير (٢٤٣/٨) المعارف (٤٣٥) الجرح والتعديل (١١٠/٩) مشاهير علماء الأمصار (ت ١١٨٢) حلية

الأولياء (١١٩/٢) الاستيعاب (١٥٣٧/٤) أسد الغابة (٣٩١/٥) تاريخ الإسلام (٢١١/٣) سير أعلام النبلاء

(٤٨/٤) الإصابة (ت ٨٩٤٧) النجوم الزاهرة (١٣٢/١) .

(٦) من (أ) فقط .

وفيهما عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن مصر ، وولّى عليها معاوية بن حُديج^(١) .
وحج بالناس عتبة - وقيل : أخوه عنبسة - بن أبي سفيان ، فالله أعلم .
وممن توفي فيها :

قيسُ بنُ عاصمِ المنقري^(٢) : كان من سادات الناس في الجاهليّة والإسلام ، وكان ممّن حرّم الخمر في الجاهليّة ، وذلك أنه سكر يوماً فعبث بذات محرّم منه فهربت منه ، فلمّا أصبح قيل له في ذلك ، فحرّمها وقال في ذلك :

رأيتُ الخمرَ منقَصَةً وفيها مقابُحُ تفضُّحِ الرجلِ الكريما
فلا واللهِ أشربُها حيّاتي ولا أشفي بها أبداً سقيماً^(٣)

وكان إسلامه مع وفد بني تميم^(٤) .

وفي بعض الأحاديث أنّ رسول الله ﷺ قال : « هذا سيّد أهل الوبر »^(٥) .

وكان جواداً ممدّحاً كريماً . وهو الذي يقول فيه الشاعر^(٦) يوم مات :

وما كانَ قيسُ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّمَا

[وقيل : إنما قال هذا البيت الخنساء في أخيها صخر]^(٧) .

وقال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان : قيل للأحنف بن قيس : ممّن تعلمتَ الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري ، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما يُختلف إلى الفقهاء في الفقه ، فبينما نحن عنده يوماً ، وهو قاعد بفنائهِ ، محتبّ بكسائه أتنّه جماعةٌ فيهم مقتول ومكتوف - المقتول ابنه ، والمكتوف ابنُ أخيه - فقالوا : هذا ابنك قتله ابنُ أخيك ، قال : فوالله ما حلّ

(١) تصحّف في الأصول إلى : خديج .

(٢) طبقات ابن سعد (٣٦/٧) مسند أحمد (٦١/٥) المعمر بن الوصايا (١٣٥) المعارف (٣٠١) المعرفة والتاريخ (٢٩٦/١) مشاهير علماء الأمصار (ت٢٢٧) معجم الشعراء للمرزباني (١٩٩) الاستيعاب (٣/١٢٩٤) أسد الغابة (٤/٤٣٢) تهذيب الكمال (ورقة ١١٣٨) الكاشف (٢/٣٤٩) تهذيب التهذيب (٨/٣٣٩) الإصابة (ت٧١٩٤) خلاصة الخزرجي (٣١٧) .

(٣) البيتان مع بيتين آخرين في الاستيعاب (٣/١٢٩٥) وأسد الغابة (٤/٤٣٣) وتهذيب الكمال (ورقة ١١٣٨ - ١١٣٩) ورواية الشطر الأول في هذه المصادر : رأيت الخمر صالحة وفيها . . .

(٤) وذلك سنة سبع من الهجرة كما في سيرة ابن هشام (٢/٥٦٠ - ٥٦١) .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٨/٣٣٩) والبزار رقم (٢٧٤٤) وفي إسناده ضعف ، ورواه أيضاً البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٩٥٣) وغيره وهو حسن لغيره .

(٦) هو عبدة بن الطبيب ، وسيأتي تخريج البيت بعد أسطر .

(٧) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية ، وكان معه جماعة من سادات الصحابة منهم : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبو أيوب الأنصاري . وقد ثبت في « صحيح البخاري »^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « أَوَّلُ جيشٍ [مِنْ أمتي] يغزونَ مدينةَ قَيْصَرَ مغفورٌ لهم » فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد . وبها^(٢) توفي أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، ولم يمت في هذه الغزوة ، بل بعدها في سنة بضع وخمسين كما سيأتي .

وفيها عزل معاوية مروان عن المدينة ، وولّى عليها سعيد بن العاص ، فاستقضى سعيد عليها أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

وفيها شتا مالك بن هبيرة الفزاري بأرض الروم .

وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد ، وشتا هنالك ، ففتح البلد ، وغنم شيئاً كثيراً [من الرقيق وغيره]^(٣) .

وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلي .

وفيها وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج منها المغيرة بن شعبة فارّاً ، فلما ارتفع الطاعون رجع إليها ، فأصابه الطاعون فمات . والصحيح أنه مات سنة خمسين كما سيأتي .

[وفيها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة في شهر ربيع الأول منها ، وولّى عليها سعيد بن العاص في شهر ربيع الآخر ، فكانت ولاية مروان على المدينة لمعاوية ثمان سنين وشهرين ، وكان قاضي مروان على المدينة عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فلما ولي سعيد عزله عن القضاء ، واستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف]^(٤) .

وفيها جمع معاوية بين ولاية الكوفة والبصرة لزياد ، فكان أول من جُمع له بينهما ، فكان يُقيم في هذه ستة أشهر ، وفي هذه ستة أشهر ، وكان إذا سار من البصرة استخلف عليها سمرّة بن جندب .

(١) البخاري في الجهاد / ٩٣ برقم (٢٩٢٤) وسيعيده المؤلف ضمن ترجمة يزيد بن معاوية .

(٢) يعني القسطنطينية . ووقعت في ط : وفيها ، وهو خطأ ، إذ يتوجه الكلام إلى الغزوة .

(٣) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٤) ما بين حاصرتين من (أ) فقط ، وبعضه في (ب) و (م) . أما المطبوع فلا يوجد فيه شيء منه لأنه تقدم مختصراً في أول أحداث هذه السنة .

أبي مُليكة ، عن عُقبة بن الحارث أن أبا بكر صَلَّى بهم العصر بعد وفاة رسول الله بليالٍ ثم خرج هو وعليّ يمشيان ، فرأى الحسن يلعبُ مع الغلمان ، فاحتمله على عنقه وجعل يقول :

بأبي شِبهُ النَّبيِّ ليسَ شَبِهاً بعلي

قال : وعليّ يضحك .

وروى سفيان الثوري وغير واحد قالوا : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت أبا جُحيفة يقول : « رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسنُ بنُ علي يُشبههُ » .

ورواه البخاري ومسلم^(١) من حديث إسماعيل بن أبي خالد .

قال وكيع : ولم يسمع إسماعيل من أبي جُحيفة إلا هذا الحديث .

وقال الإمام أحمد^(٢) : حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا زُمعة ، عن ابن أبي مُليكة قال : كانت فاطمة تُنقِرُ الحسن بن علي وتقول :

بأبي شِبهُ النَّبيِّ ليسَ شَبِهاً بعلي

وقال عبد الرزاق^(٣) وغيره : عن مَعمر ، عن الزُّهري ، عن أنس قال : « كان الحسنُ بنُ عليّ أشبهَهُمْ وَجْهاً برسول الله ﷺ » .

ورواه أحمد^(٤) عن عبد الرزاق بنحوه .

وقال الإمام أحمد^(٥) : حدثنا حجاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هانئ ، عن علي قال : « الحسنُ أشبهُ [الناس] برسول الله ﷺ ما بينَ الصَّدرِ إلى الرَّأس ، والحسينُ أشبهُ الناسَ برسول الله ما كانَ أسفلَ مِنْ ذلك » .

ورواه الترمذي^(٦) من حديث إسرائيل ، وقال : حسن غريب .

وقال أبو داود الطيالسي^(٧) : حدثنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن هانئ بن هانئ ، عن علي قال : « كان الحسنُ أشبهَ الناسَ برسول الله ﷺ مِنْ وَجْهِهِ إلى سُرَّتِهِ ، وكان الحسينُ أشبهَ الناسَ به ما أسفلَ مِنْ ذلك » .

(١) البخاري رقم (٣٥٤٣) في المناقب : باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم (٢٣٤٣) في الفضائل .

(٢) في مسنده (٢٨٣/٦) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٧٦/٩) وإسناده ضعيف .

(٣) في المصنف (٢٠٩٨٤) .

(٤) في مسنده (١٦٤/٣) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في مسنده (٩٩/١) وإسناده ضعيف .

(٦) برقم (٣٧٧٩) ، وإسناده ضعيف .

(٧) في مسنده رقم (١٣٠) وفي إسناده ضعف .

أسمعك؟ فقال: إني أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعليّ يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل علي يقول: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبوا، ويرى هذا من نعم الله عليه.

وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما، رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكان ابن الزبير يقول: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي.

وقال غيره: كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن، وربما أتحنفنه، ثم ينصرف إلى منزله.

ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه صيانةً لدماء المسلمين كان له على معاوية في كل عام جائزة، وكان يفد إليه، فربما أجازه بأربعمئة ألف درهم، وراتبه في كل سنة مئة ألف. فانقطع سنة عن معاوية، وجاء وقت الجائزة، واحتاج الحسن إليها - وكان من أكرم الناس وأسخاهم - فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعث بها إليه، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله ﷺ في المنام، فقال له: يا بُني! أكتب إلى مخلوق بحاجتك؟! وعلمه دعاء يدعو به، فترك الحسن ما كان همّ به من كتابة، فذكره معاوية وافتقده وقال: ابعثوا إليه بجائزته وزيدوا مئة ألف أخرى، فلعل له ضرورة في تركه القدوم علينا. فحملت إليه من غير سؤال.

[قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: الحسن بن علي مدني ثقة. حكاه ابن عساكر في «تاريخه»]^(١).

قالوا: وقاسم الحسن الله عز وجل ماله ثلاث مرات، وخرج من ماله مئرتين. وحجّ خمسا وعشرين حجة ماشياً وإن الجنائب لتقاد بين يديه. روى ذلك البيهقي من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس، وقاله علي بن زيد بن جُدعان^(٢).

وقد علّق البخاري في «صحيحه» أنه حجّ ماشياً والجنائب تقاد بين يديه.

وروى داود بن رُشيد، عن حفص، عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: حجّ الحسن بن علي ماشياً ونجائبه تقاد إلى جنبه.

وقال العباس بن الفضل: عن القاسم، عن محمد بن علي قال: قال الحسن بن علي: إني لأستحي من ربّي - عز وجل - أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجله.

(١) ما بين حاصرتين من ط فقط.

(٢) تهذيب الكمال (٢٣٣/٦).

قالوا : وكان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم ، وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام ، يقرأها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه ، فيقرأها بعدما يدخل في الفراش قبل أن ينام ، رضي الله عنه .

وقد كان من الكرم على جانب عظيم . قال محمد بن سيرين : ربّما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمئة ألف .

وقال سعيد بن عبد العزيز : سمع الحسن بن علي إلى جانبه رجلاً يدعو الله أن يُملكه عشرة آلاف درهم ، فقام إلى منزله فبعث إليه بها .

وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمةً ويطعم كلباً هناك لقمة ، فقال له : يا غلام ! ما حملك على هذا ؟ فقال الغلام : إني أستحي منه أن أكل ولا أطعمه ، فقال له الحسن : لا تبرح من مكانك حتى آتيك ، فذهب إلى سيده ، فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه ، فأعتقه وملّكه الحائط . فقال الغلام : يا مولاي إنني قد وهبت الحائط للذي وهبني له .

قالوا : وكان كثير التزوّج ، وكان لا يفارقه أربع حرائر ، وكان مطلقاً مضداً ، يقال : إنه أحسن سبعين امرأة [وقيل : سبعة ، وقيل : ألف امرأة ، وربما كان يعقد العقد على أربعة في المجلس ، ويفارق أربعة]^(١) .

وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم ، واحدة من بني أسد ، وأخرى فزارية ، وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبزقاق^(٢) من عسل ، وقال للغلام : اسمع ما تقول كل واحدة منهما . فأما الفزارية فقالت : جزاه الله خيراً ، ودعت له . وأما الأسديّة فقالت :

مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ

فرجع الغلام إليه بذلك ، فارتجع الأسديّة ، وترك الفزارية^(٣) .

وقد كان علي يقول لأهل الكوفة : لا تزوّجوه فإنه مطلق ، فيقولون : والله - يا أمير المؤمنين - لو خطب إلينا كل يوم لنزوّجته ما أراد محبةً في صهر رسول الله ﷺ .

وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزاري - وقيل : هند بنت سهيل - فوق إجار^(٤) ، فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها ، فلما استيقظ ورأى ذلك قال : ما حملك على هذا ؟ فقالت :

(١) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٢) « زقاق » : جمع زق - وهو السقاء - وهو جمع للكثير ، أما جمع القلة فأزقاق (اللسان) .

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٧ / ٢٧ - ٢٨) .

(٤) « الإجار » : السطح الذي ليس حوله ما يرد الساقط عنه .

وقال محمد بن سعد^(١) : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي ، عن ابن عون ، عن عُمير^(٢) بن إسحاق قال : ما تكلم عندي أحدٌ كان أحبَّ إلي إذا تكلمَ ألا يسكت من الحسن بن علي ، وماسمعت منه كلمة فحش قطُّ إلا مرة ، فإنه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة ، فقال الحسن : ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه ، فهذه أشدُّ كلمة فحش سمعتها منه قط .

قال محمد بن سعد^(٣) : وأخبرنا الفضل بن دكين ، أخبرنا مسافر الجصاص ، عن رُزَيْق^(٤) بن سَوَّار قال : كان بين الحسن وبين مروان خصومة ، فجعل مروان يُغْلِظُ للحسن ، وحسن ساكت ، فامتخط مروان بيمينه ، فقال له الحسن : ويحك ! أما علمت أن اليمنى للوجه والشمال للفرج ؟ أف لك ! فسكت مروان .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد : قيل للحسن بن علي : إن أبا ذر^(٥) يقول : إن الفقر أحبُّ إلي من الغنى ، والشُّقْم أحبُّ إلي من الصَّحَّة . فقال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتَّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنَّ أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له . وهذا حدُّ الوقوف على الرِّضى بما تصرَّف^(٦) به القضاء .

وقال أبو بكر محمد بن كَيْسان الأصم : قال الحسن بن علي ذات يوم لأصحابه : إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني ، وكان عظيم ما عظَّمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له عقله ولا رأيه ، وكان خارجاً من سلطان جهله فلا يمدُّ يداً إلا على ثقة المنفعة ، [ولا يخطو خطوة إلا لحسنة]^(٧) وكان لا يسخط ولا يتبرَّم ، وكان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم ، وكان إذا غلب على الكلام لم يُغلب على الصَّمت ، كان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بدَّ^(٨) القائلين ، كان لا يشارك في دعوى ، ولا يدخل في مرءٍ ، ولا يُدلي بحُجَّة حتى يرى قاضياً يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول تفضلاً وتكرماً ، كان لا يغفل عن إخوانه ولا يستخصُّ بشيء دونهم ، كان لا يلوم^(٩) أحداً فيما يقع العُذر بمثله ، كان إذا ابتداء أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحقَّ نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه .

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٢٧٩ - ٢٨٠) .

(٢) وقع في ط : محمد وهو خطأ ، فعمير بن إسحاق : هو أبو محمد مولى بني هاشم . من رجال التهذيب .

(٣) الطبقات الكبرى (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤) .

(٤) تحرف في (أ) و(ط) إلى : رزين وفي ب إلى : زيد .

(٥) تحرفت لفظة ذر المتكررة في هذا الخبر في ط إلى : زر .

(٦) كذا في (أ) و(ب) ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٢٩) . ووقعت في ط : تعرف .

(٧) ما بين حاصرتين ليس في ب ولا في مختصر تاريخ دمشق .

(٨) « بدَّ القائلين » : أي : سبقهم وغلبهم .

(٩) تحرفت في النسخ إلى : يكرم والتصويب من مختصر تاريخ دمشق .

رواه ابن عساكر^(١) والخطيب .

وقال أبو الفرج المُعافى بن زكريا الجَريري : حدثنا بدر بن الهيثم الحَضرمي ، حدثنا علي بن المنذر الطَّريقِي^(٢) ، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي ، حدثنا محمد بن عبد الله أبو رجاء - من أهل تُسْتَر - حدثنا شعبة بن الحجاج الواسطي ، عن أبي إسحاق الهَمْداني ، عن الحارث الأعور أن علياً سأل ابنه - يعني الحسن - عن أشياء من المروءة فقال :

- يأبني ما السَّداد ؟ قال : يا أبة ! السَّدادُ دفعُ المنكر بالمعروف .
- قال : فما الشَّرَف ؟ قال : اصْطِناعُ العَشيرة ، وحملُ الجَريرة .
- قال : فما المروءة ؟ قال : العَفاف ، وإصلاحُ المرء ماله^(٣) .
- قال : فما الدنية^(٤) ؟ قال : النَّظَرُ في اليَسير ، ومنعُ الحَقير .
- قال : فما اللُّوم ؟ قال : إحرازُ المرء نفسه ، وبذله عِرسه .
- قال : فما السَّماحة ؟ قال : البذلُ في العُسْر واليُسْر .
- قال : فما الشُّح ؟ قال : أن ترى ما في يدك شَرَفاً ، وما أنفقته تَلَفاً .
- قال : فما الإخاء ؟ قال : الوفاء في الشَّدة والرَّخاء .
- قال : فما الجُبْن ؟ قال : الجرأة على الصَّديق ، والتَّكول عن العدو .
- قال : فما الغَنيمة ؟ قال : الرَّغبة في التقوى ، والزَّهادة في الدنيا [هي الغنيمة الباردة]^(٥) .
- قال : فما الحِلْم ؟ قال : كَظْمُ الغَيْظ ، ومَلْكُ النفس .
- قال : فما الغِنى ؟ قال : رضى النفس بما قسمَ الله لها وإن قَلَّ [فإنما الغنى غنى النفس]^(٦) .
- قال : فما الفقر ؟ قال : شَرُّه النفس في كل شيء .
- قال : فما المَنعة ؟ قال : شَدَّةُ البأس ، ومُقارعة أشدَّ الناس .
- قال : فما الذُّل ؟ قال : الفَزَعُ عند المصدُوقية .

(١) مختصر تاريخ دمشق (٣٠ / ٧) .

(٢) تحرفت هذه النسبة في (أ) إلى : الطرائفي . قال السمعاني في الأنساب (٢٣٩ / ٨) : سألت أستاذي بأصبهان . . .

عن علي بن المنذر الطريقي : لأي شيء نسب هذا ؟ قال : كان ولد في الطريق فنسب إليها .

(٣) في مختصر تاريخ دمشق وتهذيب الكمال : حاله .

(٤) في مختصر تاريخ دمشق وتهذيب الكمال : الدقه .

(٥) سقط من (ط) .

(٦) سقط من (أ) .

وقال غيره : كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين . وقد تكلّمنا على تفصيل ذلك فيما تقدم .

وحاصل ذلك أنه اصطلاح مع معاوية على أن يأخذ الحسن ما في بيت مال الكوفة ، فوفّي له معاوية بذلك ، فأخذه فإذا فيه خمسة آلاف ألف ، وقيل : سبعة آلاف ألف ، وعلى أن يكون خراج البصرة - وقيل : دَارَ ابْنِ جَزْدٍ^(١) - له في كل عام ، فامتنع أهل تلك الناحية عن أداء الخراج إليه ، فعوّضه معاوية عن ذلك بستة آلاف ألف درهم في كل عام ، فلم يزل يتناولها مع ماله في كل عام في وفادته من الجوائز والتّحف والهدايا إلى أن توفي في هذا العام .

وقال محمد بن سعد^(٢) : عن هُوَذة بن خليفة ، عن عوف ، عن محمد بن سيرين قال : لما دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن بن علي قال أصحاب معاوية لمعاوية : مُرِ الحسنَ بن علي أن يخطب بذلك فإنه حديث السنّ عَيٍّ ، فلعلّه يتلّعنم فيتّضع في قلوب الناس . فأمره معاوية ، فخطب فقال في خطبته : أَيُّهَا النَّاسُ ! لو ابتغيتم بين جَابَلْقَ وجَابِرْسَ^(٣) رجلاً جدّه نبِيٌّ غيْرِي وغير أخي لم تجدوه ، وإنّا قد أعطينا بيعتنا معاوية ، ورأينا أنّ حقن دماء المسلمين خير من إهراقها ، والله ما أدري لعلّه فتنة لكم ومتاعٌ إلى حين . وأشار إلى معاوية ، فغضب من ذلك وقال : ما أردت من هذه ؟ قال : أردتُ منها ما أراد الله منها . فصعد معاوية وخطب بعده .

وقد رواه غير واحد^(٤) ، وقدّمنا أن معاوية عبّ على أصحابه [لما خطب الحسن بذلك]^(٥) .

وقال محمد بن سعد^(٦) : حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا شعبة ، عن يزيد بن خمير قال : سمعت [عبد الرحمن بن]^(٧) جُبَيْر بن نُفَيْر الحضرمي يحدث عن أبيه قال : قلت للحسن بن علي : إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة . فقال : كانت جماجمُ العرب بيدي ، يسالمون من سالمٍ ويحاربون من حاربت ، فتركْتُها ابتغاء وجه الله ، ثم أثيرها ثانياً بين أهل الحجاز^(٨) !

(١) ويقال : دار بجرد - بإسقاط الألف الأولى - بلدة من بلاد فارس . معجم البلدان (٢/ ٤١٩ و ٤٤٦) وأنساب السمعاني (٢٤٢/ ٥ و ٢٩٢) .

(٢) طبقاته الكبرى (١/ ٣٢٧ - ٣٢٨) الطبقة الخامسة من الصحابة .

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان (٢/ ٩٠ - ٩١) : « جابرِس » : مدينة بأقصى الشرق . . . « وجابلق » : مدينة بأقصى الغرب ثم أورد هذا الخبر .

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧١ - ٢٧٢) .

(٥) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٦) طبقاته الكبرى (١/ ٣١٨ - ٣١٩) .

(٧) سقط من (ط) .

(٨) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٤) .

وقال محمد بن سعد^(١) : أخبرنا علي بن محمد ، عن إبراهيم بن محمد ، عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن بن علي وهو بالمدينة وفي يده صحيفة ، فقال : ما هذه الصحيفة ؟ فقال : من^(٢) معاوية يَعِدُ فيها ويتوَعَدُ ، فقال الرجل : قد كنتَ على النصف منه ؟ قال : أجل ، ولكن خَشِيتُ أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً أو أكثر أو أقل كُلُّهم تَنْضَحُ أوداجُهم^(٣) دماً ، كُلُّهم يَسْتَعْدِي الله فيمَ هُرِيق دمه^(٤) ؟ .

وقال الأصمعي : عن سلام بن مسكين ، عن عمران بن عبد الله قال : رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ففرح بذلك ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : إن كان رأى هذه الرؤيا فقل ما بقي من أجله . قال : فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلا أياماً حتى مات^(٥) .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عبد الرحمن بن صالح العتكي ومحمد بن عثمان العجلي قالا : حدثنا أبو أسامة ، عن ابن عون ، عن عُمير بن إسحاق قال : دخلتُ أنا ورجل آخر من قریش على الحسن بن علي ، فقام فدخل المَخْرَجَ ثم خرج فقال : لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود ، ولقد سَقِيتُ السُّمَ مراراً وما سَقِيت مرة أشد من هذه . قال : وجعل يقول لذلك الرجل : سَلْنِي قبل ألا تسألني ، فقال : ما أسألك شيئاً ، يعافيك الله . قال : فخرجنا من عنده ، ثم عدنا إليه من الغد وقد أخذ في السُّوق^(٦) ، فجاء حسين حتى قعد عند رأسه فقال : أي أخي ! مَنْ صاحبك ؟ قال : تريد قتله ؟ قال : نعم ، قال : لئن كان صاحبي الذي أظنُّ الله أشدَّ نعمة وعقوبة - وفي رواية : لله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً - وإن لم يكن هو ما أحبُّ أن تقتل بي بريئاً^(٧) .

ورواه محمد بن سعد^(٨) ، عن ابن عُلَيَّة ، عن ابن عون .

وقال محمد بن عمر الواقدي^(٩) : حدثني عبد الله بن جعفر ، عن أم بكر بنت المِسُور قالت : كان الحسن قد سَقِى السُّمَ مراراً كل ذلك يُفْلِتُ منه ، حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها ، فإنه كان يختلف كبده ، فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النُّوحَ شهراً^(١٠) .

(١) طبقاته الكبرى (١/٣٣٢) .

(٢) في ط : ابن ، وهو خطأ .

(٣) « الأوداج » : جمع وَدَج ، وهو عرق في العنق .

(٤) تهذيب الكمال (٦/٢٥٠ - ٢٥١) .

(٥) تهذيب الكمال (٦/٢٥١) .

(٦) « السُّوق والسِّيَاق » : النزاع عند الموت .

(٧) حلية الأولياء (٢/٣٨) ومختصر تاريخ دمشق (٧/٣٨ - ٣٩) وتهذيب الكمال (٦/٢٥١ - ٢٥٢) .

(٨) طبقاته الكبرى (١/٣٣٥ - ٣٣٦) .

(٩) الطبقات الكبرى (١/٣٣٩) .

(١٠) تهذيب الكمال (٦/٢٥٢) .

[وقال الواقدي^(١) : وحدثنا عبيدة بنت نابل^(٢) ، عن عائشة^(٣) قالت : حَدَّثَ^(٤) نساء بني هاشم على الحسن بن علي سنة] .

قال الواقدي^(٥) : حَدَّثَنَا عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن حسن قال : كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء ، وقلَّ ما يحظَّينَ عنده ، وكان قلَّ امرأة تزوَّجها إلا أَحَبَّتْهُ وضنَّت^(٦) به ، فيقال : إنه كان سُقي سُمًّا ، ثم أفلت ، ثم سُقي ثم أفلت ، ثم كانت الآخرة توفي فيها ، فلمَّا حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه : هذا رجل قد قطع السُّمُّ أمعاءه . فقال الحسين : يا أبا محمد ! أخبرني مَنْ سقاك ؟ قال : ولم يا أخي ؟ قال : أَقْتَلَهُ والله قبل أن أدفَنَكَ ، أولا أقدر عليه ، أو يكون بأرض أتكلَّف الشخصوص إليه ، فقال : يا أخي ! إنما هذه الدنيا ليالٍ فانية ، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله . وأبى أن يسمِّيَه له . وقد سمعت بعض مَنْ يقول : كان معاوية قد تلطَّف لبعض خدم الحسن أن يسقيَه سُمًّا .

قال محمد بن سعد^(٧) : أخبرنا يحيى بن حمَّاد^(٨) ، أخبرنا أبو عَوَّانة ، عن المُغيرة ، عن أمِّ موسى ، أن جَعْدَةَ بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السُّم ، فاشتكى منه شكاته ، قال : فكان يوضع تحته طستٌ ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً .

وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جَعْدَةَ بنت الأشعث : أن سُمِّي الحسن وأنا أتزوَّجك بعده ، ففعلت ، فلمَّا مات الحسن بعثت إليه في ذلك ، فقال : إنا والله لم نرضك للحسن ، أفنرضاك لأنفسنا ؟! . وعندي أن هذا ليس بصحيح ، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى [والله أعلم ، ويومُ الفصل ميقاتُ الخلائق أجمعين]^(٩) .

وقد قال كُثَيِّر عَزَّة^(١٠) في ذلك :

- (١) الطبقات الكبرى (١/٣٥٣) .
- (٢) ما بين الحاصرتين من المطبوع فقط ، ووقع فيه : وحدثنا عبدة بنت نائل ، وهو خطأ ، وما أثبتته مستفاد من تهذيب التهذيب (١٢/٤٣٦ و ٤٣٧) وغيره .
- (٣) هي عائشة بنت سعد بن أبي وقاص .
- (٤) « حدث المرأة على الميت تحذُّ وتحذُّ فهي حادَّة » : إذا حزنت عليه ، ولبست ثياب الحزن ، وتركت الزينة .
- (٥) الطبقات الكبرى (١/٣٣٤ - ٣٣٥) .
- (٦) كذا في الأصول ، ومثله في مختصر تاريخ دمشق (٧/٣٩) ووقعت في الطبقات الكبرى وتهذيب الكمال (٦/٢٥٢) والسير (٣/٢٧٤) وصبت .
- (٧) طبقاته الكبرى (١/٣٣٨) .
- (٨) تحرف في المطبوع إلى : حمال . والخبر في تهذيب الكمال (٦/٢٥٢) والسير (٣/٢٧٤ - ٢٧٥) .
- (٩) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .
- (١٠) قال ابن عساكر في مختصره (٧/٤٠) والمزي في تهذيبه (٦/٢٥٣) : وقد تروى للنجاشي .

يا جَعْدُ بَكِّيهِ وَلَا تَسْأَمِي بكاءً حقَّ ليسَ بالباطلِ
لَنْ تَسْتُرِيَ الْبَيْتَ عَلَى مِثْلِهِ في الناسِ من حافٍ ولا ناعِلِ
أَعْنِي الَّذِي أَسْلَمَهُ أَهْلُهُ لِلزَّمَنِ الْمُسْتَخْرِجِ الْمَاحِلِ
كَانَ إِذَا شُبَّتْ لَهُ نَارُهُ يَرْفَعُهَا بِالسَّيْبِ الْمَائِلِ
كَيْمَا يَرَاهَا بِأَيْسٍ مُزْمِلٌ أَوْ فَرْدُ قَوْمٍ لَيْسَ بِالْأَهْلِ
يُغْلِي بِنِيءِ اللَّحْمِ حَتَّى إِذَا أَنْضَجَ لَمْ يُغْلَ عَلَى آكِلِ

قال سفيان بن عُيينة : عن رَقَبَةَ بن مَصْقَلَةَ قال : لما حضرت الحسنَ الوفاةَ قال : أخرجوني إلى الصَّحْنِ حتى أنظر في ملكوت السماوات ، فأخرجوا فراشه ، ورفع رأسه ، فنظر فقال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْتَسِبُ نَفْسِي عِنْدَكَ فَإِنَّهَا أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيَّ . قال : فكان مما صنع الله له أن احتسب نفسه عنده .

قال عبد الرحمن بن مَهْدِي : لما اشتد بسفيان الثوري المرض جَزَعَ جَزَعاً شديداً ، فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز فقال : ما هذا الجزع يا أبا عبد الله ؟! تقدم على ربِّ عبدته ستين سنة ، صمت له ، صليت له ، حججت له . . . قال : فسرِّي عن الثوري .

وقال أبو نعيم : لما اشتدَّ بالحسن بن علي الوجع جَزَعَ ، فدخل عليه رجل فقال له : يا أبا محمد ما هذا الجزع ؟! ما هو إلا أن تفارقَ روحك جسدك فتقدم على أبويك : علي وفاطمة ، وعلى جدِّيك : النبي ﷺ وخديجة ، وعلى أعمامك ، حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك : القاسم والطيب ومطهر وإبراهيم ، وعلى خالاتك : رُقَيَّة وأُمَّ كلثوم وزينب . قال : فسرِّي عنه .

وفي رواية : أن القائل له ذلك أخوه الحسين ، وأن الحسن قال له : يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط . قال : فبكى الحسين رضي الله عنهما .

رواه عباس الدُّوري ، عن ابن مَعِين . ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد ، عن أبيه فذكر نحوه .

وقال الواقدي^(١) : حدَّثنا إبراهيم بن الفضل ، عن أبي عتيق قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهدنا حسن بن عليَّ يوم مات ، فكادت الفتنةُ تقعُ بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم ، لأنَّ الحسن كان قد عهد إلى أخيه أن يُدفن مع رسول الله ﷺ فَإِنْ خَافَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ قِتَالٌ أَوْ شَرٌّ فَلْيُدفنْ بالبقيع ،

= قلت : صرح المسعودي في مروج الذهب (٣/٥) بنسبتها للنجاشي . والنجاشي : هو قيس بن عمرو بن مالك ، من بني الحارث بن كعب ، من كهلان . شاعر هجاء مخضرم ، اشتهر في الجاهلية والإسلام ، أصله من نجران ، وانتقل إلى الحجاز ، ثم استقر بالكوفة وهجا أهلها ، وهدده عمر بقطع لسانه ، وضربه علي على السكر في رمضان . ترجمته في أعلام الزركلي (٥/٢٠٧) .

(١) الطبقات الكبرى (١/٣٤٦-٣٤٧) .

فأبى مروان أن يدعه - ومروان يومئذ معزولٌ ، وإنما أراد أن يرضي معاوية بذلك - ولم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات . قال جابر : فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت : يا أبا عبد الله ! اتق الله فإن أخاك كان لا يحب ما ترى ، فادفنه بالبقيع مع أمه ، ففعل .

ثم روى الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن [ابن]^(١) عمر قال : حضرت موت الحسن بن علي ، فقلت للحسين : اتق الله ، ولا تُثِرْ فتنة ، ولا تَسِفِكَ الدماء ، وادفن أخاك إلى جنب أمه ، فإنه قد عهد بذلك إليك . قال : ففعل .

وقد روى الواقدي عن أبي هريرة نحوه من هذا .

وفي رواية : أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك ، فأذنت له ، فلما مات لبس الحسين السلاح ، وتسَلَّح بنو أمية وقالوا : لا ندعه يُدفن مع رسول الله ﷺ يُدفن عثمان بالبقيع ويُدفن الحسن بن علي في الحُجْرة ؟! فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقاص ، وأبو هريرة ، وجابر ، وابن عمر على الحسين ألا يقاتل ، فامتثل ، ودفن أخاه قريباً من قبر أمه بالبقيع .

وقال سفيان الثوري : عن سالم بن أبي حفصة ، عن أبي حازم قال : رأيت الحسين بن علي قدّم يومئذ سعيد بن العاص فصلّى على الحسن ، وقال : لولا أنها سنّة ما قدّمته .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني مُساور - مولى بني سعد بن بكر - قال : رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن بن علي وهو ينادي بأعلى صوته : يا أيها الناس ! مات اليوم حِبُّ رسول الله ﷺ فابْكُوا^(٢) .

وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزّحام ، وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً ، واستمرّ نساء بني هاشم [يَنْحَنّ عليه شهراً ، وحدث نساء بني هاشم]^(٣) عليه سنّة .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا سفيان ، عن جعفر^(٤) بن محمد ، عن أبيه قال : قُتل عليّ وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ومات لها الحسن ، وقُتل لها الحسين .

وقال شعبة : عن أبي بكر بن حفص قال : توفي سعدٌ والحسن بن علي في أيام بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين .

(١) سقط من ط . والخبر في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧٥) .

(٢) تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٥) .

(٣) سقط من (ب) .

(٤) تحرف في (أ) ، (ب) إلى يحيى . والخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٦) .

وقال [ابن] ^(١) عُلَيْة : عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين ، وكذا قال غير واحد ، وهو أصح .

والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين كما ذكرنا . وقال آخرون : مات سنة خمسين . وقيل : سنة إحدى وخمسين ، وقيل : ثمان وخمسين . والله أعلم سبحانه .

ثم دخلت سنة خمسين من الهجرة

في هذه السنة توفي أبو موسى الأشعري في قول ، والصحيح أنه مات سنة ثنتين وخمسين كما سيأتي . وفيها حج بالناس معاوية ، وقيل : ابنه يزيد . وكان نائب المدينة سعيد بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسجستان وفارس والسند والهند زياد .

وفي هذه السنة اشتكى بنو نهشل على الفرزدق إلى زياد ، فهرب الفرزدق منه إلى المدينة ، وكان سبب ذلك أن الفرزدق هجا معاوية وعرض بذكره في قصيدة له ، فتطلبه زياد أشد الطلب ، ففر منه إلى المدينة ، فاستجار بسعيد بن العاص ، وقال في ذلك أشعاراً ، ولم يزل يتردد بين مكة والمدينة حتى توفي زياد ، فرجع إلى بلاده . وقد طوّل ابن جرير ^(٢) قصته .

وذكر ابن جرير في هذه السنة من الحوادث ما رواه الواقدي : حدثني يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبيه : أن معاوية كان قد عزم على تحويل منبر رسول الله ﷺ من المدينة إلى دمشق ، وأن يأخذ العصا [التي كان رسول الله ﷺ يمسكها في يده إذا خطب] ^(٣) فيقف معاوية على المنبر فيمسكها ، حتى قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ! نذكرك الله أن تفعل هذا ، فإن هذا لا يصلح ، ولا يحل أن يُحوّل المنبر عن موضعه الذي وضعه رسول الله ﷺ فيه ، وأن تخرج عصاه من المدينة . فترك ذلك معاوية ، ولكن زاد في المنبر ستّ درجات [واعتذر إلى الناس] ^(٤) .

ثم روى الواقدي : أن عبد الملك بن مروان في أيام خلافته همّ بذلك وعزم عليه ، فقيل له : إن معاوية كان قد عزم على هذا ثم تركه ، وأنه لما حرّك المنبر وأراد قلعه كُسفت ^(٥) الشمس . فترك ذلك . ثم لما حجّ الوليد بن عبد الملك أراد ذلك أيضاً ، فقيل له : إن معاوية وأباك أرادا ذلك ثم تركاه .

(١) سقط من (ط) .

(٢) تاريخه (٢٤١/٥ - ٢٥٠) .

(٣) سقط من (ب) .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٢٣٩/٥) .

(٥) في (ط) و (ب) : خسفت .

وكان السبب في تركه أن سعيد بن المسيّب كلّم عمر بن عبد العزيز أن يكلّمه في ذلك ويَعْظَه ، فترك .

ثم لما حجّ سليمان أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان عزم عليه الوليد وأنّ سعيد بن المسيّب نهاه عن ذلك ، فقال سليمان : ما أحبُّ أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد ، وما يكون لنا أن نفعل هذا ، ما لنا ولهذا ، وقد أخذنا الدنيا فهي في أيدينا فنريد أن نعمدَ إلى علم من أعلام الإسلام يفدُ إليه الناس فنحمله إلى ما قبلنا؟! هذا ما لا يصلح . رحمه الله .

وفي هذه السنة عزل معاوية عن مصر معاوية بن حُديج^(١) ، ووُلّي عليه مع إفريقية مَسْلَمَة بن مخلد . وفيها افتتح عُقبة بن نافع - عن أمر معاوية - بلاد إفريقية ، واختطّ القيروان ، وكان مكانها غيضة تأوي إليها السّباع والوحوش والحيّات العظام ، فدعا الله ، فلم يبقَ فيها شيء من ذلك ، حتى إن السّباع جعلت تخرج منها حاملّة أولادها ، والحيّات يخرجن من أجحارهنّ هوارب . فعند ذلك أسلم خلق كثير من البربر ، فبنى في مكانها القيروان .

وفيها غزا بُسر بن أبي أرطاة وسفيان بن عوف أرض الروم .

وفيها غزا فضالة بن عُبيد البحر .

وفيها توفي :

مَدْلَاج^(٢) بن عمرو السُّلَمي^(٣) : صحابي جليل . شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . ولم أر له ذكراً في الصحابة^(٤)^(٥) .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » أن في هذه السنة توفي : جُبَيْر بن مُطْعِم ، وحسان ابن ثابت ، والحكم بن عمرو الغفاري ، ودِخْيَة بن خليفة الكلبي ، وعَقِيل بن أبي طالب ، وعمرو بن أمية الضَّمري بدري ، وكعب بن مالك ، والمغيرة بن شُعبة ، وجُويرية بنت الحارث ، وصفية بنت حيي ، وأمّ شريك الأنصارية ، رضي الله عنهم أجمعين .

(١) تحرف في الأصول إلى : خديج . ضبطه ابن ماكولا في الإكمال (٣٩٦/٢) وغيره .

(٢) ويقال : مُدْلَج .

(٣) طبقات ابن سعد (٩٨/٣) الجرح والتعديل (٤٢٨/٨) الاستيعاب (١٤٦٨/٤) أسد الغابة : (١٣٢/٥) ميزان الاعتدال (٨٦/٤) الإصابة (٧٨٥٧) .

(٤) بعد هذا اختلف المطبوع عما ورد في (أ) ، ب من حيث ترتيب المترجمين في وفيات هذه السنة ، وقد أثبتهم حسب ورودهم في (أ) ، (ب) ، (م) علماً بأن مضمون النسخ الأربع المعتمدة واحد .

(٥) هكذا قال ، وفي قوله نظر ، فهو مذكور في كتب الصحابة كما تقدم في الهامش السابق ، فلا وجه لما جزم به .

لَمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(١). ثم نادى في الناس : أن اغدّوا على غنائمكم ، وقسمها في الناس ، ولم يترك إلا الخمس . فيقال : إنه حُبس إلى أن مات بمرور في هذه السنة ، وقيل في سنة إحدى وخمسين ، رحمه الله .

وأما دحية بن خليفة الكلبي^(٢) : فصحابي جليل ، كان جميل الصورة ، ولهذا كان جبريل يأتي كثيراً على صورته .

وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى قيصر^(٣) .

أسلم قديماً ولكن لم يشهد بدرأ ، وشهد ما بعدها ، ثم شهد اليرموك ، وأقام بالمزة - غربي دمشق - إلى أن مات في خلافة معاوية .

وفيهما توفي :

عبد الرحمن بن سُمرة^(٤) بن حبيب بن ربيعة^(٥) بن عبد شمس القرشي ، أبو سعيد العبشمي .

أسلم يوم الفتح ، وقيل : إنه شهد مؤتة ، وغزا خراسان ، وافتتح سجستان وكابل وغيرها . وكانت له دار بدمشق ، وأقام بالبصرة ، وقيل : بمرور .

(١) حديث صحيح ، أخرجه أحمد في مسنده (٦٦/٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢٤٩/٤) تاريخ خليفة (٧٩) مسند أحمد (٣١١/٤) تاريخ البخاري الكبير (٢٥٤/٣) المعارف (٣٢٩) الجرح والتعديل (٢٤٩/٣) ثقات ابن حبان (١١٧/٣) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٨٠) معجم الطبراني الكبير (٢٦٥/٤) جمهرة أنساب العرب (٤٥٨) الاستيعاب (٤٦١/٢) الإكمال لابن ماكولا : (٣١٤/٣) أنساب السمعاني (٤٥٢/١٠) تاريخ ابن عساكر (٢٤/٦ ب) أسد الغابة (١٥٨/٢) تهذيب الأسماء واللغات (١٨٥/١) مختصر تاريخ دمشق (١٥٩/٨) تهذيب الكمال (٤٧٣/٨) تاريخ الإسلام (٢٢٢/٢) سير أعلام النبلاء (٥٥٠/٢) تهذيب التهذيب (١/ ورقة ٢١١) الكاشف (٢٢٥/١) تجريد أسماء الصحابة (١٦٥/١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٥) نهاية السؤل (ورقة ٩١) مجمع الزوائد (٣٧٨/٩) تهذيب التهذيب (٢٠٦/٣) الإصابة (١٩١/٣) خلاصة الخرجي (١١٢) إعلام السائلين (٦٧ - ٨٠) (الطبعة الثانية) ، تهذيب ابن عساكر (٢٢١/٥) .

(٣) تفصيل ذلك في إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (ص ٦٧ - ٨٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (١٥/٧ و ٣٦٦) تاريخ ابن معين (٣٤٩) طبقات خليفة (١١ ، ١٧٤) تاريخ خليفة (٢١١) مسند أحمد (٦١/٥) تاريخ البخاري الكبير (٢٤٢/٥) المعارف (٣٠٤) المعرفة والتاريخ (٢٨٣/١) الجرح والتعديل (٢٣٨/٥) مشاهير علماء الأمصار (ت ٢٧٨) مستدرک الحاكم (٤٤٤/٣) الاستيعاب (٨٣٥/٢) تاريخ ابن عساكر (٩/٤٨١ أ) أسد الغابة (٤٥٤/٣) مختصر تاريخ دمشق (٢٦٠/١٤) تهذيب الكمال (ورقة ٧٩٥) تاريخ الإسلام (٢/٢٣١) سير أعلام النبلاء (٥٧١/٢) الكاشف (١٤٩/٢) العبر (٥٥/١) تهذيب التهذيب (١٩٠/٦) الإصابة (٢٨٤/٦) خلاصة الخرجي (٢٢٨) شذرات الذهب (٢٤٤/١) .

(٥) ليست كلمة ربيعة في المطبوع ، وهي موضع خلاف بين النسابين . أسد الغابة (٣/٤٥٤ - ٤٥٥) .

قال محمد بن سعد^(١) وغير واحد : مات بالبصرة سنة خمسين - وقيل : سنة إحدى وخمسين - وصلى عليه زياد ، وترك عدة من الذكور .

وكان اسمه في الجاهلية عبد كلال ، وقيل : عبد كلوب ، وقيل : عبد الكعبة ، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

وكان أحد السفّيرين بين معاوية والحسن .

[وقد قال له رسول الله ﷺ : « يا عبد الرحمن بن سُمرة ، لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أُعطيتَها عن مسألة وُكِلتَ إليها ، وإن أُعطيتَها عن غير مسألة أُعنتَ عليها »]^(٢) .

وفيها توفي :

عثمان بن أبي العاص الثقفي^(٣) : أبو عبد الله الطائفي . له ولأخيه الحكم صحبة .

قدم على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف ، فاستعمله رسول الله ﷺ على الطائف ، وأقرّه عليها أبو بكر وعمر ، فكان إمامهم وأميرهم مدة طويلة حتى مات سنة خمسين - وقيل سنة إحدى وخمسين - رضي الله عنه .

وأما عقيل بن أبي طالب^(٤) : أخو عليّ . وكان أكبر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أكبر من

(١) طبقاته الكبرى (٣٦٧/٧) ، وتهذيب الكمال (١٥٩/١٧) .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . وتمام الحديث : وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأتت الذي هو خير وكفّر عن يمينك .

وقد أخرجه أحمد في مسنده (٥/٦٢ - ٦٣) والبخاري رقم (٧١٤٦) في الأحكام : باب من سأل الإمارة وكل إليها ، ومسلم (١٦٥٢) في الإيمان ، وأبو داود (٣٢٧٧) والنسائي (١٠/٧) في النذور ، والترمذي (١٥٢٩) في النذور والإيمان ، وقال : حسن صحيح .

(٣) طبقات ابن سعد (٥٠٨/٥) طبقات خليفة (٥٣ ، ١٨٢ ، ١٩٧) تاريخ خليفة (١٤٩ ، ١٥٢) مسند أحمد (٤/٢١ و ٢١٦) تاريخ البخاري الكبير (٦/٢١٢) ثقات العجلي (٣٢٨) المعارف (٢٦٨ ، ٥٥٥) المعرفة والتاريخ (١/٢٧٣) الجرح والتعديل (٦/١٦٣) مشاهير علماء الأمصار (ت ٢٢٤) معجم الطبراني الكبير (٩/٣٠ ، ٥٣) مستدرک الحاكم (٣/٦١٨) الاستيعاب (٣/١٠٣٥) أسد الغابة (٣/٥٧٩) تهذيب الكمال (ورقة ٩١٥) تاريخ الإسلام (٢/٣٠٥) سير أعلام النبلاء (٢/٣٧٤) الكاشف (٢/٢٢٠) مجمع الزوائد (٩/٣٧٠) تهذيب التهذيب (٧/١٢٨) الإصابة (٦/٣٨٨) خلاصة الخزرجي (٢٦٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤/٤٢) طبقات خليفة (ت ١٧ و ٨٢٠ و ١٤٨١) مسند أحمد (٢/٢٠١ و ٣/٤٥١) تاريخ البخاري الكبير (٧/٥٠) تاريخ البخاري الصغير (١/١٤٥) ثقات العجلي (٣٣٨) المعارف (الفهرس) ، الجرح والتعديل (٦/٢١٨) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٤) مستدرک الحاكم (٣/٥٧٥) جمهرة أنساب العرب (٦٩) الاستيعاب (٣/١٠٧٨) تاريخ ابن عساكر (١١/٣٦٣/أ) أسد الغابة (٤/٦٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/١/٣٣٧) مختصر تاريخ دمشق (١٧/١١٤) تهذيب الكمال (ورقة ٩٥١) تاريخ الإسلام (٢/٢٣٣) تهذيب التهذيب (٣/٤٧/ب) سير أعلام النبلاء (٣/٩٩) الكاشف (٢/٢٣٩) نكت الهميان (٢٠٠) مجمع الزوائد (٩/٢٧٣) العقد الثمين (٦/١١٣) الإصابة (٢/٤٩٤) تهذيب التهذيب (٧/٢٥٤) خلاصة الخزرجي (٢٦٩) .

علي بعشر سنين ، كما أن طالباً أكبر من عقيل بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالباً .

أسلم عقيل قبل الحُدَيْيَّة ، وشهد مُؤْتة ، وكان من أنسب قریش ، وكان قد ورث أقرباءه الذين هاجروا وتركوا أموالهم وديارهم بمكَّة ، ومات في خلافة معاوية .

وأما عمرو بن أمية الضَّمْرِي^(١) : فصحابي جليل . أسلم بعد أحد ، وأول مشاهدته بئر مَعُونَة .

وكان ساعي رسول الله ﷺ إلى النَّجَاشِي في تزويج أم حبيبة ، وأن يأتي بمن بقي من المسلمين هناك . وله أفعال حسنة وآثار محمودة رضي الله عنه .

توفي في خلافة معاوية .

وفيهما كانت وفاة :

عمرو بن الحمق بن الكاهن الخُزاعي^(٢) : أسلم قبل الفتح وهاجر ، وقيل : إنما أسلم عام حجة الوداع^(٣) .

وقد ورد في حديث « أن رسول الله ﷺ دعا له أن يُمتَّعَ الله بشبابه ، فعاش ثمانين سنة لا يُرى في لحيته شعرة بيضاء »^(٤) . ومع هذا كان أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان ، ثم صار بعد ذلك من شيعة علي ، فشهد معه الجمل وصفين .

وكان من جملة الذين قاموا مع حُجْر بن عدي ، فتطلبه زياد ، فهرب منه إلى المَوْصل ، فبعث معاوية

(١) طبقات ابن سعد (٢٤٨/٤) طبقات خليفة (ت ١٨٢) مسند أحمد (١٣٩/٤ و ١٧٩ و ٢٨٧/٥) المحبر (٧٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٨٣) تاريخ البخاري الكبير (٣٠٧/٦) ثقات العجلي (٣٦٢) المعرفة والتاريخ (٣٢٥/١) الجرح والتعديل (٢٢٠/٦) مستدرک الحاكم (٦٢٣/٣) جمهرة أنساب العرب (١٨٥) الاستيعاب (١١٦٢/٣) الجمع بين رجال الصحيحين (٣٦٢/١) أنساب السمعاني (١٥٩/٨) تاريخ ابن عساكر (١٣/١٩٨ ب) أسد الغابة (١٩٣/٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢٤/٢/١) مختصر تاريخ دمشق (١٧٨/١٩) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٠) تاريخ الإسلام (٢٣٤/٢) تهذيب التهذيب (٣/٩٤/آ) سير أعلام النبلاء (١٧٩/٣) الكاشف (٢٨٠/٢) العقد الثمين (٣٦٥/٦) الإصابة (٥٢٤/٢) تهذيب التهذيب (٦/٨) خلاصة الخزرجي (٢٨٧) إعلام السائلين (٤٩ - ٥٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢٥/٦) مسند أحمد (٢٢٣/٥) تاريخ البخاري الصغير (١٠٥/١) ثقات العجلي (٣٦٣) الأوائل لابن قتبية (٤١) المعارف (٢٩١) المعرفة والتاريخ (٣٣٠/١) الجرح والتعديل (٢٢٥/٦) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٧٩) الأوائل للعسكري (٦٥) الاستيعاب (١١٧٣/٣) أسد الغابة (٢١٧/٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٠١/١٩) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٣٤) الكاشف (٢٨٣/٢) تهذيب التهذيب (٢٣/٨) الإصابة (ت ٥٨١٨) حسن المحاضرة (٢٢٣/١) خلاصة الخزرجي (٢٨٨) .

(٣) قال ابن عبد البر : والأول أصح .

(٤) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٤٧٥) وابن الأثير في أسد الغابة (٢١٧/٤) من حديث عمرو بن الحمق . وفي سنده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك .

أبو عبد الله الثقفي . [وعروة بن مسعود الثقفي]^(١) عم أبيه .

كان المغيرة من دهاة العرب وذوي آرائها . أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف مرجعهم من عند الْمُقَوْس^(٢) ، وأخذ أموالهم ، فغرم دياتهم عروة بن مسعود . وشهد الحُدَيْبِيَّة ، وكان واقفاً يوم الصُّلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صلتاً . وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب ، فهذما اللأت ، وقد قدّمنا كيفية ذلك . وبعثه الصديق إلى البحرين ، وشهد اليمامة واليرموك وأصيب عينه يومئذ ، وقيل : بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه . وشهد القادسية . وولاه عمر فتوحاً كثيرة منها : همذان وميسان . وأرسله سعد بن أبي وقاص إلى رُستم ، فكلّمه بذلك الكلام الفصيح البليغ . واستنابه عمر على البصرة ، فلما شهد عليه بالزنى - ولم يثبت عليه^(٣) - عزله عنها وولاه الكوفة ، واستمرّ به عثمان حيناً ثم عزله ، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمين فلحق بمعاوية ، فلما قُتل علي وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولّاه عليها ، فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور . قاله محمد بن سعد^(٤) وغيره .

وقال الخطيب^(٥) : أجمع الناس على ذلك ، وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة تسع وأربعين . وقال ابن عبد البر^(٦) : سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة ثمان وخمسين . وقيل سنة ست وثلاثين ، وهو غلط .

قال محمد بن سعد : كان المغيرة أصهب الشعر جدّاً ، أكشف اللون ، مقلّص الشفتين ، أهتم^(٧) ، ضخّم الهامة ، عبّل الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، وكان يفرق رأسه أربعة قُرون^(٨) . وقال الشعبي : القُضاة أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والدُّهاة أربعة : معاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة ، [وزياد .

وقال الزُّهري : الدُّهاة في الفتنة خمسة : معاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة]^(٩) بن

(١) سقط من (أ) .

(٢) اسمه جريج بن مينا ، والمقوقس لقب له . إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (ص ٨١) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٧- ٢٨) .

(٤) في طبقاته (٦/ ٢٠) .

(٥) في تاريخه (١/ ١٩١- ١٩٣) ، لكن فيه : أنه توفي في شعبان لا في رمضان .

(٦) الاستيعاب (٤/ ١٤٤٦) .

(٧) « الأهتم » : من انكسرت ثناياه .

(٨) « قرون » : جمع قُرْن ، وهو الذؤابة . ولم نجد هذا النص في طبقات ابن سعد فلعله في الجزء المخروم من ترجمته فيها ، وهو في تاريخ ابن عساكر والسير وغيرهما .

(٩) ما بين حاصرتين سقط من (أ) . والقول في مختصر تاريخ دمشق (٢٥/ ١٤٧) والسير (٣/ ٢٢- ٢٣) .

شعبة - وكان معتزلاً - وقيس بن سعد بن عبادة ، وعبد الله بن بُذَيْل بن ورقاء ، وكانا مع علي .

قلت : والشَّيعة يقولون : الأشياخ^(١) خمسة : رسول الله ﷺ وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين . والأضداد خمسة : أبو بكر ، وعمر ، ومعاوية ، وعَمرو بن العاص ، والمُغيرة بن شعبة .

وقال الشعبي : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما غلبني أحدٌ إلا فتى ، مرة ، أردت أن أتزوَّج امرأة ، فاستشرته فيها ، فقال : أيها الأمير ! لا أرى لك أن تزوَّجها ، فقلت له : لم ؟ فقال : إني رأيت رجلاً يقبلُها . ثم بلغني عنه أنه تزوَّجها ، فقلت له : ألم تزعم أنك رأيت رجلاً يقبلُها ؟ فقال : نعم ، رأيت أباها يقبلُها وهي صغيرة^(٢) .

[وقال أيضاً : سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت المغيرة بن شعبة ، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يُخرج من باب منها إلا بمكرٍ لخرج المغيرة من أبوابها كلها .

وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول^(٣) : كان المغيرة بن شعبة يقول : صاحب المرأة الواحدة تحيض فيحيض معها ، وتمرض فيمرض معها ، وصاحب المرأتين بين نارين تشتعلان ، وصاحب الأربعة قير العين . وكان يتزوَّج أربعاً معاً ويطلقهنَّ معاً .

وقال عبد الله بن نافع الصائغ : أحصن المغيرة ثلاثمئة امرأة . وقال غيره : ألف امرأة . وقال قتادة : مئة امرأة . وقيل : ثمانين امرأة . فالله أعلم .

وأما جُوَيْرِيَّة بنت الحارث^(٤) بن أبي ضرار الخُزاعِيَّة المُصْطَلِقِيَّة ، أم المؤمنين ، فكان سبها رسول الله ﷺ في غزوة المُريْسِيع ، وهي غزوة بني المُصْطَلِق ، وكان أبوها ملكهم ، فأسلمت ، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوَّجها . وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، فكاتبها ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها ، فقال : « أو خيرٌ من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أشريك ، وأعتقك ، وأتزوَّجك » فأعتقها ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا ما بأيديهم من سبي بني المُصْطَلِق ، وكان نحواً من مئة أهل بيت . قالت عائشة : فما أعلم امرأة كانت أعظمَ بركةً على أهلها منها^(٥) .

(١) تحرفت في المطبوع إلى : الأشباح .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (١٧٤/٢٥ - ١٧٥) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من (أ) ، ومكانه بياض في ب . مختصر تاريخ دمشق (١٧٤/٢٥ و ١٧٧) .

(٤) طبقات ابن سعد (١١٦/٨) طبقات خليفة (٣٤٢) تاريخ خليفة (٢٢٤) مسند أحمد (٣٢٤/٦ و ٤٤٩) المعارف

(١٣٨) المعرفة والتاريخ (٣/٣٢٢) مستدرک الحاكم (٤/٢٥) الاستيعاب (٤/١٨٠٤) أنساب السمعاني (١١/٣٤٥)

أسد الغابة (٧/٥٦) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٨٧) تاريخ الإسلام (٢/٢٧٥) سير أعلام النبلاء (٢/٢٦١) الكاشف

(٣/٤٢٢) العبر (١/٦١) مجمع الزوائد (٩/٢٥٠) تهذيب التهذيب (١٢/٤٠٧) الإصابة (١٢/١٨٢) خلاصة

الخزرجي (٤٨٩) كنز العمال (١٣/٧٠٦) شذرات الذهب (١/٢٥٧) أعلام النساء (١/٢٢٧) .

(٥) أخرجه أحمد (٦/٢٧٧) ، وأبو داود (٣٩٣١) في العتق من حديث عائشة ، وهو حديث حسن .

وكان اسمها بَرَّة ، فسمّاها رسول الله ﷺ جُوَيْرِيَّة^(١) .

وكانت امرأة مُلّاحة - أي : حلوة الكلام .

توفيت في هذه السنة كما ذكره ابن الجوزي وغيره عن خمس وستين سنة . وقال الواقدي : سنة ست وخمسين ، رضي الله عنها وأرضاها .

وأما صَفِيَّة بنتُ حُيَيٍّ^(٢) بن أخطَب بن سَعِيَّة^(٣) بن ثعلبة بن عبيد^(٤) بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب ابن النَّضِير بن النحام بن نحوم ، أم المؤمنين ، النَّضْرِيَّة ، من سلالة هارون أخي موسى عليهما السلام . وكانت مع أبيها وعمها حُدَي بن أخطَب بالمدينة ، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النَّضِير ساروا إلى خيبر ، وقُتِل أبوها حُيَي مع بني قُرَيْظَة صَبْرًا كما قَدَّمنا ، فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر كانت صَفِيَّة من جملة السَّبي ، فوقع في سهم دِحْيَة بن خليفة الكَلْبِي ، فذكر لرسول الله ﷺ جمالها وأنها بنت ملكهم ، فاصطفّاها لنفسه ، وعَوَّض دِحْيَة عنها ، وأسلمت ، فأعتقها وتزوَّجها ، فلما حلَّت بالصَّهْبَاء^(٥) بنى بها ، وكانت ماشطتها أمُّ سُلَيْم .

وقد كانت تحت ابن عمّها كنانة بن أبي الحُقَيْق ، فقتل في المعركة بخيبر ، ووجد رسول الله ﷺ بخدّها لطمَةً فقال : ما هذه ؟ فقالت : إني رأيت كأن القمر أقبل من يثرب فسقط في حِجْري ، فقصصتُ المنام على ابن عمي ، فلطمني وقال : أأتمنّين أن يتزوَّجك ملك يثرب ؟ فهذه من لطمته .

وكانت من سيّدات النساء عبادةً وورعاً وزهادة وبرّاً وصدقة . رضي الله عنها .

قال الواقدي : توفيت سنة خمسين . وقال غيره : سنة ست وثلاثين . والأول أصح ، والله أعلم .

وأما أمُّ شَرِيك الأنصاريَّة^(٦) : - ويقال : العامريَّة - فهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فقيل : قبلها ،

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٠) في الآداب : باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن . . .

(٢) طبقات ابن سعد (١٢٠/٨) تاريخ خليفة (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦) مسند أحمد (٣٣٦/٦) المعارف (١٣٨) المعرفة والتاريخ (الفهرس) ، مستدرك الحاكم (٢٨/٤) الاستيعاب (١٨٧١/٤) جامع الأصول (١٤٣/٩) أسد الغابة (١٦٩/٧) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٩٤) تاريخ الإسلام (٢٢٨/٢) العبر (٥٦/١) سير أعلام النبلاء (٢٣١/٢) الكاشف (٤٢٩/٣) مجمع الزوائد (٢٥٠/٩) تهذيب التهذيب (٤٢٩/١٢) الإصابة (١٤/١٣) خلاصة الخزرجي (٤٩٢) كنز العمال (٦٣٧/١٣ ، ٧٠٤) شذرات الذهب (٢٤٥/١) أعلام النساء (٣٣٣/٢) .

(٣) وردت في المطبوع شعبة وقد اختلفت المصادر في تقييد هذا الاسم على أقوال منها: شعبة، وسعية، وسعنة . . . إلخ وأثبت ما في (أ)، ب وهو أقربها إلى الصحة فيما وصلت إليه ، وهو الذي اختاره الأمير ابن ماكولا في الإكمال (٦٧/٥) .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : عبد .

(٥) « الصهباء » : موضع قرب خيبر .

(٦) تاريخ ابن معين (٧٤٢) طبقات ابن سعد (١٥٤/٨) طبقات خليفة (٣٣٥) مسند أحمد (٤٢١/٦ ، ٤٦٢) الجرح والتعديل (٤٦٤/٩) مستدرك الحاكم (٣٤/٤) الاستيعاب (١٩٤٣/٤) أسد الغابة (٣٥٢/٧) تهذيب الكمال (ورقة =

وقيل : لم يقبلها . ولم تتزوج حتى ماتت^(١) [ترجو بذلك أن تكون من أزواجه]^(٢) .

وهي التي سُقيت بدلو من السماء لما منعها المشركون الماء ، فأسلموا عند ذلك .

واسمها غزيلة - وقيل : غزيلة - بنت دودان بن عمرو بن عامر [بن رواحة بن مُنقذ بن عمرو بن مَعِيص بن عامر بن لؤي .

أسلمت قديماً .

قلت : قد ذكر ابن الجوزي والمؤلف في « جامع المسانيد » أن رسول الله ﷺ دخل بها لما وهبت نفسها له . وروت أحاديث . وقيل : لما رأى كبر سنّها طلقها ، والله أعلم .

ماتت في هذه السنة^(٣) على الصحيح . وقال ابن الجوزي : ماتت سنة خمسين . ولم أره لغيره .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

فيها كان مقتل حُجْر بن عديّ وأصحابه ، وهو :

حُجْر بنُ عَدِيٍّ^(٤) بن جَبَلَة بن عديّ بن ربيعة بن معاوية الكرم^(٥) بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُزَيْع بن كندة^(٦) الكوفي ، ويقال : حُجْر الخير ، ويقال له : حُجْر بن الأَدْبَر ، لأن أباه عَدِيّاً طعن مولياً فسمي الأَدْبَر . [ويُكنى حُجْر بأبي عبد الرحمن]^(٧) . وهو من كندة ، من رؤساء أهل الكوفة .

= (١٧١١) تاريخ الإسلام (٣٣٠/٢) سير أعلام النبلاء (٢٥٥/٢) الكاشف (٤٤٢/٣) الإصابة (٢٣٥/١٣) تهذيب التهذيب (٤٧٢/١٢) خلاصة الخرجي (٤٩٨) أعلام النساء (٢٩٦/٢) .

(١) مثله في طبقات ابن سعد ووقعت في ط : مات .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من (ط) ، (ب) ، وذكر ابن الأثير الخلاف في اسمها ونسبها في أسد الغابة (٣٥٢/٧) .

(٤) طبقات ابن سعد (٢١٧/٦) طبقات خليفة (١٠٤٢/٣) المحبر (٢٩٢) تاريخ البخاري الكبير (٧٢/٣) التاريخ الصغير

(١/٩٥) المعارف (٣٣٤) المعرفة والتاريخ (٣/٣٢٠) ، الأخبار الطوال (٢٢٣) ، تاريخ الطبري (٥/٢٥٣) الجرح

والتعديل (٣/٢٦٦) مروج الذهب (٣/١٢) مشاهير علماء الأمصار (٦٤٨/٣) الأغاني (١٧/١٣٣) معجم الطبراني

الكبير (٤/٣٩) مستدرك الحاكم (٣/٤٦٨) جمهرة أنساب العرب (٤٢٦) الاستيعاب (١/٣٢٩) تاريخ ابن عساكر

(٤/١٣١) أسد الغابة (١/٤٦١) الكامل في التاريخ (٣/٤٧٢) مختصر تاريخ دمشق (٦/٢٣٥) تاريخ الإسلام

(٢/٢٧٥) سير أعلام النبلاء (٣/٤٦٢) العبر (١/٥٧) مرآة الجنان (١/١٢٥) الإصابة (١/٣١٤) شذرات الذهب

(١/٢٤٧) تهذيب ابن عساكر (٤/٨٧) .

(٥) وقعت في ط : الأكبر . وفي مصادر الترجمة : الأكرمين .

(٦) في الأصل : ابن كندي ، والتصحيح من جمهرة الأنساب .

(٧) سقط من ط .

قال ابن عساكر^(١) : وفد إلى النبي ﷺ . وسمع علياً ، وعمّاراً ، وشراحيل بن مرّة - ويقال : شرحبيل ابن مرّة . وروى عنه أبو ليلى مولاه ، وعبد الرحمن بن عباس ، وأبو البختري الطائي . وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عُدراء^(٢) ، وشهد صفّين مع عليّ أميراً ، وقُتل بعُدراء من قرى دمشق ، ومسجد قبره بها معروف . ثم ساق ابن عساكر بأسانيده إلى حُجر فذكر طرفاً صالحاً من روايته عن علي وغيره .

وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة ، وذكر له وفادة على النبي ﷺ ثم ذكره في الأولى من تابعي أهل الكوفة . قال : وكان ثقة معروفاً ، ولم يرو عن غير^(٣) علي شيئاً .

قال ابن عساكر : بل قد روى عن عمّار ، وشراحيل بن مرّة .

وقال أبو أحمد العسكري : أكثر المحدثين لا يُصَحِّحون له صحبة . شهد القادسية ، وافتتح مرج عُدراء ، وشهد الجمل وصفّين ، وكان مع علي حُجر الخير - وهو حُجر بن عديّ هذا - وحُجر الشر^(٤) - وهو حُجر بن يزيد بن سلمة بن مرّة .

وقال المرزباني : قد روي أن حُجر بن عديّ وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانئ بن عديّ . وكان هذا الرجل من عبّاد الناس وزُهادهم ، وكان بارّاً بأُمَّه ، وكان كثير الصلاة والصيام . قال أبو معشر : ما أحدث قطّ إلّا تَوْضُأً ، ولا تَوْضُأً إلّا صَلَّى ركعتين . وهكذا قال غير واحد .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا يعلى بن عُبيد ، حدّثني الأعمش ، عن أبي إسحاق قال : قال سلمان لحُجر : يا بن أمّ حُجر ، لو تقطّعت أعضاؤك ما بلغت الإيمان .

وكان ينكر على المغيرة بن شعبة - إذ كان المغيرة على الكوفة - إذا ذكر عليّاً في خطبته فتنقّصه بعد مدح عثمان وشيعته فيغضب حُجر هذا ويظهر الإنكار عليه ، ولكن كان المغيرة فيه حِلْمٌ وأناة ، فكان يصفح عنه ويَعْطُهُ فيما بينه وبينه ، ويحدّره غِبّاً^(٥) هذا الصَّنِيع ، فإنّ معارضة ذي السلطان شديداً وبألها . فلم يرجع حُجر عن ذلك . فلمّا كان في آخر أيام المغيرة قام حُجر يوماً ، فأنكر عليه في الخطبة ، وصاح به ، وذمّه بتأخير العطاء عن الناس ، وقام معه فِتَام من الناس^(٦) لقيامه ، وتبعه قومه فشَنَعُوا على المغيرة ، فدخل

(١) تاريخ دمشق (١٢/ ٢٠٧ - ٢٠٨) .

(٢) وتلفظ العامة اسمها اليوم عُدرا وهي من قرى غوطة دمشق ، تقع في الشمال الشرقي منها ، وتبعد عنها خمسة عشر ميلاً تقريباً .

(٣) سقطت لفظة غير من آ . طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢٠) .

(٤) وقعت في ط : برج .

(٥) في الأصول : حجر الشرف . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٦٧) .

(٦) « غب الأمر ومغبته » : عاقبته .

(٧) « الفِتَام » : الجماعة . ووقعت في ط : فقام الناس .

كذا وكذا - فأخذ حُجْر كَفًّا من حصي ، فحصبه بها وقال : كذبت ، عليك لعنة الله . فانحدر زياد ، فصلى ، ثم دخل القصر ، واستحضر حُجْرًا .

ويقال : إن زياداً لما خطب طَوَّل الخطبة وأخَّر الصلاة ، فقال له حُجْر : الصلاة ، فمضى في خطبته [١] ، فلما خشي حُجْر فوت الصلاة عمد إلى كفٍّ من حصي ، ونادى : الصلاة [بصوت عالٍ وصيحة عظيمة حتى سمعها أهل المسجد ومن هو خارج منه] [٢] وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس ، فلما انصرف من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه ، فكتب إليه معاوية : أن شُدَّه في الحديد واحمله إلي ، فبعث إليه زياد والي الشرطة - وهو شَدَّاد بن الهيثم - ومعه أعوانه فقال له : إن الأمير يطلبك ، فامتنع عن الحضور إلى زياد ، وقام دونه أصحابه ، فرجع الوالي إلى زياد فأعلمه ، فاستنھض زيادُ جماعاتٍ من القبائل ، فركبوا مع الوالي إلى حُجْر وأصحابه ، فكان بينهم قتال بالحجارة والعصي ، فعجزوا عنه ، فندب له محمد بن الأشعث ، وأمهله ثلاثاً ، وجَهَّز معه جيشاً ، فركبوا في طلبه ، ولم يزلوا في طلبه حتى أحضروه إلى زياد ، وما أغنى عنه قومه ولا مَنْ كان يظن أنه ينصره ، فعند ذلك قيَّده زياد ، وسجنه عشرة أيام ، ثم بعث به إلى معاوية ، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سبَّ الخليفة ، وأنه حارب الأمير ، وأنه يقول : إن هذا الأمر لا يصلح إلّا في آل علي بن أبي طالب .

وكان من جملة الشهود عليه أبو بُرْدة بن أبي موسى ، ووائل بن حجر ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص ، وإسحاق وإسماعيل وموسى بنو طلحة بن عبيد الله ، والمنذر بن الزُّبير ، وكثير بن شهاب ، وشَبَّث [٣] بن رُبَعي . . . في سبعين رجلاً [٤] . ويقال : إنه كتبت شهادة شريح القاضي فيهم ، وإنه أنكر ذلك وقال : إنما قلت لزياد : إنه كان صَوَّاماً قَوَّاماً .

ثم بعث زياد حُجْرًا وأصحابه مع وائل بن حُجْر وكثير بن شهاب إلى الشام .

وكان مع حُجْر بن عديٍّ من أصحابه جماعة ، قيل : عشرون ، وقيل أربعة عشرة رجلاً ، منهم : الأرقم بن عبد الله الكندي ، وشريك بن شَدَّاد الحَضْرَمي ، وصَيْفِي بن فَسِيل [٥] ، وقَيْصَة بن ضُبَيْعة بن حرملة العبسي ، وكريم بن عفيف الخثعمي ، وعاصم بن عوف البجلي ، وورقاء بن سُمَيِّ البجلي ،

(١) من (أ) فقط .

(٢) من (أ) فقط .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : ثابت .

(٤) تفصيل ذلك في تاريخ الطبري (٥/٢٦٩ - ٢٧٠) .

(٥) الأغاني (١٧/١٤٤) .

وكِدَام بن حيان^(١) وعبد الرحمن بن حسان العَنَزَيَان من بني هُمَيْم^(٢) ، ومحرز بن شهاب التَّمِيمِي ، وعبد^(٣) الله بن حَوَيَّْة السَّعْدِي التَّمِيمِي أيضاً . فهؤلاء أصحاب حُجْر الذين وصلوا معه إلى معاوية . ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين : عتبة بن الأخنس - من بني سعد - وسعيد بن نمران^(٤) الهَمْدَانِي ، فكملوا أربعة عشر رجلاً ، فساروا بهم إلى الشام .

ويقال : إن حُجراً لما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فغضب معاوية غضباً شديداً . وأمر بضرب عنقه هو ومن معه . ويقال : إن معاوية ركب فتلقاهم إلى مرج عَذْرَاء . ويقال : بل بعث إليهم مَنْ تلقاهم إلى عَذْرَاء تحت الثَّيَّة - ثِيَّة العقاب - فقتلوا هنالك . بعث إليهم معاوية من دمشق ثلاثة نفر وهم : هُذْبَةُ بن قِيَاض القَضَاعِي ، وحُصَيْن^(٥) بن عبد الله الكِلَابِي ، وأبو شريف البدوي^(٦) ، فجاؤوا إليهم عشاءً ، فبات حُجْر وأصحابه يصلُّون طول الليل ، فلما صلُّوا الصبح قتلوهم . وهذا هو الأشهر ، والله أعلم .

وذكر محمد بن سعد : أنهم دخلوا على معاوية فردَّهم ، فقتلوا بعَذْرَاء .

وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حين وصل بهم إلى مرج عَذْرَاء - [وقيل : إنهم حُبِسوا فيها]^(٧) - فمن مُشِير بقتلهم ، ومن مُشِير بتفريقهم في البلاد ، فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر في أمرهم ، فأشار عليه بقتلهم إن كانت له حاجة في ملك العراق . فعند ذلك أمر بقتلهم ، فاستوهب منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوهبوا منه ستة [وقتل منهم ستة]^(٨) أولهم حُجْر بن عدي ، ورجع آخر ، فعفا عنه معاوية ، وبعث بآخر نال من عثمان وزعم أنه أول من جار في الحكم ومدح علياً ، فبعث به معاوية إلى زياد وقال : لم تبعث إليَّ فيهم أردى من هذا . فلما وصل إلى زياد دفنه في الناطف^(٩) حيّاً - وهو عبد الرحمن بن حسان العَنَزِي^(١٠) .

(١) تحرف في المطبوع إلى : حبان .

(٢) قوله : العنزَيَان من بني هُمَيْم ... ، ورد بدلاً عنه في (أ) : الغنوي . وفي ب : العنزَيَان من بني هيثم . وفي ط : العريان من بني تميم . وكلها تحريف ، والمثبت من تاريخ الطبري (٢٧١ / ٥) وأيضاً من الباب لابن الأثير مادة (الهيميم) .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبید .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : عمران .

(٥) تحرف في المطبوع إلى : حضير .

(٦) كذا في الأصول، وورد في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير : أبو شريف البدي وفي الأغاني : أبو صريف البدي .

(٧) من (أ) فقط .

(٨) سقط من ب .

(٩) في الأغاني (١٥٣ / ١٧) قس الناطف . وقُس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي ، كما في معجم البلدان (٣٤٩ / ٤) .

(١٠) تحرفت هذه النسبة في أ ، ب إلى : العنبري . وفي ط إلى : الفري .

وهذه تسمية الذين قُتلوا بعدّاء : حُجر بن عديّ ، وشريك بن شدّاد ، وصيفي بن فسيل الشيباني ، وقبيصة بن ضبيعة العبسي ، ومُحرز بن شهاب المنقري السّعدي ، وكدام بن حيان^(١) العنزي [وعبد الرحمن بن حسان العنزي المبعوث إلى زياد المدفون في الناطف]^(٢) .

ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون بمسجد القصب في غربيّه^(٣) [ومنهم من يزعم أنهم مدفونون بمسجد السبعة خارج باب ثوما - وإنما نسبت السبعة إليهم لأنهم سبعة - في شرقيّه]^(٤) . والصحيح أنهم مدفونون بعدّاء من غوطة دمشق ، رحمهم الله .

ويذكر أن حُجراً لما أرادوا قتله قال : دعوني حتى أتوضأ ، فقالوا : توضأ ، فقال : دعوني حتى أصليّ ركعتين ، فصلاهما وخفّف فيهما ثم قال : والله ما صليت صلاة قطّ أخفّ منهما ، ولولا أن يقولوا أن ما بي جزعٌ من الموت لأطلتُهما ، ثم قال : قد تقدم لهما صلوات كثيرة . ثم قدّموه للقتل - وقد حُفرت قبورهم ، ونُشرت أكفانهم - فلما تقدم إليه السيّاف ارتعدت فرائضه ، ف قيل له : إنك قلت لست بجازع من القتل ! فقال : ومالي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفنّاً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً . فأرسلها مثلاً . ثم تقدّم إليه السيّاف ، وهو أبو شريف البدوي ، وقيل : تقدم إليه رجل آخر ، فلما أراد ضرب عنقه قال له : ارفع عنقك واشدّده ، فقال : لا أُعين على قتل نفسي فأسأل عن ذلك يوم القيامة ، فضربه فقتله . وكان قد أوصى أن يُدفن في قيوده ، ففعل به ذلك ، وقيل : بل غسّلوه وصلّوا عليه .

وروي أن الحسن بن علي لما بلغه قتل حُجر وأصحابه قال : أصلّوا عليهم ، وغسّلوهم ، واستقبلوا بهم القبلة ، ودفنوه في قيودهم ؟ قالوا : نعم ، قال : حَجُّوهم^(٥) وربّ الكعبة . والظاهر أن قائل هذا هو الحسين بن علي [أو الحسن البصري]^(٦) فإن حُجراً إنما قتل في سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة ثلاث وخمسين ، وعلى كل تقدير فالحسن كان قد مات قبله ، والله أعلم .

وروي أن معاوية لما دخل على أمّ المؤمنين عائشة فسلمّ عليها من وراء الحجاب - وذلك بعد مقتل

(١) تحرف في المطبوع إلى : حبان .

(٢) سقط من ط ، ب .

(٣) تحرفت لفظة غربيّه في المطبوع إلى : عرفة . وحي مسجد القصب معروف بدمشق ، ويقع شرقي حي العمارة .

(٤) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٥) حجّه يحجّه حجّاً : غلبه بالحجة .

(٦) ما بين حاصرتين سقط من ط ، ب ، وهو ما قاله ابن الأثير في الكامل (٣/ ٤٨٦) .

يرى قتل الخيارِ عليه حقاً له من شرٍّ أمته وزيرُ
 ألا يا ليت حُجراً ماتَ موتاً ولم يُنحر كما نُحِرَ البعيرُ
 تجبرتِ الجبابرُ بعدَ حُجِرٍ وطابَ لها الخورنقُ والسديرُ^(١)
 وأصبحتِ البلادُ له مُحولاً كأن لم يُحيها مُزناً مطيرُ
 ألا يا حُجراً حُجِرَ بني عديٍّ تلقَّتكَ السَّلامَةُ والشُّرورُ
 أخافُ عليك ما أُردي عديّاً وسبعاً في دمشقَ له زئيرُ^(٢)
 فإن تهلك فكلُّ زعيمٍ قومٍ من الدنيا إلى هلكٍ يصيرُ
 فرضوانُ الإلهِ عليك ميتاً وجناتٌ بها نِعَمٌ وحورُ^(٣)

وقد ذكر ابن عساكر له مراثي كثيرة .

وقال يعقوب بن سفيان^(٤) : حدَّثني حَزْمَةُ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فقالت : ما حملك على قتل أهل عذراء : حُجراً وأصحابه ؟ فقال : يا أم المؤمنين إني رأيتُ في قتلهم صلاحاً للأمة ، وفي بقائهم فساداً للأمة . فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سَيُقْتَلُ بَعْدُ أُنَاسٌ يَغْضِبُ اللَّهُ لَهُمْ وَأَهْلُ السَّمَاءِ » .

وهذا إسناد ضعيف منقطع .

وقد رواه عبد الله بن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود : أن عائشة قالت : « بلغني أنه سَيُقْتَلُ بَعْدُ أُنَاسٌ سَبْعَةٌ^(٥) يَغْضِبُ اللَّهُ لَهُمْ وَأَهْلُ السَّمَاءِ » .

وقال يعقوب بن سفيان : [حدَّثني ابن بُكير]^(٦) حدَّثني ابن لهيعة ، حدَّثني الحارث بن يزيد ، عن عبد الله بن أبي رزين الغافقي قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : يا أهل العراق ! سَيُقْتَلُ مِنْكُمْ سَبْعَةٌ نَفَرٌ بَعْدُ أُنَاسٍ ، مثلُهم كمثل أصحاب الأخدود . قال : فقتل حُجراً وأصحابه .

(١) « الخورنق والسدير » : قصران قرب الحيرة ، لهما ذكر كثير في أشعار العرب .

(٢) رواية البيت في الأغاني كما يلي :

أخاف عليك سطوة آل حرب وشيخاً في دمشق له زئير

(٣) الأبيات - ما عدا الأخير منها - في طبقات ابن سعد (٢٢٠/٦) والأغاني (١٥٤/١٧) والطبري (٢٨٠/٥) وابن الأثير (٤٨٨/٣) ومختصر تاريخ دمشق (٢٤٠/٦) وسير أعلام النبلاء (٤٦٥/٣ - ٤٦٦) وشاعرات العرب (٤٦٢ - ٤٦٣) وغيرها من المصادر .

(٤) المعرفة والتاريخ (٣/٣٢٠ - ٣٢١) .

(٥) سقطت هذه اللفظة من ط .

(٦) سقط من ط ، ب . والخبر في المعرفة والتاريخ (٣/٣٢٠ - ٣٢١) .

الروم ، فاجتمع بجبلّة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول ، فقال له جبلّة : لو أعلم أن معاوية يُقَطِّعُنِي أرض البُثَيَّة^(١) فإنها منازلنا وعشرين قريةً من غوطة دمشق ، ويفرض لجماعتنا ، ويحسن جوائزنا لرجعت إلى الشام . فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله ، فقال معاوية : نعم أنا أعطيه ذلك ، وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك ، فما أدركه البريد إلّا وقد مات في هذه السنة ، قَبَّحه الله .

ذكر أكثرَ هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج بن الجوّزي في « المنتظم » وأرّخ وفاته في هذه السنة - أعني سنة ثلاث وخمسين .

وقد ترجمه ابن عساكر في « تاريخه » فأطال الترجمة وأفاد ، ثم قال في آخرها : بلغني أن جبلّة توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

فيها شتا محمد بن مالك بأرض الروم ، وغزا الصّائفة معن بن يزيد السُّلمي .

وفيها عزل معاوية سعيّد بن العاص عن إمرة المدينة ، وردّ إليها مروان بن الحكم ، وكتب إليه أن يهدم دار سعيد بن العاص ويصفي أمواله التي بأرض الحجاز ، فجاء مروان بالفعل إلى دار سعيد ليهدمها ، فقال سعيد : ما كنت لتفعل ذلك ، فقال : إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ بذلك ، ولو كتب إليك في داري لفعلته . فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولّاه المدينة بأن يهدم دار مروان ويصفي ماله ، وذكر أنه لم يزل يحاجف معاوية دونه حتى صرف ذلك عنه . فلمّا رأى مروان الكتاب إلى سعيد بذلك ثناه ذلك عن دار سعيد وعن أخذ أمواله ، ولم يزل يدافع عنه حتى تركه معاوية في داره وأقرّ عليه أمواله .

وفيها عزل معاوية سَمُرَةَ بن جُنْدَب عن البصرة ، وكان زياد قد استخلفه عليها ، فأقرّه معاوية ستة أشهر ثم عزله ، ووَلَّى عليها عبد الله بن عمرو بن غَيْلان .

وروى ابن جرير وغيره عن سَمُرَةَ أنه قال لمّا عزله معاوية : لعن الله معاوية ، لو أطعْتُ الله كما أطعْتُ معاوية ما عذَّبني أبداً . وهذا لا يصح عنه .

وقدم في هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية [دمشق من العراق]^(٢) فأكرمه وسأله عن نواب أبيه

(١) « البثينة » : قرية بين دمشق وأذرعات .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

وفضائله كثيرة جداً .

توفي رسول الله ﷺ وعمره تسع عشرة سنة .

وكان عمر إذا لقيه يقول : السلام عليك أيها الأمير .

وصحح أبو عمر بن عبد البر^(١) أنه توفي في هذه السنة ، وقال غيره : سنة ثمان - أو تسع - وخمسين ، وقيل : توفي بعد مقتل عثمان . فالله أعلم .

ثوبان بن بُجْدُد^(٢) : مولى رسول الله ﷺ تقدمت ترجمته في مواليه ومن كان يخدمه عليه السلام .

أصله من العرب ، فأصابه سني ، فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه ، فلزم رسول الله ﷺ سراً وحضراً ، فلما مات أقام بالرملة ، ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها داراً ، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة على الصحيح ، وقيل : سنة أربعين وهو غلط ، ويقال : إنه توفي بمصر ، والصحيح بـ حمص .

جُبَيْر بن مُطْعَم^(٣) : تقدم أنه توفي سنة خمسين .

الحارث بن رُبَيْع^(٤) : أبو قتادة الأنصاري ، [وقال الواقدي : اسمه النعمان بن رُبَيْع . وقال غيره : عمرو بن رُبَيْع . وهو أبو قتادة الأنصاري]^(٥) السلمي المدني ، فارس الإسلام .

(١) الاستيعاب (١/٧٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٤٠٠) طبقات خليفة (ت ١٥ و ٢٧١٠) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (٥/٢٧٥) المحبر (١٢٨) تاريخ البخاري الكبير (٢/١٨١) المعارف (١٤٧) المعرفة والتاريخ (٢/٤٣٣ وغيرها) الجرح والتعديل (٢/٤٦٩) ثقات ابن حبان (٣/٤٨) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٢٤) معجم الطبراني الكبير (٢/٨٥) حلية الأولياء (١/١٨٠ ، ٣٥٠) الاستيعاب (١/٢١٨) الجمع بين رجال الصحيحين (١/٦٨) تاريخ ابن عساكر (٣/٢٩٧/ب) أسد الغابة (١/٢٩٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٠) مختصر تاريخ دمشق (٥/٣٤٦) تهذيب الكمال (٤/٤١٣) تاريخ الإسلام (٢/٢٧٣) العبر (١/٥٩) سير أعلام النبلاء (٣/١٥) الكاشف (١/١١٩) تهذيب التهذيب (١/٩٨/ب) إكمال مغلطاي (٢/ورقة ٤٨) تهذيب التهذيب (٢/٣١) الإصابة (ت ٩٦٧) حسن المحاضرة (١/١٨٠) خلاصة الخزرجي (٥٨) شذرات الذهب (١/٢٥٣) تهذيب ابن عساكر (٣/٣٨١) .

(٣) تقدمت ترجمته في وفيات سنة ٥٠ .

(٤) طبقات ابن سعد (٦/١٥) تاريخ ابن معين (٧٢٠) تاريخ خليفة (٩٩ ، ١٠٥ ، ٢٠١ ، ٢٢٣) مسند أحمد : (٤/٣٨٣ و ٥/٢٩٥) تاريخ البخاري الكبير (٢/٢٥٨) الجرح والتعديل (٣/٧٤) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٩) معجم الطبراني الكبير (٣/٢٧٠) مستدرك الحاكم (٣/٤٨٠) الاستبصار (١٤٦) الاستيعاب (٤/١٧٣١) تاريخ بغداد (١/١٥٩) الإكمال لابن مأكولا (٤/٥٢٥) أنساب السمعاني (٧/١١٤) تاريخ ابن عساكر (باريس ٢/٢١٨) جامع الأصول (٩/٧٧) أسد الغابة (٦/٢٥٠) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/١١٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٤٤) تاريخ الإسلام (٢/١٨٨) العبر (١/٦٠) سير أعلام النبلاء (٢/٤٤٩) الكاشف (٣/٣٢٥) الإصابة (١١/٣٠٢) خلاصة الخزرجي (٤٥٧) كنز العمال (١٣/٦١٧) شذرات الذهب (١/٢٥٥) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

أدبارها حتى تلج الشعب تحمل الطعام والكسوة تكرمةً لرسول الله ﷺ ولعمته خديجة .

وهو الذي اشترى زيد بن حارثة أولاً ، فابتاعته منه عمته خديجة ، فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه .

وهو الذي اشترى حُلَّةَ ذي يَزَنَ ، فأهداها لرسول الله ﷺ فلبسها ، قال : فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها .

ومع هذا ما أسلم إلا يوم الفتح هو وأولاده كلهم .

قال البخاري^(١) وغيره : عاش حَكِيم في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة .

وكان من سادات قريش وكرمائمهم وأعلمهم بالنسب ، وكان كثير الصدقة والبرِّ والعَاقَة ، فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال له : « أسلمت على ما أسلفت^(٢) مِنْ خَيْرٍ »^(٣) .

وقد كان حَكِيم شهد مع المشركين بدرًا ، وتقدَّم إلى الحوض فكاد حمزة أن يقتله ، فما سَحِب إلا سَحَباً من بين يديه ، فلهذا كان حَكِيم إذا اجتهد في اليمين يقول : لا والذي نجَّاني يوم بدر .

ولما نزل رسول الله ﷺ يوم الفتح بمَرِّ الظَّهران^(٤) ومعه الجنود خرج أبو سفيان وحَكِيم يتحسَّسان الأخبار ، فلقِيهما العباس ، فأخذ أبا سفيان فأجاره وأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ ، وأسلم أبو سفيان ليلتئذ كُرْهاً ، ومن صبيحة ذلك اليوم أسلم حَكِيم .

وشهد مع رسول الله ﷺ حُنيئاً ، وأعطاه رسول الله ﷺ مئةً من الإبل ، ثم سأله ، فأعطاه ، ثم سأله ، فأعطاه ثم قال له : « يا حَكِيم إنَّ هذا المال حُلوةٌ خَصِرة ، وإنَّه مَنْ أخذه بَسْخَاوةٍ نَفْسٍ بُورِكَ له فيه ، وَمَنْ أخذه بإِشرافِ نَفْسٍ لم يُبارَك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع » . فقال حَكِيم : والذي بعثك بالحق لا أَرزَأُ^(٥) بعدك أحداً شيئاً . فلم يَزُرْ أحداً بعده ، فكان أبو بكر يعرض عليه العطاء فيأبى ، وكذلك عمر فكان يعرض عليه العطاء فيأبى ، فيشهد عليه المسلمون^(٦) . ومع هذا كان من أغنى الناس ، مات الزبير يوم مات ولحكيم عليه مئة ألف .

(١) تاريخه الكبير (٣/ الترجمة ٤٢) .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : أسلمت .

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٤٣٦) ومسلم (١٢٣) في الإيمان ، من طريق ابن شهاب ، عن عروة ، عن حَكِيم بن حزام أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ : أ رأيت أموراً كنت أتحدث بها في الجاهلية هل لي فيها من شيء ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « أسلمت على ما أسلفت من خير » .

وللحديث طرق أخرى تنظر في التعليق على السير (٤٩/٣) .

(٤) « مر الظهران » : موضع قرب مكة .

(٥) في اللسان : ما رزأ فلاناً شيئاً : أي ما أصاب من ماله شيئاً ولا نقص منه .

(٦) رواه البخاري رقم (٣١٤٣) ومسلم رقم (١٠٣٥) .

وقد كان بيده حين أسلم الرِّفَادَةُ^(١) ودار الندوة ، فباعها بعد من معاوية بمئة ألف - وفي رواية : بأربعين ألف دينار - فقال له ابن الزبير : بعْتَ مَكْرُومَةَ قريش ؟! فقال له حكيم : يا بن أخي ذهبت المكارم فلا كرمَ إلَّا بالتقوى ، يا بن أخي إني اشتريتها في الجاهلية بزقِّ خمر ، ولأشترينَّ بها داراً في الجنة ، أشهدك أن قد جعلتها في سبيل الله ، وهذه الدار كانت لقريش بمنزلة دار العدل ، وكانوا لا يُمكنون أحداً من دخولها إلَّا مَنْ جاوز الأربعين سنة إلَّا حكيم بن حزام فإنه دخلها وعمره خمس عشرة سنة . ذكره الزبير بن بكار^(٢) .

وذكر الزبير : أنَّ حكيماً حجَّ عاماً فأهدى مئة بدنة مجللة ، وألف شاة ، وأوقف معه بعرفات مئة وصيف^(٣) في أعناقهم أطوقه الفضة قد نُقش فيها : هؤلاء عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، فأعتقهم وأهدى جميع تلك الأنعام^(٤) . رضي الله عنه .

توفي حكيم في هذه السنة على الصحيح ، [وقيل : سنة خمسين ، وقيل : سنة ستين]^(٥) وقيل غير ذلك ، وله من العمر مئة وعشرون سنة .

حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى العامري^(٦) : صحابي جليل . أسلم عام الفتح ، وكان قد عُمِّرَ دهرًا طويلاً ، ولهذا جعله عمر في نفر الذين جدّدوا أنصاب الحرم^(٧) .

(١) الرِّفَادَةُ شيء كانت قريش تتراقد به - أي تتعاون - في الجاهلية ، وذلك أن يخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيماً أيام الموسم ، فيشترون للحاج الجُزُر والطعام والزبيب للنبذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج . وكانت الرِّفَادَةُ والسقاية لبني هاشم ، وكان أول من قام بالرِّفَادَةَ هاشم بن عبد مناف ، وسمي هاشماً لهشمه الثريد (اللسان : رفد) .

(٢) جمهرة نسب قريش (ص ٣٥٤) .

(٣) « الوصيف » : العبد أو الخادم .

(٤) جمهرة نسب قريش (ص ٣٥٦) .

(٥) ما بين حاصرتين ليس في ط .

(٦) طبقات ابن سعد (٤٥٤/٥) تاريخ ابن معين (١٤٠/٢) طبقات خليفة (٢٧) تاريخ خليفة (٢٢٣) تاريخ البخاري الكبير (١٢٧/٣) المعارف (٣١١) الجرح والتعديل (٣١٤/٣) العقد الفريد (٣٣/٤ ، ١٥٨) ثقات ابن حبان (٩٦/٣) مشاهير علماء الأمصار (١٧٧) معجم الطبراني الكبير (٣/٢٤٣) مستدرک الحاكم (٣/٤٩٢) جمهرة أنساب العرب (١٦٧) الاستيعاب (٣٩٩/١) الجمع لابن القيسراني (١١٤/١) تاريخ ابن عساكر (١٩/٥) أسد الغابة (٧٥/٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٨٧/٧) تهذيب الكمال (٤٦٥/٧) تهذيب التهذيب (١/١) تاريخ ابن عساكر (١٨٣) تاريخ الإسلام (٢٧٨/٢) سير أعلام النبلاء (٥٤٠/٢) الكاشف (١٩٧/١) تجريد أسماء الصحابة (١/١٤٤) إكمال مغلطي (١/٣٠٥) العقد الثمين (٢٥١/٤) نهاية السؤل (ورقة ٨٠) الإصابة (٢/٣٠٤) تهذيب التهذيب (٣/٦٦) خلاصة الخزرجي (٩٩) تهذيب ابن عساكر (١٨/٥) .

(٧) « أنصاب الحرم » : حدوده . وحد الحرم من طريق الغرب التنعيم ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق تسعة أميال ، ومن طريق اليمن سبعة أميال ، ومن طريق الطائف عشرون ميلاً .

وقد شهد بدراناً مع المشركين ، ورأى الملائكة يومئذ بين السماء والأرض . وشهد الحُدَيْبِيَّة وسعى في الصُّلْح ، فلَمَّا كان عمرة القضاء كان هو وسهيل هما اللذين أمرا رسول الله ﷺ بالخروج من مكة ، فأمر بلالاً ألا تغرب الشمس وبمكة أحد من أصحابه . قال : وفي كل هذه المواطن أهُمُّ بالإسلام ويأبى الله إلا ما يريد . فلما كان زمن الفتح خفتُ خوفاً شديداً وهربت ، فلحقني أبو ذرٍّ - وكان لي خليلاً في الجاهلية - فقال : يا حُوَيْطِب مالك ؟ فقلت : خائف ، فقال : لا تخف فإنه أبرُّ الناس وأوصل الناس ، وأنا جار لك فاقدم معي ، فرجعت معه ، فوقف بي على رسول الله ﷺ وهو بالبطحاء ومعه أبو بكر وعمر ، وقد علَّمَنِي أبو ذرٍّ أن أقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فلما قلت ذلك قال : « حُوَيْطِب » ؟ ! قلت : نعم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال : « الحمد لله الذي هَدَاكَ » وسرَّ بذلك ، واستقرضني مالاً ، فأقرضته أربعين ألفاً . وشهدت معه حُنيناً والطائف ، وأعطاني من غنائم حُنين مئة بغير .

ثم قدم حُوَيْطِب بعد ذلك المدينة فنزلها ، وله بها دار ، ولما ولي عليها مروان بن الحكم جاءه حُوَيْطِب وحكيم بن حزام ومُخْرَمَةُ بن نوفل ، فسَلَّمُوا عليه وجعلوا يتحدثون عنده ثم تفرَّقوا . ثم اجتمع حُوَيْطِب بمروان يوماً آخر ، فسأله مروان عن عمره ، فأخبره ، فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث ، فقال حُوَيْطِب : الله المستعان ، والله لقد هممت بالإسلام غير مرَّة كل ذلك يَعُوقُنِي أبوك يقول : تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين مُخَدَّث ، وتصير تابعاً ؟ ! قال : فأسكت مروان واستحيى وندم على ما كان قال لي . ثم قال حُوَيْطِب : أما كان أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك حين أسلم ؟ قال : فازداد مروان غمًّا .

وكان حُوَيْطِب فيمن شهد دفن عثمان .

واشترى منه معاوية داره بمكة بأربعين ألف دينار ، فاستكثرها الناس ، فقال حُوَيْطِب : وما هي في رجل له خمسة من العيال ؟ ! .

قال الشافعي : كان حُوَيْطِب حميد الإسلام ، وكان أكثر قریش بمكة ريعاً جاهليّاً .

وقال الواقدي : عاش حُوَيْطِب في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام ستين سنة . ومات حُوَيْطِب في هذه السنة بالمدينة ، وله مئة وعشرون سنة . وقال غيره : توفي بالشام .

له حديث واحد رواه البخاري ومسلم والنسائي^(١) من حديث السائب بن يزيد عنه ، عن عبد الله بن

(١) رواه البخاري رقم (٧١٦٣) ومسلم رقم (١٠٤٥) والنسائي (١٠٤/٥) ومن لطائف هذا الإسناد أن الزهري رواه عن أربعة من الصحابة في نسق واحد السائب ، وحويطب ، وابن السعدي ، وعمر .

السعدي ، عن عمر في العُمالة^(١) بتمامه ، وهو من غريب الحديث لأنه اجتمع فيه أربعة من الصحابة ، رضي الله عنهم .

سعيد^(٢) بن يربوع^(٣) : ابن عَنكَثَة بن عامر بن مخزوم .

أسلم عام الفتح ، وشهد حُنيناً ، وأعطاه رسول الله ﷺ خمسين من الإبل .

وكان اسمه صُرمًا - وفي رواية : أضرم - فسماه سعيداً .

وكان في جملة نفر الذين أمرهم عمر بتجديد أنصاب الحرم^(٤) .

وقد أصيب بصره بعد ذلك ، فأتاه عمر يعزيه فيه . رواه البخاري^(٥) .

قال الواقدي وخليفة^(٦) وغير واحد : مات في هذه السنة بالمدينة - وقيل : بمكة - وهو ابن مئة وعشرين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك .

مُرَّة بن شراحيل الهمداني^(٧) : ويقال له : مُرَّة الطَّيِّب ، ومُرَّة الخير .

روى عن أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وغيرهم .

كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة ، فلما كبر صلى أربعمئة ركعة .

(١) « العمالة » : أجره العامل .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : معبد .

(٣) تاريخ ابن معين (٢/٢٠٩) طبقات خليفة (٢٧٨) تاريخ خليفة (٢٢٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/١٥١١) المعارف (٣١٣) الجرح والتعديل (٤/٧٢) ثقات ابن حبان (١/١٠٦٣) مشاهير علماء الأمصار (ت/١٧٩) مستدرك الحاكم (٣/٤٩٠) جمهرة أنساب العرب (١٤٢) الاستيعاب (٢/٦٢٦) تاريخ ابن عساكر (٧/١٨٢) أسد الغابة (٢/٤٠١) مختصر تاريخ دمشق (١٠/١٦) تهذيب الكمال (١١/١١١) العبر (١/٥٩) تاريخ الإسلام (٢/٢٨٩) تهذيب التهذيب (٢/٣١) سير أعلام النبلاء (٢/٥٤٢) الكاشف (١/٢٩٨) تجريد أسماء الصحابة (١/٢٣٤٧) إكمال مغلطاي (٢/١٠٠) نكت الهميان (١٥٩) العقد الثمين (٤/٥٨٨) تهذيب التهذيب (٤/٩٩) الإصابة (٤/٢٠٠) خلاصة الخزرجي (١٤٤) شذرات الذهب (١/٢٥٥) تهذيب ابن عساكر (٦/١٨٠) .

(٤) « أنصاب الحرم » : حدوده .

(٥) في تاريخه الكبير (٣/الترجمة ١٥١١) .

(٦) تاريخه (ص ٢٢٣) .

(٧) طبقات ابن سعد (٦/١١٦) طبقات خليفة (ت/١٠٧١) تاريخ البخاري الكبير (٨/٥) ثقات العجلي (٤٢٤) الجرح والتعديل (٨/٣٦٦) مشاهير علماء الأمصار (ت/٧٥٤) حلية الأولياء (٤/١٦١) أنساب السمعاني (٨/٢٨٧) تهذيب الكمال (ورقة ١٣١٦) طبقات علماء الحديث (١/١٣٤) سير أعلام النبلاء (٤/٧٤) تاريخ الإسلام (٣/٣٠٣) تذكرة الحفاظ (١/٦٧) الكاشف (٣/١١٦) تهذيب التهذيب (١٠/٨٨) طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٦) خلاصة الخزرجي (٣٧٢) طبقات المفسرين (٢/٣١٧) .

ويقال : إنه سجد حتى أكل التراب جبهته ، فلما مات رُئي في المنام - وقد صار ذلك المكان نوراً - فقيل له : أين منزلك ؟ فقال : في دار لا يَطْعَن أهلها ولا يموتون .
[الثَّعْمَانُ بنَ عَمْرٍو] ^(١) ^(٢) : ابن رفاعه بن الحارث ^(٣) .

شهد بداراً وما بعدها .

ويقال : إنه هو الذي كان يُؤتى به في الخمر [فيجلده النبي ﷺ] ^(٤) فقال رجل : لعنه الله ما أكثر ما يُؤتى به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تَلْعَنهُ ، فَإِنَّهُ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » ^(٥) .

سَوْدَةُ بنت ^(٦) زَمْعَةَ ^(٧) : القرشيّة العامريّة ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ .

تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة ، وكانت قبله عند السَّكْران بن عمرو - أخي سهيل بن عمرو - فلما كبرت همَّ رسول الله ﷺ بطلاقها ، ويقال : إنه طَلَّقَهَا ، فسألته أن يُبْقِيَهَا فِي نِسَائِهِ وَتَهَبَ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ ، فقبل ذلك منها وأبقاها ، وأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ثُشُورًا آوْءَ إِعْرَاصًا ﴾ الآية [النساء : ١٢٨] ^(٨) .

وكانت ذات عبادة وورع وزهادة .

قالت عائشة : ما من امرأة أحبَّ أن أكون في مِسْلَاحِهَا إِلَّا سَوْدَةُ ، إِلَّا أَنَّ فِيهَا حِدَّةً تَسْرَعُ مِنْهَا الْفَيْئَةُ ^(٩) .

-
- (١) سقط من أ .
 - (٢) سيرة ابن هشام (٧٠٣/١) طبقات ابن سعد (٤٩٣/٣) المعارف (٣٢٨ ، ٣٢٩) المعرفة والتاريخ (١/٣٦٥ ، ٣٦٦) الاشتقاق (٤٥٠) الجرح والتعديل (٥٠٧/٨) الاستيعاب (١٥٢٦/٤) أسد الغابة (٥/٣٥١) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/١٦٩) الإصابة (ت ٨٧٨٨) حياة الصحابة للكاندهلوي (٣/١٨٥) .
 - (٣) تحرفت لفظة الحارث في المطبوع إلى : الحر .
 - (٤) سقط من ط ، ب .
 - (٥) انظر البخاري رقم (٦٧٧٥) من حديث عقبة بن عامر ، والبخاري رقم (٦٧٨٠) من حديث عمر .
 - (٦) في المطبوع : بن وهو خطأ .
 - (٧) طبقات ابن سعد (٥٢/٨) طبقات خليفة (٣٣٥) مسند أحمد (٤٢٩/٦) التاريخ الصغير (٥٠ ، ١٠٩) المعارف (١٣٣ ، ٢٨٤) الاستيعاب (١٨٦٧/٤) الإكمال لابن مأكولا (٣٩٧/٤) جامع الأصول (٩/١٤٥) أسد الغابة (٧/١٥٧) تهذيب الكمال (ورقة ١٦٩٣) تاريخ الإسلام (٢/٦٦) سير أعلام النبلاء (٢/٢٦٥) الكاشف (٣/٤٢٨) مجمع الزوائد (٩/٢٤٦) الإصابة (١٢/٣٢٣) تهذيب التهذيب (١٢/٤٢٦) خلاصة الخزرجي (٤٩٢) شذرات الذهب (١/١٧٩ و ٢٥٥) أعلام النساء لكحالة (٢/٢٦٧) .
 - (٨) رواه أبو داود رقم (٢١٣٥) وهو حديث صحيح .
 - (٩) أخرجه مسلم (١٤٦٣) في الرضاع : باب جواز هبتها نوبتها لضررتها . « والمسلاخ » : الجلد ، فكأنها تمت أن تكون في مثل هديها وطريقتها .

ذكر ابن الجوزي وفاتها في هذه السنة ، وقال ابن أبي خيثمة : توفيت في آخر خلافة عمر بن الخطاب ، فإله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

فيها عزل معاوية عبد الله [بن عمرو ^(١)] بن غيلان عن البصرة وولّى عليها عبيد الله بن زياد ، وكان سبب عزله أنه كان يخطب الناس ، فحصبه رجل من بني ضَبَّة ، فأمر بقطع يده ، فجاء قومه إليه فقالوا له : إنه متى بلغ أمير المؤمنين أنك قطعت يد صاحبنا في هذا الصنيع فعل به وبقومه نظير ما فعل بحجر بن عدي ، فاكتب لنا كتاباً أنك قطعت يده في شبهة ، فكتب لهم ، فتركوه عندهم حيناً ، ثم جاؤوا معاوية فقالوا له : إنّ نائبك قطع يد صاحبنا في شبهة فأقْدنا منه ، قال : لا سبيل إلى القود من نوابي ولكن الدية ، فأعطاهم الدية [من بيت المال ^(٢)] وعزل عنهم ابن غيلان ، وقال لهم : اختاروا مَنْ تريدون ، فذكروا رجلاً ، فقال : لا ، ولكن أولي عليكم ابن أخي عبيد الله بن زياد ، فولّاه ، فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زرعة ، فلم يغز ولم يفتح شيئاً من البلاد .

وجاء ابن زياد إلى البصرة فولّى قضاءها لزرارة بن أوفى ، ثم عزله وولّى ابن أذينة العبدي ، وولّى شرطتها عبد الله بن حصن ^(٣) .

وحجّ بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة .

وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة ، وولّى عليها الضحّاك بن قيس الفهري .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان :

الأزرقم بن أبي الأزرقم ^(٤) : عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

أسلم قديماً - يقال : سابع سبعة - وكانت داره كهفاً للمسلمين يأوي إليها رسول الله ﷺ ومن أسلم معه

(١) ليس في ط .

(٢) ليس في ط .

(٣) في ط : الحصين .

(٤) طبقات ابن سعد (٢٤٢/٣) طبقات خليفة (٢١) مسند أحمد (٤١٧/٣) تاريخ البخاري الكبير (٤٦/٢) الجرح

والتعديل (٣٠٩/٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٦٢) معجم الطبراني الكبير (٢٨٤/١) مستدرک الحاكم (٥٠٢/٣)

الاستبصار (١١٧) الاستيعاب (١٣١/١) أسد الغابة (٧٤/١) سير أعلام النبلاء (٤٧٩/٢) تاريخ الإسلام (٢١٣/٢)

العبر (٦١/١) الإصابة (٤٠/١) كنز العمال (٢٦٩/١٣) شذرات الذهب (٢٥٦/١) .

من قريش ، وكانت عند الصّفا ، وقد صارت فيما بعد ذلك للمهدي ، فوهبها لامرأته الحَيزُران أمّ موسى الهادي وهارون الرشيد ، فَبَنَّتْها وجدَّتْها فعُرفت بها ، ثم صارت لغيرها .
وقد شهد الأرقم بدرأ وما بعدها من المشاهد .

ومات بالمدينة في هذه السنة ، وصَلَّى عليه سعد بن أبي وقاص أوصى به رضي الله عنهما ، وله بضع وثمانون سنة .

سَخْبَانُ بْنُ زُفَرٍ بْنُ إِيَاسٍ^(١) : ابن عبد شمس بن الأحب^(٢) الباهلي الوائلي ، الذي يضرب بفصاحته المثل فيقال : أفصح من سَخْبَانِ وائِل . ووائِل : هو ابن مَعْنٍ^(٣) بن مالك بن أعصُر بن سعد بن قيس بن عَيْلان^(٤) بن مُضَر بن نزار . وباهلة امرأة مالك بن أعصُر ، ينسب إليها ولدها ، وهي : باهلة بنت صَعْب بن سعد العَشيرة .

قال ابن عساكر : سَخْبَانُ المعروف بِسَخْبَانِ وائِل ، بلغني أنه وفد على معاوية فتكلّم ، فقال معاوية : أنت الشيخ ؟ فقال : إي والله وغير ذلك . ولم يزد ابن عساكر على هذا .

وقد نسبته ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » كما ذكرنا ، ثم قال : وكان بليغاً يُضرب المثل بفصاحته ، دخل يوماً على معاوية وعنده خطباء القبائل ، فلَمَّا رَأَوْهُ خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه ، فقال سَخْبَانُ :

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ : أَمَّا بَعْدُ ، أَنِّي خَطِيبُهَا

فقال له معاوية : اخطب ، فقال : انظروا لي عَصاً تُقِيمُ من أَوْدِي ، فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ فقال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربّه عزّ وجل ، فأخذها وتكلم من الظُّهر إلى أن قاربت العصر ، ما تنحّج ولا سَعَلَ ولا تَوَقَّفَ ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه وقد بقيت عليه بقيةً فيه ، فقال معاوية : الصلاة ، فقال : الصلاة أمامك ، ألسنا في تحميد وتمجيد ، وعِظَة وتنبية ، وتذكير ووعد ووعيد ؟! فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال : العرب وحدّها ؟! بل أخطب الجنّ والإنس ، قال : أنت كذلك .

(١) المعارف (٦١١) الاشتقاق (٢٧٣) العقد الفريد (٢/٢٤٠) مجمع الأمثال (١/٢٤٩) تاريخ ابن عساكر (تهذيبه : ٦٥/٦) ، لسان العرب : (سحب) ، بلوغ الأدب (٣/١٥٦) خزنة الأدب (٤/٣٤٧) أعلام الزركلي (٣/٧٩) .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : الأجَب .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : معد .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : غيلان .

سعد بن أبي وقاص^(١) : واسمه^(٢) مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، أبو إسحاق القرشي الزهري . أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

أسلم سعد قديماً ، قالوا : وكان عمره يوم أسلم سبع عشرة سنة . وثبت عنه في الصحيح أنه قال : ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام^(٣) سبع^(٤) .

وهاجر ، وشهد بدرأ وما بعدها . وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله^(٥) . وكان فارساً شجاعاً ، من أمراء رسول الله ﷺ .

وكان في أيام الصديق معظماً جليل القدر ، وكذلك في أيام عمر ، وقد استنابه عمر على الكوفة ، وهو الذي كوّف الكوفة ، ونفى عنها الأعاجم . وكان مجاب الدعوة . وهو الذي فتح المدائن ، وكانت بين يديه وقعة جلولاء^(٦) . وكان سيّداً مطاعاً . وعزله عمر عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة ، ولكن للمصلحة التي ظهرت لعمر في ذلك ، وقد ذكره في الستة أصحاب الشورى . ثم ولّاه عثمان الكوفة ، ثم عزله عنها .

(١) طبقات ابن سعد (٣/١٣٧ و ٦/١٢) نسب قريش (٢٦٣ وغيرها) طبقات خليفة (١٥ ، ١٢٦) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (١/١٦٨) تاريخ البخاري الكبير (٤/١٩٠٨) التاريخ الصغير (١/٩٩ وغيرها) ثقات العجلي (١٨٠) المعارف (٢٤١) فتوح البلدان (٢١٥) الجرح والتعديل (٤/٩٣) ثقات ابن حبان (١/١٥٤) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٠) حلية الأولياء (١/٩٢) الاستيعاب (٢/٦٠٦) تاريخ بغداد (١/١٤٤) تاريخ ابن عساكر (٧/٦٦) جامع الأصول (٩/١٠) أسد الغابة (٢/٣٦٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢١٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/٢٥٠) تهذيب الكمال (١٠/٣٠٩) طبقات علماء الحديث (١/٨٤) سير أعلام النبلاء (١/٩٢) تذكرة الحفاظ (١/٢٢) دول الإسلام (١/٤٠) تاريخ الإسلام (٢/٢٨١) تهذيب التهذيب (٢/١١) الكاشف (١/٢٨٠) تجريد أسماء الصحابة (١/٢٢٧٢) العبر (١/٦٠) نكت الهميان (١٥٥) مجمع الزوائد (٩/١٥٣) العقد الثمين (٤/٥٣٧) غاية النهاية (١/٣٠٤) الإصابة (٤/١٦٠) تهذيب التهذيب (٣/٤٨٣) النجوم الزاهرة (١/١٤٧) طبقات الحفاظ (٥) حسن المحاضرة (١/٢٠٥) خلاصة الخزرجي (١٣٥) كنز العمال (١٣/٢١٢) شذرات الذهب (١/٢٥٦) تهذيب ابن عساكر (٦/٩٥) .

(٢) يعني اسم أبي وقاص .

(٣) رواه البخاري (٣٧٢٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (٥٤١٢) .

(٥) الأوائل لابن قتيبة (ص ٦٣) .

(٦) وتسمى جلولاء الوقعة ، كانت سنة ١٦ هـ ، وكان النصر فيها للمسلمين . وموضع جلولاء اليوم بالعراق . وخبر هذه الوقعة في تاريخ الطبري (٤/٢٤) وما بعدها . وأيضاً في معجم البلدان (٤/١٥٦) وبلدان الخلافة الشرقية (ص ٨٧) .

وقال الحميدي : عن سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار قال : شهد سعد بن أبي وقاص وابن عمر دومة الجندل يوم الحكمين .

وثبت في « صحيح مسلم »^(١) أن ابنه عُمر جاء إليه وهو معتزل في إبله فقال : الناس يتنازعون الإمارة وأنت هاهنا؟! فقال : يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْغَنِيَّ التَّقِيَّ الْخَفِيَّ » .

قال ابن عساكر : وذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه فقال : يا عم هاهنا مئة ألف سيف يَرُونُكَ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فقال : أريد من مئة ألف سيف سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يؤذه ولم يقطع فيه شيئاً ، وإذا ضربت به الكافر قطع . [أو قال : أريد سيفاً يعرف المؤمن من غيره حتى لا أوذيه]^(٢) .

وقال عبد الرزاق : [عن معمر]^(٣) عن ابن جريج ، حدثني زكريا بن عمرو أن سعد بن أبي وقاص وفد على معاوية ، فأقام عنده شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر^(٤) . وقال غيره : فبايعه وما سألته سعد شيئاً إلا أعطاه إياه .

وقال أبو يعلى^(٥) : حدثنا زهير ، حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم قال : قال سعد : إني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله في المشركين ، وما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلي ، ولقد سمعته يقول : « إزم فذاك أبي وأمي » .

وقال أحمد^(٦) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس سمعت سعد بن مالك يقول : والله إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو ومالنا طعام نأكله إلا ورق الحُبْلَة وهذا السَّمُرُ^(٧) حتى إنَّ أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرنني على الدين ، لقد خبتُ إذاً وضلَّ عملي .

رواه شعبة ووکیع وغير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد به .

(١) رقم (٢٩٦٥) في الزهد .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط .

(٣) ليس في (ط) و (ب) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق برقم (٤٣٥١) .

(٥) في مسنده (٢/رقم ٧٥٢) وإسناده صحيح .

(٦) هو في مسند أحمد (١/١٨٦) والبخاري رقم (٥٤١٢) ومسلم رقم (٢٩٦٦) .

(٧) « ورق الحبلَة والسمر » : نوعان من شجر البادية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا [يحيى بن سعيد ^(١)] عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيّب ، عن سعد قال : « جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد » .

ورواه أحمد [أيضاً عن غندر ^(٢)] ، عن شعبة ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري .

[وقد رواه الليث وغير واحد عن يحيى الأنصاري ^(٣)] .

ورواه غير واحد عن سعيد بن المسيّب ، عن سعد .

ورواه الناس من حديث عامر بن سعد ، عن أبيه .

وفي بعض الروايات : « فذاك أبي وأمي » . وفي رواية : « فقال : إزم وأنت الغلام الحزور ^(٤) » .

وقال أحمد ^(٥) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن شدّاد ، سمعت عليّاً يقول : ما سمعتُ رسول الله ﷺ يفدي أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك ، فإني سمعته يقول له يوم أحد : « إزم سعدُ فذاك أبي وأمي » .

ورواه البخاري ^(٦) عن أبي نعيم عن مسعر ، عن سعد بن إبراهيم به .

ورواه شعبة ، عن سعد بن إبراهيم .

ورواه سفيان بن عُيينة وغير واحد ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيّب ، عن علي بن أبي طالب ، فذكره .

وقال الأعمش : عن أبي خالد ، عن جابر بن سمرة قال : أول الناس رمى بسهم في سبيل الله سعدُ رضي الله عنه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب أنه سمع عائشة بنت سعد تقول : أنا ابنة المهاجر الذي فدّاه رسول الله ﷺ بالأبوين .

وقال الواقدي : حدثني عبيدة بنت نابل ^(٧) ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها قال : لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد فبرّده عليّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتّى لما كان بعد ذلك ظننتُ أنه ملك .

(١) سقط من أ ، وهو في مسند أحمد (١/١٨٠) وإسناده صحيح .

(٢) سقط من آ ، وهو في مسند أحمد (١/١٧٤) وغندر : هو محمد بن جعفر .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٤) « الحزور » : الغلام إذا اشتد وقوي .

(٥) مسند أحمد (١/١٢٤) وإسناده صحيح .

(٦) البخاري رقم (٤٠٥٨) .

(٧) في أ ، ط : حدثني عبيدة بن نابل وهو تصحيف . تهذيب التهذيب (١٢/٤٣٧) وغيره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه [عن أبيه]^(١) عن سعد بن أبي وقاص قال : لقد رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يوم أُحُدٍ رجلين عليهما ثيابٌ بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد .

ورواه الواقدي : حدثني [أبو]^(٢) إسحاق بن أبي عبد الله ، عن عبد الواحد^(٣) - جد ابن أبي عون - عن زياد مولى سعد ، عن سعد قال : رأيتُ رجلين يوم بدرٍ يقاتلان عن رسول الله ﷺ أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وإني لأراه ينظرُ إلى ذا مرة وإلى ذا مرة مسروراً بما ظفَّره الله عز وجل^(٤) .

وقال الأعمش : عن إبراهيم ، عن^(٥) علقمة ، عن ابن مسعود قال : لقد رأيتُ سعد بن أبي وقاص يقاتل يوم بدرٍ قتالَ الفارس للرجل .

وقال سفيان : عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة بن^(٦) عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : اشتركتُ أنا وسعدٌ وعمار يوم بدرٍ فيما أصبنا من الغنيمة ، فجاء سعد بأسيرين ، ولم أجئ أنا وعمار بشيء .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد أنه سمع عبد الله بن عامر بن ربيعة يقول : قالت عائشة : بات رسول الله ﷺ أرقاً ذات ليلة ثم قال : « لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ » قالت : فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوت السَّلاح ، فقال رسول الله : « مَنْ هَذَا » ؟ قال : أنا سعد بن أبي وقاص جئتُ أحرُسُكَ يا رسول الله ، قالت : فنام رسول الله ﷺ حتى سمعتُ غَطِيْطَه^(٧) .

أخرجاه^(٨) من حديث يحيى بن سعيد .

وفي رواية : فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام .

وقال أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن الحجاج^(٩) بن شَدَّاد ، عن أبي صالح

(١) سقط من الأصول ، وهو في مسند أحمد (١/ ١٧١) وإسناده صحيح ، وهو في البخاري رقم (٤٠٥٤) ومسلم رقم (٢٣٠٦) .

(٢) سقط من المطبوع .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبد العزيز .

(٤) مغازي الواقدي (١/ ٧٨) .

(٥) في المطبوع بن ، وهو خطأ .

(٦) في الأصل : عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود ، وهو خطأ .

(٧) « الغطيط » : صوت النائم المرتفع .

(٨) البخاري (٢٨٨٥) في الجهاد : باب الحراسة في الغزو ، ومسلم (٢٤١٠) في الفضائل : باب فضائل سعد .

(٩) في المطبوع : يحيى بن الحجاج ، خطأ .

الغفاري ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل سعد بن أبي وقاص^(١) .

وقال أبو يعلى : حدثنا محمد بن المثنى [حدثنا عبد الله]^(٢) بن قيس الرقاشي الخزّاز بصري ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال : « يدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة » ، قال : فليس منا أحد إلا وهو يتمنى أن يكون من أهل بيته ، فإذا سعد بن أبي وقاص قد طلع^(٣) .

وقال حرّملة : عن ابن وهب ، أخبرني حنّوة ، أخبرني عقيل ، عن ابن شهاب ، حدثني من لا أتهم ، عن أنس بن مالك قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ فقال : « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة » فاطلع سعد بن أبي وقاص ، حتى إذا كان الغد قال : رسول الله ﷺ مثل ذلك ، قال : فاطلع سعد بن أبي وقاص على ترتيبه الأول . حتى إذا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك ، قال : فطلع على ترتيبه الأول . فلما قام رسول الله ﷺ ثار عبد الله بن عمرو بن العاص [إلى سعد]^(٤) فقال : إني غاضبتُ أبي فأقسمتُ ألا أدخل عليه ثلاث ليال ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تنحلّ يميني فعلت . قال أنس : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه ليلة حتى إذا كان مع الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئاً ، غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر ، فإذا صلى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمّه ثم يصبح مفطراً . قال عبد الله بن عمرو : فرمقته ثلاث ليال وأيامهنّ لا يزيد على ذلك ، غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الليالي الثلاث وكدتُ أحقر عمله ، قلتُ : إنه لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجر ، ولكنني سمعتُ رسول الله ﷺ قبل ذلك يقول ثلاث مرات في ثلاثة مجالس : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فاطلعتُ أنت ، فأردتُ أن آوي إليك حتى أنظر ما عملك فأقتدي بك لأنال ما نلت ، فلم أر لك كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما هو إلا ما رأيت . قال : فانصرفتُ ، فدعاني حين وليت ، فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ، ولا أنوي له شراً ، ولا أقوله . قال : قلت : هذه التي بلغت بك وهي التي لا أطيع^(٥) .

(١) رواه أحمد (٢/٢٢٢) وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد ، وبشارة سعد بن أبي وقاص بالجنة . ثابتة في أحاديث صحيحة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) سقط من (أ) و(ب) .

(٣) قال العقيلي في الضعفاء : عبد الله بن قيس الرقاشي ، عن أيوب حديثه غير محفوظ ، ولا يتابع عليه ، ولا يعرف إلا به . ثم أورد حديثه هذا . . .

(٤) من (أ) فقط .

(٥) وإسناده ضعيف ، وهو في مسند أحمد (٣/١٦٦) من حديث أنس أيضاً ، وفيه أن الرجل من الأنصار وسعد ليس أنصارياً ، بل هو قرشيّ ، والحديث صحيح في مسند أحمد ، وهو بمعناه .

هكذا رواه صالح المُرِّي ، عن عمرو بن دينار - مولى [آل] الزبير - عن سالم ، عن أبيه ، فذكر مثله من رواية أنس بن مالك .

وثبت في « صحيح مسلم »^(٢) من طريق سفيان الثوري ، عن المقدم بن شريح ، عن أبيه ، عن سعد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام : ٥٢] نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم .

وفي رواية : أنزل الله في : ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [العنكبوت : ٨] وذلك أنه لما أسلم امتنعت أمه من الطعام والشراب أياماً ، فقال لها سعد : تعلمين والله لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء ، إن شئت فكلني واشربي ، وإن شئت فلا تأكلي ولا تشربي [فلما رأته ذلك أكلت]^(٣) فنزلت هذه الآية .

وأما حديث الشهادة للعشرة بالجنة فثبت في الصحيح^(٤) من حديث سعيد بن زيد^(٥) .

وجاء من حديث سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة في قصة حراء^(٦) ذكر سعد بن أبي وقاص منهم . وقال هشيم وغير واحد : عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ فأقبل سعد ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا خالي ، فليُرني امرؤ خاله » . رواه الترمذي^(٧) .

وقال الطبراني^(٨) : حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك ، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن ماعز التميمي ، عن جابر قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل سعد ، فقال : « هذا خالي » .

وثبت في « الصحيحين » من حديث مالك وغيره ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه « أن رسول الله ﷺ جاءه يعودُه عام حجة الوداع من وجع اشتدَّ به . فقلت : يا رسول الله ! إني ذو مال

(١) سقطت من ط .

(٢) رقم (٢٤١٣) في الفضائل : باب فضائل سعد .

(٣) ليس في ط .

(٤) كأنه يريد : في الحديث الصحيح ، وليس كتاباً بعينه ، فهو ليس في الصحيحين ، كما سيأتي في تخريجه .

(٥) رواه أحمد (١٨٨/١) وأبو داود رقم (٤٦٤٩) والترمذي رقم (٣٧٥٧) وهو حديث صحيح .

(٦) أخرجه مسلم (٢٤١٧) من طريق يحيى بن سعيد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء ، فتحرك ، فقال رسول الله ﷺ : « اسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم .

(٧) برقم (٣٧٥٢) في المناقب : باب مناقب سعد . وقوله : « هذا خالي » لأن أم النبي ﷺ زهرية ، وهي أمة بنت وهب بن عبد مناف ، ابنة عم أبي وقاص ، وهو حديث صحيح .

(٨) في معجمه الكبير برقم (٣٢٣) .

ولا يرثني إلا ابنة ، أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا ، قلت : فالشطر يا رسول الله ؟ قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس ، وإنك لن تُنْفِقَ نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها ، حتى ما تجعلُ في فم امرأتك - وفي رواية : حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك - قلتُ : يا رسول الله أُخلف بعد أصحابي ؟ فقال : إنك لن تخلف فتعملَ عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددتَ به درجةً ورفعةً ، ولعلَّك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضرَّ بك آخرون . ثم قال : اللهم أَمْضِ لأصحابي هجرتهم ولا تردَّهم على أعقابهم ، لكن البائسُ سعدُ بن خولة « يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة »^(١) .

ورواه أحمد^(٢) ، عن يحيى بن سعيد ، عن الجعد بن أوس ، عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها فذكر نحوه ، وفيه : قال : « فوضع يده على جبهته فمسح وجهه وصدره وبطنه وقال : اللهم اشفِ سعداً وأتم له هجرته » . قال سعد : فما زلتُ يخيل إليَّ أني أجذبُ يده على كبدي حتى الساعة .

وقال ابن وهب : حدثني موسى بن عُلَيِّ بن رباح ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ عاد سعداً فقال : « اللهم أذهب عنه الباس ، إله الناس ملك الناس ، أنت الشافي لا شافي له إلا أنت ، بسم الله أزيك من كل شيء يؤذيك ، من حسدٍ وعين ، اللهم أصح قلبه وجسمه ، واكشف سقمه ، وأجب دعوته » .

وقال ابن وهب : أخبرني عمرو ، عن بكر بن الأشج قال : سألت عامر بن سعد عن قول رسول الله ﷺ لسعد : « وعسى أن تبقى ينتفع بك أقوام ويضرَّ بك آخرون » فقال : أُمِر سعدٌ على العراق ، فقتل قوماً على الرِّدة فضرَّهم ، واستتاب قوماً كانوا سجعوا^(٣) سجع مُسَيْلِمة الكذاب ، فتابوا ، فانتفعوا به .

وقال الإمام أحمد^(٤) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا مُعَان^(٥) بن رفاعه ، حدثني علي بن يزيد^(٦) ، عن القاسم أبي عبد الرحمن ، عن أبي أُمَامَةَ قال : جلسنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ورققنا ، فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء ، وقال : يا ليتني مت ، فقال رسول الله ﷺ : [« يا سعد ! أعندي تتمي الموت » ؟ فردد ذلك ثلاث مرات ، ثم قال]^(٧) « يا سعد ! إن كنتَ للجنة خلقت ، فما طالَ من عُمرِكَ أو حُسْنٍ من عملِكَ فهو خيرٌ لك » .

(١) رواه البخاري رقم (١٢٩٥) ومسلم رقم (١٦٢٨) وقوله : يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة ، هو من كلام الزهري كما ذكر الحافظ في الفتح .

(٢) في مسنده (١٧١/١) وهو حديث صحيح .

(٣) سجعوا سجع فلان : أشبهوه وساروا على قصده .

(٤) في مسنده (٢٦٧/٥) وإسناده ضعيف .

(٥) تحرف في ط إلى : معاذ .

(٦) تحرف في ط إلى : زيد .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ، واستدرسته من المسند .

وقال موسى بن عقبة وغيره : عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس عن سعد : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم سدّد رميته ، وأجِبْ دَعْوَتَهُ » .

ورواه سيار بن بشير ، عن قيس ، عن أبي بكر الصديق قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لسعد : « اللهم سدّد سهمه ، وأجِبْ دعوته ، وحَبِّبْهُ إلى عبادك » .

وروي من حديث ابن عباس - وفي رواية : محمد بن عائذ الدمشقي - عن الهيثم بن حميد ، عن مطعم ، عن المقدام وغيره : أن سعداً قال : يا رسول الله ! ادع الله أن يجيب دعوتي ، فقال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دَعْوَةَ عَبْدٍ حَتَّى يَطِيبَ مَطْعَمَهُ » فقال : يا رسول الله ! ادع الله أن يطيب مطعمي ، فدعا له . قالوا : فكان سعد يتورّع من السنبلة يجدها في زرعه ، فيردّها من حيث أخذت .

وقد كان سعد مجاب الدعوة ، لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له ، فمن أشهر ذلك ما ثبت في « الصحيحين » من طريق عبد الملك بن عُمر ، عن جابر بن سُمرة^(١) : أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ شَكَّوْا سَعْدًا إِلَى عُمَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى قَالُوا : لَا يَحْسَنُ يَصَلِّي ، فقال سعد : أما إني لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ أطيل في الأوليين وأحذف [في]^(٢) الآخرين ، فقال عمر : ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق^(٣) .

وكان قد بعث مَنْ يسأل عنه بمحال الكوفة ، فجعلوا لا يسألون أهل مسجد إلا أثنوا خيراً ، حتى مرّوا بمسجد لبني عبس ، فقام رجل منهم يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال : إن سعداً كان لا يسير في السريّة ، ولا يقسم بالسّويّة ، ولا يعدل في القضيّة . فبلغ سعداً قوله ، فقال : اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطل عمره ، وأدم فقره ، وأعم بصره ، وعرضه للفتن . قال : فأنا رأيته بعد ذلك شيخاً كبيراً قد سقطت حاجباه على عينيه ، يقف في الطريق فيغمز الجوّاري ، فيقال له في ذلك ، فيقول : شيخ مفتون أصابته دعوة سعد ، وفي رواية غريبة : أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عبيد ، فقتل فيها^(٤) .

وقال الطبراني^(٥) : حدّثنا يوسف القاضي ، حدّثنا عمرو بن مرزوق ، حدّثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن سعيد بن المسيّب قال : خرجت جاريةً لسعد يقال لها زبراء ، وعليها قميص جديد ،

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سلمة .

(٢) سقطت من المطبوع . وقوله : أحذف في الآخرين يعني : أقصرهما عن الأوليين ، لا أنه يخل بالقراءة ويحذفها كلها .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦/١ ، ١٧٩ ، ١٨٠) والبخاري (٧٧٠) باب يطوّل في الأوليين ويحذف في الآخرين ، ومسلم (٤٥٣) في الصلاة : باب القراءة في الظهر والعصر .

(٤) سير أعلام النبلاء (١١٣/١ - ١١٤) .

(٥) في الكبير برقم (٣٠٩) .

فكشفها الريح ، فشدَّ عليها عمر بالدَّرَّة ، وجاء سعد ليمنعه ، فتناوله عمر بالدَّرَّة ، فذهب سعد يدعو على عمر ، فناوله الدَّرَّة وقال : اقتصَّ مني ، فعفا عن عمر .

وروي أيضاً : أنه كان بين سعد وابن مسعود كلام ، فهمَّ سعدُ أن يدعو عليه ، فخاف ابن مسعود وجعل يشتدُّ في الهرب .

وقال سفيان بن عُيينة : لما كان يوم القادسيَّة كان سعد على الناس ، وقد أصابته جراح فلم يشهد يوم الفتح - يعني : فتح القادسيَّة - فقال رجل من بَجِيلَة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَسَعَدُ بِيَابِ الْقَادِسيَّةِ مُغْصَمُ
فَأُنَبَّا وَقَدْ آمَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ وَنِسْوَةٌ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمٌ^(١)

فقال سعد : اللهم اكفنا يدهُ ولسانهُ ، فجاء سهمُ غُرب^(٢) ، فخرسَ ويبستُ يداه جميعاً .

وقد أسند زياد البكائي وسيف بن عمر ، عن عبد الملك بن عُمر ، عن قبيصة بن جابر ، عن ابن عمر^(٣) . . فذكر مثله ، وفيه : ثم خرج سعد فأرى القوم ما به من القروح في ظهره ليعذر إليهم .

وقال هشيم : عن أبي بلح ، عن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علي ، فنهاه سعد ، فلم ينته ، فقال سعد : أدعو عليك ، فلم ينته ، فدعا الله عليه [فما برح]^(٤) حتى جاء بغير نادٍ^(٥) فتخبَّطه .

وجاء من وجه آخر : عن عامر بن سعد : أن سعداً رأى جماعة عكوفاً على رجل ، فأدخل رأسه من بين اثنين ، فإذا هو يسبُّ عليّاً وطلحة والزبير ، فنهاه عن ذلك ، فلم ينته ، فقال : أدعو عليك ، فقال الرجل : تهتدّدني كأنك نبيّ؟! فانصرف عنه سعد ، فدخل دار آل فلان ، فتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه فقال : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سبَّ أقواماً قد سبقت لهم منك سابقة الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبُّه إياهم ، فاجعله اليوم آيةً وعبرة . قال : فخرجتُ بُخْتِيَّة^(٦) ناذةً من دار آل فلان لا يردُّها شيء حتى دخلتُ بين أضعاف الناس ، فافترق الناس عنها ، فأخذته بين قوائمها ، فلم تزل تتخبَّطه حتى مات . قال : فلقد رأيت الناس يشتدُّون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق .

(١) البيتان في العقد الفريد (٤٤/١) وتاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٦٤/٩) والكمال لابن الأثير (٤٦٩/٢) وسير أعلام النبلاء (١١٥/١) .

(٢) « سهم غُرب » : أي لا يعرف راميهِ .

(٣) هكذا في الأصول ، وكذلك في السير (١١٥/١) .

(٤) ليس في ط .

(٥) « نادٍ » : شارد .

(٦) « البخْتِيَّة » : الناقة .

ورواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيّب . . فذكر نحوه .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر القرشي ، حدثنا عبد الرزاق ، عن أبيه ، عن مينا^(١) - مولى عبد الرحمن بن عوف - : أن امرأة كانت تطّلع على سعد ، فنهاها ، فلم تنته ، فاطلعت يوماً وهو يتوضأ ، فقال : شاة وجهك ، فعاد وجهها في قفاها .

وقال كثير النّوّاء : عن عبد الله بن بديل قال : دخل سعد على معاوية ، فقال له : مالك لم تقاتل معنا ؟ فقال : إني مرّت بي ريح مظلمة فقلت : إخ إخ^(٢) ، فأنخْتُ راحلتي حتى انجلت عني ، ثم عرفتُ الطريق فسرت ، فقال معاوية : إنه ليس في كتاب الله إخ إخ ، ولكن قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَعِّلُوا الْآلَتِ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات : ٩] فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ، ولا مع العادلة على الباغية . قال سعد : ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » . فقال معاوية : من سمع هذا معك ؟ فقال : فلان وفلان وأمّ سلمة . فقال معاوية : أما إنني لو سمعته منه ﷺ لما قاتلتُ علياً . وفي رواية من وجه آخر : أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجة حجّها معاوية ، وأنهما قاما إلى أمّ سلمة ، فسألاها ، فحدّثتهما بما حدّث به سعد ، فقال معاوية : لو سمعتُ هذا قبلَ هذا اليوم لكنتُ خادماً لعلي حتى يموت أو أموت .

وفي إسناد هذا ضعف^(٣) ، والله أعلم .

وقد روي عن سعد : أنه سمع رجلاً يتكلّم في علي وفي خالد ، فقال : إنّه لم يبلغ ما بيننا إلى ديننا . وقال محمد بن سيرين : طاف سعد على تسع جوارٍ في ليلة ، فلما انتهى إلى العاشرة أخذه النوم ، فاستحيّت أن توقظه .

ومن كلامه الحسن أنه قال لابنه مصعب : يا بُنيّ إذا طلبت شيئاً فاطلبه بالقناعة ، فإنه من لا قناعة له لم يُغنهِ المال .

وقال حماد بن سلمة : عن سِمَاك بن حرب ، عن مصعب بن سعد قال : كان رأس أبي في حَجْرِي وهو يقضي ، فبكيت ، فقال : ما يبكيك يا بُنيّ ؟ والله إن الله لا يعذبني أبداً ، وإنني لمن أهل الجنة ، إنّ

(١) هو مينا بن أبي مينا الزهري ، متروك ، قال ابن حبان في المجروحين (٢٢/٣) : منكر الحديث . . . وجب التنكب عن روايته . مترجم أيضاً في ميزان الاعتدال للذهبي (٢٣٧/٤) .

(٢) « إخ » : تقال لزرع البعير ليبرك .

(٣) لكن حديث : « أنت مني بمنزلة هارون . . . » حديث صحيح ، أخرجه البخاري رقم (٤٤١٦) في المغازي : باب غزوة تبوك ، وفي فضائل الصحابة : باب مناقب علي بن أبي طالب ، ومسلم (٢٤٠٤) في فضائل الصحابة أيضاً .

الله يدين للمؤمنين بحسناتهم ، فاعملوا لله خالصاً . وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم ، فإذا نفدت قال : ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له^(١) .

وقال الزهري : لما حضرت سعداً الوفاة دعا بخلق جبة فقال : كفنوني في هذه فإني لقيت فيها المشركين يوم بدر ، وإنما خبأتها لهذا اليوم .

[وقال سعد : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة يُصيبنا شدة العيش ، فخرجت ليلة أبول ، فإذا شيء يُقعقع تحت بولي ، فإذا قطعة جلد بغير ، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها ، ثم وضعتها بين حجرين ، فسحقتها ثم استفتتها ، وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً]^(٢) .

وكانت وفاة سعد بالعقيق خارج المدينة ، فحمل إلى المدينة على أعناق الرجال ، فصلّى عليه مروان ، وصلّى بصلاته عليه أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات ، ودُفن بالبقيع ، وكان ذلك في هذه السنة - سنة خمس وخمسين - على المشهور الذي عليه الجمهور ، وقد جاوز الثمانين على الصحيح . قال علي بن المديني : وهو آخر العشرة وفاة . وقال غيره : كان آخر المهاجرين السابقين الأولين وفاة ، رضي الله عنهم أجمعين . وقال الهيثم بن عدي : مات سنة خمسين . وقال أبو معشر وأبو نعيم وقَعْنَب^(٣) بن المحرّر : توفي سعد سنة ثمان وخمسين ، وزاد قَعْنَب^(٣) : وفيها توفي الحسن بن علي وعائشة وأم سلمة . والصحيح الأول - سنة خمس وخمسين .

قالوا : وكان سعدٌ قصيراً ، غليظاً ، شَنُّ^(٤) الكفّين ، أفطس ، أشعر الجسد ، يخضبُ بالسّواد^(٥) . وكان ميراثه مئتي ألف وخمسين ألفاً .

فضالة بن عبيد الأنصاريّ الأوسي^(٦) : أول مشاهده أحد ، وشهد بيعة الرضوان ، ودخل الشام ، وتولّى القضاء بدمشق في أيام معاوية بعد أبي الدرداء .

(١) طبقات ابن سعد (١٤٧/٣) .

(٢) ما بين حاصرتين من (أ) فقط . وقد أورده أبو نعيم في الحلية .

(٣) تحرف في الأصول إلى : مغيث . والخبر في إكمال ابن ماکولا (٢١٨/٧) وسير أعلام النبلاء (١٢٤/١) وقد تحرف فيه المحرر إلى المحرز ، فيتنبه لذلك .

(٤) « الشن » : الغليظ .

(٥) ورواه الحاكم (٤٩٦/٣) وإسناده ضعيف .

(٦) طبقات ابن سعد (٤٠١/٧) طبقات خليفة (ت٥٤٦) مسند أحمد (١٨/٦) المجبر (٢٩٤) تاريخ البخاري الكبير (١٢٤/٧) التاريخ الصغير (١١٩/١) المعرفة والتاريخ (٣٤١/١) أخبار القضاة (٢٠٠/٣) الجرح والتعديل (٧٧/٧) مشاهير علماء الأمصار (ت٣٣٩) مستدرك الحاكم (٤٧٣/٣) حلية الأولياء (١٧/٢) الاستيعاب (١٢٦٢/٣) تاريخ ابن عساكر (١٤/١١١/ب) أسد الغابة (٣٦٣/٤) تهذيب الأسماء واللغات (٥٠/٢/١) مختصر تاريخ دمشق (٢٧٠/٢٠) تهذيب الكمال (ورقة ١٠٩٨) تاريخ الإسلام (٣١١/٢) العبر (٥٨/١) سير أعلام النبلاء (١١٣/٣) الكاشف (٣٢٧/٢) تهذيب التهذيب (١٣٦/٣/ب) الإصابة (٢٠٦/٣) تهذيب التهذيب (٢٦٧/٨) خلاصة الخرجي (٣٠٨) شذرات الذهب (٢٥٢/١) .

قال أبو عبيد : مات سنة ثلاث وخمسين . وقال غيره : سنة سبع وستين . وقال ابن الجوزي في « المنتظم » : توفي في هذه السنة ، والله أعلم .

قُتِمَ بن العباس بن عبد المطلب^(١) : كان أشبه الناس برسول الله ﷺ .

تولّى نيابة المدينة في أيام علي . وشهد فتح سمرقند [ممّا وراء النهر]^(٢) فاستشهد بها ، رحمه الله .

كعب بن عمرو^(٣) : أبو اليسر الأنصاري السلمي . شهد العقبة وبدراً ، وأسر يومئذ العباس بن عبد المطلب ، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد مع رسول الله ﷺ .

قال أبو حاتم^(٤) وغيره : مات سنة خمس وخمسين . وزاد غيره : وهو آخر من مات من أهل بدر .
[قال أبو اليسر : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظْلَهُ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ »]^(٥) .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

ففيها شتا جُنادة بن أبي أمية بأرض الروم . وقيل : عبد الرحمن بن مسعود .

(١) طبقات ابن سعد (٣٦٧/٧) نسب قريش (٢٧) طبقات خليفة (ت ١٩٧٣) المحبر (١٧ ، ٤٦ ، ١٠٧) تاريخ البخاري الكبير (١٩٤/٧) التاريخ الصغير (١٤٢/١) أنساب الأشراف (٦٥/٣) الجرح والتعديل (١٤٥/٧) مشاهير علماء الأمصار (١٩ ، ٤١٧) جمهرة أنساب العرب (١٩) الاستيعاب (١٣٠٤/٣) الجمع بين رجال الصحيحين (٤٢٧/٢) أسد الغابة (٣٩٢/٤) تهذيب الأسماء واللغات (٥٩/٢/١) تهذيب الكمال (ورقة ١١٢٦) تاريخ الإسلام (٣١١/٢) تهذيب التهذيب (١٥٧/٣) العبر (٦١/١) سير أعلام النبلاء (٤٤٠/٣) مرآة الجنان (١٣٨/١) العقد الثمين (٦٧/٧) الإصابة (٢٢٦/٣) تهذيب التهذيب (٣٦١/٨) خلاصة الخزرجي (٣١٨) شذرات الذهب (٢٥٧/١) .

(٢) من (أ) فقط .

(٣) طبقات ابن سعد (٥٨١/٣) طبقات خليفة (١٠٢) تاريخ خليفة (٢٢٣) مسند أحمد (٤٢٧/٣) تاريخ البخاري الكبير (٢٢٠/٧) المعارف (٣٢٧) المعرفة والتاريخ (٣١٩/١) الجرح والتعديل (١٦٠/٧) مشاهير علماء الأمصار (ت ٦٩) مستدرک الحاكم (٥٠٥/٣) الاستبصار (١٦٣) الاستيعاب (١٣٢٢/٣) تاريخ ابن عساكر (٢٧٧/١٤) أسد الغابة (٤٨٤/٤) و (٣٣٢/٦) تهذيب الكمال (ورقة ١١٤٧) سير أعلام النبلاء (٥٣٧/٢) تاريخ الإسلام (٣٣٩/٢) العبر (٦١/١) الكاشف (٨/٣) مجمع الزوائد (٣١٦/٩) تهذيب التهذيب (٤٣٧/٨) الإصابة (٣٠١/٨) خلاصة الخزرجي (٣٢١) شذرات الذهب (٢٥٦/١) .

(٤) الجرح والتعديل (٧/ الترجمة ٩٠١) .

(٥) ما بين الحاصرتين من (أ) فقط . وهو قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم (٣٠٠٦) في الزهد : باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

وقيل : فيها غزا في البحر يزيد بن شجرة^(١) ، وفي البرّ عياض بن الحارث .

وفيهما اعتمر معاوية في رجب ، وحج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

وفيهما ولّى معاوية سعيد بن عثمان بلاد خراسان ، وعزل عنها عبيد الله بن زياد ، فسار سعيد إلى خراسان ، والتقى مع الترك عند صُغد سَمَرْقند ، فقتل منهم خلقاً كثيراً واستشهد معه جماعة منهم - فيما قيل - قُثم بن العباس بن عبد المطلب .

[قال ابن جرير : سأل سعيد بن عثمان بن عفّان معاوية أن يولّيه خراسان ، فقال : إنّ بها عبيد الله بن زياد ، فقال سعيد لمعاوية : أما لقد اصطنعك أبي ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا يُجارى ولا يُسامى ، فما شكرت بلاءه ، ولا جازيته بآلائه ، وقدّمت عليّ هذا - يعني : يزيد بن معاوية - وبايعت له ، ووالله لأنا خير منه أباً وأماً ونفساً . فقال له معاوية : أما بلاء أبيك عندي فقد يحقّ عليّ الجزاء به ، وقد كان من شكري لذلك أنّي طلبتُ بدمه حتى تكشّفت الأمور ، ولستُ بلائم لنفسي في التّشهير . وأما فضل أبيك على أبيه ، فأبوك خيرٌ مني وأقربُ برسول الله ﷺ . وأما فضل أمك على أمّه فما لا يُنكر ، فإنّ امرأةً من قريش خيرٌ من امرأة من كلب . وأما فضلك عليه ، فوالله ما أحبُّ أنّ الغوطة دُحِست ليزيد رجلاً مثلك - يعني أنّ الغوطة لو مُلئت رجلاً مثل سعيد بن عثمان كان يزيد خيراً وأحبّ إليّ منهم . فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ! ابنُ عمّك وأنت أحقُّ منْ نظر في أمره ، وقد عتبَ عليك فيّ فأعتبه . فولاه حرب خراسان ، فاتى سَمَرْقند ، فخرج إليه أهل الصُّغد من الترك ، فقاتلهم وهزمهم وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه وأعطوه رُهنًا خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم ، فأقام بالترمز ولم يف لهم ، وجاء بالغلمان الرُّهن معه إلى المدينة]^(٢) .

وفيهما دعا معاوية الناس إلى البيعة ليزيد ولده أن يكون وليّ عهده من بعده ، وكان قد عزم قبل ذلك على هذا في حياة المغيرة بن شعبة ، فروى ابن جرير^(٣) من طريق الشَّعبي : أنّ المغيرة كان قد قدم على معاوية واستعفاه من إمرة الكوفة ، فأعفاه لكبره وضعفه ، وعزم على توليتها سعيد بن العاص ، فلمّا بلغ ذلك المغيرة كأنه ندم ، فجاء إلى يزيد بن معاوية ، فأشار عليه أن يسأل من أبيه أن يكون وليّ العهد من بعده ، فسأل يزيد ذلك من أبيه ، فقال : مَنْ أمرك بهذا ؟ قال : المغيرة ، فأعجب ذلك معاوية من المغيرة ، وردّه إلى عمل الكوفة ، وأمره أن يسعى في ذلك ، فعند ذلك سعى المغيرة في توطيد ذلك ، وكتب معاوية إلى زياد يستشيريه في ذلك ، فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سمرة .

(٢) الخبر بكامله سقط من ب ، وهو في تاريخ الطبري (٣٠٥/٥ - ٣٠٦) .

(٣) في تاريخه (٣٠١/٥) وما بعدها .

والصَّيْد ، فبعث إليه من يثني رأيه عن ذلك وهو عبيد بن كعب التُّميري - وكان صاحباً أكيداً لزياد - فسار إلى دمشق ، فاجتمع بيزيد أولاً ، فكلمه عن زياد ، وأشار عليه بالألا يطلب ذلك [ولا يقبله] ^(١) فإنَّ تركه خير له من السَّعي فيه ، فانزجر يزيدُ عما يريد من ذلك ، ثم اجتمع بأبيه وأتفقا على ترك ذلك في هذا الوقت ، فلمَّا مات زياد وكانت هذه السنة شرَّع معاوية في نظم ذلك ليزيد والدعاء إليه ، وعقد البيعة لولده يزيد ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، فبايع له الناس في سائر الأقاليم إلَّا عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله ابن عمر ، والحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وابن عبَّاس ، فركب معاوية إلى مكة معتمراً ، فلما اجتاز بالمدينة - مرجعه من مكة - استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهدَّده بانفراده ، فكان من أشدهم عليه ردّاً وأجلدهم في الكلام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وكان أليَنهم كلاماً عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ثم خطب معاوية وهؤلاء الخمسة حضوراً تحت منبره ، وبايع الناس ليزيد وهم قعود ، لم يوافقوا ولم يُظهروا خلافاً لما تهدَّدهم وتوعَّدهم ، فاتَّسقت البيعة ليزيد في سائر البلاد ، وقدمت الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد ، فكان فيمن قدم الأحنفُ بن قيس ، فأمره معاوية أن يحدث يزيد ، فجلسا ، ثم خرج الأحنف ، فقال له معاوية : ماذا رأيتَ من ابن أخيك ؟ فقال : إنا نخاف الله إنَّ كذبنا ، ونخافكم إنَّ صدقنا ، وأنت أعلم به في ليله ونهاره ، وسرّه وعلايته ، ومدخله ومخرجه ، وأنت أعلم بما أردت ، وإنَّما علينا أن نسمع ونطيع ، وعليك أن تنصح للأمة .

وقد كان معاوية لمَّا صالح الحسن بن علي عهداً للحسن بالأمر من بعده ، فلمَّا مات الحسن قوي أمر يزيد عند معاوية ، ورأى أنه لذلك أهل ، وذاك من شدَّة محبة الوالد لولده ، ولما كان يتوسَّم فيه من التَّجاجة الدنيوية ، وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأبتهته ، وكان يظن أنه لا يقوم أحدٌ من أبناء الصحابة في هذا المعنى مقامه ، ولهذا قال لعبد الله بن عمر فيما خاطبه به : إني خفتُ أن أذر الرعيَّة من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع . فقال له ابن عمر : إذا بايعه الناس كلُّهم بايعته ولو كان عبداً حبشياً مجدَّع الأطراف .

وقد عاتب معاوية في ولايته يزيدَ سعيدُ بنُ عثمان بن عفَّان ، وطلب منه أن يوليَّه مكانه - يعني مكان ابنه يزيد - وقال له [سعيد فيما قال : إنَّ أبي لم يزل معتنياً بك حتى بلغت ذروة المجد والشرف ، وقد قدَّمتَ ولدك عليَّ وأنا خير منه أباً وأماً ونفساً . فقال له : أمَّا ما ذكرتَ من إحسان أهلك إليَّ فإنه أمر لا يُنكر ، وأمَّا كون أهلك خيراً من أبيه فحقّ ، وأمك قرشيَّة وأمه كلبية فهي خير منها ، وأمَّا كونك خيراً منه] ^(٢) فوالله لو مُلئت إلي الغوطة رجلاً مثلك لكان يزيدُ أحبَّ إليَّ منكم كلِّكم .

(١) من (أ) فقط .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في أ .

ورويانا عن معاوية أنه قال يوماً في خطبته : اللهمَّ إِنْ كُنْتَ تعلمُ أَنِي وَلِيَّتُهُ لَأَنَّهُ فِيما أراه أَهلَ لذلِكَ فَاتَمَّ لَهُ ما وَلِيَّتُهُ ، وَإِنْ كُنْتَ تعلمُ أَنِي إِنَّمَا وَلِيَّتُهُ لَأَنِّي أَحْبَبْتُهُ فَلَا تَتَمَّ لَهُ ما وَلِيَّتُهُ .

وذكر الحافظ ابن عساكر^(١) : أن معاوية كان قد سَمَرَ ليلة ، فتكلَّم أصحابه في المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فذكروا صفة المرأة التي يكون ولدها نجيباً ، فقال معاوية : وددتُ لو عرفتُ بامرأة تكون بهذه المثابة ؟! فقال أحد جلسائه : قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين . قال : ومن ؟ قال : ابنتي يا أمير المؤمنين . فترَوَّجها معاوية ، فولدت له يزيد بن معاوية ، فجاء نجيباً ذكياً حاذقاً . ثم خطب امرأة أخرى فحظيت عنده وولدت له غلاماً آخر ، وهجر أمُّ يزيد فكانت عنده في جنب داره ، فبينما هو في النظارة ومعه امرأته الأخرى إذ نظر إلى أمِّ يزيد وهي تسرَّحُ ، فقالت امرأته : قَبَّحَها الله وقَبَّحَ ما تسرَّح . فقال : ولم ؟ فوالله إنَّ ولدها لأنجبُ من ولدك ، وإن أحببتِ بَيِّنْتُ لك ذلك ، ثم استدعى ولدها فقال له : إنَّ أمير المؤمنين قد عَنَّ له أن يُطلِّق لك ما تتمناه عليه فاطلبُ مني ما شئت . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يُطلِّق لي كلاباً للصَّيد وخيلاً ورجالاً يكونون معي في الصَّيد . فقال معاوية : قد أمرنا لك بذلك . ثم استدعى يزيد فقال له كما قال لأخيه ، فقال يزيد : أو يعفيني أمير المؤمنين في هذا الوقت عن هذا ؟ فقال : لا بدَّ لك أن تسأل حاجتك ، فقال : أسأل - وأطال الله عمر أمير المؤمنين - أن أكون وليَّ عهده من بعده ، فإنه بلغني أنَّ عدل يومٍ في الرعيَّة كعبادة خمسمئة عام . فقال : قد أجبتك إلى ذلك . ثم قال لامرأته : كيف رأيت ؟ فعلمتُ وتحققتُ فضل يزيد على ولدها .

وقد ذكر ابن الجوزي في هذه السنة وفاة أمِّ حَرام بنتِ مِلْحان الأنصاريَّة امرأة عبادة بن الصامت ، والصحيح الذي لم يذكر العلماء غيره أنها توفيت سنة سبع وعشرين [في خلافة عثمان ، وكانت هي وزوجها]^(٢) مع معاوية حين دخل قبرص ، وقَصَّتْها^(٣) بغلَّتْها فماتت هناك ، وقبرها بقبرص . والعجب أن ابن الجوزي أورد في ترجمتها حديثها المخرَّج في « الصحيحين » في قيلولة النبي ﷺ في بيتها ورؤياه في منامه قوماً من أمته يركبون ثَبَج^(٤) البحر مثل الملوك على الأسرَّة غزاة في سبيل الله ، وأنها سألته أن يدعو لها أن تكون منهم ، فدعا لها ، ثم نام فرأى كذلك ، فقالت : ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : « لا ، أنت من الأوَّلِينَ »^(٥) وهم الذين فتحوا قبرص فكانت معهم وذلك في سنة سبع وعشرين ، ولم تكن من الآخرين الذين غزوا بلاد الروم سنة إحدى وخمسين مع يزيد بن معاوية [ومعهم أبو أيوب ، وقد توفي

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٨ / ٢٠) ضمن ترجمة يزيد .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) « وقصتها » : أوقعها وكسرت عنقها .

(٤) « ثبج البحر » : وسطه ومعظمه .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٧٨٨) ومسلم رقم (١٩١٢) .

هناك ، فقبيره قريب من سور القُسْطَنْطِينِيَّة . وقد ذكرنا هذا مقررًا في دلائل النبوة [١] .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

فيها كان مَشْتَى عبد الله بن قيس بأرض الروم .

قال الواقدي : وفي شَوَّالها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة ، وولَّى عليها الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان ، وهو الذي حجَّ بالناس في هذه السنة ، لأنه صارت إليه إمرة المدينة ، وكان على الكوفة الضحَّاك بن قيس ، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان سعيد بن عثمان .

قال ابن الجوزي : وفيها توفي عثمان بن حُنَيْف الأنصاريُّ الأوسي ، وهو أخو عبادة وسهل ابني حُنَيْف .

بعثه عمر لمساحة خَرَّاج السَّوَاد بالعراق ، واستنابه عمر على الكوفة ، فلَمَّا قدم طلحة والزبير صحبة عائشة ، وامتنع من تسليم دار الإمارة نُتِفَتْ لِحِيَّتُهُ وحواجِبُهُ وأشفأُ عَيْنِيهِ ومُثِّلَ به ، فلَمَّا جاء عليٌّ وسلَّمه البلد ، قال له : يا أمير المؤمنين فارقتك ذا لَحِيَّةٍ واجتمعت بك أمرد ، فتبسَّم علي رضي الله عنه وقال : لك أجرٌ ذلك عند الله .

وله في « المسند » و « السنن » حديث الأعمى الذي سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له ليردَّ الله عليه ضوء بصره ، فردَّه الله عليه (٢) . وله حديث آخر عند النسائي (٣) .

ولم أر أحداً أرَّخ وفاته بهذه السنة سوى ابن الجوزي ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

فيها غزا مالك بن عبد الله الخثعمي أرض الروم .

(١) ما بين حاصرتين ورد بدلاً عنه في أ : وقد تقدم هذا كله . وترجمة أم حرام في سير أعلام النبلاء (٣١٦/٢) والحديث مخرج هناك .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٨/٤) والترمذي (٣٥٧٨) في الدعوات ، والنسائي في الكبرى رقم (١٠٤٩٥) وابن ماجه (١٣٨٥) في إقامة الصلاة . . . كلهم من طريق عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن أبي جعفر المدني ، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، عن عثمان بن حنيف : « أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال : إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك . قال : فادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه بنبيك محمد نبي الرحمة . يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم فشفعه في » . وقال الترمذي : حسن صحيح وهو كما قال .

(٣) رواه النسائي في الكبرى رقم (٩٧٦٥) هو في النهي عن التصاوير .

وفيهما قُتل يزيد بن شَجَرَة في البحر . [وقيل : بل غزا البحر وبلاد الروم جُنادة بن أبي أمية . وقيل : إنما شتا بأرض الروم عمرو بن يزيد الجُهَني .

قال أبو معشر والواقدي ^(١) : وحجَّ بالناس فيها الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان .

وفيهما ولَّى معاوية الكوفة لعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي - ابن أمّ الحكم [وأمّ الحكم هي أخت معاوية - وعزل عنها الضحّاك بن قيس ، فولّى ابن أمّ الحكم ^(٢) على شرطته زائدة بن قدامة . وخرجت الخوارج في أيام ابن أمّ الحكم ، وكان رئيسهم في هذه الواقعة حَيّان بن ظَبْيَان السُّلمي ، فبعث إليهم جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً . ثم إن ابن أمّ الحكم أساء السيرة في أهل الكوفة ، فأخرجوه من بين أظهرهم طريداً ، فرجع إلى خاله معاوية ، فذكر له ذلك ، فقال : لأولينك مصراً خيراً منها ، فولّاه مصر ، فلمّا سار إليها تلقّاه معاوية بن حُديج ^(٣) على مرحلتين من مصر فقال له : ارجع إلى خالك معاوية ، فلعمري لا ندعك تدخلها فتسير فيها وفينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع ابن أمّ الحكم إلى معاوية ، ولحقه معاوية بن حُديج وافداً على معاوية ، فلمّا دخل عليه وجد عنده أخته أمّ الحكم - وهي أم عبد الرحمن الذي طرده أهل الكوفة وأهل مصر - فلمّا رآه معاوية قال : بخ بخ ، هذا معاوية بن حُديج ، فقالت أمّ الحكم : لا مَرَحَباً به ، تسمع بالمُعَيْدِي خيراً من أن تراه ^(٤) ، فقال معاوية بن حُديج : على رِسْلِكَ يا أمّ الحكم ، أما والله لقد تزوّجت فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ، فما كان الله ليريه ذلك ، ولو فعل لضربناه ضرباً يطأطي منه رأسه ، وإن كره ذلك الجالس - يعني معاوية - فالتفت إليها معاوية فقال : كُفّي .

قصة غريبة

ذكرها ابن الجوزي في كتابه « المنتظم » بسنده . وهو أنّ شاباً من بني عُذرة جرت له قصة مع ابن أمّ الحكم [وهو والٍ على الكوفة في هذه السنة] ^(٥) وملخصها : أنّ معاوية بينما هو يوماً على السَّمَاط ^(٦) إذا شاب من بني عُذرة قد مثل بين يديه ، فأنشده شعراً مضموناً التّشوّق إلى زوجته سعاد ، فاستدناه معاوية واستحكه عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إني كنت مزوّجاً بابنة عمّ لي ، وكان لي إبل وغنم ،

(١) ما بين حاصرتين سقط من آ . والخبر في تاريخ الطبري (٣٠٩/٥) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) تصحّف في غير موضع من الأصول إلى : خديج .

(٤) قولها : تسمع بالمُعَيْدِي . . . ، مثل يضرب لمن خبره خير من مرّاه . مجمع الأمثال للميداني (١٢٩/١ - ١٣١) .

(٥) ما بين حاصرتين من ب فقط .

(٦) في مختصر تاريخ دمشق : فوق بين السماطين . وسماط القوم : صفهم .

فأنفقت ذلك عليها ، فلما قلَّ ما بيدي رغب عني أبوها وشكاني إلى عاملك بالكوفة - ابن أمِّ الحكم - وبلغه جمالها ، فحبسني في الحديد ، وحملني على أن طلقْتُها ، فلما انقضت عدَّتُها أعطاه عاملك عشرة آلاف درهم فزوَّجه بها ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحزون الملهوف المكروب ، وسند المسلوب ، فهل من فرَج ؟ ثم بكى وأنشأ يقول :

والنَّارُ فيها شَرَارُ	في القلب مَنِّي نارُ
واللَّوْنُ فيه اصْفَرَارُ	والجسمُ مَنِّي نَحِيلُ
فَدَمْعُهَا مِذْرَارُ	والعينُ تبكي بِشَجْوِ
فيه الطَّيِّبُ يَحَارُ ^(١)	والحبُّ داءٌ عَسِيرُ
فما عليه اضطِبارُ	حُمِلْتُ فيه عَظِيمًا
ولا نهاري نهَارُ	فليس لي ليلى بَلِيلُ

قال : فرقَّ له معاوية ، وكتب إلى ابن أمِّ الحكم يؤثِّبه على ذلك ويعييه عليه ويأمره بطلاقها قولاً واحداً ، فلما جاءه كتاب معاوية تنفَّس الضَّعْداء وقال : وددتُ أن أمير المؤمنين خلَّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السَّيف ، وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولا تُجيبه نفسه . وجعل الرسول الذي ورد عليه بالكتاب يستحثُّه ، فطلقها وأخرجها عنه ، وسيرها مع الوفد إلى معاوية . فلما وقفت بين يديه رأى منظراً جميلاً ، فلما استنطقها فإذا أفصح الناس ، وأحلامهم كلاماً ، وأكملهم جمالاً ودلالاً ، فقال لابن عمِّها : يا أعرابي ! هل من سلُو عنها بأفضل الرَّغبة ؟ قال : نعم ، إذا فرقَّت بين رأسي وجسدي ، ثم أنشأ يقول :

لا تجعلني والأمثال تُضربُ بي	كالْمُسْتغِيثِ من الرَّمضاء بالنَّارِ
اردُّ سُعادَ على حَيْرانٍ مُكْتَبِ	يُمسي ويُصبحُ في همٍّ وتَذْكارِ
قد شَفَّه قَلْقُ ما مثله قَلْقُ	وأُسعر القلبُ منه أيَّ إِسْعارِ
والله والله لا أنسى محبَّتَها	حتى أُغَيَّبَ في رَمْسٍ وأحجارِ
كيف السُّلُو وقد هام الفؤادُ بها	وأصبحَ القلبُ عنها غيرَ صَبَّارِ

فقال معاوية : فإننا نخيرها بيني وبينك وبين ابن أمِّ الحكم ، فأنشأت تقول :

هَذَا وَإِنْ أَصْبَحَ فِي أَطْمَارِ^(٢) وكان في نقصٍ من اليَسَارِ

(١) ورد الشطر الأول من هذا البيت في النسخ المطبوعة كما يلي : والحب ذا عبر وهذا تحريف فظيع : إذ يختل المعنى ولا يستقيم الوزن .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : إطار . « والأطمار » : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق .

أَحَبُّ عِنْدِي مِنْ أَبِي وَجَارِي وَصَاحِبِ الدَّرْهِمِ وَالْدِّينَارِ
أَخْشَى إِذَا غَدَرْتُ حَرَّ النَّارِ

قال : فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم ومركب ووطاء ، ولما انقضت عدتها زوجه بها وسلمها إليه . حذفنا منها أشعاراً كثيرة مطوّلة^(١) .

وجرت في هذه السنة فصول طويلة بين عبيد الله بن زياد والخوارج ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً ، وحبس منهم آخرين ، وكان صارماً كأبيه مقدماً في أمرهم .

ذكر من توفي من الأعيان في هذا العام :

سعيد بن العاص^(٢) : ابن [سعيد بن العاص]^(٣) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي .

قتل أبوه يوم بدر كافراً ، قتله علي بن أبي طالب ، ونشأ سعيد في حجر عثمان بن عفان ، وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله ﷺ تسع سنين . وكان من سادات المسلمين والأجواد المشهورين . وكان جدّه سعيد بن العاص - ويكنى بأبي أحيحة^(٤) - رئيساً في قريش ، يقال له : ذو التاج ، لأنه كان إذا اعتّم لا يعتّم أحد يومئذ إعظماً له .

وكان سعيد هذا من عمّال عمر على السّواد ، وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته . قالوا : وكان أشبه الناس لهجة^(٥) برسول الله ﷺ . وكان في جملة الاثني عشر رجلاً [الذين يستخرجون

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٩/٢٥٠-٢٥٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣٠/٥) نسب قريش (١٧٦) تاريخ خليفة (١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، وغيرها) المحبر (٥٥ ، ١٥٠ ، ١٧٤) تاريخ البخاري الكبير (٥٠٢/٣) المعارف (٢٩٦ ، ٦١٤) المعرفة والتاريخ (٢٩٢/١) أنساب الأشراف (٤٣٣/٤) تاريخ الطبري (٢٩٣/٥) الجرح والتعديل (٤٨/٤) مشاهير علماء الأمصار (ت٤٤٦) الأغاني (٢٢٤/١٧) معجم الطبراني الكبير (٧٣/٦) جمهرة أنساب العرب (٨٠) الاستيعاب (٦٢١/٢) الجمع بين رجال الصحيحين (١٧٤/١) تاريخ ابن عساكر (٧/١٢٧/آ) أسد الغابة (٣٩١/٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢١٨/١/١) مختصر تاريخ دمشق (٣٠٥/٩) تهذيب الكمال (٥٠١/١٠) تاريخ الإسلام (٢٨٦/٢) العبر (٦٤/١) سير أعلام النبلاء (٤٤٤/٣) الكاشف (٢٢٨/١) تجريد أسماء الصحابة (١/٢٣٢٤) إكمال مغلطاي (٢/ورقة ٨٧) الوافي بالوفيات (٢٢٧/١٥) العقد الثمين (٥١٧/٤) نهاية السؤل (ورقة ١١٧) تهذيب التهذيب (٤٨/٤) الإصابة (٤٧/٢) خلاصة الخزرجي (١٣٩) شذرات الذهب (٢٦٨/١) تهذيب ابن عساكر (١٣٣/٦) .

(٣) سقط من (أ) و ط .

(٤) تحرفت في (أ) و ط إلى : أجنحة .

(٥) وقعت في الأصول : لحية وما أثبتته من مصادر ترجمته ، فقد أخرج ابن أبي داود في المصاحف (ص٢٤) عن سعيد ابن عبد العزيز أنه قال : إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ .

القرآن ويعلمونه ويكتبونه [١] منهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت . واستنابه عثمان على الكوفة بعد عزله الوليد بن عتبة ، فافتتح طبرستان وجرجان ، ونقض العهد أهل أذربيجان فغزاهم ففتحها ، ولما مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين ، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه ، فعتب عليه ، فاعتذر إليه ، فعذره . . . في كلام طويل جداً ، وولاه المدينة مرتين ، وعزله عنها مرتين بمروان بن الحكم . وكان سعيد هذا لا يسب علياً ، ومروان يسبه .

وروى عن النبي ﷺ ، وعن عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعائشة ، وعنه ابنه : عمرو بن سعيد الأشدق ، وأبو سعيد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم . وليس له في « المسند » ولا في الكتب الستة شيء .

وقد كان حسن السيرة ، جيد السيرة . وكان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير ، وكان يصرّ الصرر فيضعها بين يدي المصلين من ذوي الحاجات في المسجد .

قال ابن عساكر : وقد كانت له دار بدمشق تُعرف بعده بدار نعيم بنواحي الدیماس ، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات . وكان كريماً جواداً ممدحاً . ثم أورد شيئاً من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان : حدّثنا أبو سعيد الجعفي ، حدّثنا عبد الله بن الأجلح ، حدّثنا هشام بن عروة ، عن أبيه أن سعيد بن العاص قال : إن رسول الله ﷺ قال : « خيَارُكم في الإسلام خيَارُكم في الجاهليّة » (٢) . ومن طريق الزبير بن بكار : حدّثني رجل ، عن عبد العزيز بن أبان ، حدّثني خالد بن سعيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببُرْد فقالت : إني نويت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب ، فقال : « أعطيه هذا الغلام » يعني سعيد بن العاص ، وهو واقف ، فلذلك سميت الثياب السعيدية (٣) . وأنشد للفرزدق فيه :

تَرَى الْغُرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْخَطْبُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا

قِيَاماً يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هَلَالاً (٤)

وذكر أن عثمان عزل عن الكوفة المغيرة وولّاها سعيد بن العاص (٥) ، ثم عزله ووّلّى الوليد بن

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) أخرجه يعقوب في المعرفة والتاريخ (١/٢٩٢ - ٢٩٣) وابن عساكر في تاريخه (٩/٣٠٥) مختصره ، ومتن الحديث المشهور في هذا هو حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري (٣٤٩٦) ومسلم (٢٥٢٦) ، ولفظ البخاري : « والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا . . . إلخ » .

(٣) مختصر تاريخ دمشق (٩/٣٠٦) .

(٤) البيتان في ديوان الفرزدق (٦١٥ ، ٦١٨) ورواية البيت الأول فيه : إذا ما الأمر ذو الحدثان عالا . وفي سير أعلام النبلاء (٣/٤٤٥) تخريج موسع لهما .

(٥) وقع في المطبوع : سعيد بن أبي وقاص .

عُقبة^(١) ، ثم عزله وولّى سعيد بن العاص ، فأقام بها حيناً ، ولم تُحمد سيرته فيهم ولم يحبّوه ، ثم ركب مالك بن الحارث - وهو الأشتر النخعي - في جماعة إلى عثمان وسألوه أن يعزل عنهم سعيداً ، فلم يعزله ، وكان عنده بالمدينة ، فبعثه إليه ، وسبق الأشتر إلى الكوفة ، فخطب الناس وحثهم على منعه من الدخول إليهم ، وركب الأشتر في جيش يمنعوه من الدخول ، قيل : تلقّوه إلى العذيب ، وقد نزل سعيد بالرعدة^(٢) ، فمنعوه من الدخول إليهم ، ولم يزالوا به حتى ردّوه إلى عثمان ، وولّى الأشتر أبا موسى الأشعري على الصلاة والثغر ، وحذيفة بن اليمان على الفيء ، فأجاز ذلك أهل الكوفة وبعثوا إلى عثمان في ذلك ، فأمضاه وسرّه ذلك فيما أظهره ، ولكن هذا كان أول وهن دخل على عثمان . وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده بالدار ، ثم لمّا ركب طلحة والزبير مع عائشة من مكة يريدون قتلة عثمان ركب معهم ، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما ، فأقام بالطائف حتى انقضت تلك الحروب كلّها ، ثم ولّاه معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين ، وعزل مروان ، فأقام حيناً^(٣) ثم ردّ مروان .

وقال عبد الملك بن عمير : عن قبيصة بن جابر قال : بعثني زياد في شغل إلى معاوية ، فلما فرغت من أموري قلت : يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك ؟ فسكت ساعة ثم قال : يكون بين جماعة : أما كريم^(٤) قريش فسعيد بن العاص ، وأما فتى قريش حياءً ودهاءً وسخاءً فعبد الله بن عامر ، وأما الحسن^(٥) بن علي فرجل سيّد كريم ، وأما القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله الشديد في حدود الله فمروان بن الحكم ، وأما رجل فقيه فعبد الله بن عمر ، وأما رجل يرد الشريعة مع دواهي السباع ويروغ روغان الثعلب فعبد الله بن الزبير .

وروي أنه استسقى يوماً في بعض طرق المدينة ، فأخرج له رجل من داره ماءً فشرب ، ثم بعد حين رأى ذلك الرجل يعرض داره للبيع ، فسأل عنه لم يبيعه داره ؟ فقالوا : عليه دين أربعة آلاف دينار ، فبعث إلى غريمه فقال : هي لك عليّ ، وأرسل إلى صاحب الدار فقال : استمتع بدارك^(٦) .

وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد افتقر وأصابته فاقة شديدة ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا

(١) وقع في المطبوع : عتبة .

(٢) كذا في الأصول . والذي في مختصر تاريخ دمشق (٣٠٧/٩) وغيره من المصادر التاريخية : الجرعة بين الكوفة والحيرة . معجم البلدان (١٢٧/٢ - ١٢٨) .

(٣) كذا في أ ، ووقعت في ط : سبعاً ، وفي ب وم : خمسا .

(٤) في ب : كريمة ، وفي تاريخ أبي زرعة الدمشقي : كرمة .

(٥) كذا في الأصول ، وهو كذلك في تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٥٩٣/١) وقال محققه : المعروف أن الحسن بن علي تنازل عن الخلافة سنة ٤٠ هـ ، ولا شك أن المقصود أخوه الحسين .

(٦) مختصر تاريخ دمشق (٣١٣/٩ - ٣١٤) .

يوصف بكرم ، فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشيء ، فقال : ويحك ! لا تُخْلِقِي^(١) وجهي ، فالتحت عليه في ذلك ، فجاء فجلس إليه ، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً في مكانه ، فقال له سعيد : أظن جلوسك لحاجة ، فسكت [الرجل ، فقال سعيد لغلمانه : انصرفوا ، ثم قال له سعيد : لم يبقَ غيري وغيرك ، فسكت]^(٢) فأطفا المصباح ثم قال له : رحمك الله لست ترى وجهي فاذا كنت حاجتك ، فقال : أصلح الله الأمير ! أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت ، فقال له : إذا أصبحت فالتق وكيلى فلاناً ، فلما أصبح الرجل لقي الوكيل ، فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشيء فأت بمن يحمله معك ، فقال : ما عندي من يحمله ، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلامها وقال : حملتيني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله ، وما أراه أمر لي إلا بدقيق أو طعام ، ولو كان مالا لما احتاج إلى من يحمله ولأعطانيه . فقالت له المرأة : فمهما أعطاك فإنه يقوتنا فخذ ، فرجع الرجل إلى الوكيل ، فقال له الوكيل : إني أخبرتك الأمير أنه ليس لك أحد يحمله ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك ، فذهب الرجل أمامهم ، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ، فقال للغلمان : ضعوا ما معكم وانصرفوا ، فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك ، فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها . قال : فحسن حال ذلك الرجل .

وذكر ابن عساكر : أن زياد بن أبي سفيان بعث إلى سعيد بن العاص هدايا وأموالاً وكتاباً ذكر فيه أنه يخطب إليه ابنته أم عثمان من آمنة بنت جرير بن عبد الله البجلي ، فلما وصلت الهدايا والأموال والكتاب قرأه ، ثم فرّق الهدايا في جلسائه ، ثم كتب إليه كتاباً لطيفاً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ ﴿١﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ﴿٢﴾ [العلق : ٦ - ٧] والسلام .

وروي أن سعيداً خطب أم كلثوم بنت علي من فاطمة ، التي كانت تحت عمر بن الخطاب ، فأجابته إلى ذلك ، وشاورت أخويها ، فكرها ذلك - وفي رواية : إنما كره ذلك الحسين وأجاب الحسن - فهيأت دارها ، ونصبت سريراً ، وتواعدوا للكتاب ، وأمرت ابنها زيد بن عمر أن يزوجهما منه ، فبعث إليها بمئة ألف - وفي رواية : بمئتي ألف - مهراً ، واجتمع الناس عنده ليذهبوا معه ، فقال : إني أكره أن أخرج ابني^(٣) فاطمة ، فترك التزويج ، وأطلق جميع ذلك المال لها .

وقال ابن مَعِين وعبد الأعلى بن حماد : سأل أعرابي سعيد بن العاص ، فأمر له بخمسمئة ، فقال الخادم : خمسمئة درهم أو دينار ؟ فقال : إنما أمرتك بخمسمئة درهم ، وإذا قد جاش في نفسك أنها

(١) تحرفت في (أ) و(ط) إلى : تحلقي . وفي اللسان : أخلق الدهر الشيء : أبلاه . وكذلك أخلق السائل وجهه .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من آ ، وسقط بعضه من ب .

(٣) في بعض النسخ : أُمِّي .

القوم ، فقال معاوية : انهضوا فقد عزلته عنكم فاطلبوا والياً ترضونه ، فمكثوا أياماً يترددون إلى أشراف بني أمية يسألون كل واحد منهم أن يتولّى عليهم ، فلم يقبل أحد منهم ذلك . ثم جمعهم معاوية فقال : من اخترتم ؟ فاختلفوا عليه والأحنف ساكت ، فقال له معاوية : مالك لا تتكلّم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن وليت علينا من أهل بيتك فإننا لا نعدل بعبيد الله بن زياد أحداً ، وإن وليت علينا من غيرهم فانظر لنا في ذلك ، فقال معاوية : قد أعدته إليكم . ثم إن معاوية أوصى عبيد الله بن زياد بالأحنف خيراً ، وقبّح رأيه في مبادئه ، فكان الأحنف بعد ذلك من أخص أصحاب عبيد الله ، ولما وقعت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف بن قيس .

قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري مع ابني زياد : عبيد الله وعبد

ذكر ابن جرير^(١) عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وغيره : أن هذا الرجل كان شاعراً وكان مع عبّاد بن زياد بسجستان ، فاشتغل عنه بحرب الترك ، وضاق على الناس علف الدواب ، فقال ابن مفرغ شعراً يهجو به ابن زياد على ما كان منه فقال :

أَلَا لَيْتَ اللَّحَى كَانَتْ حَشِيشاً فَتَغْلِفُهَا خِيُولُ الْمُسْلِمِينَ

وكان عبّاد بن زياد عظيم اللحية كبيرها جداً ، فبلغه ذلك ، فغضب وتطلّبه ، فهرب منه وقال فيه قصائد يهجو به كثيرة ، فمن ذلك قوله :

إِذَا أَوْدَى مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ فَبَشَّرَ شَعْبَ قَعْبِكَ بِانْصِدَاعِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ أَمْلَكَ لَمْ تُبَاشِرْ أَبَا سُفْيَانَ وَاضْعَةَ الْقِنَاعِ
وَلَكِنْ كَانَ أَمْرًا فِيهِ لَبَسٌ عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَارْتِيَاعِ

وقال أيضاً :

أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَغَلَةً مِنَ الرَّجُلِ الْيَمَانِي
أَتَغَضِبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانِي
فَأَشْهَدُ أَنَّ رَحِمَكَ مِنْ زِيَادٍ كَرَحِمِ الْفِيلِ مِنْ وَلَدِ الْأَثَانِ

فكتب عبّاد بن زياد إلى أخيه عبيد الله وهو وافد على معاوية بهذه الأبيات ، فقرأها عبيد الله على معاوية واستأذنه في قتله ، فقال : لا تقتله ولكن أدبه ولا تبلغ به القتل . فلما رجع عبيد الله إلى البصرة استحضره ، وكان قد استجار بوالد زوجة عبيد الله بن زياد وهو المُنذر بن الجارود ، وكانت ابنته بجرية

(١) في تاريخه (٥/٣١٧-٣٢١) .

قال : فلما قال الحُطَيْيَّةُ : ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ، بكى عمر ، فقال عمرو بن العاص : ما أظَلَّت الخضرَاء ولا أَقَلَّت الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحُطَيْيَّة . ثم ذكر أنه أراد قطع لسان الحُطَيْيَّة لثلاً يهجو به الناس ، فأجلسه على كرسي وجيء بالموسى ، فقال الناس : لا يعود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه قل : لا أعود ، فقال له عمر : النَّجَاء ، فلَمَّا وَلَّى قال له عمر : ارجع يا حُطَيْيَّة ، فرجع ، فقال له : كأنني بك عند شاب من قريش قد كَسَرَ لك نُمُرْقَةَ^(١) وبَسَطَ لك أخرى وقال : يا حُطَيْيَّة غَنَّا ، فاندفعت تغنيه بأعراض الناس . قال أسلم : فرأيت الحُطَيْيَّة بعد ذلك عند عبيد الله بن عمر وقد كَسَرَ له نُمُرْقَةَ وبَسَطَ له أخرى وقال : يا حُطَيْيَّة غَنَّا ، فاندفع حُطَيْيَّة يغني ، فقلت له : يا حُطَيْيَّة ! أتذكر يوم عمر حين قال لك ما قال ؟ ففزع وقال : رحم الله ذلك المرء ، لو كان حيًّا ما فعلنا هذا ، فقلت لعبيد الله : إني سمعت أباك يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل .

وقال الزبير : حدَّثني محمد بن الضحَّاك عن أبيه قال : قال عمر للحُطَيْيَّة : دع قول الشعر ، قال : لا أستطيع ، قال : لم ؟ قال : هو مأكلة عيالي وعلة لساني ، قال : فدع المِدْحة المُجْحفة ، قال : وماهي يا أمير المؤمنين ؟ قال : تقول : بنو فلان أفضل من بني فلان ، امدح ولا تفضِّل ، فقال : أنت أشعر مني يا أمير المؤمنين .

ومن مديحه الجيّد المشهور قوله :

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ من اللّؤم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدَّروها ولا كدُّوا^(٢)

قالوا : ولما احتضر الحُطَيْيَّة قيل له : أوص ، قال : أوصيكم بالشعر ، ثم قال :

الشَّعر صَعْبٌ وطويلٌ سُلْمَةٌ إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلَمُهُ
زَلَّتْ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُهُ والشَّعر لا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ^(٣)

قال أبو الفرج ابن الجوزي في « المنتظم » : توفي الحطية في هذه السنة . وذكر أيضاً فيها وفاة عبد الله بن عامر بن كُريز ، وقد تقدّم في التي قبلها .

(١) « النمرقة » : الوسادة الصغيرة .

(٢) ديوان الحطية (ص ١٤٠) .

(٣) ديوان الحطية (ص ٣٥٦) ضمن وصية أدبية ظريفة .

وخدم رسول الله ﷺ عشر سنين .

وثبت في « صحيح البخاري »^(١) عن أنس قال : كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير .

وحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض الغزوات ، واستعمله على الصدقة .

ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ، فأصابهم ذلك الجهد الكثير ، فنحر لهم قيس بن سعد تسع جزائر ، حتى وجدوا تلك الدابة على سيف البحر ، فأكلوا منها وأقاموا عليها شهراً حتى سموا .

وكان قيس سيّداً مطاعاً كريماً ممدّحاً شجاعاً .

ولاه علي نيابة مصر ، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص ، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله [علي]^(٢) عن مصر وولّى عليها محمد بن أبي بكر الصديق ، فاستخفّه معاوية ولم يزل حتى أخذ منه مصر كما قدمنا . وأقام قيس عند عليّ فشهد معه صفّين والنهر وان ولزمه حتى قُتل ، ثم صار إلى المدينة ، فلما اجتمعت الكلمة على معاوية جاءه لبياعه كما بايعه أصحابه .

قال عبد الرزاق : عن ابن عُيينة قال : قدم قيس بن سعد على معاوية ، فقال له معاوية : وأنت يا قيس تُلجِمُ عليّ مع من ألحم ؟! أما والله لقد كنتُ أحبُّ ألا تأتيني هذا اليوم إلّا وقد ظفر بك ظفر من أظفاري مُوجع ، فقال له قيس : وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأحييك بهذه التحية ، فقال له معاوية : ولم ؟ وهل أنت إلّا خبرٌ من أخبار يهود ؟ فقال له قيس : وأنت يا معاوية كنتَ صنماً من أصنام الجاهلية ، دخلت في الإسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً ، فقال معاوية : اللهم غفراً ، مدّ يدك ، فقال له قيس بن سعد : إن شئت زدت وزدت .

وقال موسى بن عقبة : قالت عجوز لقيس : أشكو إليك قلة فأر بيتي ، فقال قيس : ما أحسن هذه الكناية ! املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً^(٣) .

وقال غيره : كانت له صحيفة^(٤) يُدار بها حيث دار ، وكان ينادي له منادٍ : هلمّوا إلى اللحم والثريد . وكان أبوه وجدّه من قبله يفعلان كفعله .

(١) رقم (٧١٥٥) في الأحكام .

(٢) سقط من أ. والخبر في حسن المحاضرة (١/ ٥٨٢ - ٥٨٣) .

(٣) العقد الفريد (١/ ٢٥٦) .

(٤) « الصحيفة » : الجفنة والقصة .

وقال عروة بن الزبير : باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً ، فقدم المدينة فنادى مناديه : من أراد القرض فليأت ، فأقرض منها خمسين ألفاً ، وأطلق الباقي ، ثم مرض بعد ذلك فقلَّ عَوَّاده ، فقال لزوجته قُريية بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصديق : إني أرى قلة عَوَّادي في مرضي هذا ، وإني لأرى ذلك من أجل مالي على الناس من القرض ، فبعث إلى كل رجل مَمَّن كان له عليه دَيْن بصكِّه المكتوب عليه ، فوهبهم ماله عليهم . [وقيل : إنه أمر مناديه فنادى : من كان لقيس بن سعد عليه دَيْن فهو منه في حلٍّ ، فما أمسى حتى كُسرت عتبة بابه من كثرة العَوَّاد]^(١) . وكان يقول : اللهم ارزقني مالاً وفَعَالاً ، فإنه لا تصلح الفَعَال إلا بالمال^(٢) .

وقال سفيان الثوري : اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً ، فلما جاء ليوفيه إياها قال له قيس : إنا قومٌ ما أعطينا أحداً شيئاً فَنرجع فيه .

وقال الهيثم بن عديّ : اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم ، فقال أحدهم : عبد الله بن جعفر ، وقال الآخر : قيس بن سعد ، وقال الآخر : عَرَابَةُ الأوسي . فتمارَوْا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة ، فقال لهم رجل : فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره ، فليُنظر ما يعطيه ، وليحكم على العيان . فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه ، فوجده قد وضع رجله في الغَرَز^(٣) ليذهب إلى ضيعة له ، فقال له : يا بن عمِّ رسول الله ! ابنُ سبيل ومُنْقَطَع به . قال : فأخرج رجله من الغَرَز وقال : ضع رجلك واستَوِ عليها فهي لك بما عليها ، وخُذْ ما في الحقيبة ، ولا تخدعن السَّيف فإنه من سيوف علي . فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة ، وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار ، ومطارف وخزّ وغير ذلك ، وأجلُّ ذلك سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ومضى صاحب قيس بن سعد إليه ، فوجده نائماً ، فقالت له الجارية : ما حاجتك إليه ؟ قال : ابنُ سبيل ومُنْقَطَع به ، قالت : فحاجتك أيسرُ من إيقاظه ، هذا كيس فيه سبعمئة دينار ، ما في دار قيس مال غيره اليوم ، واذهب إلى مولانا في مَعَاظِن الإبل^(٤) فخذ لك ناقةً وعبدًا واذهب راشداً . فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت ، فأعتقها [شكراً على صنيعها ذلك]^(٥) وقال : هلاً أيقظتيني حتى أُعطيه ما يكفيه ، فلعلَّ الذي أُعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته . وذهب صاحب عَرَابَةِ الأوسي إليه ، فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوَكَّأ على عبدَيْن له - وكان قد كُفَّ بصره - فقال له : يا عَرَابَةُ ، فقال : قل ، فقال : ابنُ سبيل ومُنْقَطَع به ، قال : فخلَّى عن العبدَيْن ، ثم صفَّق بيده اليمنى على اليسرى ، ثم قال :

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) تاريخ ابن عساكر (١٤/٢٢٩ ب) .

(٣) «الغرز»: الركاب من الجلد .

(٤) «معاظن الإبل» : مبركها حول الحوض .

(٥) سقط من ب .

وقد تقدم أن محمد بن أبي حذيفة كان قد تغلب على مصر وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبي سرح - نائب عثمان بعد عمرو بن العاص - فأقره عليّ مدة يسيرة ، ثم عزله بقيس بن سعد ، فلما دخلها سار فيها سيرة حسنة وضبطها ، وذلك سنة ست وثلاثين ، فثقل أمره على معاوية وعمرو بن العاص ، فكاتباه ليكون معهما على علي ، فامتنع وأظهر للناس مُناصحتَهُ لهما ، وفي الباطن هو مع علي ، فبلغ ذلك عليّاً ، فعزله وبعث إلى مصر الأشتر التّخعي [فمات]^(١) الأشتر في الرملة قبل أن يصل إليها ، فبعث علي محمد بن أبي بكر ، فخفّ أمره على معاوية وعمرو ، فلم يزالا حتى أخذاه منه الديار المصرية ، وقتل محمد بن أبي بكر هذا وأُحرق في جيفة حمار . ثم سار قيس إلى المدينة ، ثم صار إلى علي بن أبي طالب بالكوفة ، فكان معه في حروبه حتى قُتل علي ، ثم كان مع الحسن بن علي حين سار إلى معاوية ليقاتله ، فكان قيس على مقدمة الجيش ، فلما بايع الحسن معاوية ساء قيساً ذلك وما أحبه ، وامتنع من طاعته معاوية ، ثم ارتحل إلى المدينة ، ثم قدم على معاوية في وفد الأنصار ، فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما وكلام فيه غلظة ، ثم أكرمه معاوية وقَدّمه ، وحظي عنده .

وبينما هو مع الوفود عند معاوية إذ قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه : أن ابعث إليّ بسرًاويل أطول رجل من العرب ، فقال معاوية : ما أرانا إلّا قد احتجنا إلى سراويلك - وكان قيس مديد القامة جدًّا - فقام قيس فتنحّى ثم خلع سراويله فألقاها إلى معاوية ، فقال له معاوية : لو ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا ، فأنشأ قيس يقول عند ذلك :

أردتُ بها كي يعلمَ الناسُ أنّها	سَراويلُ قيسٍ والوفودُ شُهُودُ
وأنّ لا يقولوا غابَ قيسٌ وهذه	سَراويلُ عاديٍّ نَمَتْهُ ثُمُودُ
وإنّي منَ الحيّ اليَماني لَسَيِّدُ	وما النَّاسُ إلّا سيِّدٌ ومَسُودُ
فكِدْهُمْ بمثلي إنّ مثلي عليهمُ	شديدٌ وخَلْقِي في الرِّجالِ مَدِيدُ
وفَضَّلَنِي في النَّاسِ أصلٌ ووالدُ	وباعُ به أعلو الرِّجالِ مَدِيدُ

قال : فأمر معاوية أطول رجل في الوفد فوضعها على أنفه ، فوقفت بالأرض^(٢) .

وفي رواية : أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم ، والآخر أطول الروم ، فانظر هل في قومك من يفوقهما في قوة هذا وطول هذا ؟ فإن كان في قومك من يفوقهما بعثتُ إليك من الأسارى كذا وكذا ومن التحف كذا وكذا ، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول

(١) سقطت من المطبوع .

(٢) الخبر بطوله في تاريخ ابن عساكر (٢٣٢/١٤) وأيضاً، مختصره (١١٣/٢١) والسير (١١٢/٣) .

منهما فهادني ثلاث سنين . فلما حضرا عند معاوية قال : من لهذا القوي ؟ فقالوا : ماله إلا أحد رجلين : إما محمد ابن الحنفية ، أو عبد الله بن الزبير ، فجاء بمحمد ابن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب ، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية : أتعلم فيم أرسلت إليك ؟ قال : لا ، فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه ، فقال للرومي : إما أن تجلس لي أو أجلس لك ، وتناولني يدك أو أناولك يدي ، فأينا قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه ، وإلا فقد غلب . فقال له : ماذا تريد ، تجلس أو أجلس ؟ فقال له الرومي : بل اجلس أنت ، فجلس محمد ابن الحنفية وأعطى الرومي يده ، فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ، ولا وجد إليه سبيلاً ، فغلب الرومي عند ذلك ، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب . ثم قام محمد ابن الحنفية فقال للرومي : اجلس لي ، وأعطى محمداً يده ، فما أمهله أن أقامه سريعاً ، ورفع في الهواء ثم ألقاه على الأرض ، فسُرَّ بذلك معاوية سروراً عظيماً .

ونهض قيس بن سعد ، فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله ، وأعطاهما لذلك الرومي الطويل ، فلبسها فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخطُّ بالأرض ، فاعترف الروم بالغلب . وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية . وعاتب الأنصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بحضرة الناس ، فقال ذلك الشعر المتقدم معتذراً به إليهم ، وليكون ذلك ألزم للحجة التي تقوم على الروم وأقطع لما حاولوه^(١) .

وروى الحميدي ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : كان قيس بن سعد رجلاً ضخماً جسيماً ، صغير الرأس ، [ليست]^(٢) له لحية في ذقنه ، وكان إذا ركب الحمار العالي خطت رجلاه بالأرض .

وقال الواقدي^(٣) وخليفة بن خياط^(٤) وغير واحد : توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية . وذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، فتبعناه في ذلك .

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١٢٩٣) : خبره في السراويل مع معاوية كذب وزور مختلق ليس له إسناد ، ولا يشبه أخلاق قيس ولا مذهبه في معاوية ، ولا سيرته في نفسه ونزاهته ، وهي حكاية مفتعلة وشعر مزور ، والله أعلم .

(٢) سقطت من النسخ جميعاً ، وقد أثبتتها من ترجمته في المصادر . قال ابن الأثير في أسد الغابة (٤/٤٢٦) وكان ليس في وجهه لحية ولا شعرة ، فكانت الأنصار تقول : ودنا أن نشترى لقيس لحية بأموالنا . وكان مع ذلك جميلاً .

(٣) طبقات ابن سعد (٦/٥٣) .

(٤) طبقاته (ص ٩٧) .

وروي عنه أنه قال : وجدتُ هريرة وحشيّة ، فأخذت أولادها ، فقال لي أبي : ما هذه في حركك ؟ فأخبرته ، فقال : أنت أبو هريرة .

وثبت في « الصحيح »^(١) أن رسول الله ﷺ قال له : « أبا هرّ » . وثبت أنه قال له^(٢) : « يا أبا هريرة » . قال محمد بن سعد وابن الكلبي والطبراني : اسم أمّه ميمونة بنت صفيح^(٣) بن الحارث بن أبي صعب بن هبة^(٤) بن سعد بن ثعلبة . أسلمت وماتت مسلمة .

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيّب ، وكان من حفاظ الصحابة ، وروى عن أبي بكر ، وعمر ، وأبي بن كعب ، وأسامة بن زيد ، وبصرة بن أبي بصرة^(٥) ، والفضل بن العباس ، وكعب الأحمار ، وعائشة أم المؤمنين .

وحدث عنه خلائق من أهل العلم قد ذكرناهم مرتبين على حروف المعجم في « التكميل » كما ذكره شيخنا في « تهذيبه » .

قال البخاري : روى عنه نحو من ثمانمئة رجل أو أكثر من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين وغيرهم . وقال عمرو بن علي الفلاس : كان ينزل المدينة ، وكان إسلامه سنة خيبر .

وقال الواقدي : وكان له بذي الحليفة دار .

وقال غيره : كان آدم اللون ، بعيد ما بين المنكبين ، ذا ضفيرتين ، أفرق^(٦) الشَّيْتَيْن .

وقال أبو داود الطيالسي وغير واحد : عن أبي خلدة خالد بن دينار ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة قال : لما أسلمت قال رسول الله ﷺ : « ممّن أنت ؟ » فقلت : من دؤس ، فوضع يده على جبهته وقال : « ما كنتُ أرى أنّ في دؤسٍ رجلاً فيه خيرٌ »^(٧) .

وقال الزهري : عن سعيد ، عن أبي هريرة قال : شهدت مع رسول الله ﷺ خيبر .

وروى عبد الرزاق ، عن سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : قال أبو هريرة : جئت يوم خيبر بعدما فرغوا من القتال .

(١) صحيح البخاري (٦٢٤٦) في الاستئذان .

(٢) صحيح مسلم (٣١) (٥٢) في الإيمان و(١٧٨٠) (٨٦) في الجهاد والسير .

(٣) في آ: صبيح وهذا صحيح أيضاً . وترجمتها في أسد الغابة (٧/ ٢٧٥) .

(٤) في طبقات ابن سعد : هنية .

(٥) تحرف في الأصول إلى : نضرة بن أبي نضرة .

(٦) في المطبوع : أقرن .

(٧) رواه الترمذي رقم (٣٨٣٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا سعيد بن أبي مریم ، حدثنا الدَّرَاوَزْدِي قال : حَدَّثَنِي حُثَيْمُ بْنُ عَرَكَ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعُ بْنُ عُرْفُطَةَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا^(٢) فَصَلَّيْتُ الصُّبْحَ وَرَاءَ سِبَاعٍ ، فَقَرَأَ فِي السَّجْدَةِ الْأُولَى سُورَةَ مَرْيَمَ ، وَفِي الثَّانِيَةِ ﴿وَبِلِّالٍ الْمُطْفِفِينَ﴾ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَيْلٌ لِأَبِي فَلَانٍ - لِرَجُلٍ كَانَ بِأَرْضِ الْأَزْدِ ، وَكَانَ لَهُ مَكِيلَانِ : مَكِيلٌ يَكِيلُ بِهِ لِنَفْسِهِ ، وَمَكِيلٌ يَبْخُسُ بِهِ النَّاسَ^(٣) .

وقد ثبت في « صحيح البخاري » أنه ضلَّ غلام له في الليلة التي اجتمع في صبيحتها برسول الله ﷺ وأنه جعل ينشد :

يَالَيْلَةَ مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَّتِ

فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له : « هذا غلامك » فقال : هو حرٌّ لوجه الله عزَّ وجلَّ^(٤) .

وقد لزم أبو هريرة رسول الله ﷺ فلم يفارقه في حضر ولا سفر ، وكان أحرص شيء على سماع الحديث منه وتفهمه عنه . وكان يلزمه على شبع بطنه .

وقال أبو هريرة - وقد تمخَّط يوماً في قميص عليه من كتان : بَخْ بَخْ^(٥) ، أبو هريرة يتمخَّط في الكتان ! لقد رأيته أخضر فيما بين المنبر والمحراب من الجوع ، فيمضُّ الماء فيقول : به جنون ، وما بي إلا الجوع ، والله الذي لا إله إلا هو لقد كنتُ أعتمدُ بكبدي على الأرض من الجوع ، وأشدُّ الحاجر على بطني من الجوع ، ولقد كنتُ أستقرئ أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه وما بي إلا أن يستبعني إلى منزله فيطعمني شيئاً^(٦) . وذكر حديث اللبن مع أهل الصفة كما قدَّمناه في « دلائل النبوة » .

وقال الإمام أحمد^(٧) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ^(٨) ، حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ - وَهُوَ

(١) في المطبوع : خيثم عن ، خطأ .

(٢) في المطبوع : فهاجروا ، خطأ .

(٣) وهو حديث حسن . وهو في المعرفة والتاريخ (١٦٠/٣) وسير أعلام النبلاء (٥٨٩/٢) .

(٤) أخرجه البخاري رقم (٢٥٣١) في العتق : باب إذا قال لعبده : هو لله ، ونوى العتق . وأحمد في مسنده (٢٨٦/٢) .

(٥) « بَخْ بَخْ ، وبخ بخ » : يقال عند تعظيم الإنسان لشيء أو تعجبه منه .

(٦) أخرجه بنحوه مختصراً ، البخاري رقم (٧٣٢٤) والترمذي (٢٣٦٧) في الزهد ، وابن سعد في طبقاته (٣٢٦/٤) - (٣٢٧) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٩٠/٢ - ٥٩١) .

(٧) في مسنده (٣١٩/٢ - ٣٢٠) .

(٨) تحرف في (أ) و(ط) إلى : عامر .

حديثاً كثيراً فأنساه ، فقال : « ابسط رداءك » فبسطته ، ثم قال : « ضمه » فضمته ، فما نسيته حديثاً بعد . رواه البخاري^(١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ والله الموعد ، إني كنت امرأ مسكيناً أصحاب رسول الله ﷺ على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصَّفْقُ في الأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فحضرت من رسول الله ﷺ يوماً مجلساً فقال : « من بسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني » فبسطت بردة عليّ حتى قضى مقالته ثم قبضتها إليّ ، فوالذي نفسي بيده ما نسيته شيئاً سمعته منه^(٢) .

وقد رواه ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة . وله طرق آخر عنه .

وقد قيل : إن هذا كان خاصاً بتلك المقالة ، لم ينس منها شيئاً ، بدليل أنه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرّح به في الصحيح ، حيث نسي حديث « لا عدوى ولا طيرة » مع حديثه « لا يؤرد ممرض على مضج »^(٣) . وقيل : إن هذا كان عاماً في تلك المقالة وغيرها ، والله أعلم .

وقال الدراوردي : عن عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة أنه قال : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : « لقد ظننت - يا أبا هريرة - أن أحداً لا يسألني عن هذا الحديث أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه »^(٤) .

ورواه البخاري^(٥) من حديث عمرو بن أبي عمرو به .

وقال ابن أبي ذئب : عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة أنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين : فأما أحدهما فبثته في الناس ، وأما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم . رواه البخاري^(٦) من حديث ابن أبي ذئب . ورواه غير واحد عن أبي هريرة .

(١) رقم (١١٩) في العلم ، باب حفظ العلم .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٢٤٠) والبخاري رقم (٧٣٥٤) ومسلم (٢٤٩٢) (١٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري رقم (٥٧٧١) في الطب : باب لا هامة . . . ، ومسلم (٢٢٢١) في السلام : باب لا عدوى ولا طيرة . وأورده ابن القيم في زاد المعاد (٤/١٤٩) وفيه كلام مفيد .

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٨٢٥) وإسناده جيد .

(٥) رقم (٩٩) في العلم : باب الحرص على الحديث ورقم (٦٥٧٠) في الرقاق .

(٦) رقم (١٢٠) في العلم : باب حفظ العلم .

وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم وماوقع بين الناس من الحروب والقتال ، وماسيقع ، التي لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه وردوا ما أخبر به من الحق ، كما قال : لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم وتقتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني . وقد يتمسك بهذا الحديث طوائف من أهل الأهواء والبدع الباطلة ، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو هريرة ، ويعتقدون أن ما هم عليه كان في هذا الجراب الذي لم يخبر به أبو هريرة ، وما من مُبطل مع تضاد أقوالهم إلا وهو يدعي هذا ، وكلهم يكذبون ، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه من بعده ؟! وإنما الذي فيه شيء من الفتن والملاحم ، قد أخبر بها هو وغيره من الصحابة مما ذكرناه ومما سنذكره في كتاب الفتن والملاحم .

وقال حماد بن زيد : حدثنا عمرو بن عبيد الأنصاري ، حدثنا أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم : أن مروان دعا أبا هريرة ، وأقعده^(١) خلف السرير ، وجعل مروان يسأل وجعلت أكتب ، حتى إذا كان رأس الحول دعا به وأقعده من وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدّم ولا أخر^(٢) .

وروى أبو بكر بن عيَّاش وغيره ، عن الأعمش ، عن أبي صالح قال : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن بأفضلهم^(٣) .

وقال الربيع : قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره^(٤) .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول قال : تواعد الناس ليلة من الليالي إلى قُبّة من قباب معاوية ، فاجتمعوا فيها ، فقام فيهم أبو هريرة ، فحدثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح^(٥) .

وقال سفيان بن عُيينة : عن عمرو^(٦) ، عن وهب بن منبه ، عن أخيه همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب^(٧) .

(١) يعني أقعد كاتبه أبا الزعيزعة .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٥١٠/٣) .

(٣) تاريخ ابن عساكر مختصره (١٩٠/٢٩) .

(٤) تاريخ ابن عساكر مختصره (١٩١/٢٩) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) تحرف في (أ) و(ط) إلى : معمر ، وعمرو : هو ابن دينار المكي .

(٧) أخرجه البخاري رقم (١١٣) في العلم : باب كتابة العلم . وللأستاذ شعيب الأرناؤوط تعليق مفيد عليه في سير أعلام النبلاء (٥٩٩/٢) .

وقال أبو زرعة الدمشقي : حدثني محمد بن زرعة الرُّعَيْنِي ، حدثنا مروان بن محمد ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن إسماعيل بن عبيد^(١) الله ، عن السَّائِب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض [دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتترك الحديث أو لألحقنك بأرض]^(٢) القِرْدَة . قال أبو زرعة : وسمعت أبا مُشْهَر يذكر عن سعيد بن عبد العزيز نحوه ولم يسنده^(٣) .

وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد يضعها الناس على غير مواضعها [وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرُّخص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه ، أو نحو ذلك]^(٤) .

وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في التحديث ، فقال مسدد : حدثنا خالد الطحَّان ، حدثنا يحيى بن عبيد^(٥) الله ، عن أبي هريرة قال : بلغَ عمرَ حديثي ، فأرسل إليَّ ، فقال : كنتَ معنا يوم كُنا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان ؟ قال : قلتُ : نعم ، وقد علمتُ لمَ تسألني عن ذلك ؟ قال : ولمَ سألتُك ؟ قلتُ : إن رسول الله ﷺ قال يومئذ : « مَنْ كَذَبَ [عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قال : أما إذا فاذهب فحدث .

وقال [٦] الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - حدثنا عاصم بن كليب ، حدثني أبي قال : سمعت أبا هريرة يقول - وكان يتدلى حديثه بأن يقول : قال رسول الله ﷺ الصادق المصدوق : « مَنْ كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »^(٧) .

وروي مثله من وجه آخر عنه .

وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب ، عن محمد بن عجلان : أن أبا هريرة كان يقول : إني لأحدث أحاديث لو تكلمتُ بها في زمان عمر - أو عند عمر - لشجَّ رأسي^(٨) .

(١) تحرف في المطبوع إلى : عبد .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٥٤٤) .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٥) تحرف في المطبوع إلى : عبد . ويحيى هو ابن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمي ، من الضعفاء المتروكين ، وأبوه عبيد الله لم يوثقه غير ابن حبان . والخبر في تاريخ ابن عساكر (١٩/ ١١٧/ ب) .

(٦) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٧) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤١٣) وإسناده قوي .

(٨) رجاله ثقات ، إلا أنه منقطع ، لأن ابن عجلان لم يسمع من أبي هريرة .

وقال صالح بن أبي الأخضر : عن الزهري ، عن أبي سلمة : سمعت أبا هريرة يقول : ما كنا نستطيع أن نقول : قال رسول الله ﷺ ، حتى قبض عمر^(١) .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري قال : قال عمر : أفلوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلا فيما يعمل به . قال : ثم يقول أبو هريرة : أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي ؟ أما والله إذا لأيقنت أن المخففة^(٢) ستباشر ظهري . [فإن عمر كان يقول : اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله ، ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له : إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دوي بالقرآن كدوي النحل ، فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالأحاديث ، وأنا شريكك في ذلك . وهذا معروف عن عمر رضي الله عنه]^(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن ابن عمر : أنه مرّ بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ تَبَعَ جَنَازَةً فَصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قَبْرٌ ، فَإِنْ شَهِدَ دَفَنَهَا فَلَهُ قَبْرٌ ، الْقَبْرُ أَكْبَرُ مِنْ أَحَدٍ » فقال له ابن عمر : أبا هريرة انظر ما تحدث عن رسول الله ﷺ ، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها : يا أم المؤمنين أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ تَبَعَ جَنَازَةً فَصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قَبْرٌ ، فَإِنْ شَهِدَ دَفَنَهَا فَلَهُ قَبْرٌ » ؟ فقالت : اللهم نعم . فقال أبو هريرة : إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ [غرس الودي^(٤)] ولا صفق بالأسواق ، إني إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ [كلمة يعلمونها أو أكلة يطعمونها . فقال له ابن عمر : يا أبا هريرة كنت ألزمتنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه^(٥)] .

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه قال : كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة ، وهو يمشي أمامها ويكثر الترحم عليه ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين^(٦) .

وقد روي : أن عائشة تأولت أحاديث كثيرة من رواية أبي هريرة ، ووهمت في بعضها ، وفي الصحيح أنها عابت عليه سرد الحديث والإكثار منه في الساعة الواحدة .

-
- (١) صالح بن أبي الأخضر ضعيف . وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٩/١١٧/ب) .
 - (٢) المخففة : شيء يضرب به نحو سير أو درة . والخبر في مصنف عبد الرزاق برقم (٢٠٤٩٦) .
 - (٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .
 - (٤) تحرفت في ط وب إلى : الوادي . « والودي » : صغار النخل ، واحدها : ودية .
 - (٥) ما بين حاصرتين سقط من أ .
 - (٦) رجاله ثقات . وهو في مسند أحمد (٢/٢-٣) وهو حديث صحيح ، وأخرج المرفوع منه البخاري رقم (٤٧) ومسلم (٩٤٥) .
 - (٧) في إسناده الواقدي ، وقد اتفقوا على ضعفه وعدم الاعتداد بروايته .

رسول الله ﷺ حباً شديداً ، وأنتم - أهل الدار وموضع الدعوة - أخرجتم الداعي من أرضه ، وآذيتموه وأصحابه ، وتأخر إسلامكم عن إسلامي إلى الوقت المكروه إليكم . فندم مروان على كلامه له ، واتّقه^(١) .

وقال ابن أبي خيثمة : حدّثنا هارون بن معروف ، حدّثنا محمد بن سلمة ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن عمر - أو عثمان - بن عروة ، عن أبيه - يعني عروة بن الزبير بن العوام - قال : قال لي أبي الزبير : أدّني من هذا اليماني - يعني أبا هريرة - فإنه يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، قال : فأدّنيته منه ، فجعل أبو هريرة يحدث وجعل الزبير يقول : صدق ، كذب ، صدق ، كذب . قال : قلت : يا أبة ما قولك : صدق ، كذب ؟ قال : يا بني أمّا أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ فلا أشكّ ، ولكن منها ما وضعه على مواضعه ، ومنها ما وضعه على غير مواضعه^(٢) .

وقال علي بن المديني : عن وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي أنس^(٣) بن أبي عامر قال : كنت عند طلحة بن عبيد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله منكم ، أم هو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يسمع أو ما لم يقل ؟ فقال طلحة : والله ما نشكّ أنه قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع ، وعلم منه ما لم نعلم . إنا كنّا قوماً أغنياء ، لنا بيوتات وأهلون ، وكنا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع ، وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل ، وإنما كانت يده مع رسول الله ﷺ ، وكان يدور معه حيث ما دار ، فما نشكّ أنه قد علم ما لم نعلم ، وسمع ما لم نسمع . وقد رواه الترمذي^(٤) بنحوه .

وقال شعبة : عن أشعث بن سليم ، عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب يحدث عن أبي هريرة ، فقل له : أنت صاحب رسول الله ﷺ وتحديث عن أبي هريرة ؟ فقال : إنّ أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع ، وإنّي أن أحدث عنه أحبّ إليّ من أن أحدث عن رسول الله ﷺ - يعني ما لم أسمع منه .

وقال مسلم بن الحجاج : حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، حدّثنا مروان الدمشقي ، عن الليث بن سعد ، حدّثني بكير بن الأشجّ قال : قال لنا بسر^(٥) بن سعيد : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب الأحبار ، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ . وفي

(١) هذه الرواية ليست في ب .

(٢) تاريخ ابن عساكر : مختصره (١٩٧/٢٩) .

(٣) وقع في (أ) و(ط) : اليسر وفي ب : البشر وكله تحريف . وأبو أنس : هو مالك بن أبي عامر ، جد مالك بن أنس الفقيه .

(٤) (٣٨٣٧) في المناقب : باب مناقب أبي هريرة ، وإسناده ضعيف .

(٥) تحرف في الأصول إلى : بشر .

رواية : يجعل ما قاله كعبٌ عن رسول الله ، وماقاله رسول الله عن كعب . فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث .
وقال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : أبو هريرة كان يدلس - [أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ﷺ ولا يميز هذا من هذا] ^(١) - ذكره ابن عساكر ^(٢) .

وكأن شعبة يشير بهذا إلى حديثه « مَنْ أَصْبَحَ جُنْبًا فَلَا صِيَامَ لَهُ » فإنه لما حُوقق عليه قال : أخبرني مخبر ، ولم أسمع من رسول الله ﷺ ^(٣) .

وقال شريك : عن مُغيرة ، عن إبراهيم قال : كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة .

[وروى الأعمش ، عن إبراهيم قال : ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة] ^(٤) .

وقال الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم قال : كانوا يَرَوْنَ في أحاديث أبي هريرة شيئاً ، وما كانوا يأخذون من حديثه [إلا ما كان من حديث] ^(٥) صفة جنّة أو نار ، أو حثٌّ على عمل صالح ، أو نهى عن شرٍّ جاء القرآن به .

وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة ، وردّ هذا الذي قاله إبراهيم النخعي . وقد قال ما قاله إبراهيم طائفة من الكوفيين ، والجمهور على خلافهم .

وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزّهادة والعمل الصالح على جانب عظيم .

قال حمّاد بن زيد : عن عباس الجُريري ، عن أبي عثمان النّهدي قال : كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل ، وامرأته ثلثه ، وابنته ثلثه ، يقوم هذا ثم يوقظ هذا ، ثم يوقظ هذا هذا ^(٦) .

وفي « الصحيحين » عنه أنه قال : أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كلّ شهر ، وركعتي الضّحى ، وأن أُوترَ قبل أن أنام ^(٧) .

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) في تاريخه (١٩/١٢٢) . وأورده الذهبي في السير (٢/٦٠٨) ثم عقب عليه بقوله : تدليس الصحابة كثير ، ولا عيب فيه ؛ فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم ، والصحابة كلهم عدول .

(٣) في هذا المعنى أخرج مسلم في صحيحه (١١٠٩) في الصيام : باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب .

(٤) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط . سير أعلام النبلاء (٢/٦٠٨) حاشية (٤) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٦) أخرجه أحمد في الزهد ص ٢٥٩ ، وإسناده صحيح .

(٧) أخرجه البخاري (١١٧٨) في التهجد : باب صلاة الضّحى في الحضر ، وفي الصوم : باب صيام أيام البيض ، ومسلم (٧٢١) في صلاة المسافرين : باب استحباب صلاة الضّحى وأن أقلها ركعتان ، وأبو داود (١٤٣٢) في الصلاة : باب في الوتر قبل النوم ، والترمذي (٧٦٠) في الصوم : باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر ، والنسائي (٣/٢٢٩) في قيام الليل : باب الحث على الوتر قبل النوم .

وقال ابن جُرَيْج عَمَّنْ حَدَّثَهُ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنِّي أَجَزُّ اللَّيْلِ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ : فَجُزْءٌ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَجُزْءٌ أَنَامَ فِيهِ ، وَجُزْءٌ أَتَذَكَّرُ فِيهِ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ^(١) .

وقال محمد بن سعد : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عُثْمَانَ الْقُرَشِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ قَالَ : كَانَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ مَسْجِدٌ فِي مَخْدَعِهِ ، وَمَسْجِدٌ فِي بَيْتِهِ ، وَمَسْجِدٌ فِي حَجْرَتِهِ ، وَمَسْجِدٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، إِذَا خَرَجَ صَلَّى فِيهَا جَمِيعَهَا ، وَإِذَا دَخَلَ صَلَّى فِيهَا جَمِيعَهَا ^(٢) .

وقال عكرمة : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَسْبِّحُ كُلَّ لَيْلَةٍ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ ، وَيَقُولُ : أَسْبِّحُ عَلَى قَدَرِ دِينِي ^(٣) .

وقال هُشَيْمٌ : عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ ^(٤) مَيْسَرَةَ قَالَ : كَانَتْ لِأَبِي هُرَيْرَةَ صِيحْتَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، أَوَّلُ النَّهَارِ صِيحَةٌ يَقُولُ : ذَهَبَ اللَّيْلُ وَجَاءَ النَّهَارُ وَعُرِضَ آلُ فِرْعَوْنَ عَلَى النَّارِ ، وَإِذَا كَانَ الْعَشِيُّ يَقُولُ : ذَهَبَ النَّهَارُ وَجَاءَ اللَّيْلُ وَعُرِضَ آلُ فِرْعَوْنَ عَلَى النَّارِ . فَلَا يَسْمَعُ أَحَدٌ صَوْتَهُ إِلَّا اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ .

وقال عبد الله بن المبارك : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ ، عَنْ زِيَادِ بْنِ ثَوْبَانَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَا تَغْبِطَنَّ فَاجِرًا بِنِعْمَةٍ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ طَالِبًا حَثِيثًا طَلَبُهُ ، جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ^(٥) .

وقال ابن لهيعة : عَنْ أَبِي يُونُسَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّهُ صَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمًا ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَفَعَ صَوْتَهُ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ قَوَامًا ، وَجَعَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ إِمَامًا ، بَعْدَمَا كَانَ أَجِيرًا لِابْنَةِ غَزْوَانَ عَلَى شَبَعِ بَطْنِهِ ، وَحَمُولَةَ رِجْلِهِ ^(٦) .

[وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَرْبِيُّ : حَدَّثَنَا عَفَّانٌ ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَحْدُثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : نَشَأَتْ يَتِيمًا ، وَهَاجَرَتْ مَسْكِينًا ، وَكُنْتُ أَجِيرًا لِابْنَةِ غَزْوَانَ بِطَعَامِ بَطْنِي ، وَعُقْبَةُ رَجُلِي ^(٧) ، أَحَدُوهُمْ إِذَا رَكَبُوا ، وَأَحْتَطَبَ إِذَا نَزَلُوا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ قَوَامًا ، وَجَعَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ

(١) تاريخ ابن عساکر ، مختصره (١٩٩/٢٩) .

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٢٦١ - ٢٦٢) ، والمخدع : مكان النوم .

(٣) مثله في تاريخ ابن عساکر ، مختصره (١٩٩/٢٩) ، ووقع في أ ، ب : ديني .

(٤) في الأصول : ميمون بن أبي ميسرة ، ومأثبته من الجرح والتعديل (٢٣٥/٨) وغيره . والخبر في تاريخ ابن عساکر ، مختصره (١٩٩/٢٩) .

(٥) تاريخ ابن عساکر ، مختصره (٢٠٠/٢٩) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٧٩/١) .

(٧) يعني : نوبة ركوبه .

إماماً^(١) . ثم يقول : والله يا أهل الإسلام إن كانت إيجارتي معهم إلا على كِسرة يابسة ، وعُقبه في ليلة غبراء مظلمة ، ثم زَوَّجَنيها الله ، فكننت أركب إذا ركبوا ، وأخدم إذا خدموا ، وأنزل إذا نزلوا .

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني^(٢) : حدَّثنا الحجاج بن نصير^(٣) ، حدَّثنا هلال بن عبد الرحمن الحنفي ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أبي سلمة قال : قال أبو هريرة وأبو ذر : باب من العلم نتعلمه أحبُّ إلينا من ألف ركعة تطوعاً ، وباب نعلمه - عملنا به أو لم نعمل - أحبُّ إلينا من مئة ركعة تطوعاً . وقالوا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحال مات وهو شهيد » .

وهذا حديث غريب في هذا الوجه^(٤) .

وروى غير واحد عن أبي هريرة : أنه كان يتعوذ في سجوده من أن يزني ، أو يسرق ، أو يكفر ، أو يعمل كبيرة . فقيل له : أتخاف ذلك ؟ فقال : ما يؤمنني وإبليس حي ، ومصرف القلوب يصرفها كيف يشاء^(٥) .

وقالت له ابنته : يا أبة إن البنات يُعيرنني يقرن : لم لا يُحليك أبوك بالذهب ؟ فقال : يا بنيّة قولي لهن : إن أبي يخشى عليّ حرَّ اللهب^(٦) .

[وقال^(٧) أبو هريرة : أتيتُ عمر بن الخطاب ، فقامت له وهو يسبح بعد الصلاة ، فانتظرت ، فلما انصرف دنوت منه فقلت : أقرئني آيات من كتاب الله ، قال : وما أريد إلا الطعام ، قال : فأقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب ، فأبطأ ، فقلت : ينزع ثيابه ثم يأمر لي بطعام ، فلم أر شيئاً ، فلما طال عليّ قمتُ فمشيت ، فاستقبلني رسول الله ﷺ فكلَّمَنِي فقال : « يا أبا هريرة إنَّ خُلُوفَ^(٨) فمك الليلة لشديد » ؟ ! فقلت : أجل يا رسول الله ، لقد ظللت صائماً وما أفطرت بعد ، وما أجد ما أفطر عليه ، قال : فانطلق وانطلقتُ معه حتى أتى بيته ، فدعا جاريةً له سوداء فقال : « آتينا بتلك

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في الحلية (٣٧٩/١) وتاريخ ابن عساكر (١٩/١٢٣/١) .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : الجوزجاني .

(٣) تحرف في الأصول إلى : نصر . والحجاج بن نصير : هو الفساطيطي القيسي ، لين الحديث . ترجمته وأقوال العلماء فيه في تهذيب الكمال (٥/٤٦١) .

(٤) أخرجه يعقوب في المعرفة والتاريخ (٣/٣٩٧ - ٣٩٨) وفيه هلال بن عبد الرحمن الحنفي وهو متروك . وأيضاً في كشف الأستار عن زوائد البزار (١/٨٤) وهو ضعيف .

(٥) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٩/٢٠٢) .

(٦) المصدر السابق .

(٧) من هنا يبدأ سقط طويل في النسخة ب ، سنشير إليه في نهايته .

(٨) « الخلوف » : تغير رائحة الفم .

فلَمَّا نزلوا وضعوا السُّفرة وبعثوا إليه ليأكل معهم ، فقال : إني صائم ، فلَمَّا كادوا أن يفرغوا من أكلهم جاء فجعل يأكل ، فجعل القوم ينظرون إلى رسولهم الذي أرسلوه إليه ، فقال لهم : أراكم تنظرون إليّ ، قد - والله - أخبرني أَنَّهُ صائم ، فقال أبو هريرة : صَدَقَ ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ ، وصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، صَوْمُ الدَّهْرِ » . وقد صمت ثلاثة أَيَّامٍ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ ، فَأَنَا مَفْطَرٌ فِي تَخْفِيفِ اللَّهِ ، صَائِمٌ فِي تَضْعِيفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١) .

وروى الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّهُ كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِذَا صَامُوا يَجْلِسُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَقَالُوا : نَطَهَّرُ صِيَامَنَا^(٢) .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ الْحَدَّادُ ، حَدَّثَنَا عَثْمَانُ الشَّحَامُ أَبُو سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا فَرْقَدُ السَّبَخِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهُوَ يَقُولُ : وَيْلٌ لِي مِنْ بَطْنِي : إِنْ أَشْبَعْتُهُ كَظْنِي^(٣) ، وَإِنْ أَجَعْتُهُ أَضْعَفْنِي^(٤) .

وروى الإمام أحمد : عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إني لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَذَلِكَ عَلَى قَدَرِ دَيْتِي^(٥) .

وروى عبد الله بن أحمد ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَيْطٌ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ عَقْدَةٍ يَسْبُحُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ . وَفِي رِوَايَةٍ : أَلْفَا عَقْدَةً فَلَا يَنَامُ حَتَّى يَسْبُحَ بِهِ . وَهُوَ أَصَحُّ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ .

ولما حضره الموت بكى ، فقيل له : مَا يَبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى بُعْدِ سَفَرِي ، وَقَلَّةِ زَادِي ، وَأَنِّي أَصْبَحْتُ فِي صُعُودٍ وَمَهْبُطٍ عَلَى جَنَّةٍ وَنَارٍ ، لَا أَدْرِي إِلَى أَيِّهِمَا يُؤْخَذُ بِي^(٦) .

وروى قتيبة بن سعيد ، حَدَّثَنَا الْفَرَجُ بْنُ فَصَّالَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِذَا زَوَّقْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ ، وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ ، فَالْدَّمَارَ عَلَيْكُمْ^(٧) .

وروى الطبراني ، عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ : بَلَغَنِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَرَّ بِهِ جَنَازَةٌ قَالَ : رُوحُوا فَإِنَّا

(١) وأخرجه أحمد في مسنده (٣٨٤/٢ ، ٥١٣) وهو حديث صحيح ، وشهر الصبر : هو شهر رمضان .

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٢٦٠) .

(٣) « كظني » : أتخمني .

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٢٦٠) وقد تحرف فيه السبخي إلى السبحي . وفرقد السبخي هذا لين الحديث كثير الخطأ ، كما قال الحافظ في التقریب .

(٥) تقدم الخبر قبل قليل .

(٦) طبقات ابن سعد (٣٣٩/٤) .

(٧) الفرّج بن فضالة ضعيف .

غادُون ، أو اغدُوا فإنَّا رائحون . موعظة بليغة ، وغفلة^(١) سريعة ، يذهب الأول ويبقى الآخر لا عقل له .

وقال الحافظ أبو بكر بن مالك : حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدَّثني أبو بكر ليث بن خالد البجلي^(٢) ، حدَّثنا عبد المؤمن بن عبيد^(٣) الله السدوسي قال : سمعت أبا يزيد المدني يقول : قام أبو هريرة على منبر رسول الله ﷺ دون مقام رسول الله ﷺ بَعَثَ فقال : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترَب ، ويلٌ لهم من إمارة الصَّبيان ، يحكمون فيهم بالهوى ، ويقتلون بالغضب .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا علي بن ثابت ، عن أسامة بن زيد ، عن أبي زياد - مولى ابن عباس - عن أبي هريرة قال : كانت لي خمس عشرة تَمْرَة ، فأفطرتُ على خمس ، وتسحَّرتُ بخمس ، وأبقيتُ خمساً لفطري^(٤) .

وقال أحمد : حدَّثنا عبد الملك بن عمرو ، حدَّثنا إسماعيل - يعني العبدى - عن أبي المتوكل : أن أبا هريرة كانت لهم زنجية قد غمّتهم بعملها ، فرفع عليها يوماً السَّوط ثم قال : لولا القصاصُ يوم القيامة لأغشيتُك به ، ولكن سأبيعك ممَّن يوفيني ثمنك أحوج ما أكون إليه ، اذهبي فأنتِ حرةٌ لوجه الله عز وجل^(٥) .

وروى حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة : أن أبا هريرة مرض ، فدخلتُ عليه أعوده فقلت : اللهم اشفِ أبا هريرة ، فقال : اللهم لا تَرْجِعْهَا . ثم قال : يا أبا سلمة يوشكُ أن يأتيَ على الناس زمان يكون الموتُ أحبَّ إلى أحدهم من الذهب الأحمر^(٦) .

وروى عطاء عن أبي هريرة قال : إذا رأيتم ستاً فإن كانت نفس أحدكم في يده فليُرسلها ، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني : إذا أُمِّرت السُّفهاء ، وبيع الحكم ، وتهون الدم ، وقُطعت الأرحام ، وكثرت الجلاوزة^(٧) ، ونشأ نَشْءٌ^(٨) يتخذون القرآن مزامير^(٩) .

- (١) مثله في مختصر تاريخ دمشق (٢٩/٢٠٥) ووقعت في ط : عقلة .
- (٢) كذا في أ ، ط - لم أذكر النسخة ب لأن هذه الصفحات ساقطة منها كما أشرنا - وأراه محرفاً عن البلخي وقد ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/١٥) .
- (٣) تحرف في أ ، ط إلى : عبد ، والتصويب من الجرح والتعديل (٦/٦٥) وتهذيب التهذيب (٦/٤٣٣) وغيرهما .
- (٤) حلية الأولياء (١/٣٨٤) .
- (٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص ٢٥٩ - ٢٦٠) .
- (٦) طبقات ابن سعد (٤/٣٣٨) .
- (٧) «الجلاوزة» : جمع جلاواز ، وهو الشرطي .
- (٨) قال ابن الأثير في النهاية (٥/٥١ - ٥٢) : يروى بفتح الشين ، جمع ناشئ ، كخادم وخدم . يريد جماعة أحداثاً . قال أبو موسى : والمحموظ بسكون الشين ، كأنه تسمية المصدر .
- (٩) أورده ابن سعد في طبقاته (٤/٣٣٧) بنحوه من طريق روح بن عبادة ، حدَّثنا الربيع بن صبيح قال : أخبرنا حبيب بن أبي فضالة أن أبا هريرة قال . . . وأخرجه أحمد في مسنده (٦/٢٢) من كلام عوف بن مالك الأشجعي .

وقال ابن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن زياد القُرَظي ، أن ثعلبة بن أبي مالك القُرَظي حدثه : أن أبا هريرة أقبل في السُّوق يحمل حُزْمة حطب - وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم - فقال : أوسع الطريق للأمير يا بن أبي مالك ، فقلت : يرحمك الله يكفي هذا ، فقال : أوسع الطريق للأمير والحُزْمة عليه^(١) [٢] .

وله فضائل ومناقب كثيرة ، وكلام حسن ، ومواعظ جَمَّة . أسلم - كما قدمنا - عام خيبر ، فلزم رسول الله ﷺ ولم يفارقه إلَّا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، ووصّاه به ، فجعله العلاء مؤذناً بين يديه ، وقال له أبو هريرة : لا تسبقني بآمين أيُّها الأمير . وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته ، وقاسمه مع جملة العمَّال .

قال عبد الرزاق : حدثنا مَعْمَر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين : أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين ، فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال أي عدوَّ الله وعدوَّ كتابه ؟ فقال أبو هريرة : لستُ بعدوَّ الله ولا عدوَّ كتابه ، ولكنني عدوٌّ مَنْ عاداهما ، فقال : فمن أين هي لك ؟ قال : خيل تُتَجَّت ، وغَلَّة ورقيق لي ، وأعطية تتابعت عليّ . فنظروا فوجدوه كما قال . فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله ، فأبى أن يعمل له ، فقال له : تكره العمل وقد طلبه مَنْ كان خيراً منك ؟ ! طلبه يوسف عليه السلام ، فقال : إنَّ يوسف نبيُّ ابن نبيِّ ابن نبيِّ ، وأنا أبو هريرة بن أُمَيِّمة^(٣) ، وأخشى ثلاثاً واثنتين ، قال عمر : فهلاً قلت خمساً ؟ قال : أخشى أن أقولَ بغير علم ، وأقضيَ بغير حلم ، أو يُضرب ظهري ، ويُنتزع مالي ، ويُشتمَ عرضي^(٤) .

وذكر غيره : أنَّ عمر غَرَّمه في العُمالة الأولى اثني عشر ألفاً ، فلهذا امتنع في الثانية .

وقال عبد الرزاق : عن مَعْمَر ، عن محمد بن زياد قال : كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة ، فإذا غضب عليه عزله وولَّى مروان بن الحكم ، فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجه عنه ، فعزل مروان ورجع أبو هريرة ، فقال لمولاه : مَنْ جاءك فلا تردّه واحجبْ مروان ، فلمَّا جاء مروان دفع الغلام في صدره ، فما دخل إلَّا بعد جهد ، فلمَّا دخل قال : إن الغلام حجبنا عنك ، فقال له أبو هريرة : إنك أحقُّ الناس ألا تغضب من ذلك . والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في إمرة المدينة ، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك ، والله أعلم .

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٥) ورجاله ثقات .

(٢) هنا ينتهي نقص النسخة (ب) الذي أشرنا إليه قبل صفحات .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : أُمية .

(٤) تقدم قبل صفحات . وهو في طبقات ابن سعد (٤/ ٣٣٥) وحلية الأولياء (١/ ٣٨٠ ، ٣٨١) من طرق أخرى .

وقال حمّاد بن سلمة : عن ثابت ، عن أبي رافع : كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة ، فيركب الحمار ويلقى الرجل فيقول : قد جاء الأمير - يعني نفسه - وكان يمرُّ بالصَّبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب - وهو أمير - فلا يشعرون إلّا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه كأنه مجنون [يريد بذلك أن يضحكهم]^(١) فيفزع الصَّبيان منه ويفرون عنه هاهنا وهاهنا يتضحكون^(٢) .

قال أبو رافع : وربما دعاني أبو هريرة إلى عشاءه بالليل فيقول : دع العُراق للأمير - يعني قطع اللحم - قال : فأنظر فإذا هو ثريد بالزيت^(٣) .

وقال ابن وهب : حدّثني عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن زياد القُرظي ، أن ثعلبة بن أبي مالك حدّثه : أن أبا هريرة أقبل في السُّوق يحمل حُزْمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان [فقال : أوسع الطريق للأمير يا بن أبي مالك ، فقلت : أصلحك الله يكفي هذا ، فقال : أوسع الطريق للأمير والحُزْمة عليه]^(٤) . وقد تقدم هذا . وروي نحوه من غير وجه .

وقال أبو الزعيزعة - كاتب مروان : بعث مروان إلى أبي هريرة بمئة دينار ، فلمّا كان الغد بعث إليه : إني غلطت ولم أردك بها ، وإني إنما أردتُ غيرك . فقال أبو هريرة : قد أخرجتها ، فإذا خرج عطائي فخذها منه ، وكان قد تصدّق بها . وإنما أراد مروان اختبارَه^(٥) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا العلاء^(٦) بن عبد الجبّار ، حدّثنا حمّاد بن سلمة ، عن يحيى بن سعيد [عن سعيد]^(٧) بن المسيّب قال : كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت ، وإذا أمسك عنه تكلم^(٨) .

وروى غير واحد ، عن أبي هريرة : أنه جاءه شاب فقال : يا أبا هريرة إني أصبحتُ صائماً ، فدخلت على أبي ، فجاءني بخبز ولحم ، فأكلت ناسياً . فقال : طعمةً أطعمكها الله ، لا عليك . قال : ثم دخلتُ داراً لأهلي ، فجيء بلبن لِقْحَةٍ ، فشربته ناسياً . قال : لا عليك . قال : ثم نمْتُ فاستيقظت ، فشربتُ ماءً - وفي رواية : وجامعتُ ناسياً . قال أبو هريرة : إنك يا بن أخي لم تَعْتَدِ الصيام^(٩) .

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) طبقات ابن سعد (٣٣٦/٤) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ما بين حاصرتين ليس في آ .

(٥) أبو الزعيزعة لا يعرف . والخبر في تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٢٠٣/٢٩) .

(٦) في أ ، ط : عبد الأعلى وما أثبتته من ب .

(٧) سقط من المطبوع .

(٨) تاريخ ابن عساكر (١٩/١٢٥ ب) .

(٩) تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٩/٢٠٥) .

[وقال غير واحد : كان أبو هريرة إذا رأى الجنازة قال : رُوحوا فإننا غادُونَ ، أو اغدُوا فإننا رائحُونَ .

وروى غير واحد : أنه لما حضرته الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : على قلة الزاد ، وشدة المفازة ، وأنا على عقبة هبوط إما إلى جنة أو إلى النار ، فما أدري إلى أيّهما أصير ^(١) .

وقال مالك : عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال : دخل مروان على أبي هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال : شفاك الله يا أبا هريرة ، فقال أبو هريرة : اللهم إني أحب لقاءك فأحِبُّ لقائي . قال : فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات أبو هريرة ^(٢) .

وقال يعقوب بن سفيان : عن دحيم ، عن الوليد [عن ^(٣) ابن جابر ، عن عمير بن هانئ قال : قال أبو هريرة : اللهم لا تدركني سنة ستين . قال : فتوفي فيها أو قبلها بسنة . وهكذا قال الواقدي : إنه توفي سنة تسع وخمسين عن ثمان وسبعين سنة .

قال الواقدي : وهو الذي صلى على عائشة في رمضان ، وعلى أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، ثم توفي أبو هريرة بعدهما فيها ، كذا قال ، والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبي هريرة .

وقد قال غير واحد : إنه توفي سنة تسع وخمسين ، وقيل : ثمان ، وقيل : سبع وخمسين ، والمشهور : تسع وخمسين .

قالوا : وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان نائب المدينة ، وفي القوم ابنُ عمر ، وأبو سعيد ، وخلق من الصحابة وغيرهم . وكان ذلك عند صلاة العصر ، وكانت وفاته في داره بالعقيق ، فحمل إلى المدينة ، فصلى عليه ثم دفن بالبقيع ، رحمه الله ورضي عنه .

وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية بوفاة أبي هريرة ، فكتب إليه معاوية : أن انظر ورثته فأحسن إليهم ، واصرف إليهم عشرة آلاف درهم ، وأحسن جوارهم ، واعمل إليهم معروفاً ، فإنه كان ممن نصر عثمان ، وكان معه في الدار ، رحمهما الله تعالى .

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ ، وهو مما تقدم ذكره . والزهد لأحمد (ص ٢٦١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣٣٩/٤) .

(٣) سقطت من أ ، ط ، والمثبت من ب وهو الصحيح ، فالوليد : هو ابن مسلم . وابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد الداراني ، وتهذيب التهذيب (٢٩٧/٦) .

سنة ستين من الهجرة النبوية

فيها كانت غزوة مالك بن عبد الله مدينة سورية^(١) .

قال الواقدي : وفيها دخل جُنادة بن أبي أمية جزيرة رُودس .

وفيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عُبيد الله بن زياد إلى دمشق .

وفيها مرض معاوية مرضه الذي توفي فيه في رجب منها كما سنبينه .

روى ابن جرير من طريق أبي مخنف : حَدَّثَنِي عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة أن معاوية لما مرض مرضه التي هلك فيها دعا ابنه يزيد فقال : يا بني إني قد كفيتك الرحلة والرجال ، ووطأت لك الأشياء ، وذلت لك الأعداء^(٢) ، وأخضعت لك أعناق العرب . وإني لا أتخوّف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتبّ لك إلا أربعة نفر : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر - كذا قال ، والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بستين كما قدمنا - فأما ابن عمر فهو رجل قد وَقَدَتْهُ^(٣) العبادة ، وإذا لم يبقَ أحدٌ غيره بايعك . وأما الحسين فإن أهل العراق خلفه لا يدعونه حتى يخرجوه عليك ، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه ، فإن له رحماً مأسّة وحقاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فهو رجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ، ليست له همّة إلا في النساء واللهو . وأما الذي يَجْثُمُ لك جثوم الأسد ، ويراوغك روغان الثعلب ، وإذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطّعه إرباً إرباً^(٤) .

قال غير واحد : فحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد في الصَّيد ، فاستدعى معاوية الضحّاك بن قيس الفهري - وكان على شرطة دمشق - ومسلم بن عُبّة ، فأوصى إليهما أن يبلغا يزيد السلام ، ويقولوا له يتوصّى بأهل الحجاز ، وإن سأله أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملاً ويولّي عليهم عاملاً فليفعل ، فعزل واحد أحبّ إليك من أن يسلك عليك مئة ألف سيف ، وأن يتوصّى بأهل الشام خيراً ، وأن يجعلهم أنصاره ، وأن يعرف لهم حقّهم . ولست أخاف عليه من قريش سوى ثلاثة : الحسين ، وابن عمر ، وابن الزبير - ولم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهذا أصح - فأما ابن عمر فقد وَقَدَتْهُ العبادة . وأما الحسين فرجل خفيف ، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، وإن له رحماً مأسّة ، وحقاً عظيماً ،

(١) قال في « معجم البلدان » سورية : بلدة بالشام بين خناصره وسلمية .

(٢) في (أ) و(ط) : الأعزاء .

(٣) في الأصول : وقده بالبدال ، والمثبت من تاريخ الطبري . ورجل وقده العبادة : أي سكّته .

(٤) الخبر في تاريخ الطبري (٥/ ٣٢٢ - ٣٢٣) . وقوله : « إرباً إرباً » : يعني عضواً عضواً .

وقرابة من محمد ﷺ ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرت عليه فاصفح عنه فإنني لو أني صاحبتة عفوت عنه . وأما ابن الزبير فإنه خَبُّ ضَبٍّ ، فإن شَخَصَ لك فالبُدُّ له^(١) إلا أن يلتبس منك صلحاً ، فإن فعل فاقبل منه . واصفح عن دماء قومك ما استطعت .

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة ، قاله هشام بن الكلبي . وقيل : للنصف منه ، قاله الواقدي . وقيل : يوم الخميس لثمان بقين منه ، قاله المدائني . قال ابن جرير^(٢) : وأجمعوا على أنه هلك في رجب منها . وكان مدة ملكه استقلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي بأذرح^(٣) فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر . وكان نائباً في الشام عشرين سنة تقريباً ، وقيل غير ذلك . وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، وقيل : خمساً وسبعين سنة ، وقيل : ثمانياً وسبعين سنة ، وقيل : خمساً وثمانين سنة . وسيأتي بقية الكلام في ذلك في آخر ترجمته .

وقال أبو السكين^(٤) زكريا بن يحيى : حدثني عم أبي زحر بن حصن^(٥) ، عن جده حميد بن منهب قال : كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ، وكان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا ذلك البيت يوماً ، فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة^(٦) ، ثم خرج الفاكه لبعض شأنه ، وأقبل رجل ممن كان يغشاه ، فولج البيت ، فلما رأى المرأة فيه ولَّى هارباً ، ورآه الفاكه وهو خارج من البيت ، فأقبل إلى هند وهي مضطجعة فضربها برجله وقال : مَنْ هذا الذي كان عندك ؟ فقالت : ما رأيت أحداً ولا انتهت حتى أنبهتني أنت ، فقال لها : الحقي بأبيك . وتكلم فيها الناس ، فقال لها أبوها : يا بنيّة إن الناس قد أكثروا فيك القالة ، فأنبئيني نبأك ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست إليه من يقتله فتنقطع عنك القالة ، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض كهّان اليمن ، فحلفت هند لأبيها بما كانوا يحلفون في الجاهلية إنه لكاذب عليها ، فقال عتبة بن ربيعة للفاكه : يا هذا إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم [وعار كبير لا يغسله الماء ، وقد جعلتنا في العرب بمكان ذلّة ومنقصة ، ولولا أنك مني ذو قرابة لقتلتك ، ولكن سأحاكمك إلى كاهن اليمن]^(٧) فحاكمني إلى بعض كهّان اليمن . فخرج الفاكه في بعض جماعة من بني مخزوم - أقاربه -

(١) مثله في تاريخ الطبري (٣٢٣/٥) . ووردت في ط : فانبد إليه .

(٢) في تاريخه (٣٢٣/٥ - ٣٢٤) .

(٣) تحرفت في ط ، ب إلى : أدرح . وأذرح : بلدة في أطراف بلاد الشام من نواحي البلقاء . معجم البلدان (١٢٩/١) .

(٤) تحرف في الأصول إلى : السكن والتصحيح من ترجمته في تهذيب الكمال (٣٨٤/٩) وغيره .

(٥) تحرف في أ ، ط إلى : حصين . وابن حصن هنا مترجم في ميزان الاعتدال (٦٩/٢) وغيره .

(٦) « القائلة » : الظهيرة ، وفعله : قال يَقِيل .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، وخرجوا بهند ونسوة معها من أقاربهم ، وساروا قاصدين بلاد اليمن . فلما شارفوا بلاد الكاهن قالوا : غداً نأتي الكاهن ، فلما سمعت هند ذلك تنكرت حالها وتغيّر وجهها وأخذت في البكاء ، فقال لها أبوها : يا بنيّة قد أرى ما بك من تنكّر الحال وكثرة البكاء ، وما ذاك أراه عندك إلا لمكروه أحدثيه وعمل اقترفتيه ، فهلاً كان هذا قبل أن يشيع في الناس ويشتهر مسيرنا ؟ فقالت : والله يا أبتاه ما هذا الذي تراه مني لمكروه وقع مني ، وإني لبريئة ، ولكن هذا الذي تراه من الحزن وتغيّر الحال هو أنني أعلم أنكم تأتون هذا الكاهن وهو بشر يخطئ ويصيب [وأخاف أن يخطئ في أمري بشيء ، يكون عارّه عليّ إلى آخر الدهر] ^(١) ولا آمنه أن يسميني بسيماء ^(٢) تكون عليّ سبّة في العرب . فقال لها أبوها : لا تخافي فإني سوف أختبره وأمتحنه قبل أن يتكلّم في شأنك وأمرك [فإن أخطأ فيما أمتحنه به لم أدعه يتكلّم في أمرك . ثم انفرد عن القوم - وكان راكباً مُهراً - حتى توارى عنهم خلف رابية ، فنزل عن فرسه] ^(٣) ثم صفرّ له حتى أدلى ، ثم أخذ حبات من حنطة فأدخلها في إحليل المهر ، وأوكى عليها بسير حتى أحكم ربطها [ثم صفرّ له حتى اجتمع إحليله ، ثم أتى القوم فظنّوا أنه ذهب ليقضي حاجة] ^(٤) ثم أتى الكاهن ، فلما قدموا عليه أكرمهم ونحر لهم . فقال له عتبة : إنا قد جئناك في أمر ، ولكن لا أدعك تتكلّم فيه حتى تبين لنا ما خبأت لك ، فإني قد خبأت لك خبيئاً فانظر ماهو فأخبرنا به . قال الكاهن : ثمرة في كمرة ^(٥) ، قال : أريد أبين من هذا ، قال : حبات بُرّ في إحليل مهر ، قال : صدقت ، فخذ لما جئناك له ، انظر في أمر هؤلاء النسوة . [فأجلس النساء خلفه وهند معهم لا يعرفها] ^(٦) ثم جعل يدنو من إحداهنّ فيضرب كتفها ويبرّيها ويقول : انهضي . حتى دنا من هند ، فضرب كتفها وقال : انهضي حصان رزان ، غير رسحاء ^(٧) ولا زانية ، ولتلدنّ ملكاً يقال له معاوية . فوثب الفاكه فأخذ بيدها ، فنثرت يدها في يده وقالت له : إليك عني ، والله لا يجمع رأسي ورأسك وسادة ، والله لأحرصنّ أن يكون هذا الولد من غيرك . فتزوّجها أبو سفيان بن حرب ، فجاءت منه بمعاوية هذا . وفي رواية : أن أباه هو الذي قال للفاكه ذلك . والله أعلم ^(٨) .

(١) سقط من ب .

(٢) في ط : ميسماً .

(٣) سقط من ب .

(٤) سقط من ب .

(٥) « الكمرة » : رأس الذكر .

(٦) سقط من ب .

(٧) « الرسحاء » : القبيحة من النساء .

(٨) الخبر بطوله في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣١٣ - ٣١٤) .

وهذه ترجمة معاوية^(١) وذكر شيء من أيامه وما ورد في مناقبه وفضائله

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، القرشي الأموي ، أبو عبد الرحمن ، خال المؤمنين ، وكاتب وحي رسول رب العالمين . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

أسلم معاوية عام الفتح ، وروي عنه أنه قال : أسلمت يوم القضية ولكن كتبت إسلامي من أبي ، ثم علم بذلك فقال لي : هذا أخوك يزيد - وهو خير منك - على دين قومه ، فقلت له : لم أَل نفسي جهداً . قال معاوية : ولقد دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به ، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي ، فجئته فرحّب بي وكتب بين يديه .

قال الواقدي : وشهد معه حُنيئاً ، وأعطاه مئة من الإبل وأربعين أوقية من ذهب ، وزنها له بلال ، وشهد اليمامة .

وزعم بعضهم أنه هو الذي قتل مسيلمة ، حكاة ابن عساكر . وقد يكون شرك في قتله ، وإنما الذي طعنه وحشي ، وجلّله^(٢) أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشَة بالسيف .

وكان أبوه من سادات قريش [في الجاهلية]^(٣) وتفرّد بالشؤدّد بعد يوم بدر ، ثم لما أسلم حسُن بعد ذلك إسلامه ، وكان له مواقف شريفة وآثار محمودة في يوم اليرموك وما قبله وبعده .

وصحب معاوية رسول الله ﷺ ، وكتب الوحي بين يديه مع الكتاب ، وروى عن رسول الله ﷺ

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣٢ و ٧/٤٠٦) نسب قريش (١٢٤) طبقات خليفة (ت ٥١ ، ٩٦٩ ، ٢٨٠٩) مسند أحمد (٤/٩١) المحبر (الفهرس) المعمرن والوصايا (١٥٥) تاريخ البخاري الكبير (٧/٣٢٦) المعارف (٣٤٤) المعرفة والتاريخ (١/٣٠٥) أنساب الأشراف (٤/٥ ، ١٣٦) تاريخ أبي زرعة الدمشقي : (الفهرس) الأخبار الطوال (٢١٨ ، ٢٢٥) تاريخ الطبري (٥/٣٢٣) ومابعدا ، الجرح والتعديل (٨/٣٧٧) العقد الفريد (٤/٣٦٢) مروج الذهب (٣/١١) ومابعدا ، مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٢٦) معجم المرزباني (٣١٣) جمهرة أنساب العرب (١١٢ ، ١١٣) وغيرها ، الاستيعاب (٣/١٤١٦) تاريخ بغداد (١/٢٠٧) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/٤٨٩) تاريخ ابن عساكر (١٦/٣٣٦ ب) طبقات فقهاء اليمن (٤٧) جامع الأصول (٩/١٠٧) أسد الغابة (٥/٢٠٩) الكامل في التاريخ (٤/٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٠٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/٣٩٩ و ٢٥/٥) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٤٣) تاريخ الإسلام (٢/٣١٨) العبر (١/٦٤) تهذيب التهذيب (٤/٥٠ أ) سير أعلام النبلاء (٣/١١٩) الكاشف (٣/١٣٨) مرآة الجنان (١/١٣١) مجمع الزوائد (٩/٣٥٤) العقد الثمين (٧/٢٢٧) غاية النهاية (٢/٣٠٣) تهذيب التهذيب (١٠/٢٠٧) الإصابة (٣/٤٣٣) المطالب العالية (٤/١٠٨) تاريخ الخلفاء (٣٠٨) خلاصة الخزرجي (٣٨١) شذرات الذهب (١/٢٧٠) .

(٢) « جلّله بالسيف » : علاه وطعنه به .

(٣) سقط من ط .

أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين .
قال أبو بكر بن أبي الدنيا : كان معاوية طويلاً أبيض جميلاً ، إذا ضحك انقلبت شفته العليا ، وكان يخضب . حدثني محمد بن يزيد الأزدي ، حدثنا أبو مُسْهَر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن أبي عبد رب قال : رأيت معاوية يصفر لحيته كأنها الذهب .

وقال غيره : كان أبيض ، طويلاً ، أجلع^(١) ، أبيض الرأس واللحية يخضبهما بالحناء والكتم .
وقد أصابته لقوة^(٢) في آخر عمره ، فكان يستر وجهه ويقول : رحم الله عبداً دعا لي بالعافية ، فقد رُميت في أحسنني وما يبدو مني ، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي .
وكان حليماً وقوراً ، رئيساً سيّداً في الناس ، كريماً عادلاً شهماً .

وقال المدائني : عن صالح بن كيسان قال : رأى بعض متفرّسي العرب معاوية وهو صغير فقال : إني لأظنّ هذا الغلام سيسود قومه ، فقالت هند : ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه .

وقال الشافعي : قال أبو هريرة : رأيت هنداً بمكة كأن وجهها فلقه قمر ، وخلفها من عجزتها^(٣) مثل الرجل الجالس ، ومعها صبي يلعب ، فمرّ رجل فنظر إليه فقال : إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه ، فقالت هند : إن لم يسُد إلا قومه فأماته الله . وهو معاوية بن أبي سفيان .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف قال : نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند : إن ابني هذا لعظيم الرأس ، وإنه لخليق أن يسود قومه . فقالت هند : قومه فقط ؟! ثكلته إن لم يسُد العرب قاطبة . وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول :

إِنَّ بُنْيَ مُعْرِقٍ كَرِيمٍ مُحَبَّبٌ فِي أَهْلِهِ حَلِيمٍ
لَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا لَيْمٍ وَلَا بِطُخْرُورٍ^(٤) وَلَا سَوْوَمٍ
صَخْرَ بَنِي فَهْرٍ بِهِ زَعِيمٍ لَا يُخْلِفُ الظَّنَّ وَلَا يَخِيمُ^(٥)

قال : فلما ولى عمر يزيد بن أبي سفيان ما ولّاه من الشام خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند : كيف رأيت صار ابنك تابعاً لابني ؟! فقالت : إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني .

(١) « الجلع » : ذهاب الشعر من مقدم الرأس . وفعله جَلَعَ - بالكسر . والنعت أجلع وجلحاء (اللسان) .

(٢) اللقوة : مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه (اللسان) .

(٣) « العجيزة » : المؤخرة .

(٤) « الطخور » : الرجل لا يكون جلدأ ولا كثيفاً (اللسان) . وقد تحرفت هذه اللفظة في (أ) و(ط) إلى :

« ضجور » وبهذا لا يستقيم وزن البيت .

(٥) الأبيات في تاريخ ابن عساكر مختصره (٤٠٢/٢٤ - ٤٠٣) وشاعرات العرب (ص ٤٦٥) .

فقد جعلته دُبر أذني ، وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كلّه فارضوا مني ببعضه ، فإنها [ليست]^(١) بقابضة قُوبها ، وإنَّ السيل إذا جاء تترى - وإن قلّ - أغنى . وإياكم والفتنة فلا تهمُّوا بها ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، وتورث الاستئصال . أسْتَغْفِرُ اللهَ لي ولكم ، أسْتَغْفِرُ اللهَ . ثم نزل .

قال أهل اللغة : القابضة : البيضة ، والقوب : الفرخ . قابت البيضة تقوب : إذا انفلقت عن الفرخ . والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حجّ في سنة أربع وأربعين ، أو في سنة خمسين ، لا في عام الجماعة .

وقال الليث : حدّثني علوان بن صالح بن كيسان : أن معاوية قدِم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع الناس عليه ، فلقى الحسن والحسين ورجال من قريش ، فتوجّه إلى دار عثمان بن عفان ، فلمّا دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباه ، فقال معاوية لمن معه : انصرفوا إلى منازلكم فإنّ لي حاجة في هذه الدار ، فانصرفوا ، ودخل معاوية فسكّن عائشة بنت عثمان ، وأمرها بالكف ، وقال لها : يا بنت أخي ! إن الناس أعطونا سلطاناً فأظهرنا لهم جِلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، فبغناهم هذا بهذا ، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحّوا عليها بحقنا وغمطناهم بحقهم ، ومع كل إنسان منهم شيعته ، وهو يرى مكان شيعته ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ثم لا ندري أ تكون لنا الدائرة أم علينا ؟ وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني أمة من إماء المسلمين ، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك^(٢) .

وقد روى ابن عدي من طريق علي بن زيد - وهو ضعيف - عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد . [ومن حديث مجالد - وهو ضعيف أيضاً - عن أبي الودّاء ، عن أبي سعيد]^(٣) أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » .

وأسنده أيضاً من طريق الحكم بن ظهير - وهو متروك - عن عاصم ، عن زُرّ ، عن ابن مسعود مرفوعاً .

وهذا الحديث كذب بلا شك ، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم .

وأرسله عمرو بن عبّيد عن الحسن البصري . قال أيوب : هو كذب .

(١) سقطت من أ ، ط .

(٢) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٤٦/٢٥) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

فقال لهما : ألا تستحيان ؟! رجل نطعن في عينه غدوةً وعشيةً تسألانه المال ؟ فقالا : بل حرمتنا أنت وجاد هو لنا .

وروى الأصمعي قال : وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية ، فقال للحسن : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله ، وأمر له بثلاثمئة ألف . وقال لابن الزبير : مرحباً وأهلاً بابن عمه رسول الله ، وأمر له بمئة ألف .

[وقال أبو مروان المرواني : بعث معاوية إلى الحسين بن علي بمئة ألف ^(١) فقسّمها على جلسائه وكانوا عشرة ، فأصاب كل واحد عشرة آلاف . وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمئة ألف ، فاستوهبتها منه امرأته فاطمة ، فأطلقها لها . وبعث إلى مروان بن الحكم بمئة ألف ، فقسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً . وبعث إلى ابن عمر بمئة ألف ، ففرّق منها تسعين واستبقى عشرة آلاف ، فقال معاوية : [إنه لمقتصد يحب الاقتصاد . وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمئة ألف ، فقال للرسول : لم جئت بها بالنهار ؟ هلا جئت بها بالليل ؟! ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً ، فقال معاوية ^(٢) : إنه لحبّ ضبّ ^(٣) ، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع حبله ^(٤) .

وقال ابن دأب : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ويقضي له معها مئة حاجة ، فقدم عليه عاماً ، فأعطاه المال وقضى له الحاجات وبقيت منها واحدة ، فبينما هو عنده إذ قدم أصبهبذ ^(٥) سِجِسْتان يطلب من معاوية أن يملكه على تلك البلاد ، ووعد من قضى له هذه الحاجة من ماله بألف ألف ، فطاف على رؤوس الأمراء من أهل الشام وأمراء العراق ممن قدم مع الأحنف بن قيس ، فكلّهم يقولون : عليك بعبد الله بن جعفر ، فقصده الدهقان ، فكلّم فيه ابن جعفر معاوية ، فقضى حاجته تكملة المئة حاجة ، وأمر الكاتب فكتب له عهده ، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان ، فسجد له وحمل إليه ألف ألف درهم ، فقال له ابن جعفر : اسجد لله واحمل مالك إلى منزلك ، فإننا أهل بيت لا نبيع المعروف بالثمن . فبلغ ذلك معاوية ، فقال : لأن يكون يزيد قالها أحبّ إليّ من خراج العراق ، أبت بنو هاشم إلا كرمًا ^(٦) .

وقال غيره : كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف ، فاجتمع عليه في بعض

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ ، وبهذا السقط يصبح الخبر تابعاً لما قبله .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٣) رجل خبّ ضبّ : خداع مفسد .

(٤) الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٦٤/٢٥) وفي أوله : أنه أمر للحسن بن علي أيضاً بمئة ألف درهم .

(٥) اضطربت هذه اللفظة في الأصول ، وهي فارسية معربة . والأصبهبذ عند الديلم كالأمر عند العرب . المعزّب للجواليقي (ص ٢١٨) وتاج العروس مادة (صبهذ) .

(٦) الخبر في مقطوعة شعرية لطيفة في مختصر تاريخ دمشق (٦٥/٢٥ - ٦٦) .

الأوقات دين خمسمئة ألف ، فألحَّ عليه غрмаؤه ، فاستنظرهم حتى يقدم على معاوية فيسأله أن يُسلفه شيئاً من العطاء ، فركب إليه ، فقال له : ما أقدمك يا بن جعفر ؟ قال : دين ألحَّ عليَّ غрмаؤه ، فقال : وكم هو ؟ قال : خمسمئة ألف ، فقضاها عنه وقال له : إن الألف ألف ستأتيك في وقتها .

وقال ابن سعد^(١) : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا أبو هلال ، عن قتادة قال : قال معاوية : يا عجباً للحسن بن علي ! شرب شربة عسل يمانية بماء رومة^(٢) ، ففضى نجبته . ثم قال لا بن عباس : لا يسوءك الله ولا يُحزنك من الحسن بن علي . فقال ابن عباس لمعاوية : لا يُحزنني الله ولا يسوءني ما أبقي الله أمير المؤمنين . قال : فأعطاه ألف ألف درهم وعروضاً وأشياء وقال : خذها فاقسمها في أهلِكَ .

وقال أبو الحسن المدائني : عن سلمة بن مُحارب قال : قيل لمعاوية : أئتيكم كان أشرف : أنتم أو بنو هاشم ؟ قال : كنّا أكثر أشرفاً وكانوا هم أشرف ، فيهم واحد لم يكن في بني عبد مناف مثل هاشم ، فلمّا هلك كنّا أكثر عدداً وأكثر أشرفاً ، وكان فيهم عبد المطلب لم يكن فينا مثله ، فلما مات صرنا أكثر عدداً وأكثر أشرفاً ، ولم يكن فيهم واحد كواحدنا ، فلم يكن إلا كقرار العين حين قالوا : منّا نبيّ ، فجاء نبيّ لم يسمع الأولون والآخرين بمثله ، محمد ﷺ ، فمن يدرك هذه الفضيلة وهذا الشرف ؟

وروى ابن أبي خيثمة ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن عمرو بن العاص قصَّ على معاوية مناماً رأى فيها أبا بكر وعمر وعثمان وهم يحاسبون على ما ولوه في أيامهم ، ورأى معاوية وهو مُوكل به رجلان يحاسبانه على ما عمل في أيامه . فقال له معاوية : وما رأيتَ ثمّ دنانير مصر^(٣) ؟

وقال ابن دريد : عن أبي حاتم ، عن العُتبي قال : دخل عمرو على معاوية وقد ورد عليه كتاب فيه تعزية له في بعض الصحابة ، فاسترجع معاوية ، فقال عمرو بن العاص :

يَمُوتُ الصَّالِحُونَ وَأَنْتَ حَيٌّ تَخْطَاكَ الْمَنَايَا لَا تَمُوتُ

فقال له معاوية :

أَتَرْجُو أَنْ أَمُوتَ وَأَنْتَ حَيٌّ فَلَسْتُ بِمَيِّتٍ حَتَّى تَمُوتَ^(٤)

(١) تحرفت في المطبوع إلى : سعيد .

(٢) يعني : بماء بئر رومة ، وكان ماؤها عذباً ، وهي في عقيق المدينة . كانت لرجل من غفار يقال له رومة ، فابتاعها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتصدق بها . معجم البلدان (١/٢٩٩ و ٣/١٠٤) .

(٣) الخبر مطوّل في مختصر تاريخ دمشق (٦٩/٢٥) .

(٤) أورد الخبر مع البيتين ابن دريد في المجتنى (ص ٤٩) وابن عساكر في تاريخه ، مختصره (٦٩/٢٥) والمسعودي في مروج الذهب (٣/٣٠) لكن الذي عند المسعودي أن الذي بدأ هو معاوية ، والذي أجاب هو عمرو .

وقال ابن السمّك : قال معاوية : كل الناس أستطيع أن أَرْضِيَهُ إِلَّا حاسدَ نعمةٍ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زوالها .

وقال الزهري : عن عبد الملك ، عن أبي بحريّة قال : قال معاوية : المروءة في أربع : العفاف في الإسلام ، واستصلاح المال ، وحفظ الإخوان ، وحفظ الجار .

وقال أبو بكر الهذلي : كان معاوية يقول الشعر ، فلما ولي الخلافة قال له أهله : قد بلغت الغاية فماذا تصنع بالشعر ؟ فارتاح يوماً فقال :

صرمتُ سفاهتي وأرحتُ حلمي وفيّ على تحملي اعتراض
على أنني أجيبُ إذا دَعَتْنِي إلى حاجاتها الحَدَقُ المِراضُ^(١)

وقال مغيرة : عن الشعبي : أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحمه وعظم بطنه . وكذا روي عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال : أول من خطب جالساً يوم الجمعة معاوية .

وقال أبو المليح : عن ميمون : أول من جلس على المنبر معاوية ، واستأذن الناس في الجلوس .

وقال قتادة : عن سعيد بن المسيّب : أول من أذن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية .

وقال أبو جعفر الباقر : كانت أبواب مكة لا أغلق لها ، وأول من أخذ لها الأبواب معاوية .

وقال أبو اليمان : عن شعيب ، عن الزهري : مضت السنة ألا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر ، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية ، وقضى بذلك بنو أمية بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز ، فراجع السنة ، وأعاد هشام ما قضى به معاوية وبنو أمية من بعده . وبه قال الزهري^(٢) .

ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم ، وكان معاوية أول من قصّرها إلى النصف وأخذ النصف لنفسه .

وقال ابن وهب : عن مالك ، عن الزهري قال : سألت سعيد بن المسيّب عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي : اسمع يا زهري ! من مات محباً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وشهد للعشرة بالجنة ، وترحم على معاوية كان حقاً على الله ألا يُناقشه الحساب .

وقال سعيد بن يعقوب الطالقاني : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : تراب في أنف معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز .

(١) كذا رواية البيهقي في أ ، ط . ورواية البيت الأول في ب ، م ومختصر تاريخ دمشق (٧٥ / ٧٠) كما يلي :

سرحت سفاهتي وأرحت حلمي وفيّ على تحملي اعتراض

(٢) الخبر بأوضح مما هنا في مختصر تاريخ دمشق (٧١ - ٧٢) .

وقال محمد بن يحيى بن سعيد: سئل ابن المبارك عن معاوية، فقال: ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: سمع الله لمن حمده، فقال خلفه: ربنا ولك الحمد. فقيل له: أيهما أفضل هو أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراتب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز^(١).

وقال غيره: عن ابن المبارك قال: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شراً اتهمناه على القوم^(٢) - يعني الصحابة.

وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي وغيره: سئل المعافى بن عمران: أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب وقال للسائل: أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟! معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «دعوا لي أصحابي وأصحابي»^(٣) فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وكذا قال الفضل بن عنبسة^(٤).

وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي^(٥): معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ، فإذا كشف الرجل الستر اجتراً على ما وراءه.

وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن! إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فأتهمه على الإسلام.

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمر بن العاص أيقال له: رافضي؟ فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيثة سوء. ما انتقص أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء.

وقال ابن المبارك: عن محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة قال: ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية، فإنه ضربه أسواطاً.

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧٤/٢٥).

(٢) وقعت في ط: القول. والخبر في مختصر تاريخ دمشق (٧٤/٢٥).

(٣) الخبر في تاريخ دمشق (٢٠٨/٥٩)، وقول النبي ﷺ: «دعوا لي أصحابي» صحيح من حديث أنس؛ أخرجه أحمد (٢٦٦/٣) وغيره. وهو عند مسلم (٢٥٤١) في فضائل الصحابة من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي». أما لفظة «وأصحابي» فهي غير محفوظة، كما بينها في موضع آخر (بشار).

(٤) تحرف في أ، ط إلى: عتية والمثبت في ب. وخبر الفضل بن عنبسة في مختصر تاريخ دمشق (٧٤/٢٥) ونصه: أنه سئل: معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فعجب من ذلك وقال: سبحان الله! أأجعل من رأى رسول الله ﷺ كمن لم يره؟! قالها ثلاثاً.

(٥) تحرف في ب إلى: الحلبي. وأبو توبة الحلبي من رجال التهذيب.

لا يرقع الناس ما أوهى وإن جهدوا أن يرقعوه ولا يوهون ما رقعاً^(١)
وقال الشافعي : سرق يزيد هذين البيتين^(٢) من الأعشى . ثم ذكر أنه دخل قبل موت أبيه دمشق ، وأنه
أوصى إليه . وهذا ما قاله ابن إسحاق وغير واحد ، ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل دمشق إلا بعد
موت أبيه ، وأنه صلى على قبره بالناس كما قدمناه ، والله أعلم .
وقال أبو الورد العبّري يرثي معاوية رضي الله عنه :

ألا أنعى معاوية بن حرب نعاة الحل للشهر الحرام
نعاة الناعيات بكل فجّ خواضع في الأزمة كالسهم
فهايتك التجوم وهنّ خرس ينحن على معاوية الشام^(٣)
وقال أيمن بن خريم^(٤) يرثيه أيضاً :

رمى الحدّثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا^(٥)
فردّ شعورهنّ السود بيضاً وردّ وجوههنّ البيض سودا
فإنك لو شهدت بكاء هندي ورملة إذ يصفقن الخدودا
بكيّت بكاء مغولة قريح أصاب الدهر واحداها الفريدا

ذكر من تزوج من النساء ومن ولد له

كان له عبد الرحمن - وبه كان يُكنى - وعبد الله ، وكان ضعيف العقل . وأُمُّهُما فاختة بنت قُرْظَة بن [عبد]^(٦)

- (١) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٨٧/٢٥ - ٨٨) وتاريخها فيه .
- (٢) يعني البيتين الأخيرين ، وهما في ديوان الأعشى الكبير (ص ١٥٧ ، ١٦١) من قصيدة يمدح بها هوزة بن علي الحنفي ، ومطلعها :
- (٣) تحرفت لفظة الشام في أ ، ط إلى : الهمام . والبيت من شواهد اللسان والتاج : مادة (شأم) . والأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٨٨/٢٥) وتاريخها فيه .
- (٤) اختلف الرواة في عزو هذه الأبيات ، فقد نسبت في الحماسة (٩٤١/٢) وزهر الآداب (٧/٢) إلى عبد الله بن الزبير - بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة - الأسدي . وفي عيون الأخبار (٦٧/٣) ومختصر تاريخ دمشق (٢٦٨/٢٠) إلى فضالة بن شريك . وفي ذيل الأمالي (ص ١١٥) إلى الكميّ بن معروف الأسدي . مختصر تاريخ دمشق (٨٩/٢٥) .
- (٥) قوله : سمدن له سمودا تحرف في أ ، ط إلى : سجدن له سجودا والبيت من شواهد اللسان والتاج : مادة (سمد) . « والسمود » : الغفلة واللهو عن الشيء .
- (٦) سقطت لفظة عبد من الأصول ، واستدركتها من نسب قريش : ص ١٩٨ ، ٢٠٤ ومن ترجمتها في تاريخ دمشق (٦/٧٠) .

عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد تزوج بأختها منفردة عنها بعدها [وهي كَنُود بنت قَرْظَة ^(١)] وهي التي كانت معه حين افتتح قُبرص .

وتزوّج نائلة بنت عُمارة الكلبيّة ، فأعجبته ، وقال لميسون بنت بَحْدَل : ادخلي فانظري إلى ابنة عمّك ، فدخلت ، فسألها عنها ، فقالت : إنها لكاملة الجمال ، ولكن رأيت تحت سُرّتها خالاً ، وإني لأرى هذه يُقتل زوجها ويوضع رأسه في حِجرها . فطلّقها معاوية ، فتزوّجها بعده حبيب بن مَسْلَمَة ^(٢) الفهري ، ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير ، فقتل ووضع رأسه في حِجرها .

ومن أشهر أولاده يزيد ، وأُمّه ميسون بنت بَحْدَل بن أنيف بن دُلجة بن قُنافة الكلبي ، وهي التي دخلت على نائلة فأخبرت معاوية عنها بما أخبرته ، وكانت حازمة عزيمة الشأن جمالاً ورياسة وعقلاً وديناً . دخل عليها معاوية يوماً ومعه خادم خَصِي ، فاستترت منه وقالت : من هذا الرجل معك ؟ فقال : إنه خَصِي فاطهري عليه ، فقالت : ما كانت المثلّة لتُحلّ له ما حرّم الله عليه ، وحجبتة عنها . وفي رواية أنها قالت له : إن مجرد مُثلتك له لن تُحلّ ما حرّمه الله عليه ^(٣) . فلهذا أولى الله ابنها يزيد الخلافة بعد أبيه . وذكر ابن جرير : أن ميسونَ هذه ولدت لمعاوية بنتاً أخرى يقال لها : أمة ربّ المشارق ، ماتت صغيرة ^(٤) .

ورَمَلَة تزوّجها عمرو بن عثمان بن عفان ، كانت دارها بدمشق عند عقبة السمك تُجاه زقاق الرمان . قاله ابن عساكر . قال : ولها طاحون معروفة إلى الآن ^(٥) .

وهند بنت معاوية تزوّجها عبد الله بن عامر ، فلما أدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنّعت عليه وأبت أشد الإباء ، فضربها ، فصرخت ، فلما سمع الجوّاري صوتها صرخن وعلّت أصواتهن ، فسمع معاوية فنهض إليهن فاستعلمهنّ ما الخبر ؟ فقلن : سمعنا صوت سيّدتنا فصحنّا ، فدخل فإذا بها تبكي من ضربه ، فقال لا بن عامر : ويحك ! مثل هذه تضرب في مثل هذه الليلة ؟ ثم قال له : اخرج من هاهنا ، فخرج ابن عامر ، وخلا بها معاوية فقال لها : يا بَنِيّة ! إنه زوجك الذي أحلّه الله لك ، أو ما سمعت قول الشاعر :

من الخَفِرَاتِ الْبَيْضِ أَمَّا حَرَامُهَا فَصَعْبٌ ، وَأَمَّا حُلُّهَا فَذَلُولٌ ؟

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ . وتحرفت كنود في ط ، ب إلى كنوة ، وفي تاريخ الطبري (٣٢٩/٥) إلى كتوة ، وما أثبتناه من ترجمتها في تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص ٣١٨) ونسب قريش (ص ٢٠٤) وغيرهما .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : سلمة ، وفي ب إلى : مسلم .

(٣) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص ٣٩٧) .

(٤) تاريخ الطبري (٣٢٩/٥) .

(٥) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (ص ٩٥) .

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها : ادخل فقد مهّدتُ لك خلقها ووطأتها . فدخل ابن عامر ، فوجدها قد طابت أخلاقها ، ففضى حاجته منها^(١) . رحمهم الله تعالى .

فصل

وكان على قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب ، فلمّا حضره الموت أشار على معاوية بتولية فضالة بن عبيد ، ثم مات فضالة فولّى أبا إدريس الخولاني .
وكان على حرسه رجل من الموالي يقال له : المختار ، وقيل : مالك ، ويكنى أبا المخارق - مولى لحمير - وكان معاوية أول من اتخذ الحرس .
وعلى حجابته سعد مولاة .

وعلى الشرطة قيس بن حمزة ، ثم زُميل بن عمرو العُذري ، ثم الضحاك بن قيس الفهري .
وكان صاحب أمره سرجون بن منصور الرومي .
وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم وختم الكتب .

فصل

وممن ذكر أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة ستين :
صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ^(٢) : ابن رَحْضَةَ^(٣) بن المؤمّل بن خُزَاعِي ، أبو عمرو . أول مشاهدته المُرَيْسِيعِ^(٤) ،
وكان في السّاقَةِ^(٥) يومئذ .

(١) تاريخ ابن عساكر ، تراجم النساء (٤٦٠) .

(٢) طبقات خليفة (٥١ ، ١٨١ ، ٣١٨) تاريخ خليفة (٢٢٦) مسند أحمد (٣١٢/٥) تاريخ البخاري الكبير (٣٠٥/٤)
التاريخ الصغير (٤٣) المعرفة والتاريخ (٣٠٩/١) الجرح والتعديل (٤٢٠/٤) مشاهير علماء الأمصار (ت ١٧١)
معجم الطبراني الكبير (٦١/٨ ، ٦٣) مستدرك الحاكم (٥١٨/٣) الاستيعاب (٧٢٥/٢) تاريخ ابن عساكر
(٨/١٧٤/آ) أسد الغابة (٣٠/٣) اللباب في تهذيب الأنساب (٥٣١/١) ، الذكواني ، مختصر تاريخ دمشق
(١٠١/١١) تاريخ الإسلام (٢٧/٢) سير أعلام النبلاء (٥٤٥/٢) معجم الزوائد (٣٦٣/٩) الإصابة (١٥٢/٥) كنز
العمال (٤٣٦/١٣) تهذيب ابن عساكر (٤٤٠/٦) .

(٣) تحرف في ط إلى : رخصة .

(٤) « المريسيع » : ماء لبني خزاعة ، كانت به غزوة بين النبي ﷺ وبين بني المصطلق سنة خمس - وقيل في وقتها غير ذلك - وتسمى غزوة بني المصطلق . وخبر هذه الغزوة في سيرة ابن هشام (٢٨٩/٢) وغيره من كتب السيرة .

(٥) « ساقَة الجيش » : مؤخره . « والساقَة » : جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه . اللسان (سوق) .

ابن أربع وثلاثين سنة . فأقرّ نواب أبيه على الأقاليم ، ولم يعزل أحداً منهم . وهذا من ذكائه^(١) .

قال هشام بن محمد الكلبي^(٢) : عن أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي الأخباري : ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأمير الكوفة النعمان بن بشير ، وأمير البصرة عبيد^(٣) الله بن زياد ، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص . ولم يكن ليزيد همّة حين ولي إلا البيعة النفر الذين أبوا على معاوية البيعة ليزيد ، فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة : « بسم الله الرحمن الرحيم . من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة ، أما بعد ، فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه ، وخوّله ومكّن له ، فعاش بقدر ، ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ، ومات برّاً تقيّاً ، والسلام » .

وكتب إليه بصحيفة كأنها أذن الفأرة : « أمّا بعد ، فخذ حسيناً ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا ، والسلام » .

فلما أتاه نعي معاوية فُطِع^(٤) به وكُبر عليه ، فبعث إلى مروان ، فقرأ عليه الكتاب واستشاره في أمر هؤلاء النفر ، فقال : أرى أن تدعوهم قبل أن يعلموا بموت معاوية إلى البيعة ، فإن أبوا ضربت أعناقهم . فأرسل من فوره عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إلى الحسين وابن الزبير - وهما في المسجد - فقال لهما : أجبيا الأمير ، فقالا : انصرف ، الآن نأتيه ، فلمّا انصرف عنهما قال الحسين لا بن الزبير : إني أرى طاغيتهم قد هلك ، فقال ابن الزبير : وأنا ما أظن غيره . قال : ثم نهض حسين ، فأخذ معه مواليه وجاء باب الأمير ، فاستأذن ، فأذن له ، فدخل وحده وأجلس مواليه على الباب وقال : إن سمعتم أمراً يريكم فادخلوا . فسلمّ وجلس ومروان عنده ، فناوله الوليد بن عتبة الكتاب ، ونعى إليه معاوية ، فاسترجع وقال : رحم الله معاوية ، وعظم لك الأجر . فدعاه الأمير إلى البيعة ، فقال له الحسين : إن مثلي لا يبايع سراً ، وما أراك تجتري مني بهذا ، ولكن إذا اجتمع الناس دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً . فقال له الوليد - وكان يحب العافية : فانصرف على اسم الله حتى تأتينا في جماعة الناس . فقال مروان للوليد : والله لئن فارقك ولم يبايع الساعة ليكثرنّ القتل بينكم وبينه ، فاحسبه ولا تُخرجه حتى يبايع وإلا ضربت عنقه ، فنهض الحسين وقال : يا بن الزرقاء أنت تقتلني؟! كذبت والله وأثمت . ثم انصرف إلى داره ، فقال مروان للوليد : والله ما تراه بعدها أبداً ، فقال الوليد : والله - يا مروان - ما أحبُّ أن لي الدنيا وما فيها وأني قتلت الحسين ، سبحان الله ! أقتل

(١) قوله : « وهذا من ذكائه » ليس في م ولا في تاريخ الطبري (٣٣٨/٥) .

(٢) تاريخ الطبري (٣٣٨/٥) .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : عبد .

(٤) فطع الأمر من باب ظرف ، فهو فطيع ، أي : شديد .

حسيناً أن قال : لا أبايع ؟ والله إني لأظن أن مَنْ يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة^(١) .

وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير ، فامتنع عليه وماطله يوماً وليلة ، ثم إن ابن الزبير ركب في مواليه واستصحب معه أخاه جعفرأً وسارا إلى مكة على طريق الفرع^(٢) ، وبعث الوليد خلف ابن الزبير الرجال والفرسان فلم يقدروا على رده . وقد قال جعفر لأخيه عبد الله - وهما سائران - متمثلاً بقول صبرة الحنظلي :

وكل بني أمِّ سيمسون ليلةً ولم يبقَ من أعقابهم غير واحد

فقال : سبحان الله ! ما أردتَ إلى هذا ؟ فقال : والله ما أردتُ به شيئاً يسوءك ، فقال : إن كان إنما جرى على لسانك فهو أكره إليّ . قالوا : وتطير به^(٣) .

وأما الحسين بن علي فإنَّ الوليد تشاغل عنه بابن الزبير^(٤) ، وجعل كلما بعث إليه يقول : حتى تنظر وننظر ، ثم جمع أهله وبنيه ، وركب ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب من هذه السنة ، بعد خروج ابن الزبير بليلة ، ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى محمد بن الحنفية ، فإنه قال له : يا أخي ! والله لأنت أعزُّ أهل الأرض عليّ ، وإني ناصح لك : لا تدخلن مصراً من هذه الأمصار ، ولكن اسكن البوادي والرمال ، وابعث إلى الناس ، فإذا بايعوك واجتمعوا عليك فادخل فيهم^(٥) ، وإن أبيتَ إلا سُكنى الأمصار فاذهب إلى مكة ، فإن رأيتَ ما تحب وإلا ترفعتَ إلى الجبال والرمال . فقال له : جزاك الله خيراً ، فقد نصحتَ وأشفقت . وسار الحسين إلى مكة ، فاجتمع هو وابن الزبير بها .

وبعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال : بايع لي زيد ، فقال : إذا بايع الناس بايعت ، فقال رجل : إنما تريد أن يختلف الناس ويقتتلوا حتى يتفانوا ، فإذا لم يبق غيرك بايعوك ؟ فقال ابن عمر : لا أحبُّ شيئاً مما قلت ، ولكن إذا بايع الناس فلم يبق غيري بايعت . قال : فتركوه وكانوا يتخوفونه^(٦) .

وقال الواقدي^(٧) : لم يكن ابن عمر في المدينة حين قدم نعي معاوية ، وإنما كان هو وابن عباس بمكة ، فلقيهما - وهما مقبلان منها - الحسين وابن الزبير ، فقالا : ما وراءكما ؟ قالوا : موت معاوية والبيعة ليزيد ، فقال لهما ابن عمر : اتقيا الله ، ولا تفرقا بين جماعة المسلمين . وقدم ابن عمر وابن

(١) ينظر تاريخ الطبري (٣٤٠/٥) .

(٢) « الفرع » : قرية من نواحي المدينة على طريق مكة ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (معجم البلدان) .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٣٤١/٥) .

(٤) في م : « فإنه تشاغل الوليد عنه بعبد الله بن الزبير » .

(٥) في ط : « المصر » ، وما هنا من م .

(٦) كذا في جميع النسخ ، والذي في تاريخ الطبري (٣٤٢/٥) والكامل لابن الأثير (١٧/٤) . وكانوا لا يتخوفونه .

(٧) تاريخ الطبري (٣٤٣/٥) .

عباس إلى المدينة ، فلما جاءت البيعة من الأمصار بايع ابن عمر^(١) مع الناس ، وأما الحسين وابن الزبير فإنهما قدما مكة ، فوجدا بها عمرو بن سعيد بن العاص ، فخافاه وقالوا : إنا جئنا عُوَاذاً بهذا البيت^(٢) .

وفي هذه السنة - في رمضان منها - عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه ، وأضافها إلى عمرو بن سعيد بن العاص نائب مكة ، فقدم المدينة في رمضان ، وقيل : في ذي القعدة ، وكان متواهاً^(٣) متكبّراً . وسلط عمرو بن الزبير - وكان عدواً لأخيه عبد الله - على حربه ، وجردّه له ، وجعل عمرو بن سعيد يبعث البعوث إلى مكة لحرب ابن الزبير .

وقد ثبت في « الصحيحين » أن أبا شريح الخزاعي قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي - أيها الأمير - أُحدّثك قولاً^(٤) قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناي ، ووعاه قلبي [وأبصرته عيناي]^(٥) حين تكلم به . أنه حمّد الله وأثنى عليه ثم قال : « إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَها الله ولم يحرمها الناس ، وإنه لم يحلّ القتال فيها لأحدٍ كان قبلي ، ولن تحلّ لأحدٍ بعدي ، ولم تحلّ لي إلا ساعة من نهار ، ثم قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » . وفي رواية : « فَإِنْ أَحَدٌ ترخّص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا : إِنَّ الله أَدَنَ لرسوله ولم يأذن لكم » . فقيل لأبي شريح : ما قال لك ؟ فقال : قال لي : نحن أعلم بذلك منك . يا أبا شريح ! إِنَّ الحرم لا يُعِيد عاصياً ، ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بخربة^(٦) .

وقال الواقدي : ولّى عمرو بن سعيد شرطة المدينة عمرو بن الزبير ، فتتبع أصحاب أخيه ومن يهوى هواه ، فضربهم ضرباً شديداً حتى ضرب من جملة من ضرب أخاه المنذر بن الزبير^(٧) [وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخبيب بن

(١) في ب : بايعا .

(٢) في م : « نحن عُوَاذ بهذا البيت » .

(٣) في ط : « متألهاً » ، ولا معنى لها ، ولا هي من صفة الوليد بن عتبة ، وما أثبتناه من م ، وهو بمعنى التكبر .

(٤) في ط : « حديثاً » ، وما هنا من م ، وهو الموافق لما في صحيح البخاري .

(٥) سقط من أ ، ط ، وهو الذي في الصحيحين .

(٦) أخرجه البخاري رقم (١٠٤) في العلم : باب ليلعلم العلم الشاهد الغائب ورقم (١٨٣٢) في جزاء الصيد : باب لا يعضد شجر الحرم ، ورقم (٤٢٩٥) في الغزوات : باب غزوة الفتح . ومسلم (١٣٥٤) في الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلالها

والخربة : بفتح الخاء وإسكان الراء - هذا هو المشهور ، ويقال : بضم الخاء أيضاً - أصلها سرقة الإبل ، وتطلق على كل خيانة . قال الخليل : هي الفساد في الدين ، من الخارب : وهو اللص المفسد في الأرض .

وقد توسع ابن القيم في شرح هذه الخطبة في زاد المعاد (٤٤٢/٣) وما بعدها .

(٧) بعد هذا في ط : « وأنه لا بد أن يأخذ أخاه عبد الله في جامعة من فضة حتى يقدم به على الخليفة ، فضرِب المنذر بن الزبير » وليست في أ ، ب ، م ، ولا في تاريخ الطبري (٣٤٤/٥) .

عبد الله بن الزبير ، ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم ، ضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين جُلْدَةً ، وفَرَّ منه عبد الرحمن بن عثمان التيمي ، وعبد الرحمن بن عمرو^(١) بن سهل . . في أناس من مكة [ثم جاء العزم من يزيد إلى عمرو بن سعيد في تطلُّب ابن الزبير ، وأنه لا يقبل منه - وإن بايع - حتى يُؤتى به إليَّ في جامعة من ذهب أو فضة تحت بُرْئسه ، فلا تُرى إلا أنه يسمع صوتها . وكان ابن الزبير قد منع الحارث بن خالد المخزومي من أن يصلي بأهل مكة ، وكان نائب عمرو بن سعيد عليها ، فحينئذ صمَّ عمرو على تجهيز سرية إلى مكة بسبب ابن الزبير ، فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير : من يصلح أن نبعثه إلى مكة لأجل قتاله ؟ فقال له عمرو بن الزبير : إنك لا تبعث إليه مَنْ هو أنكى له منِّي ، فعينه على تلك السرية ، وجعل على مقدمته أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمئة مقاتل . - وقال الواقدي : إنما عيّنها يزيد بن معاوية نفسه ، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد - فعسكر أنيس بالجُزف . وأشار مروان بن الحكم على عمرو بن سعيد أن لا يغزو مكة ، وأن يترك ابن الزبير بها فإنه عما قليل إن لم يُقتل يمت . فقال أخوه عمرو بن الزبير : والله لنغزوَّه ولو في جوف الكعبة على رغم ألف من رَغم . فقال مروان : والله إن ذلك لیسوءني^(٢) . فسار أنيس ، واتبعه عمرو بن الزبير في بقية الجيش - وكانوا ألفين - حتى نزل بالأبطح ، وقيل : بداره عند الصفا ، ونزل أنيس بذي طوى . فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس ، ويصلي وراءه أخوه عبد الله بن الزبير ، وأرسل عمرو إلى أخيه يقول له : برَّ يمين الخليفة ، وأُتِه وفي عنقك جامعة من ذهب أو فضة ، ولا تدع الناس يضرب بعضهم بعضاً ، وأتق الله فإنك في بلد حرام . فأرسل عبد الله يقول لأخيه : موعدك المسجد . وبعث عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان بن أمية في سرية ، فاقتتلوا مع أنيس بن عمرو^(٣) الأسلمي ، فهزموا أنيساً هزيمة قبيحة ، وتفرَّق عن عمرو بن الزبير أصحابه ، ودخل^(٤) عمرو إلى دار ابن علقمة ، فأجاره أخوه عبيدة بن الزبير ، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال : تجير من حقوق الناس^(٥) ؟ ! ثم ضربه بكل من ضرب بالمدينة إلا المنذر بن الزبير وابنه فإنهما أيا أن يستقيدا من عمرو ، وسجنه ومعه عارم ، فسَمِّي سجن عارم . وقد قيل : إن عمرو بن الزبير مات تحت السَّياط ، والله أعلم .

(١) تحرف في أ إلى : عمير . والخبر في تاريخ الطبري (٣٤٤/٥) وما بين الحاصرتين ليس في ب وفيها بدلاً عنه : وجماعة من الأعيان .

(٢) كذا في أ وب وم ، ومثله في تاريخ الطبري . ووقعت في المطبوع : ليسرني .

(٣) في ط : « عمرو بن أنيس » مقلوب .

(٤) في ط : « وهرب » ، وما هنا من م وهو الموافق لما في تاريخ الطبري (٣٤٥/٥) .

(٥) في ط : « تجير من حقوق الناس » وما هنا من م وهو الأصح لموافقة تاريخ الطبري (٣٤٥/٥) .

وروى محمد بن سيرين وأخته حفصة عن أنس قال : كنت عند ابن زياد ، فجيء برأس الحسين ، فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيتُ مثلَ هذا حُسناً ، فقلت له : إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ^(١) .

وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد^(٢) : رأيتَ الحسين ؟ قال : نعم ، أسود الرأس واللحية إلا شعرات هاهنا في مقدّم لحيته ، فلا أدري أخضَبَ وترك ذلك المكان تشبهاً برسول الله ﷺ أو لم يكن شاب منه غير ذلك .

وقال ابن جريج : سمعت عمر بن عطاء قال : رأيتُ الحسين بن علي يصبُغُ بالوسْمة^(٣) ، أما هو فكان ابن ستين سنة ، وكان رأسه ولحيته شديدي السواد .

فأما الحديث الذي رُوي من طريقين ضعيفين ، أنَّ فاطمة سألت رسول الله ﷺ في مرض الموت أن ينحل ولديها شيئاً فقال : « أمّا الحسنُ فله هَيْبَتِي وسُودُدي ، وأمّا الحسينُ فله جُزأتي وجُودي » فليس بصحيح ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب المعتمدة .

وقد أدرك الحسين من حياة النبي ﷺ خمس سنين أو نحوها ، وروى عنه أحاديث . وقال مسلم بن الحجاج^(٤) : له رؤية من النبي ﷺ .

وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال في الحسن بن علي : تابعي ثقة . وهذا غريب ، فلأن يقول في الحسين : إنه تابعي ، بطريق الأولى .

وسنذكر ما كان رسول الله ﷺ يكرمهما به ، وما كان يُظهر من محبتهما والحنو عليهما [في فضائل الحسين إذا فرغنا من ذكر مقتله]^(٥) ، والمقصود : أن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض ، ولكنه كان صغيراً . ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه ، وكذلك عمر وعثمان . وصحب أباه وروى عنه ، وكان معه في مغازيه كلها ، في الجمل وصفين ، وكان معظماً موقراً ، ولم يزل في طاعة

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٧٤٨) في الفضائل ، من طريق جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين . وأخرجه الترمذي (٣٧٧٨) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، من طريق النضر بن شميل ، أخبرنا هشام بن حسان ، عن حفصة بنت سيرين .

(٢) تحرف يزيد في الأصول إلى : زياد . تاريخ ابن عساكر (٤٨/١٨) وسير أعلام النبلاء (٣/٢٨١) .

(٣) الوسمة - بالسين المهملة - نبت يختضب به . وقد وقعت في أ ، ط : بالوشمة .

(٤) الكنى والأسماء (٤٦٥) .

(٥) ما بين الحاصرتين من م .

أبيه حتى قُتل . فلما آلت الخلافة إلى أخيه الحسن وأراد أن يصالح معاوية شقَّ ذلك عليه ولم يسدِّ رأي أخيه في ذلك ، بل حثَّه على قتال أهل الشام ، فقال له أخوه : والله لقد هممتُ أن أسجنَكَ في بيت وأُطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك . فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم . فلما استقرَّت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردَّد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً ويقول لهما : مرحباً وأهلاً ، ويعطيهما عطاءً جزيلاً ، وقد أطلق لهما في يوم واحد مئتي ألف وقال : خذاها وأنا ابن هند ، والله لا يُعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي . فقال الحسين : والله لن تُعطيَ أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلاً أفضل منا . ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه .

وقد كان في الجيش الذين غزوا القُسطنطينية مع يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين ، ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممَّن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس ، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمَّم على ذلك ، فلما مات معاوية سنة ستين ، ودُعِيَ الناس إلى البيعة^(١) ليزيد بايع ابن عمر وابن عباس ، وصمَّم على المخالفة الحسينُ وابنُ الزبير ، وخرجا من المدينة فآزَيْن إلى مكة ، فأقاما بها ، فعكف الناس على الحسين يغدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه ويسمعون كلامه حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد .

وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاًه عند الكعبة ، وجعل يتردَّد في غبون ذلك إلى الحسين في جملة الناس ، ولا يمكنه أن يتحرَّك بشيء ممَّا في نفسه مع وجود الحسين لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه ، غير أنه قد تعيَّنت السرايا والبعوث إلى مكة بسببه ، ولكن أظفره الله بهم كما تقدم ذلك آنفاً ، فانقضت السرايا عن مكة مغلولين ، وانتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من اليزيديين ، وضرب أخاه عمراً وسجنه واقتصر منه وأهانته . وعظَّم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز ، واشتهر أمره ، وبُعِد صيته ، ومع هذا كلُّه ليس هو عند الناس مثل الحسين ، بل الناس إنما ميلُّهم إلى الحسين لأنه السيِّد الكبير ، وابن بنت رسول الله ﷺ فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه ، ولكن الدولة اليزيدية كانت كلها تناوئه .

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم - وذلك حين بلغهم موت معاوية ، وولاية يزيد ، ومصير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد - فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهمداني ، وعبد الله بن وال ، ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ، فقَدِمَا على الحسين لعشر مضين من رمضان من هذه السنة ، ثم بعثوا بعدهما نفرأ منهم قيس بن مُسهر الصَّدائي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكوا الأزحبي ، وعمارة بن عبد الله السَّلولي ، ومعهم نحو من مئة وخمسين كتاباً إلى الحسين ، ثم بعثوا

(١) في ط : وبويع ليزيد .

هانيء بن هانيء السَّبَّيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي ، ومعهما كتاب فيه الاستعجال في السَّير إليهم .

وكتب إليه شَبَث بن رُبَيعي ، وَحَجَّار بن أَبَجَر ، ويزيد بن الحارث بن رُويم ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، ومحمد بن عمر بن يحيى التميمي : « أما بعد ، فقد اخضرت الجنان ، وأينعت الثمار ، ولطمت الجمام ، فإذا شئت فاقدّم على جندٍ لك مجنّدة ، والسلام عليك » .

فاجتمعت الرسل كلّها بكتبها عند الحسين ، وجعلوا يستحثّونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضاً عن يزيد بن معاوية ، ويذكرون في كتبهم أنهم قد فرحوا بموت معاوية ، وينالون منه ، ويتكلّمون في دولته ، وأنهم لمّا يبايعوا أحداً إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم . فعند ذلك بعث ابن عمّه مسلم بن عَقيّل بن أبي طالب إلى العراق ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق ، فإن كان متحتماً وأمراً حازماً محكماً بعث إليه ليركب في أهله وذويه ، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه ، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك . فلمّا سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فأخذ منها دليلين ، فسار به على براري مهجورة المسالك ، فكان أحد الدليلين منهما أول هالك ، وذلك من شدّة العطش ، وقد أضلّوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له : المَضيق من بطن حُبَيْت ، فتطَيّر به مسلم بن عَقيّل ، فتلبّث مسلم على ماء هنالك ، ومات الدليل الآخر ، فكتب إلى الحسين يستشير في أمره ، فكتب إليه الحسين يعزم عليه أن يدخل العراق ، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم ، ويستخير خبرهم .

فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عَوْسجة الأسدي - وقيل : نزل في دار المختار بن أبي عُبَيْد الثقفي ، فالله أعلم . فتسامع أهل الكوفة بقدومه ، فجاؤوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين ، وحلفوا له لينصرنّه بأنفسهم وأموالهم ، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً ، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور ، فتجهّز الحسين من مكة قاصداً الكوفة كما سنذكره .

وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير ، خبّره رجل بذلك ، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعبأ به ، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة ، وأمرهم بالائتلاف والسُّنة وقال : إني لا أقاتل من لا يقاتلني ، ولا أثب على مَنْ لا يثب علي ، ولا آخذكم بالظُّنة ، ولكن - والله الذي لا إله إلا هو - لئن فارقتُم إمامكم ونكثتم بيعته لأقاتلتكم ما دام في يدي من سيفي قائمته^(١) . فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحَضْرَمي فقال له : إنّ هذا الأمر لا يصلح إلّا بالغَشم^(٢) ، وإن الذي سلكته -

(١) « قائم السيف وقائمته » : مقبضه .

(٢) « الغشم » : الظلم .

أيها الأمير - مسلك المستضعفين . فقال له النعمان : لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأقوياء الأعزّين في معصية الله . ثم نزل .

فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يُعلمه بذلك ، وكتب إلى يزيد عمارة بن عقبة ، وعمر بن سعد بن أبي وقاص . فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمّها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة ، وذلك بإشارة سرجون مولى معاوية [وكان يزيد يستشيرُه ، فقال سرجون : أكنت قابلاً من معاوية ما أشار به لو كان حياً ؟ قال : نعم ، قال : فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلّا عبيد الله بن زياد فولّه إياها . وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد ، وكان يريد أن يعزله عن البصرة ، فولّاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به وبغيره]^(١) .

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد : إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل ، فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه . وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي ، فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة ، فلما دخلها دخلها متلثماً بعمامة سوداء ، فجعل لا يمرّ بملاً من الناس إلّا قال : سلام عليكم . فيقولون : وعليك السلام ، مرحباً بابن رسول الله - يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه . وتكاثر الناس عليه ، ودخلها في سبعة عشر ركباً ، فقال لهم مسلم بن عمرو الذي من جهة يزيد : تأخّروا ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد . فلما علموا ذلك علّتهم كآبة وحزن شديد ، فتحقّق عبيد الله الخبر ، ونزل قصر الإمارة من الكوفة ، فلما استقرّ أمره أرسل مولى أبي رهم - وقيل : كان مولى له يقال له مَعْقِل - ومعه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص ، وأنه إنما جاء لهذه البيعة ، فذهب ذلك المولى ، فلم يزل يتلطف ويستدلّ على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها ، وهي دار هانئ بن عروة التي تحوّل إليها من الدار الأولى ، فبايع ، وأدخلوه على مسلم بن عقيل ، فلزمهم أياماً حتى أطلع على جلية أمرهم ، فدفع المال إلى أبي ثُمّامة العائذي^(٢) بأمر مسلم بن عقيل - وكان هو الذي يقبض ما يؤتى به من الأموال ويشترى السلاح ، وكان من فرسان العرب - فرجع ذلك المولى ، وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها . وقد تحوّل مسلم بن عقيل إلى دار هانئ بن عروة المُرادي ، ثم إلى دار شريك بن الأعور - وكان من الأمراء الأكابر ، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته ، فبعث إلى هانئ يقول له : ابعث مسلم بن عقيل حتى يكون في داري ليقتل عبيد الله [إذا جاء يعودني ، فبعثه إليه ، فقال له شريك : كن أنت في الخباء ، فإذا جلس عبيد الله]^(٣) فإني أطلب الماء - وهي إشارتي إليك - فاخرج فاقتله . فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك وعنده هانئ بن عروة ، وقام بين يديه غلام له يقال له مِهْران ، فتحدّث عنده ساعة ثم قال شريك :

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب ، وفيها بدلاً عنه : ولم يكن يزيد يحب عبيد الله قبل ذلك .

(٢) في ط : العامري .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ^(١)

فلما سَلَّمَ هانئ على عبيد الله قال : يا هانئ ! أين مسلم بن عَقِيل ؟ قال : لا أدري ، فقام ذلك المولى التميمي الذي دخل دار هانئ في صورة قاصد من حمص فبايع ودفع الدراهم بحضرة هانئ إلى مسلم ، فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم . فلما رآه هانئ قُطِعَ وأسقط في يده ، فقال : أصلح الله الأمير ، والله ما دعوتُهُ إلى منزلي ، ولكنه جاء فطرح نفسه عليّ . فقال عبيد الله : فائتني به ، فقال : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه . فقال : أدنوه مِنِّي ، فأدنوه ، فضربه بحربة على وجهه فشجّه على حاجبه وكسر أنفه . وتناول هانئ سيف شرطي ليسلّه ، فدفع عن ذلك ، وقال عبيد الله : قد أحلّ الله لي دمك لأنك حرّوري ، ثم أمر به فحبسه في جانب الدار ، وجاء قومه من بني مذحج مع عمرو بن الحجاج ، فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قُتِلَ ، فسمع عبيد الله جلبة ، فقال لشريح القاضي وهو عنده : اخرج إليهم فقل لهم : إن الأمير لم يحبسه إلّا ليسأله عن مسلم بن عَقِيل . فقال لهم : إنّ صاحبكم حيّ ، وقد ضربه سلطاننا ضرباً لم يبلغ نفسه ، فانصرفوا ولا تُحلُّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فتنفّروا إلى منازلهم . وسمع مسلم بن عَقِيل الخبر ، فركب ونادى بشعاره : « يامنصور أمت » فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، وكان معه المختار بن أبي عُبَيْد ومعه راية خضراء ، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء ، فرتبهم مِمنة وميسرة ، وساروا في القلب إلى عبيد الله وهو يخطب الناس في أمر هانئ ويحذّرهم من الاختلاف ، وأشرف الناس وأمرأؤهم تحت منبره ، فبينما هو كذلك إذ جاءت النّظارة يقولون : جاء مسلم بن عَقِيل ، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومنّ معه ، وأغلّقوا عليهم الباب ، فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك ، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر ، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف ، وتهدّدوهم وتوعّدوهم . وأخرج عبيد الله بعض الأمراء ، وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذّلون الناس عن مسلم بن عَقِيل ، ففعلوا ذلك ، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له : ارجع إلى البيت ، الناس يكفونك . ويقول الرجل لا بنه وأخيه : كأنك غداً بجنود الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم ؟ . فتخاذل الناس وقصروا وتصمّموا وانصرفوا عن مسلم بن عَقِيل حتى لم يبق إلّا في خمسمئة نفس ، ثم تقالّوا حتى بقي في ثلاثمئة ، ثم تقالّوا حتى بقي معه ثلاثون رجلاً ، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كِنْدَةَ ، فخرج منها في عشرة ، ثم انصرفوا عنه ، فبقي وحده ليس معه من يدلّه على الطريق ، ولا من يواسيه بنفسه ، ولا من يؤويه إلى منزله ، فذهب على وجهه ، واختلط الظلام وهو وحده يتردّد في الطريق لا يدري أين يذهب ، فأتى باباً ، فنزل عنده وطرقه ، فخرجت منه امرأة يقال لها طَوْعَة ، كانت أمّ ولد للأشعث بن قيس ، وقد كان لها ابن من غيره يقال له : بلال بن أسيد ، خرج مع الناس وأمه قائمة

(١) البيت لعمر بن معديكرب الزبيدي ، وهو في ديوانه (ص ٩٢) وروايته فيه : أريد حِباءه . والحِباء - بكسر الحاء - العطية . والخبر في تاريخ الطبري (٣٦٥/٥) وابن الأثير (٤/٢٧-٢٨) .

بالباب تنتظره ، فقال لها مسلم بن عقيل : اسقيني ماءً ، فسقته ، ثم دخلت وخرجت فوجدته ، فقالت : ألم تشرب ؟ قال : بلى . قالت : فاذهب إلى أهلِكَ عافاك الله ، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أجمله لك . فقام فقال : يا أمة الله ! ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة ، فهل لك إلى أجر ومعروف وفعل نكافئك به بعد اليوم ؟ فقالت : يا عبد الله وما هو ؟ قال : أنا مسلم بن عقيل ، كذّبتني هؤلاء القوم وغرّوني . فقالت : أنت مسلم ؟ قال : نعم . قالت : ادخل . فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي تكون فيه ، وفرشت له ، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها ، فرآها تكثر الدخول والخروج ، فسألها عن شأنها ، فقالت : يا بنيّ أله عن هذا ، فآلح عليها ، فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً ، فأخبرته خبر مسلم ، فاضطجع إلى الصباح ساكتاً لا يتكلّم .

وأما عبيد الله بن زياد ، فإنه نزل من القصر بمن معه من الأمراء والأشراف بعد عشاء الآخرة ، فصلّى بهم العشاء في المسجد الجامع ، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عقيل وحثّ على طلبه ، ومن وجد عنده ولم يعلم به قدمه هدر ، ومن جاء به فله دية ، وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهددهم .

فلما أصبح ابن تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم ، فجاء عبد الرحمن فسارّ أباه بذلك وهو عند ابن زياد ، فقال ابن زياد : ما الذي سارّك به ؟ فأخبره الخبر ، فنخس^(١) بقضيب في جنبه وقال : قم فائتني به الساعة .

وبعث ابن زياد عمرو^(٢) بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً ، فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها ، فدخلوا عليه ، فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات ، وأصيبت شفته العليا والسفلى ، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ، ويلهبون النار في أطناب القصب ويلقونها عليها ، فضاق بهم ذرعاً ، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان ، فأمكنه من يده ، وجاؤوا ببغلة فأركبوه عليها ، وسلبوا عنه سيفه ، فلم يبق يملك من نفسه شيئاً ، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول ، فبُيْس من نفسه وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال بعض من حوله : إن من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي إذا نزل به هذا . فقال : أما والله لست أبكي على نفسي ، ولكن أبكي على الحسين وآل الحسين ، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة . ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال : إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل ، فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع فلم يصدق الرسول في ذلك ، وقال : كل ما حمّ^(٣) الإله واقع .

(١) « نخس » : غرز .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : عمر .

(٣) « حمّ » : قدّر وقضى .

قالوا : ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر إذا على بابه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه ، ينتظرون أن يؤذن لهم على ابن زياد ، ومسلم مخضّب بالدماء في وجهه وثيابه ، وهو مُثخّن بالجراح ، وهو في غاية العطش ، وإذا قُلَّةٌ^(١) من ماء بارد هنالك ، فأراد أن يتناولها ليشرب منها ، فقال له رجل من أولئك : والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم ، فقال له : ويلك يا بن باهلة^(٢) ، أنت أولى بالحميم والخلود في نار الجحيم مني . ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكالل والعطش ، فبعث عُمارة بن عُقبة بن أبي مُعيط مولى له إلى داره ، فجاء بقُلَّةٍ عليها منديل ومعه قَدَح ، فجعل يُفرغ له في القَدَح ويعطيه ، فيشرب فلا يستطيع أن يستسيغَه من كثرة الدماء التي تعلق على الماء مرتين أو ثلاثاً ، فلما شرب سَقَطَت ثنياه مع الماء فقال : الحمد لله لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماء . ثم أدخل على ابن زياد ، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه ، فقال له الحرس : ألا تسلم على الأمير ؟ فقال : لا ، إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه ، وإن لم يرد قتلي فسأسلم عليه كثيراً . فأقبل ابن زياد عليه فقال : إيه يا بن عقيل ، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرّق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض ؟! قال : كلا لست لذلك أتيت ، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم ، وسفك دماءهم ، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب . قال : ومأنت وذاك يا فاسق ؟! لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ فقال : أنا أشرب الخمر ؟! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق ، وأنت قلت بغير علم ، وأنت أحقّ بذلك مني [فإني لست كما ذكرت ، وإن أولى بها مني من يلغ في دماء المسلمين ولغاً ، ويقتل النفس التي حرّم الله بغير نفس ، ويقتل على الغضب والظنّ ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً . فقال له ابن زياد : يا فاسق إن نفسك تمنّيك ما حال الله دونك ودونه ، ولم يُرك أهله . قال : فمن أهله يا بن زياد ؟ قال : أمير المؤمنين يزيد . قال : الحمد لله على كل حال ، رَضِينَا بِاللّهِ حَكَمًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . قال : كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً ؟ قال : لا والله ما هو بالظنّ ولكنّه اليقين . قال له : قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس . قال : أما إنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تدع سوء القِتلة وقبح المُثلة وخُبث السيرة المكتسبة عن كباركم^(٣) وجَهالكُم^(٤) . وأقبل ابن زياد يشتمّه ويشتمّ حسيناً وعليّاً ومسلمً ساكت لا يكلمه - رواه ابن جرير عن

(١) « القُلَّة » : الجَرَّة . وجمعها قُلُل وقِلال .

(٢) تحرفت في أ ، ط إلى : ناهلة . والمقصود هو مسلم بن عمرو الباهلي كما في تاريخ الطبري (٣٧٦/٥) وابن الأثير (٣٤/٤) .

(٣) في ط : كتابكم .

(٤) ما بين حاصرتين ليس في ب ، وفيها بدلاً عنه : قال أبو مخنف وغيره من رواة الشيعة .

أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة - ثم قال له ابن زياد : إني قاتلك . قال : كذلك ؟ قال : نعم . قال : فدعني أوصي إلى بعض قومي ، قال : أوص ، فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقال : يا عمر ! إنَّ بيني وبينك قرابة ، ولي إليك حاجة ، وهي سرُّ فقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك ، فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد . فقام فتنحَّى قريباً من ابن زياد ، فقال له مسلم : إنَّ علي ديناً في الكوفة سبعمئة درهم فاقضها عني ، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها ، وابعث إلى الحسين فإني كنت قد كتبت له أن الناس معه ، ولا أراه إلاً مقبلاً . فقام عمر ، فعرض على ابن زياد ما قال له ، فأجاز ذلك له كله وقال : أما الحسين فإنه إن لم يردنا لا نرده ، وإن أرادنا لم نكف عنه . ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل ، فأصعد إلى أعلى القصر وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرؤنا وخذلونا . ثم ضرب عنقه رجل يقال له بُكير بن حُمران ، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر ، وأتبع رأسه بجسده . ثم أمر بهانئ بن عروة المذحجي ، فضربت عنقه بسوق الغنم ، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكُناسة ، فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة :

فإن كنت لا تدري ما الموت فانظري إلى هاني في الشوق وابن عقيل
أصابهما أمرُ الإمام فأصبحا أحاديث مَنْ يغشى بكل سبيل
[إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي من^(١) طمار قتيل
ترى جسداً قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
فإن أنتم لم تثاروا بأخيكم فكونوا بغياً أُرِضت بقليل^(٢)

ثم إن ابن زياد قتل معهما أناساً آخرين^(٣) ثم بعث برؤوسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، وكتب إليه كتاباً صورة ما وقع من أمرهما^(٤) .

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة يوم خطب أهلها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والتفرق . كما رواه هشام بن الكلبي وأبو مخنف ، عن الصَّقْعَب بن زهير ،

(١) في الأصول ومروج الذهب (٦٩/٣) في ، والتصويب من تاريخ الطبري (٣٨٠/٥) ولسان العرب (طمر) . « والطار » : اسم المكان العالي . ويُشَد البيت بفتح الراء وكسرهما .

(٢) اختلف الرواة في قائل هذه الأبيات ، فقد نسبها الدينوري في الأخبار الطوال (ص ٢٤٢) لعبد الرحمن بن الزبير الأسدي ، وهي في تاريخ الطبري (٣٧٩/٥ - ٣٨٠) والكمال لابن الأثير (٣٦/٤) لعبد الله بن الزبير أو للفرزدق . والبيتان الأول والثالث منها من شواهد اللسان : مادة (طمر) ونسبتها فيه لسليم بن سلام الحنفي . والأبيات أيضاً في مروج الذهب (٦٩/٣) والأبيات غير موجودة في ترجمة الحسين في تاريخ ابن عساكر المجلدة (١٨) وسير أعلام النبلاء (٣/٣٠٨) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٤) خبر مقتل مسلم بن عقيل في ضعيف الطبري (١٦٣/٩ - ١٩٤) عن أبي مخنف ، وهو متروك .

عن أبي عثمان النهدي قال : بعث الحسين مع مولى له يقال له سلمان كتاباً إلى أشرف أهل البصرة ، فيه : أما بعد ، فإنَّ الله اصطفى محمداً على خلقه ، وأكرمه نبوّه ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به ، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وأحقَّ الناس به وبمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنا أحقُّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحزَّروا الحق ، فرحمهم الله وغفر لنا ولهم . وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، فإنَّ السنة قد أُميتت ، وإنَّ البدعة قد أُحييت ، فتسمعوا قولِي وتطيعوا أمري ، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وعندي في صحة هذا عن الحسين نظر ، والظاهر أنه مطرَّز بكلام مزيد من بعض رواة الشيعة .

قال : فكل من قرأ ذلك من الأشراف كتبه إلّا المنذر بن الجارود ، فإنه ظنَّ أنه دسيسة من ابن زياد ، فجاء به إليه ، فبعث خلف الرسول الذي جاء به من حسين ، فضرب عنقه ، وصعد عبيد الله بن زياد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فوالله ما بي تُقرن الصَّعبة ، وما يُقعقع لي بالشَّنان^(١) ، وإنني لنكال لمن عاداني ، وسِهَام لمن حاربنِي ، أنصف القارة مَنْ رماها . يا أهل البصرة إنَّ أمير المؤمنين ولأني الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة ، وقد استخلفتُ عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان ، فإياكم والخلاف والإرجاف ، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلافاً لأقتلنه وعريفه ووليه ، ولأخذنَّ الأدنى بالأقصى حتى يستقيم لي الأمر ولا يكون فيكم مخالفاً ولا مشاقق . أنا ابن زياد ، أشبهته من بين مَنْ وطئ الحصى ، ولم ينتزعني شبه خال ولا عم^(٢) . ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي ، فكان من أمره ما تقدم .

قال أبو مخنف : عن الصَّقْعَب بن زهير ، عن عون بن [أبي]^(٣) جُحَيْفَةَ قال : كان مخرج مسلم بن عَقِيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحِجَّة ، وقيل^(٤) يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحِجَّة ، وذلك يوم عرفة سنة ستين ، وكان ذلك مخرج الحسين من مكَّة قاصداً أرض العراق بيوم واحد . وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكَّة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكَّة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان . فأقام بمكَّة بقيَّة شعبان ورمضان وشوال وذا القعدة ، وخرج من مكَّة لثمان مضين من ذي الحِجَّة يوم الثلاثاء يوم التَّروية .

(١) قال صاحب اللسان في مادة (قع) : وفي المثل : فلان لا يقعقع له بالشَّنان ، أي : لا يُخدع ولا يُرْوَع .

(٢) هذه الخطبة في تاريخ الطبري (٥/٣٥٨) .

(٣) سقطت من المطبوع .

(٤) وقعت في المطبوع : قتل . والخبر تاريخ الطبري (٥/٣٨١) وابن الأثير (٤/٣٦) .

وفي رواية ذكرها ابن جرير^(١) : أن مسلم بن عَقِيل لَمَّا بَكَى قال له [عمرو بن]^(٢) عبيد الله بن عباس السُّلَمي : إِنَّ من يطلب مثل ما تطلب لا يبكي إذا نزل به مثل الذي نزل بك . قال : إني والله ما لنفسي أبكي ، وماله من القتل أرثي ، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تَلَفًا ، ولكنني أبكي لأهلي المقبلين إلى الكوفة ، أبكي للحسين وآل الحسين . ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ! إني والله أراك ستعجز عن أمانني ، فهل عندك خير ؟ تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يبلغ حسيناً عني رسالة ، فإنني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم أو غداً هو وأهل بيته ، وإنَّ ما تراه من جَزَعِي لذلك ، فتقول له : إِنَّ ابن عَقِيل بعثني إليك وهو في أيدي القوم أسيرٌ لا يدري أيصبح أم يمسي حتى يُقتل ، وهو يقول لك : ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل . إِنَّ أهل الكوفة قد كَذَّبوك وكذَّبوني ، وليس لكاذب رأي . فقال ابن الأشعث : والله لأفعلنَّ ولأعلمنَّ ابن زياد أنني قد أَمْتَنْتُكَ .

قال أبو مخنف : فدعا محمد بن الأشعث إياس بن العباس الطائي من بني مالك [بن عمرو]^(٣) بن ثمامة - وكان شاعراً - فقال له : اذهب فالتقَ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب - وكتب فيه الذي أمره به ابن عَقِيل - ثم أعطاه راحلة وتكفل له بالقيام بأهله وداره . فخرج حتى لقي الحسين بزُبالة لأربع ليال من الكوفة ، فأخبره الخبر ، وأبلغه الرسالة . فقال الحسين : كلُّ ما حُمَّ نازل ، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا .

ولما انتهى مسلم إلى باب القصر ، وأراد شرب الماء ، قال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردها ! والله لا تذوقها أبداً حتى تذوق الحميم في نار الجحيم . فقال له ابن عَقِيل : ويحك من أنت ؟ قال : أنا من عرف الحقَّ إذ أنكرته ، ونصح لإمامه إذ غششته ، وسمع وأطاع إذ عصيت ، أنا مسلم بن عمرو الباهلي . فقال له مسلم : لأُمُّك الويل ! ما أجفاك وأفظك ، وأقساك وأغلظك يا بن باهلة !! أنت والله أولى بالحميم ونار الجحيم .

صفة مخرج الحسين إلى العراق

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق ، وتكرَّرت الرسل بينهم وبينه [وجاءه كتاب مسلم بن عَقِيل بالقدوم عليه بأهله]^(٤) ثم وقع في غضون ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عَقِيل ، والحسينُ

(١) في تاريخه (٣٧٤/٥ - ٣٧٥) .

(٢) سقط من الأصول ، واستدرسته من تاريخ الطبري (٣٧٤/٥) وابن الأثير (٣٣/٤) .

(٣) سقط من ط . والخبر في تاريخ الطبري (٣٧٥/٥) .

(٤) سقط من ب .

لا يعلم بشيء من ذلك ، بل قد عزم على المسير إليهم والقدوم عليهم ، فاتفق خروجه من مكة يوم التَّروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد - فإن مسلماً قُتل يوم عرفة . ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك ، وحذَّروه منه [وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم]^(١) .

قال سفيان بن عُيينة ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : استشارني الحسين بن علي في الخروج ، فقلت : لولا أن يُزري بي وبك الناس لنشبت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب . فكان الذي ردَّ عليَّ أن قال : لأن أقتل في مكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن أقتل بمكة . قال : فكان هذا الذي سلَّى نفسي عنه .

وروى أبو مخنف ، عن الحارث بن كعب الوالبي ، عن عتبة بن سَمْعان : أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا بن عمِّ ! إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لنا ما أنت صانع ؟ فقال : إني قد أجمعت المسير في أحد يوميَّ هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرني ، إن كانوا قد دعوك بعدما قتلوا أميرهم ، ونفَّوا عدوهم ، وضبطوا بلادهم فسِرَّ إليهم ، وإن كان أميرهم حيّاً ، وهو مقيم عليهم ، قاهر لهم ، وعمَّاله تجبي بلادهم ، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمنُ عليك أن يستنفروا إليك الناس ويقلِّبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذين دعوك أشدَّ الناس عليك . فقال الحسين : إني أستخير الله وأنظر ما يكون .

فخرج ابن عباس من عنده ، ودخل ابن الزبير فقال له : ما أدري ما تركنا لهؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين وولادة هذا الأمر دونهم ! أخبرني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ، ولقد كتب إليَّ شيعتي بها وأشرفها بالقدوم عليهم ، وأستخير الله . فقال ابن الزبير : أما لو كان [لي]^(٢) بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ عنها . فلمَّا خرج من عنده قال الحسين : قد علم ابن الزبير أنه ليس له من الأمر معي شيء ، وأن الناس لم يعدلوه بي ، فودَّ أني خرجتُ منها لتخلو له .

فلما كان من العشيِّ أو من الغد جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له : يا بن عمِّ ! إني أتصبر ولا أصبر ، إني أتخوِّف عليك في هذا الوجه الهلاك ، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترنَّ بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم اقدم عليهم ، وإلا فسِرَّ إلى اليمن فإنَّ به حصوناً وشعاباً ، ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس في معزل ، واكتب إليهم ، وبثَّ دعائك فيهم ، فإني أرجو - إذا فعلت ذلك - أن يكون ما تحب . فقال الحسين : يا بن عمِّ ! والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق ، ولكني قد أزمعت المسير . فقال له : فإن كنت ولا بد سائراً فلا تسرَّ بأولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تُقتل كما قُتل

(١) سقط من ب .

(٢) زيادة من تاريخ الطبري (٣٨٣/٥) .

عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعلى الناس أطعنتي وأقمتَ لفعلتُ ذلك . قال : ثم خرج من عنده ، فلقي ابن الزبير فقال : قرّت عينك يا بن الزبير ؟ ! ثم قال :

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَيُضِي وَاضْفِرِي
وَنَقَّرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي صَيَّادُكَ الْيَوْمَ قَتِيلٌ فَابْشِرِي

ثم قال ابن عباس : هذا الحسين^(١) يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز^(٢) .

وقال غير واحد^(٣) : عن شَبَابَةَ بن سَوَّار قال : حدثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي قال : سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر : أنه كان بمكة ، فبلغه أنَّ الحسين بن علي قد توجه إلى العراق ، فلحقه على مسيرة ثلاث ليال ، فقال : أين تريد ؟ قال : العراق ، وإذا معه طوامير^(٤) وكتب ، فقال : هذه كتبهم ويبيعتهم ، فقال : لا تأتهم ، فأبى ، فقال ابن عمر : إني محدثك حديثاً : إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيرَه بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يُرد الدنيا . وإنك بضعة من رسول الله ، والله لا يليها أحدٌ منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم . فأبى أن يرجع . قال : فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : أستودعك الله من قتيل .

وقال يحيى بن معين^(٥) : حدثنا أبو عبيدة ، حدثنا سليم بن خَيَّان ، عن سعيد بن مينا قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : عجل حسين قدره ، والله لو أدركته ما تركته يخرج إلا أن يغلبني ، ببني هاشم فُتح هذا الأمر ، وببني هاشم يُختم ، فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان .

قلت : وهذا مع حديث ابن عمر يدلُّ على أنَّ الفاطميين أدعياء كَذَبَة ، لم يكونوا من سلالة فاطمة ، كما نص عليه غير واحد من الأئمة ، على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله .

(١) في ط : « حسين » ، وما هنا من م وهو الموافق لما في الكامل لابن الأثير (٣٩/٤) .

(٢) الخبر مع الرجز في الأخبار الطوال (ص ٢٤٤) وتاريخ الطبري (٣٨٣/٥ - ٣٨٤) وابن الأثير (٣٨/٤ - ٣٩) وتاريخ ابن عساكر (١٣٥/١٨) وسير أعلام النبلاء (٣٩٧/٣) وتاريخ الخلفاء (ص ٣٢٧) والقبرة - ويروى : قنبرة - واحد القبر : وهو ضرب من الطير . وينسب هذا الرجز لطرفة بن العبد . ملحوظ ديوانه (ص ١٩٣) وهناك تخريج مفصل له في مختصر تاريخ دمشق .

(٣) ينظر الخبر في تاريخ دمشق (٢٠٢/١٤) ، وسير أعلام النبلاء (٢٩٢/٣) .

(٤) « الطوامير » : الصحائف .

(٥) تاريخ ابن عساكر (١٢٥/٨) .

وأبغضتْهم ، وملّوني وأبغضوني ، وما يكون منهم وفاء قطّ ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيْب ، والله مالهم نيّات ولا عزم على أمر ، ولا صَبْر على السيف .

قال : وقدم [المسيّب بن نجبة^(١)] الفزاري في عدة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن ، فدعّوه إلى خلع [^(٢) معاوية وقالوا : قد علمنا رأيك ورأي أخيك ، فقال : إني لأرجو أن يعطي الله أخي على نيّته في حبّه الكف ، وأن يعطيني على نيّتي في حبي جهاد الظالمين .

وكتب مروان إلى معاوية : إني لست آمنُ أن يكون حسين مرصداً للفتنة ، وأظن يومكم من حسين طويلاً .

فكتب معاوية إلى الحسين : إنّ من أعطى الله صفقةً يمينه وعهده لجديرٍ بالوفاء ، وقد أنبت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق ، وأهل العراق من قد جرّبت ، قد أفسدوا على أهلك وأخيك ، فاتّق الله واذكر الميثاق ، فإنك متى تكذّني أكذّك . فكتب إليه الحسين : أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عنّي جدير ، والحسنات لا يهدي لها إلا الله ، وما أردتُ لك محاربة ولا عليك خلافاً ، وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك ، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة . فقال معاوية : إن أثّرنا بأبي عبد الله إلا أسدأ^(٣) .

وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه : إني لأظن أن في رأسك نزوة فوددت أني أدركها فأغفرها لك .

قالوا : فلمّا احتضر معاوية دعا يزيد فأوصاه بما أوصاه به ، وقال له : انظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ، فإنه أحبُّ الناس إلى الناس ، فصلِّ رحمه ، وارفق به يصلح لك أمره ، فإن يكن منه شيء فإني أرجو أن يكفيكهُ الله بمن قتل أباه وخذل أخاه . وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين ، وباع الناس ليزيد^(٤) ، فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامري - عامر بن لؤي - إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة : أن ادعُ الناس فبايعهم ، وابدأ بوجوه قريش ، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي ، فإن أمير المؤمنين عهد إليّ في أمره الرفق به واستصلاحه . فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، فأخبرهما بوفاة معاوية ، ودعاهما إلى البيعة ليزيد بن معاوية ، فقالا : إلى أن نصبح وننظر ما يصنع الناس . ووثب الحسين فخرج وخرج معه ابن

(١) تحرف في الأصول إلى : عقبة ، والتصويب من طبقات ابن سعد . والإكمال لابن ماکولا (٥٠١/١) ومشتبه الذهبي (١١٣/١) .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) وقعت لفظة أسدأ في أ ، ط : شراً . وهو خطأ ، فهو كذلك في طبقات ابن سعد الذي ينقل منه (٤٤٠/١) .

(٤) في ط : « يزيد » ، وما أثبتناه من م وتاريخ ابن عساكر (١٣٠/١٨) .

الزبير وقالوا : هو يزيد الذي نعرف ، والله ما حدث له عزم ولا مروءة . وقد كان الوليد أغلظ للحسين ، فستمه الحسين وأخذ بعمامة فنزعها من رأسه ، فقال الوليد : إن هَجْنَا بِأبي عبد الله إلَّا أسداً^(١) . فقال له مروان - أو بعض جلسائه : اقتله ، فقال : إنَّ ذلكَ لدمٌ مضمونٌ به مَصُونٌ في بني عبد مناف^(٢) .

قالوا : وخرج الحسين وابن الزبير من ليلتهما إلى مكة ، وأصبح الناس ، فغدّوا على البيعة ليزيد ، وطُلب الحسينُ وابن الزبير فلم يوجدا ، فقال المِسُور بن مَخْرمة : عجل الحسين ، وابنُ الزبير يلفته ويرجّيه ليخلو بمكة . فقدمًا مكة ، فنزل الحسين دار العباس ، ولزم ابن الزبير الحجر ، ولبس المعافري^(٣) وجعل يحرض الناس على بني أمية ، وكان يغدو ويروح إلى الحسين ، ويشير عليه أن يقدم العراق ، ويقول : هم شيعتك وشيعة أبيك . وكان ابن عباس ينهأه عن ذلك . وقال له عبد الله بن مطيع : إني فداؤك وأبي وأمي ، فأمتعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق ، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذنا عبيداً وخولا .

قالوا : ولقيهما عبد الله بن عمر وعبد الله بن عياش^(٤) بن أبي ربيعة بالأبواء^(٥) منصرفين من العمرة ، فقال لهما ابن عمر : أذكركما الله إلَّا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس ، وتنظرا ، فإن اجتمع الناس عليه فلم تشدّا ، وإن افرق^(٦) عليه كان الذي تريدان . وقال له : لا تخرج ، فإن رسول الله ﷺ خيرَ الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك بضعة منه ولا تنالها - يعني الدنيا - واعتنقه وبكى وودّعه . فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بن علي بالخروج ، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، فرأى من الفتنة وخذلان الناس لهم^(٧) ما كان ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش ، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس ، فإن الجماعة خير .

وقال له ابن عباس : وأين تريد يا بن فاطمة ؟ فقال : العراق وشيعتي ، فقال : إني لكارهٌ لوجهك هذا ، تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطاً وملالة لهم ؟! أذكرك الله أن تغرّر بنفسك .

(١) في أ ، ط : « شراً » ، خطأ .

(٢) والخبر في تاريخ ابن عساكر (١٣٠ / ١٨) وسير أعلام النبلاء (٢٩٥ / ٣) أيضاً نقلاً من ابن سعد .

(٣) « المعافري » : ثياب تنسب إلى قبيلة معافر اليمن .

(٤) في أ ، ط : عبد الله بن عباس وابن أبي ربيعة . وفي تاريخ ابن عساكر (١٣١ / ٨) عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة وكلاهما تصحيف . والصواب ما أثبتناه من ب وسير أعلام النبلاء (٢٩٦ / ٣) .

(٥) « الأبواء » : جبل على يمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة ، وهناك بلدة تنسب إلى هذا الجبل معجم البلدان (٧٩ / ١) .

(٦) في ط : « افرقوا » ، وما أثبتناه من م وطبقات ابن سعد (٤٤٤ / ١) وهو الذي بتاريخ ابن عساكر (١٣١ / ١٨) وسير أعلام النبلاء (٢٩٦ / ٣) .

(٧) في ط : « لهما » ، وما أثبتناه في المصادر التي تقدمت .

وقال أبو سعيد الخدري : غلبني الحسين على الخروج ، وقلت له : اتَّقِ اللهَ في نفسك ، والزَمَ بيتك ، ولا تخرج على إمامك .

وقال أبو واقد الليثي : بلغني خروج الحسين بن علي ، فأدركته بمَلٍّ^(١) ، فناشدته الله أن لا يخرج ، فإنه يخرج في غير وجه خروج ، إنما خرج يقتل نفسه . فقال : لا أرجع .

وقال جابر بن عبد الله : كلّمت حسيناً فقلت : اتَّقِ اللهَ ، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض ، فوالله ما حمدتم ما صنعتهم . فعصاني .

وقال سعيد بن المسيّب : لو أنّ حسيناً لم يخرج لكان خيراً له .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : قد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم ، ولكن شجّعته على ذلك ابن الزبير .

وكتب إليه المسور بن مخرمة : إياك أن تغتَرَّ بكتب أهل العراق وبقول ابن الزبير : الحقّ بهم فإنهم ناصروك^(٢) ، إياك تبرح الحرم ، فإنهم إن كانت بهم إليك حاجةٌ فسيضربون إليك آباط الإبل حتى يوافوك فتخرج في قوّة وعدّة . فجزاه خيراً وقال : أستخير الله في ذلك .

وكتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظّم عليه ما يريد أن يصنع ، وتأمّره بالطاعة ولزوم الجماعة ، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يُساق إلى مصرعه وتقول : أشهد لسمعت عائشة تقول : إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُقتلُ الحسينُ بأرضِ بابل » . فلما قرأ كتابها قال : فلا بدّ لي إذا من مضرعي . ومضى^(٣) .

وأثاه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال له : يا بن عمّ ! قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك ، وأنت تريد أن تسير إليهم ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك مَنْ قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك مَنْ أنت أحبُّ إليه ممن ينصره ، فأذكرك الله في نفسك . فقال : جزاك الله - يا بن عم - خيراً ، مهما يقض الله من أمريكُن . فقال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، نحسب أبا عبد الله عند الله .

وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذّره أهل الكوفة^(٤) ، ويناشدُه الله أن يشخص إليهم . فكتب إليه الحسين : إني رأيت رؤيا ، ورأيت رسول الله ﷺ أمرني بأمر وأنا ماضٍ له ، ولست بمُخبر بها أحداً حتى أُلَاقِي عملي .

(١) « ملل » : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) بعد هذا في ط : « وقال له ابن عباس » ، وليست في ب ، م ولا في طبقات ابن سعد وتاريخ ابن عساكر (١٣٢/١٨) وتهذيب الكمال (٤١٧/٦) ، لذلك لم نثبتها .

(٣) أخرجه ابن عساكر ، مختصره (١٤٠/٧) .

(٤) في ط : « العراق » ، وما هنا من م وطبقات ابن سعد (٤٤٧/١) الذي ينقل منه ، وتهذيب الكمال (٤١٨/٦) .

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص نائب الحرمين : إني أسأل الله أن يُلهمَكَ رشدَكَ ، وأن يصرفَكَ عما يُريدُكَ ، بلغني أنك قد عزمْتَ على الشَّخْصِ إلى العراق ، وإني أعيدُكَ بالله من الشَّقَاقِ ، فإنكَ إن كنتَ خائفاً فأقبل إليّ ، فلكَ عندِي الأمان والبرُّ والصَّلَة . فكتب إليه الحسين : إن كنتَ أردتَ بكتابكَ برِّي وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة ، وإنا لم نشاقق مَنْ دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، وخير الأمان أمان الله ، ولم يؤمن بالله مَنْ لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أماناً يوم القيامة عنده .

قالوا : وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة ، وأحسبُه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمَنّوه الخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكفُفْهُ عن السَّعي في الفرقة . وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش :

يا أيُّها الراكِبُ الغادي لِطَيِّتِهِ	على عُدافرةٍ في سَيْرِها قَحْمٌ ^(١)
أبلغُ قريشاً على نأيِ المَزارِ بها	بيني وبينَ حَسينِ الله والرَّحِمِ
وموقفٌ بِفناءِ البيتِ أَنشُدُهُ	عهدَ الإلهِ وما تُوفى به الذَّم
عَتَيْتُمُ قومَكُم فخرأً بأُمُكُم	أمَ لَعَمري حَصانُ بَرَّةٍ كَرَم
هي التي لا يُداني فَضْلُها أحدٌ	بنتُ الرسولِ وخيرِ الناسِ قد علموا
وفضْلُها لَكُم فَضْلٌ وَغيرُكُم	من قومَكُم لَهُمُ في فَضْلِها قِسَم
إنِّي لأعلمُ أو ظنّاً كعالمِهِ	والظَّنُّ يصدُقُ أحياناً فيتنظَّم
أنْ سوفَ يترْكُكُم ماتدَّعونَ بها	قتلى تَهَادُكُم العِقبانُ والرَّخَمُ ^(٢)
يا قومنا لا تَشُبُّوا الحربَ إذ سَكَنْتَ	ومَسَّكُوا بحبالِ السَّلمِ واعتَصِمُوا
قد جَرَّبَ الحربَ مَنْ قد كان قبلَكُم	من القُرونِ وقد بادَتْ بها الأُمَم
فأنصِفُوا قومَكُم لا تَهْلِكُوا بَذَخاً ^(٣)	فربَّ ذي بَذَخٍ زَلَّتْ به القَدَمُ ^(٤)

قال : فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه ، ولست أدع النصيحة له في كل ما تجتمع به الألفة وتطفأ به الثائرة . ودخل ابن عباس على الحسين فكلَّمه طويلاً وقال

(١) « الطية » : الجهة أو النية . « العُدافرة » : الناقة الصلبة القوية . « قحْم » : إقدام وجرأة وتقحم .

(٢) « الرخم » : جمع رخمة : طائر أبقع على شكل النسر خلقة .

(٣) « البذخ » : الكبر ، وتبذخ فلان : تطاول وتكبر وفخر .

(٤) الخبر والأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٣٤/١٨) وقد أورد الطبري الأبيات في تاريخه (٢٠٢/٨) في حوادث سنة

له : أَنشُدكَ اللَّهُ أَنْ تَهْلِكَ غَدًا بِحَالٍ مُضِيعة ، لا تأت العراق ، وإن كنت لا بدَّ فاعلاً فأقم حتى ينقضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدرُونَ ثم ترى رأيك ، وذلك في عشر ذي الحجة . فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إني [لأظنك ستُقتل غداً بين نساءك وبناتك كما قُتل عثمان بين نسائه وبناته ، والله إني ^(١)] لأخاف أن تكون أنت الذي يُقاد به عثمان ، فإننا لله وإنا إليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس ! إنك شيخ قد كبرت . فقال له ابن عباس : لولا أن يُزري ذلك بي وبك لنشبتُ يدي في رأسك ، ولو أعلم أنا إذا تناصينا ^(٢) أقمتَ لفعلتُ ، ولكن لا إخال ذلك مانعك . فقال الحسين : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ من أن تُستحل بي - يعني مكة - ^(٣) . قال : فبكى ابن عباس وقال : أقررتَ عينَ ابن الزبير بذلك ، وذلك الذي سلَّى نفسي عنه .

قال : ثم خرج ابن عباس عنه وهو مغضبٌ وابنُ الزبير على الباب ، فلما رآه قال : يا بن الزبير قد أتى ما أحبيت ، قرّت عينك ، هذا أبو عبد الله خارج ويتركك والحجاز ، ثم قال :

يَا لَكَ مِنْ قُنْبَرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَيُضِي وَاضْفِرِي
وَنَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تَنْقُرِي ^(٤)

قال : وبعث الحسين إلى المدينة يقدّم عليه من خفّ معه من بني عبد المطلب ، وهم تسعة عشر رجلاً ونساءً وصبياناً من إخوانه وبناته ونسائه ، وتبعهم محمد بن الحنفية ، فأدرك حسيناً بمكة ، فأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا ، فأبى الحسين أن يقبل ، فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث أحداً منهم حتى وجد ^(٥) الحسين في نفسه على محمد وقال : ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه ؟! فقال محمد : وما حاجتي إلى أن تُصاب ويُصابوا معك ؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم .

قالوا : وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، فخرج متوجّهاً إليهم في أهل بيته وستين شيخاً ^(٦) من أهل الكوفة ^(٧) ، وذلك يوم الإثنين في عشر ذي الحجة [سنة ستين] ^(٨) فكتب مروان إلى ابن زياد : أما بعد : فإن الحسين بن علي قد توجه إليك ، وهو الحسين بن فاطمة ، وفاطمة

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) « تناصينا » : أخذ كل منا بناصية الآخر . ووقعت في ط : تناصينا .

(٣) في ط : « أن أقتل بمكة وتستحل بي » وما هنا من م وطبقات ابن سعد (٤٥٠ / ١) الذي ينقل منه المصنف ، وتهذيب الكمال (٤٢١ / ٦) .

(٤) تقدم تخريجه قبل صفحات .

(٥) « وجد » : غضب وحزن .

(٦) في ط : « شخصاً » ، خطأ وما هنا من م وطبقات ابن سعد (٤٥١ / ١) وتهذيب الكمال (٤٢٢ / ٦) .

(٧) بعد هذا في ط : « صحبته » وليست في م ولا في طبقات ابن سعد وتهذيب الكمال (٤٢٢ / ٦) .

(٨) ليس في ط .

بنت رسول الله ﷺ ، وتالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين ، فأياك أن تُهَيِّجَ على نفسك ما لا يسدُّ شيء ، ولا تنساه العامة ، ولا تدع ذكره آخر الدهر . والسلام . وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص : أما بعد : فقد توجَّه إليك الحسين ، وفي مثلها تُعتق أو تكون عبداً تُسْتَرَقُّ كما يُسْتَرَقُّ العبيد .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثني محمد بن الضحَّاك ، عن أبيه قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : إنه قد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة ، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتليت أنت به من بين العمَّال ، وعندها تُعتق أو تعود عبداً كما ترقُّ العبيد وتعبَّد . فقتله ابن زياد ، وبعث برأسه إليه .

قلت : والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام ، كما سيأتي .

[وفي رواية : أن يزيد كتب إلى ابن زياد : قد بلغني أن الحسين قد توجَّه نحو العراق ، فضع المناظر والمسالح ، واحترس ، واحبس على الظنَّة ، وخذ على التُّهمة ، غير أن لا تقا تل إلا مَنْ قاتلك ، واكتب إليَّ في كل ما يحدث من خبر . والسلام]^(١) .

قال الزبير بن بكار : وحدَّثني محمد بن الضحَّاك قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة مرَّ بباب المسجد الحرام وقال :

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي فَلَقِ الصُّبِّ ح مُغِيراً وَلَا دُعِيتُ يَزِيدَا
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيدَا^(٢)

وقال أبو مخنف : قال أبو جَنَاب يحيى بن أبي حَيَّة^(٣) : عن عدي بن حَزْملة الأسدي ، عن عبد الله بن سُلَيْم والمذري^(٤) بن المشمَعْل الأسديين قالا : خرجنا حاجِّين من الكوفة ، فقدمنا مكة ، فدخلنا يوم التَّروية ، فإذا نحن بالحسين وابن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئت أن تقيم أقمت فولَّيت هذا الأمر ، فأزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبإيعناك . فقال الحسين : إنَّ أبي حدَّثني أنَّ لها كبشاً يستحلُّ حرمتها ، فما أحبُّ أن أكون أنا ذلك الكبش . فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئت وولَّني أنا الأمر فتُطاع ولا تُعصى . فقال : وما أريد هذا أيضاً . ثم إنهما أخفيا كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس راثحين^(٥) متوجَّهين إلى

(١) هذه الرواية ليست في ب .

(٢) البيتان ليزيد بن مفرَّغ الحميري ، وقد قالهما الحسين متمثلاً . وهما في تاريخ الطبري (٣٤٢/٥) والأغاني (٢٨٧/١٨ - ٢٨٨) وتاريخ ابن عساكر (١٢٧/١٨) .

(٣) تحرفت في ط إلى : خيشمة .

(٤) في ط : المنذر .

(٥) سقطت من ط ، وهي في م وعند الطبري (٣٨٥/٥) .

وقال هشام بن الكلبي : عن عَوانة بن الحكم ، عن لَبْطَةَ^(١) بن الفرزدق ، عن أبيه قال : حججتُ بأمي ، فبينما أنا أسوق بها بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج - وذلك سنة ستين - إذ لقيتُ الحسين خارجاً من مكة معه أسيافه وأتراسه ، فقلت له : بأبي وأمي يا بنَ رسول الله ! ما أعجلك عن الحج ؟ فقال : لو لم أعجل لأخذت . ثم سألني : ممن أنت ؟ فقلت : امرؤ من العراق ، فسألني عن الناس ، فقلت له : القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية . وذكر نحو ما تقدم .

قال الفرزدق : وسألت الحسين عن أشياء وعن المناسك ، فأخبرني بها . قال : وإذا هو ثقیل اللسان من برسام^(٢) كان أصابه بالعراق . قال : ثم مضيت فإذا فُسْطَاط^(٣) مضروب في الحرم ، وهيئة حسنة ، فإذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص ، فسألني ، فأخبرته أنني لقيت الحسين ، فقال : فهلاً أتبعته ؟ فإن الحسين لا يَحِيكُ^(٤) فيه السَّلاح ، ولا يجوز فيه ولا في أصحابه . فندم الفرزدق وهمَّ أن يلحق به ، ووقع في قلبه مقالة ابن عمرو ، ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم فصَدَّنِي ذلك عن اللحاق به . فلما بلغه أنه قُتل لَعَن ابن عمرو ، وكان ابن عمرو يقول : والله لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يبلغ هذا الأمر ويظهر . وإنما أراد ابن عمرو بقوله : لا يَحِيكُ فيه السَّلاح ، أي : السَّلاح الذي لم يقدَّر أن يقتل به . وقيل غير ذلك ، وقيل : أراد الهَزْل بالفرزدق^(٥) .

قالوا : ثم سار الحسين لا يلوي على شيء ، حتى نزل ذات عِرْق .

قال أبو مخنف : فحدَّثني الحارث بن كعب الوالبي ، عن علي بن الحسين بن علي قال : لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنه^(٦) : عون ومحمد : أما بعد ، فإنني أسألك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا ، فإنني مشفق عليك من الوجه الذي توجَّهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، إن هلك اليوم طُفئ نور الإسلام ، فإنك علَم المهتدين ، ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فإنني في أثر كتابي ، والسلام .

ثم نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد - نائب مكة - فقال له : اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان ، وتمنّيه فيه البرِّ والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع لعلَّه يطمئنُّ إلى ذلك فيرجع . فقال له عمرو : اكتب عني ماشئت واثنتي به حتى أختمه . فكتب ابن جعفر على لسان عمرو بن سعيد

(١) تحرف في ط إلى : ليطه ، وفي ب إلى : لبيطة .

(٢) « البرسام » : ذات الجنب ، وهو التهافت في الغشاء المحيط بالرئة .

(٣) « الفسطاط » : بيت كبير من الشعر .

(٤) « يحيك » : يؤثر .

(٥) الخبر في تاريخ الطبري (٣٨٦/٥ - ٣٨٧) وأيضاً في المعرفة والتاريخ (٦٧٣/٢) .

(٦) في ط : ابنه ، خطأ .

ما أراد عبد الله ، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو فختمه بخاتمه ، وقال عبد الله لعمرو بن سعيد : ابعث معي أخاك ، فبعث معه أخاه يحيى ، فانصرفا حتى لحقا الحسين ، فقرأ عليه الكتاب ، فأبى أن يرجع وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أمرني بأمر وأنا ماضٍ له ، فقالا : وما تلك الرؤيا ؟ فقال : لا أحدث بها أحداً حتى ألقى ربي عز وجل^(١) .

قال أبو مخنف : وحدثني محمد بن قيس : أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرُمة^(٢) ، بعث قيس بن مُسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن عليٍّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمدُ الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا ، فنسأل الله أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يُثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التَّروية ، فإذا قدم عليكم رسولي فأكيسوا^(٣) أمركم وجدوا ، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال : وكان كتاب مسلم قد وصل إليه قبل أن يُقتل بسبع وعشرين ليلة ، ومضمونه : أما بعد ، فإن الرائد لا يكذبُ أهله ، وإن جميع أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابي هذا ، والسلام عليك .

قال : وأقبل قيس بن مُسهر الصيداوي بكتاب الحسين إلى الكوفة ، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذهُ الحُصَيْن بن نُمير ، فبعث به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له ابن زياد : اصعد إلى أعلى القصر فسُبَّ الكذاب ابن الكذاب . فصعد ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنَّ هذا الحسين بن علي خير خلق الله ، وهو ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقتُ بالحاجر من بطن الرُمة ، فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا . ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعليٍّ والحسين . فأمر به ابن زياد ، فألقي من رأس القصر فتقطع ، ويقال : بل تكسرت عظامه وبقي فيه بقية رَمَق . فقام إليه عبد الملك بن عُمر البجلي فذبحه وقال : إنما أردتُ إراحته من الألم - وقيل : إنه رجل يشبه عبد الملك بن عُمر وليس به . وفي رواية : أن الذي قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن بُقطر أخو الحسين من الرضاعة ، فألقي من أعلى القصر . والله أعلم^(٤) .

ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم بشيء من أخبار ما وقع .

(١) تاريخ الطبري (٣٨٧/٥ - ٣٨٨) .

(٢) وقع في ط : بطن ذي الرمة وهو خطأ . والرمة - بتشديد الميم ويخفف - واد بنجد .

(٣) كذا في أ ، ب ، م ، و وقعت في ط : فاكتموا وفي تاريخ الطبري : فاكمشوا .

(٤) تاريخ الطبري (٣٩٤/٥ - ٣٩٥) .

قال أبو مخنف : عن أبي علي الأنصاري ، عن بكر بن مصعب المؤنزي قال : وكان الحسين لا يمرُّ بماء من مياه العرب إلا أتبعوه .

قال أبو مخنف : عن أبي جناب ، عن عدي بن حَزْمَلَة ، عن عبد الله بن سُلَيْم والمذري^(١) بن المشمعل الأسديين قالا : لما قضينا حجَّنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين ، فأدركناه وقد مرَّ برجل من بني أسد ، فهمَّ الحسين أن يكلمه ويسأله ثم ترك ، فجنَّنا ذلك الرجل ، فسألناه عن أخبار الناس ، فقال : والله لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عَقِيل وهانئ بن عروة ، ورأيتهما يُجرَّان بأرجلهما في السوق . قالا : فلحقنا الحسين فأخبرناه ، فجعل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مراراً . فقلنا له : الله الله في نفسك . فقال : لا خير في العيش بعدهما . قلنا : خار الله لك . وقال له بعض أصحابه : والله ما أنت مثل مسلم بن عَقِيل ، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع^(٢) .

وقال غيرهما : لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عَقِيل وثب عند ذلك بنو عَقِيل بن أبي طالب وقالوا : لا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا أو ندوق ما ذاق أخونا .

فسار الحسين ، حتى إذا كان بزُرُود^(٣) بلغه أيضاً مقتل الذي بعثه بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر ، فقال : قد خذلنا شيعتنا ، فمن أحبَّ منكم الانصراف فليصرف من غير حرج عليه ، وليس عليه منا ذمام . قال : فتفرَّق الناس عنه أيادي سباً^(٤) يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه [من مكة . وإنَّما فعل ذلك لأنه ظنَّ أن مَنْ اتَّبعه من الأعراب إنما اتَّبعوه لأنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهلها ، فكرة أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون ، وقد علم أنه إذا بين لهم الأمر لم يصحبه إلا مَنْ يريد مواساته في الموت معه]^(٥) .

قال : فلمَّا كان السَّحَر أمر فتياه أن يستقُوا من الماء ويُكثروا منه . ثم سار حتى مرَّ ببطن العَقَبَة ، فنزل بها .

وقال محمد بن سعد : حدَّثنا موسى بن إسماعيل ، حدَّثنا جعفر بن سليمان ، عن يزيد الرُّشك قال : حدَّثني من شافَ الحسين قال : [رأيت أخبية مضروبة بفلاة من الأرض ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : هذه

(١) في ط : المنذر .

(٢) تاريخ الطبري (٣٩٨/٥) .

(٣) زرود : منطقة رملية بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان (١٣٩/٣) .

(٤) « تفرقوا أيادي سباً » : مثل ضربته العرب في الفرقة : أي فرقتهم طرقهم التي سلکوها كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى . والعرب لا تهزم سباً في هذا الموضع لأنه كثر في كلامهم فاستقلوا فيه الهمز ، وإن كان أصله مهموزاً . اللسان : مادة (سبأ) .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٣٩٨-٣٩٩) .

لحسين ، قال [١] : فأتيتُهُ ، فإذا شيخٌ يقرأ القرآن والدموعُ تسيل على خديهِ ولحيته ، قال : قلت بأبي وأمي يا بن رسول الله ، ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟! فقال : هذه كتب أهل الكوفة إليّ ، ولا أراهم إلّا قاتلي ، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا الله حرمة إلّا انتهكوها ، فسلط الله عليهم مَنْ يذلُّهم حتى يكونوا أذلَّ من فرم الأمة - يعني : مقنعتها (٢) . وأخبرنا علي بن محمد ، عن الحسن بن دينار ، عن معاوية بن قرة قال : قال الحسين : والله لتعتدنَّ عليّ كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت . وحدثنا علي بن محمد ، عن جعفر بن سليمان الضُّبعي قال : قال الحسين : والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العَلقة من جوفي ، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم مَنْ يذلُّهم حتى يكونوا أذلَّ من فرم الأمة . فقتلَ بنينوي (٣) يوم عاشوراء سنة إحدى وستين .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو بكر الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا شهاب بن خراش (٤) ، عن رجل من قومه قال : كنت في الجيش الذين بعثهم ابن زياد إلى الحسين [وكانوا أربعة آلاف يريدون قتال الدَّيلم ، فعينهم ابن زياد ، وصرفهم إلى قتال الحسين] (٥) فلقيتُ حسيناً ، فرأيتُهُ أسود الرأس واللحية ، فقلت له : السلام عليك أبا عبد الله . فقال : وعليك السلام - وكانت فيه غُتة - فقال : لقد باتت فيكم سللة منذ الليلة - يعني سراقاً (٦) . قال شهاب : فحدثت به زيد بن علي فأعجبه : وكانت فيه غُتة . قال سفيان بن عيينة : وهي في الحسينيين (٧) .

قال أبو مخنف : عن أبي خالد الكاهلي قال : لما صبَّحت الخيلُ الحسينَ بن علي رفع يديه فقال : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي من كل أمر نزل بي ثقةٌ وعدة ، فكم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد ، وتقلُّ فيه الحيلة ، ويخذلُّ فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، فأنزله بك وشكوته إليك ، رغبةً فيه إليك عمن سواك ، ففرَّجته وكشفته وكفيتنيهِ ، فأنت (٨) وليُّ كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل غاية (٩) .

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ ، ب .

(٢) « المقنعة » : ماتغطي به المرأة رأسها . وفي النهاية لابن الأثير (٤٤١/٣) : (حتى تكونوا أذلَّ من فرم الأمة) هو ماتعالج به المرأة فرجها ليضيق . وقيل : هو خرقة الحيض .

(٣) « بنينوي » : ناحية بسواد الكوفة ، منها كربلاء .

(٤) تحرف في ط والمعرفة والتاريخ إلى : حراش وفي أ إلى : حرشان .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب ، كما سقطت لفظة آلاف من المعرفة والتاريخ .

(٦) في ط : سراقاً تحريف .

(٧) المعرفة والتاريخ (٣/٣٢٥) .

(٨) بعد هذا في ط : « لي » وليست في م ولا في تاريخ الطبري (٥/٤٢٣) ، ولا في تاريخ دمشق .

(٩) تاريخ ابن عساكر (١٨/١٤٢) .

لهم : ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم ؟! والله لو سألتكم هذا الترك والدَّيلم ما حلَّ لكم أن تردُّوهم . فأبَوْا إلَّا حكم ابن زياد ، فضرب الحرَّ وجه فرسه وانطلق إلى الحسين وأصحابه ، فظنُّوا أنه جاء ليقاتلهم ، فلمَّا دنا منهم قلب ترسه وسلَّم عليهم ، ثم كرَّ على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ، ثم قُتل رحمه الله ^(١) .

وذكر أن زهير بن القَيْن البَجَلِي لقي الحسين وكان حاجًّا ، فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبي مخرمة ^(٢) المرادي ورجلان آخران - وهما عمرو بن الحجاج ومعن السُّلَمي - [قال الحُصَيْن : وقد رأيتهما . قال : ^(٣)] وأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد [وإني لأنظر إليه] ^(٤) وعليه جبَّة من برود ، فلمَّا كلَّمهم انصرف ، فرماه رجل من بني تميم يقال له عَمْرُو الطُّهَوِي بسهم بين كتفيه ، فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلِّقاً بجبَّته ، فلما أبَوْا عليه رجع إلى مصافِّه ، وإني لأنظر إليهم وهم قريب من مئة رجل ، فيهم لُصْلُب علي خمسة ، ومن بني هاشم ستة عشر ، ورجل من بني سُليم حليف لهم ، ورجل من بني كنانة حليف لهم ، وابن عم ابن زياد .

وقال حُصَيْن : وحدثني سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد ، إذ أتاه رجل فسارَّه فقال له : قد بعث إليك ابن زياد جُويرية بن بدر التميمي ، وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك . قال : فوثب إلى فرسه فركبها ، ثم دعا بسلاحه فلبسه ، وإنه لعلى فرسه ، ونهض بالناس إليهم فقاتلوههم ، فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد ، فوضع بين يديه ، فجعل يقول بقضيبه في أنفه ويقول : إن أبا عبد الله كان قد شَمِطَ ^(٥) . قال : وجيء بنسائه وبناته وأهله ، وكان أحسن شيء صنَّعه أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل ، وأجرى عليهم رزقاً ، وأمر لهم بنفقة وكسوة . قال : وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر - أو ابن أبي جعفر - فأتيا رجلاً من طيِّئ ، فلجأ إليه يستجيران به ، فضرب أعناقهما وجاء برأسيهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد . قال : فهمَّ ابن زياد بضرب عنقه ، وأمر بداره فهُدِمت ^(٦) .

قال : وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال : لما أتى يزيدُ برأس الحسين فوضع بين يديه ، رأيته يبكي ويقول : لو كان بينه وبينه رحمٌ ما فعل هذا - يعني ابن زياد ^(٧) .

(١) تاريخ الطبري (٣٩٢/٥) .

(٢) في تاريخ الطبري (٣٩٢/٥) بحرية .

(٣) ما بين الحاصرتين ليس في ط ، واستدركناه من م ، وهو في تاريخ الطبري أيضاً (٣٩٢/٥) .

(٤) ما بين الحاصرتين من م ، وهو أيضاً في تاريخ الطبري .

(٥) « شَمِط » : شاخ وكبر .

(٦) تاريخ الطبري (٣٩٣/٥) .

(٧) المصدر السابق .

قال الحصين : ولما قُتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تَلَطَّخَ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع^(١) .

[قال أبو مخنف : حدَّثني لَوْذَان - أحد بني^(٢) عكرمة - أن أحد عمومته سأل الحسين : أين تريد ؟ فحدَّثه ، فقال له : أَنشُدْكَ الله لما انصرفت راجعاً ، فوالله ما بين يديك من القوم أحد يذُبُّ عنك ولا يقاتل معك ، وإنما - والله - أنت قادم على الأُسَّة والسيوف ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ الذين بعثوا إليك لو كانوا كَفَوْكَ مؤنة القتال ووطؤوا لك الأشياء ثم قدمت عليهم بعد ذلك كان ذلك رأياً ، فأما على هذه الصفة فإني لا أرى لك أن تفعل . فقال له الحسين : إنه ليس يخفى عليَّ ما قلتَ وما رأيت ، ولكنَّ الله لا يُغلب على أمره . ثم ارتحل قاصداً الكوفة .

وقال خالد بن العاص :

رُبَّ مُسْتَنْصَحٍ يَغُشُّ وَيُرْدِي وَظَنِينَ بِالْغَيْبِ يُلْفِي نَصِيحًا^(٣)

وقد حج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان عامل المدينة ومكة ليزيد . وقد عَزَلَ يزيدُ عن إمرة المدينة الوليد بن عُتْبَةَ وولَّاهَا عمرو بن سعيد بن العاص في شهر رمضان منها [وكان عُبيد الله بن زياد على البصرة والكوفة]^(٤) .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

استهلَّت هذه السنة والحسين بن علي سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقرباته ، فُقُتِلَ في يوم عاشوراء من شهر المحرَّم من هذه السنة على المشهور الذي صحَّحه الواقدي وغير واحد ، وزعم بعضهم أنه قُتِلَ في صفر منها ، والأول أصح .

وهذه صفة مَقْتَلِهِ مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن

لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب الصريح والبُهتان

قال أبو مخنف : عن أبي جَنَاب ، عن عدي بن حَرْملة ، عن عبد الله بن سُلَيْم^(٥) والمذري بن

(١) المصدر السابق .

(٢) قوله : أحد بني تحدثني . والخبر في تاريخ الطبري (٣٩٩/٥) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . والبيت في تاريخ الطبري (٣٨٢/٥) وهو لإبراهيم بن العباس الصولي كما في فهرسه .

(٤) ما بين الحاصرتين من م .

(٥) اضطربت النسخ في هذا السند : فوق في أ ، ط . . . عن عدي بن حرملة ، عن عبد الله بن حرملة ، عن عبد الله بن =

المشمعل الأسديين قالا : أقبل الحسين ، فلما نزل شراف^(١) قال لِعِلمانه وقت السحر : استقُوا من الماء فأكثروا ، ثم ساروا إلى صدر النهار ، فسمع الحسين رجلاً يكبر ، فقال له : ممَّ كبرت ؟ فقال : رأيت النخل ، فقال له الأسديان : إن هذا المكان لم يرَ أحد منه نخلة ، فقال الحسين : فماذا تريانه رأى ؟ فقالا : هذه الخيل قد أقبلت ، فقال الحسين : أما لنا ملجأ نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ فقالا : بلى ، ذو حُسم ، فأخذ ذات اليسار إليها فنزل ، وأمر بأبنيته فضرِبَت ، وجاء القوم - وهم ألف فارس مع الحرِّ بن يزيد التميمي ، وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد - حتى وقفوا في مقابلته في نحر^(٢) الظَّهيرة ، والحسين وأصحابه معتمُون متقلِّدو سيوفهم ، فأمر الحسين أصحابه أن يتروَّوا من الماء ، وَيَسْقُوا خيولهم ، وأن يسقُوا خيول أعدائهم أيضاً .

وروى هو وغيره قالوا : لما دخل وقت الظهر أمر الحسين الحجاج بن مسروق الجُعفي فأذن ، ثم خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين ، فخطب الناس من أصحابه وأعدائه ، واعتذر إليهم في مجيئه هذا إلى هاهنا : بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة : أن ليس لهم إمام ، وإن أنتَ قدمتَ علينا بايعناك وقاتلنا معك . ثم أقيمت الصلاة ، فقال الحسين للحرِّ : تريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال : لا ، ولكن صل أنت ونصلي نحن وراءك . فصلَّى بهم الحسين ، ثم دخل خيمته واجتمع به أصحابه ، وانصرف الحرُّ إلى جيشه وكلُّ على أهبته ، فلما كان وقت العصر صلَّى بهم الحسين ، ثم انصرف ، فخطبهم وحثَّ على السمع والطاعة له وخلع من عاداهم من الأدعياء السائرين بالجور . فقال له الحرُّ : إنا لا ندري ما هذه الكتب ولا مَنْ كتبها ، فأحضر الحسين خُرَجَيْن مملوءين كتباً ، فنثرها بين يديه وقرأ منها طائفة ، فقال الحرُّ : لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك^(٣) ، وقد أُمِرنا - إذا نحن لقيناك - أن لا نفارقك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد . فقال الحسين : الموت أدنى إليك من ذلك ، ثم قال الحسين لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وركب النساء ، فلما أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف ، فقال الحسين للحرِّ : ثكلتك أمُّك ! ماذا تريد ؟ فقال له الحرُّ : أما والله لو غيرك يقولها لي [من العرب وهو على مثل الحال التي أنت عليها]^(٤) لأقتصنَّ منه ولما تركت ذكر أمِّه ، ولكن لا سبيل إلى ذكر أمك إلَّا بأحسن ما نقدر عليه . وتناول القوم

= سليم . وتحرف سليم في ب إلى : سليمان . وما أثبتنا من تاريخ الطبري (٤٠٠/٥) علماً بأن هذا السند كثير الورود عند ابن جرير .

(١) تحرفت في ط إلى : شرف . وشراف : على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب ، ومن شراف إلى واقصة ميلان . معجم البلدان (٣/٣٣١) .

(٢) تحرفت في ط إلى : نحو . « ونحر الظهيرة » : هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع ، كأنها وصلت إلى النحر وهو أعلى الصدر . اللسان : مادة (نحر) .

(٣) بعد هذا في ط : « في شيء » وليست في م ولا في تاريخ الطبري ولا في الكامل لابن الأثير ، لذلك حذفناها .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وتراجعوا ، فقال له الحرّ : إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد ، فإن أبيتَ فخذ طريقاً لا تقدمك الكوفة ولا تردّك إلى المدينة ، واكتب أنت إلى يزيد ، واكتب أنا إلى ابن زياد إن شئت ، فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك . قال : فأخذ الحسين يساراً عن طريق العُذيب^(١) والقادسيّة ، والحرّ بن يزيد يسايره وهو يقول له : يا حسين ! إني أذكرك الله في نفسك ، فإني أشهد لئن قاتلت لتُقتلن ، ولئن قوتلت لتَهلكنَ فيما أرى . فقال له الحسين : أقبال الموت تخوّفني ؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وقد لقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ فقال : أين تذهب فإنك مقتول ؟ فقال :

سَأْمُضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا نَوَيْ حَقّاً وَجَاهَدَ مُسْلِمًا
وَأَسَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَفَارَقَ خَوْفًا أَنْ يَعِيشَ وَيُرْغَمَا

ويروى على صفة أخرى :

سَأْمُضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى امْرِئٍ إِذَا مَا نَوَيْ حَقّاً وَلَمْ يُلَفَّ مُجْرِمًا
فَإِنْ مِتُّ لَمْ أُنْدَمْ وَإِنْ عَشْتُ لَمْ أَلَمْ كَفَى بَكَ مَوْتًا أَنْ تَذِلَّ وَتُرْغَمَا^(٢)

فلما سمع ذلك الحرّ منه تنحّى عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه ، فانتَهَوْا إلى عُذيب الهجانات [كان بها هجائن النعمان ترعى هنالك]^(٣) فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يخبّون ويخبّون^(٤) فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ، يقصدون الحسين ، ودليلهم رجل يقال له الطّرمّاح بن عديّ راكب على فرس وهو يقول :

يَا نَاقَتِي لَا تُذْعَرِي مِنْ رَجْرِي وَشَمْرِي قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
بَخِيرِ رُكْبَانٍ وَخَيْرِ سَفَرٍ حَتَّى تَحْلِيَ بِكَرِيمِ النَّجْرِ^(٥)
الْمَاجِدِ الْحَرِّ رَحِيبِ الصَّدْرِ أَتَى بِهِ اللهُ لَخِيرَ أَمْرِ
ثُمَّتَ أَبْقَاهُ بَقَاءَ الدَّهْرِ

فأراد الحرّ أن يحُولَ بينهم وبين الحسين ، فمنعه الحسين من ذلك ، فلمّا خلصوا إليه قال لهم : أخبروني عن الناس وراءكم ، فقال له مجتمّع بن عبد الله العائذي^(٦) - أحد النفر الأربعة : أما أشراف الناس

(١) « العذيب » : ما بين القادسية والمغيثة ، بينه وبين القادسية أربعة أميال . معجم البلدان (٩٢/٤) .

(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٤٠٤/٥) وابن الأثير (٤٩/٤) .

(٣) من أ فقط ، ومثله في تاريخ الطبري (٤٠٤/٥) .

(٤) « الخبب والتجنيب » : صفتان تستحبان في عدو الفرس .

(٥) « النجر » : الأصل والحسب .

(٦) في أ ، ط : العامري . والخبر في تاريخ الطبري (٤٠٥/٥) واللباب لابن الأثير (٣٠٨/٢) .

ذلك ، فقال له ابن زياد : إن شئت عفيتك وعزلتكَ عن ولاية هذه البلاد التي قد استتبكت عليها ، فقال : حتى أنظر في أمري ، فجعل لا يستشير أحداً إلّا نهاه عن المسير إلى الحسين ، حتى قال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة : إياك أن تسير إلى الحسين فتعصي ربك وتقطع رحمك ، فوالله لأن تخرج من سلطان الأرض كلّها أحبّ إليك من أن تلقى الله بدم الحسين ، فقال : إني أفعل إن شاء الله تعالى . ثم إن عبيد الله بن زياد تهدّده وتوعّده بالعزل والقتل ، فسار إلى الحسين ، فنازله في المكان الذي ذكرنا ، ثم بعث إلى الحسين الرسل : ما الذي أقدمك ؟ فقال : كتب إليّ أهل الكوفة أن أقدم عليهم ، فإذا قد كرهوني فأنا راجع إلى مكة وأذركم . فلما بلغ عمر بن سعد هذا قال : أرجو أن يعافيني الله من حربه . وكتب إلى ابن زياد بذلك ، فردّ عليه ابن زياد : أن حُلّ بينهم وبين الماء كما فعل بالتقيّ الزكيّ المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، واعرض على الحسين أن يبايع هو ومن معه لأمر المؤمنين يزيد بن معاوية ، فإذا فعلوا ذلك رأينا رأينا . وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من ورود الماء ، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج ، فدعا عليهم [الحسين]^(١) بالعطش ، فمات هذا الرجل من شدّة العطش .

ثم إن الحسين طلب من عمر بن سعد أن يجتمع به بين العسكرين ، فجاء كل واحد منهما في نحو من عشرين فارساً ، فتكلّما طويلاً حتى ذهب هزيع^(٢) من الليل ، ولم يدر أحد ما قالوا ، ولكن ظنّ بعض الناس أنه سأله أن يذهب معه إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ويترك العسكرين متواقفين ، فقال عمر : إذا يهدم ابن زياد داري ، فقال الحسين : أنا أبنيها لك أحسن مما كانت . قال : إذا يأخذ ضياعي ، قال : أنا أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز . قال : فتكرّه عمر بن سعد من ذلك . وقال بعضهم : بل سأل منه إما أن يذهب إلى يزيد ، أو يتركه يرجع إلى الحجاز ، أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك . فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك ، فقال : نعم ، قد قبلت . فقام الشمر بن ذي الجوشن فقال : لا والله حتى ينزل على حُكمك هو وأصحابه . ثم قال : والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامة الليل . فقال له ابن زياد : فنعم ما رأيت .

وقد روى أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عقبة بن سَمْعان قال : لقد صحبتُ الحسين من مكة إلى حين قُتل ، والله ما من كلمة قالها في موطن إلّا وقد سمعتها ، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده في يده ، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور ، ولكن طلب منهم أحد أمرين : إما أن يرجع من حيث جاء ، وإما أن يدعوه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه^(٣) .

(١) من ب فقط . تاريخ الطبري (٤١٢/٥) .

(٢) « الهزيع من الليل » : طائفة منه نحو ثلثه أو رבעه .

(٣) تاريخ الطبري (٤١٣/٥ - ٤١٤) .

ثم إن عبيد الله بعث شمر بن ذي الجَوْشَن فقال : اذهب فإن جاء حسين وأصحابه على حُكمي وإلا فمُر عمر بن سعد أن يقاتلهم ، فإن تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه ثم أنت الأمير على الناس . وكتب إلى عمر بن سعد يتهدّده على توانيهِ في قتال الحسين . وأمره إن لم يَجِئ الحسين إليه أن يقاتله ومن معه فإنهم مشاققون . فاستأمن عبيد^(١) الله بن أبي المحلّ لبني عمته أمّ البنين بنت حِزام^(٢) من علي ، وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان . فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وبعثه عبيد الله بن أبي المحلّ مع مولى له يقال له : كرم^(٣)ان ، فلمّا بلغهم ذلك قالوا : أما أمان ابن سُمَيّة فلا نريده ، وإنا لنرجو أماناً خيراً من أمان ابن سُمَيّة .

ولما قدم شمر بن ذي الجَوْشَن على عمر بن سعد بكتاب عبيد الله بن زياد ، قال عمر : أبعد الله دارك ، وقبّح ما جئت به ، والله إني لأظنك الذي صرفته عن الذي عرضت عليه من الأمور الثلاثة التي طلبها الحسين ، فقال له شمر : فأخبرني ما أنت صانع ، أمقاتلهم أنت أو تاركي وإياهم ؟ فقال له عمر : لا ، ولا كرامة لك ! أنا أتولّى ذلك ، وجعله على الرّجالة . ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من المحرّم ، فقام شمر بن ذي الجَوْشَن فقال : أين بنو أختنا ؟ فقام إليه العباس وعبد الله وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب ، فقال : أنتم آمنون . فقالوا : إن أمّتنا وابن رسول الله ﷺ وإلا فلا حاجة لنا بأمانك .

قال : ثم نادى عمر بن سعد في الجيش : يا خيل الله اركبي وأبشري ، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ ، هذا والحسين أمام خيمته محتبياً بسيفه ، نَعَس فحقق برأسه ، وسمعت أخته الضجّة ، فدنت منه فأيقظته ، فرجع برأسه كما هو وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال لي : « إِنَّكَ تَرُوحُ إلينا » ، فلطمت وجهها وقالت : يا ويلتا . فقال : ليس لك الويل يا أختاه ، اسكّني رحمك الرحمن . وقال له أخوه العباس بن علي : يا أخي جاءك القوم ، فقال : اذهب إليهم فسَلِّهم : ما بدا لهم ؟ فذهب إليهم في نحو من عشرين فارساً فقال : ما لكم ؟ فقالوا : جاء أمر الأمير إما أن تأتوا على حُكمه ، وإما أن نقاتلكم . فقال : مكانكم حتى أذهب إلى أبي عبد الله فأعلمه . فرجع ووقف أصحابه ، فجعلوا يترجعون القول ويؤنّب بعضهم بعضاً ، يقول أصحاب الحسين : بشّ القوم أنتم ، تريدون قتل ذريّة نبيّكم وخيار الناس في زمانهم ؟! ثم رجع العباس بن علي من عند الحسين إليهم فقال لهم : يقول لكم أبو عبد الله : انصرفوا عشيّتكم هذه حتى ينظر في أمره الليلة . فقال عمر بن سعد لشمر بن ذي الجَوْشَن : ما تقول ؟ فقال : أنت الأمير والرأي رأيك ، فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزُّبيدي :

(١) في تاريخ الطبري (٤١٥/٥) وابن الأثير (٥٦/٤) عبد .

(٢) في ط : « حرام » ، مصحف .

(٣) في تاريخ الطبري (٤١٥/٥) : كزمان .

سبحان الله ! والله لو سألكم ذلك رجل من الدَّيْلَم لكان ينبغي إجابته . [وقال قيس بن الأشعث : أَجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوكَ ، فَلَعَمْرِي]^(١) لِيَصْبِحَتْكَ بِالْقِتَالِ غُدْوَةٌ . وهكذا جرى الأمر ، فإن الحسين لما رجع العباس قال له : ارجع فارُدْهُمْ هذه العشيَّة لعلَّنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره ، فقد علم الله مني أَنِّي أَحَبُّ الصَّلَاةِ لَهُ ، وتلاوة كتابه ، والاستغفار والدعاء .

وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله ، وخطب أصحابه في أول الليل ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على رسوله بعبارة فصيحة بليغة ، وقال لأصحابه : من أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ فِي لَيْلَتِهِ هَذِهِ فَقَدْ أَذْنَتْ لَهُ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يَرِيدُونِي . [فقال مالك بن النضر : عَلَيَّ دِينَ وَلِي عِيَالٍ ، فَقَالَ : هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا]^(٢) ، ثُمَّ لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ثُمَّ اذْهَبُوا فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ فِي سَوَادِ هَذَا اللَّيْلِ إِلَى بِلَادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا يَرِيدُونِي ، فَلَوْ قَدْ أَصَابُونِي لَهَوَا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي ، فَاذْهَبُوا حَتَّى يَفْرُجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنُو أَخِيهِ : لَا بَقَاءَ لَنَا بَعْدَكَ ، وَلَا أَرَانَا اللَّهَ فِيكَ مَا نَكْرَهُ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : يَا بَنِي عَقِيل ! حَسْبُكُمْ بِمُسْلِمِ أَخِيكُمْ ، اذْهَبُوا فَقَدْ أَذْنَتْ لَكُمْ ، قَالُوا : فَمَا يَقُولُ النَّاسُ ، إِنَّا تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عُمُومَتِنَا خَيْرَ الْأَعِمَامِ ، لَمْ نَرَمْ مَعَهُمْ بِسَهْمٍ ، وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُمْ بِرِمَحٍ ، وَلَمْ نَضْرِبْ مَعَهُمْ بِسَيْفٍ ، رَغْبَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ ، وَلَكِنْ نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلِينَا ، وَنَقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرِدَ مَوْرِدَكَ ، فَقَبَّحَ اللَّهُ الْعِيشَ بَعْدَكَ . وَقَالَ نَحْوُ ذَلِكَ مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ الْأَسَدِي ، وَكَذَلِكَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِي : وَاللَّهِ لَا نَخْلِيكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَا قَدْ حَفَظْنَا غَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيكَ ، وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أُقْتَلُ دُونَكَ أَلْفَ قَتْلَةٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْكَ وَعَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، لِأَحْبَبْتُ ذَلِكَ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا هِيَ قَتْلَةٌ وَاحِدَةٌ ؟ ! وَتَكَلَّمَ جَمَاعَةٌ أَصْحَابُهُ بِكَلَامٍ يَشْبَهُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَفَارِقُكَ ، وَأَنْفُسُنَا الْفِدَاءَ لَكَ ، نَقِيكَ بِنَحُورِنَا وَجَبَاهُنَا وَأَيْدِينَا وَأَبْدَانِنَا ، فَإِذَا نَحْنُ قُتِلْنَا وَفِينَا وَقَضِينَا مَا عَلَيْنَا]^(٣) . وَقَالَ أَخُوهُ الْعَبَّاسُ : لَا أَرَانَا اللَّهَ يَوْمَ فَقْدِكَ ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي الْحَيَاةِ بَعْدَكَ . وَتَتَابَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى ذَلِكَ .

وقال أبو مخنف : حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ وَأَبُو الضَّحَّاكُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ قَالَ : إِنِّي لَجَالِسٌ لَتِلْكَ الْعَشِيِّ الَّتِي قُتِلَ أَبِي فِي صَبِيحَتِهَا ، وَعَمَتِي زَيْنَبُ تَمْرُضُنِي ، إِذَا عَتَزَلَ أَبِي فِي خِبَائِهِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ ، وَعِنْدَهُ حُوَيٌّ مَوْلَى أَبِي ذَرِّ الْغَفَارِيِّ ، وَهُوَ يَعَالِجُ سَيْفَهُ وَيُصَلِّحُهُ ، وَأَبِي يَقُولُ :

(١) سقط من ب .

(٢) في المطبوع : حَجَلًا ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَقَدْ شَرَحَهُ مُحَقِّقُو طَبْعَةِ دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِقَوْلِهِمْ : « الْحَجَل » : الْقَيْدُ . وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَاهُ مِنَ النُّسخَةِ أ . وَقَوْلُهُ : فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا سَرَى لَيْلَتَهُ جَمْعَاءَ أَوْ أَحْيَاهَا بِصَلَاةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ ، كَأَنَّهُ رَكِبَهُ وَلَمْ يَنْمِ فِيهِ . اللَّسَانُ : مَادَّةُ (جَمَل) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٤١٩/٥ - ٤٢٠) .

يا دهرُ أَفَّ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ كم لك بالإشراقِ والأصيل
من صاحبٍ أو طالبٍ قَتِيلٍ والدهرُ لا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
وإنَّما الأمرُ إلى الجَلِيلِ وكلُّ حيٍّ سالكُ السَّبِيلِ

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى حفظتها وفهمتها ما أراد ، فخنقته العبرة [فرددتها ، ولزمت السكوت ، وعلمت أن البلاء نازل]^(١) . وأما عمتي فقامت حاسرةً حتى انتهت إليه فقالت : واأكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ، ماتت أمي فاطمة ، وعليّ أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي ، وثمان الباقي ، فنظر إليها وقال : يا أختي ! [لا يُذهبنَّ حلمك الشيطان . فقالت : بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله ! أستقتلت ؟ ولطمت وجهها ، وشقت جيبها ، وخرت مغشياً عليها . فقام إليها ، وصب على وجهها الماء ، وقال : يا أختي]^(٢) اتقي الله واصبري وتعزّي بعزاء الله ، واعلمي أن أهل الأرض يموتون ، وأن أهل السماء لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته ، ويميتهم بقهره وعزته ، ويعيدهم فيعبدونه^(٣) وحده ، وهو فرد وحده ، واعلمي أن أبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة . ثم حرّج عليها أن لا تفعل شيئاً من هذا بعد مهلكه . ثم أخذ بيدها فردّها إلى عندي . ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يُدنوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض ، وأن لا يجعلوا للعدو مخلصاً إليهم إلا من جهة واحدة ، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم^(٤) .

وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرّعون ، وخيل حرس عدوهم تدور من ورائهم عليها عزرة بن قيس الأحمسي [والحسين يقرأ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾]^(٥) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿ الآية [آل عمران : ١٧٨ - ١٧٩] فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال : نحن - ورب الكعبة - الطيبون ميّزنا الله منكم . قال : فعرفته ، فقلت لبُرير بن خضير^(٥) : أتدري من هذا ؟ قال : لا ، فقلت : هذا أبو حرب السبيعي عبيد الله بن شمير - وكان مضحاكاً بطالاً ،

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٣) في بعض النسخ : فيعودون .

(٤) الخبر بطوله مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٠ - ٤٢١) وابن الأثير (٤/ ٥٨ - ٥٩) ومقاتل الطالبين (ص ٧٥) .

(٥) ورد هذا الاسم في أ : زيد بن حسين ، وفي ط : زيد بن خضير ، وفي تاريخ الطبري : برير بن خضير ، وفي ذلك كله تحريف . والتصويب من الإكمال لابن مأكولا (١/ ٢٥٧ و ٢/ ٤٨٤) .

وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في خبائه - فقال له بُرير بن خُضير^(١) : يا فاسق ، متى كنت من الطيّبين ؟ ! فقال له : من أنت ويلك ؟ قال : أنا بُرير بن خُضير^(١) . قال : إنا لله ! هلكت والله ، عز - والله - عليّ يا بُرير قتلك . قال : فقلت له : يا أبا حرب ! هل لك أن تتوب من ذنوبك العظام ؟ فوالله لنحن الطيّبون وإنكم لأنتم الخبيثون . قال : نعم ، وأنا على ذلك من الشاهدين . قال : ويحك أفلا ينفعك معرفتك ؟ ! قال : فانتهره عَزْرَة بن قيس - أمير السرية التي تحرسنا - فانصرف عنا^(٢) .

قالوا : فلما صلّى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة ، وقيل يوم السبت - وكان يوم عاشوراء - انتصب للقتال ، وصلّى الحسين أيضاً بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ، ثم انصرف فصقّهم ، فجعل على ميمته زهير بن القَيْن ، وعلى الميسرة حبيب بن المُظْهِر^(٣) ، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه ، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم ، وقد أمر الحسين من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقاً ، وقذفوا فيه حطباً وخشباً وقصباً ، ثم أضرمت فيه النار لئلا يخلص أحد إلى بيوتهم من ورائها . وجعل عمر بن سعد على ميمته عمرو بن الحجاج الزُبَيْدي ، وعلى الميسرة شَمِر بن ذي الجَوْشَن - واسم ذي الجَوْشَن شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بني الضباب بن كلاب - وعلى الخيل عَزْرَة بن قيس الأحمسي ، وعلى الرَّجَالَة شَبَث^(٤) بن رَبِيعي ، وأعطى الراية دُرَيْداً^(٥) مولاه . وتواقف الناس في ذلك الموضع ، فعدل الحسين إلى خيمة قد نُصبت ، فاغتسل فيها ، واطلى بالنورة ، وتطيّب بمسك كثير ، ودخل بعده بعض الأمراء ففعلوا كما فعل ، فقال بعضهم لبعض : ما هذا في هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : [دعنا منك ، والله ما هذه بساعة باطل ، فقال يزيد بن حصين : والله لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شائباً ولا كهلاً ، ولكن - والله - إني لمستبشر بما نحن لا قون]^(٦) والله ما بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء القوم فيقتلوننا .

ثم ركب الحسين على فرسه ، وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه ، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما

-
- (١) تحرف في أ ، ط إلى : يزيد بن حصين .
 - (٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .
 - (٣) كذا قيده ابن حجر في التبصير والزبيدي في التاج بالطاء المعجمة الساكنة وكسر الهاء . وقيده ابن مأكولا في إكماله بطاء معجمة وهاء مشددة مكسورة . وقد تحرف في غير موضع من الأصول وتاريخ ابن الأثير إلى : مطهر ، وفي تاريخ الطبري إلى : مظاهر .
 - (٤) تحرف في ط إلى : شبيث .
 - (٥) في ط ، أ : وردان ، وفي ب : دويداً ، وفي تاريخ الطبري : ذويداً ، وما أثبتناه يعضده ما نقله ابن الأثير في الكامل (٦٠/٤) وسيأتي مرة أخرى بعد صفحتين من هذا المجلد .
 - (٦) ما بين حاصرتين سقط من ب .

تقدم ذكره : اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة . . . إلى آخره . وركب ابنه علي بن الحسين - وكان ضعيفاً مريضاً - فرساً يقال له : لا حق^(١) ، ونادى الحسين : أيها الناس ! اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم ، فأنصت الناس كلهم ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : أيها الناس ! إن قبلتم مني وأنصفتُموني كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم عليّ سبيل ، وإن لم تقبلوا مني ﴿ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ [يونس : ٧١] ﴿ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهَ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٦] .

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء ، فقال عند ذلك : لا يُبعد الله ابن عباس - يعني حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر - ثم بعث أخاه العباس فسكنهن . ثم شرع يذكر للناس فضله وعظمته ونسبه وعلو قدره وشرفه ، ويقول : راجعوا أنفسكم وحاسبوها ، هل يصلح لكم قتال مثلي وأنا ابن بنت نبيكم ، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيري ؟ وعليّ أبي ، وجعفر ذو الجناحين عمي ، وحمزة سيد الشهداء عمّ أبي ، وقال لي رسول الله ﷺ ولأخي : « هُذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ »^(٢) . فَإِنْ صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الْحَقُّ ، فَوَاللَّهِ مَا تَعَمَّدَتْ كَذِبَةً مِنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمَقِّتُ عَلَى الْكَذِبِ ، وَإِلَّا فَاسْأَلُوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ : جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَبَا سَعِيدٍ ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ، وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، يُخْبِرُوكُمْ بِذَلِكَ . [ويحكم ! أما تَتَّقُونَ اللَّهَ ؟ أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي]^(٣) ؟ فقال عند ذلك شمر بن ذي الجوشن : هو يعبد الله على حَرْفٍ ، إن كنت أدري ما يقول . فقال له حبيب بن مظاهر : والله يا شمر إنك لتعبد الله على سبعين حَرْفًا ، وأما نحن فوالله إنا لندري ما يقول ، وإنه قد طُبِعَ على قلبك . ثم قال : أيها الناس ! ذَرُونِي أَرْجِعْ إِلَى مَأْمَنِي مِنَ الْأَرْضِ . فقالوا : وما يمنعك أن تنزل على حُكْمِ بَنِي عَمِكَ ؟ فقال : معاذ الله [أن أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، أو أقر إقرار العبيد ، عباد الله]^(٤) ﴿ إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر : ٢٧] . ثم أناخ راحلته ، وأمر عُقْبَةَ بْنَ سَمْعَانَ فَعَقَلَهَا ، ثم قال : [أخبروني : أتطلبوني بقتيل لكم قتلته ؟ أو مال لكم أكلته ؟ أو بقصاصة من جراحة ؟ فأخذوا لا يكلمونه . قال : فنادى : يَا شَبَثُ^(٥) بْنَ رَبِيعٍ ، يَا حَجَّارُ بْنَ أَبَجَرَ ، يَا قَيْسُ بْنَ الْأَشْعَثِ ، يَا زَيْدُ بْنَ الْحَارِثِ ، أَلَمْ تَكْتَبُوا

(١) تحرف في المطبوع إلى : الأحمق .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/٣) والترمذي رقم (٣٧٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » وهو حديث صحيح .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، وهو في أ ، ب ، م وتاريخ الطبري (٤٢٥/٥) .

(٥) تحرف في ط إلى : شبيث .

إِلَيَّ أَنْ قَدْ أَيْنَعْتَ الثَّمَارَ وَاخْضَرَّ الْجَنَابَ ، فَاقْدَمَ عَلَيْنَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَقْدَمُ عَلَى جَنْدٍ مَجْنُونَةٍ ؟ فَقَالُوا لَهُ : لَمْ نَفْعَلْ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُمْ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِذْ قَدْ كَرِهْتُمُونِي فَدَعُونِي أَنْصَرِفَ عَنْكُمْ ، فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ : أَلَا تَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِكَ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُؤْذَوْكَ ، وَلَا تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا مَا تَحِبُّ ؟ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ : أَنْتَ أَخُو أَخِيكَ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَطْلُبَكَ بَنُو هَاشِمٍ بِأَكْثَرِ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ بَنِ عَقِيلٍ ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إعْطَاءَ الذَّلِيلِ ، وَلَا أَقْرَأُ لَهُمْ إِقْرَارَ الْعَبِيدِ ^(١) .

قَالَ : وَأَقْبَلُوا يَزْحَفُونَ نَحْوَهُ وَقَدْ تَحَيَّزَ إِلَى جَيْشِ الْحُسَيْنِ مِنْ أَوْلَئِكَ طَائِفَةٌ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ فَارِسًا فِيمَا قِيلَ ، مِنْهُمْ الْحَرْثُ بْنُ يَزِيدٍ أَمِيرُ مَقْدَمَةِ جَيْشِ ابْنِ زِيَادٍ ، فَاعْتَذَرَ إِلَى الْحُسَيْنِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ ، قَالَ : وَلَوْ أَعْلَمَ أَنَّهُمْ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ لَسِرْتُ مَعَكَ إِلَى يَزِيدٍ ، فَقَبِلَ مِنْهُ الْحُسَيْنُ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ ، فَخَاطَبَ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! أَلَا تَقْبَلُونَ مِنْ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَعْرِضُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ ؟ فَقَالَ : لَوْ كَانَ ذَلِكَ إِلَيَّ قَبِلْتُ .

[قَالَ : وَخَرَجَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ زَهِيرُ بْنُ الْقَيْنِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ شَاكٌ فِي السِّلَاحِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ! نَذَارٍ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ نَذَارٌ ، إِنْ حَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِ نَصِيحَةُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، وَنَحْنُ حَتَّى الْآنَ أَخَوَةٌ ، وَعَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَمْ يَقَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ السِّيفُ ، فَإِذَا وَقَعَ السِّيفُ انْقَطَعَتِ الْعِصْمَةُ وَكُنَّا أُمَّةً وَأَنْتُمْ أُمَّةٌ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ ابْتَلَانَا وَإِيَّاكُمْ بِذَرِيَّةٍ نَبِيٍّ لِيَنْظُرَ مَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ ، إِنْ أَدْعَوْكُمْ إِلَى نَصْرِهِمْ ، وَخِذْلَانِ الطَّاعِيَةِ ابْنِ الطَّاعِيَةِ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَدْرِكُوا مِنْهُمَا إِلَّا سُوءَ أَعْمُومِ سُلْطَانِهِمَا ، يَسْمُلَانِ أَعْيُنَكُمْ ، وَيَقْطَعَانِ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ، وَيَمَثِّلَانِ بِكُمْ ، وَيَقْتُلَانِ أَمْثَالَكُمْ وَقِرَاءَكُمْ ، أَمْثَالِ حُجْرِ بْنِ عَدِي وَأَصْحَابِهِ ، وَهَانِيٍّ بْنِ عُرْوَةَ وَأَشْبَاهِهِ . قَالَ : فَسُبُّهُ ، وَأَثْنُوا عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَدَعَا لَهُ ، وَقَالُوا : لَا نَنْزِعُ حَتَّى نَقْتُلَ صَاحِبَكَ وَمَنْ مَعَهُ . فَقَالَ لَهُمْ : إِنْ وَلَدَ فَاطِمَةُ أَحَقُّ بِالْوُدِّ وَالنَّصْرِ مِنْ ابْنِ سَمِيَّةٍ ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَنْصُرُوهُمْ فَأَعِيزْكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ ، خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، يَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَ ، فَلَعَمْرِي إِنْ يَزِيدٌ لِيَرْضَى مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ . قَالَ : فَرَمَاهُ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بِسَهْمٍ وَقَالَ لَهُ : اسْكُتْ ، أَسَكَتَ اللَّهُ نَأْمَتَكَ ^(٢) ، أَبْرَمْتَنَا ^(٣) بِكَثْرَةِ كَلَامِكَ . فَقَالَ لَهُ زَهِيرُ بْنُ الْبَوَّالِ عَلَى عَقْبَيْهِ ، إِيَّاكَ أَخَاطَبُ ^(٤) ؟ ! إِنَّمَا أَنْتَ بَهِيمَةٌ ، وَاللَّهِ مَا أَظْنُكَ تُحْكِمُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ آيَتَيْنِ ، فَأُبَشِّرُ بِالْخِزْيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ . فَقَالَ لَهُ شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ : إِنْ اللَّهُ قَاتَلُكَ وَصَاحِبَكَ بَعْدَ سَاعَةٍ ، فَقَالَ لَهُ زَهِيرُ بْنُ الْبَوَّالِ : أَلَا بَالَمُوتِ

(١) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ سَقَطَ مِنْ بَ ، وَهُوَ فِي أ ، ط وَتَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٤٢٥/٥) .

(٢) قَالَ صَاحِبُ اللِّسَانِ : يُقَالُ : أَسَكَتَ اللَّهُ نَأْمَتَهُ - مَهْمُوزَةٌ مَخْفُفَةٌ الْمِيمِ - وَهُوَ مِنَ النَّثِيمِ : الصَّوْتُ الضَّعِيفُ ، أَيْ نَعْمَتُهُ وَصَوْتُهُ . وَيُقَالُ : نَأْمَتُهُ - بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ . يَدْعَى بِذَلِكَ عَلَى الْإِنْسَانِ .

(٣) « أَبْرَمْتَنَا » : أَضْجَرْتَنَا .

(٤) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ (٤٢٦/٥) مَا إِيَّاكَ أَخَاطَبُ .

تخوَّفني ؟ فوالله لَلَمُوتِ معه أَحَبُّ إِلَيَّ من الخلد معكم . ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعاً صوته يقول : عباد الله ! لا يغرِّنكم عن دينكم هذا الجَلْفُ الجافي وأشباهه ، فوالله لا ينال شفاعة محمد ﷺ قوم أهرقوا دماء ذرِّيَّته ، وقتلوا مَنْ نصرهم وذَبَّ عن حريمهم .

وقال الحرُّ بن يزيد لعمر بن سعد : أصلحك الله ! أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : إي والله قتالاً أيسرُه أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي . وكان الحرُّ من أشجع أهل الكوفة ، فلامَهُ بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين ، فقال له : والله إني أخير نفسي بين الجنة والنار ، والله لا أختار على الجنة غيرها ولو قُطِّعت وحُرِّقت . ثم ضرب فرسه ، فلحق بالحسين ، فاعتذر إليه بما تقدم ثم قال : يا أهل الكوفة ! لأمَّكم الهَبَلُ^(١) ، أدعوتم الحسين إليكم حتى إذا ما أتاكم أسلمتموه ، وزعتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، ومنعتموه التوجُّه في بلاد الله العريضة الوسيعة التي لا يمنع منها الكلب والخنزير ، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعهم العطش ؟! بش ما خلفتم محمداً في ذرِّيَّته ، لا سقاكم الله يوم الظمِّ الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه . فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل ، فأقبل حتى وقف أمام الحسين . وقال لهم عمر بن سعد : لو كان الأمر لي لأجبتُ الحسين إلى ما طلب^(٢) ولكن أبا عليٍّ عبيد الله بن زياد ، وقد خاطب أهل الكوفة وأنبهم ووبَّخهم وسبهم . فقال لهم الحرُّ بن يزيد : ويحكم ! منعتم الحسين ونساءه وبناته الماء الفرات الذي يشرب منه اليهود والنصارى ويتمرَّغ فيه خنازير السواد وكلابه ، فهو كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً^(٣) .

قال : فتقدم عمر بن سعد وقال لمولاه : يا دريد أذنِ رايتك ، فأدناها ، ثم شمَّر عمر عن ساعده ورمى بسهم وقال : اشهدوا أنني أول من رمى القوم . قال : فترامى الناس بالنبال ، وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله فقالا : من يبارز ؟ فبرز لهما عبد الله^(٤) بن عمير الكلبي بعد استئذانه الحسين ، فقتل يساراً أولاً ثم قتل سالماً بعده ، وقد ضربه سالم ضربة أطار أصابع يده اليسرى .

وحمل رجل يقال له عبد الله بن حَوْزة حتى وقف بين يدي الحسين فقال له : يا حسين ! أبشر بالنار . فقال له الحسين : كلاً ويحك ! إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع ، بل أنت أولى بالنار . قالوا : فانصرف ، فوقَصَّتْه فرسه فسقط وتعلَّقت قدمه بالركاب [وكان الحسين قد سأل عنه ، فقال : أنا ابن حَوْزة ، فرفع الحسين يده وقال : اللهم حُزْه إلى النار . فغضب ابن حَوْزة ، وأراد أن يقحم عليه الفرس

(١) « الهبل » : الثكل .

(٢) ما بين حاصرتين - قدر صفحة ونصف الصفحة - سقط من ب .

(٣) ضعيف الطبري (٢٥٣/٩) عن هشام الكلبي وهو متروك .

(٤) في ط : « عبيد الله » محرف . وينظر تاريخ الطبري (٤٢٩/٥) والكمال (٦٥/٤) . وسيأتي مرة أخرى في الرواية الآتية .

وبينه وبينه نهر ، فحالت به الفرس ، فانقطعت قدمه وساقه وفخذه ، وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب ^(١) [وشدَّ عليه مسلم بن عَوْسَجَة فضربه فأطار رجله اليمنى ، وغارت به فرسه فلم يبقَ حجرٌ يمر به إلا ضربه في رأسه حتى مات .

[وروى أبو مخنف ، عن أبي جَنَاب قال : كان منّا رجل يُدعى عبد الله بن عُمَيْر ^(٢) من بني عُليم ، كان قد نزل الكوفة واتخذ داراً عند بئر الجَعْد من هَمْدَان ، وكانت معه امرأة له من النَّمِر بن قاسط ، فرأى الناس يتهيّؤون للخروج إلى قتال الحسين ، فقال : والله لقد كنت على قتال أهل الشُّرك حريصاً ، وإنني لأرجو أن يكون جهادي مع ابن بنت رسول الله ﷺ لهؤلاء أفضل من جهاد المشركين ، وأيسر ثواباً عند الله . فدخل إلى امرأته ، فأخبرها بما هو عازم عليه ، فقالت : أصبت ، أصاب الله بك أرشد أمورك ، افعل وأخرجني معك . قال : فخرج بها ليلاً حتى أتى الحسين ، ثم ذكر قصة رمي عمر بن سعد بالسهم ، وقصة قتلة يسار مولى زياد ، وسالم مولى ابن زياد ، وأن عبد الله بن عُمير استأذن الحسين في الخروج إليهما ، فنظر إليه الحسين ، فرأى رجلاً آدم طويلاً شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين ، فقال الحسين : إني لأحسبه للأقران قتالاً . اخرج إن شئت ، فخرج ، فقالا له : من أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك (فقال لهما : يا أولاد الزانية ! أو بكم رغبة عن مبارزة أحد من الناس ، وهل يخرج إليكما أحد) ^(٣) إلا وهو خير منكما ؟ ! ثم شدَّ على يسار فكان كأمسٍ الذاهب ، فإنه لمشتغل به إذ حمل عليه سالم مولى ابن زياد ، فصاح به صائح : قد رَهَقَكَ العبد . قال : فلم ينتبه حتى غشيه فضربه على يده اليسرى فأطار أصابعه ، ثم مال عليه ^(٤) الكلبي حتى قتله ، وأقبل يرتجز ويقول :

إِنْ تُنْكَرَانِي فَأَنَا ابْنُ كُلْبٍ حَسْبِي بَيْتِي فِي عُليمٍ حَسْبِي
إِنِّي امرؤٌ ذُو مِرَّةٍ ^(٥) وَعَصْبٍ وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ عِنْدَ الْكَزْبِ
إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أُمٌّ وَهَبٍ بِالطَّعْنِ فِيهِمْ مُقَدِّمًا وَالضَّرْبِ
ضَرَبُ غَلَامٍ مُؤْمِنٍ بِالرَّبِّ

فأخذت أُمٌّ وهب عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له : فداك أبي وأمي ، قاتِلِ دون الطَّيِّبِينَ ذُرِّيَّةَ

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . وكذلك الكامل لابن الأثير (٤/٦٦) .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : نمير .

(٣) ما بين قوسين سقط من المطبوع ، وهو في أ وقريب منه في تاريخ الطبري .

(٤) في أ ، ط : على ولا يصح بها المعنى . والتصويب من تاريخ الطبري وابن الأثير ، فالكلبي : هو عبد الله بن عمير نفسه .

(٥) في المطبوع : ذو مروءة ولا يستقيم به الوزن . والمثبت من أ وتاريخ الطبري . والمِرَّة : القوة ، ومنه قوله تعالى ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾ .

محمد عليه السلام . فأقبل إليها يرُدُّها نحو النساء ، فأقبلت تجاذبه ثوبه وقالت : دعني أكن معك . فنادها الحسين : انصرفي إلى النساء فاجلسي معهن ، فإنه ليس على النساء قتال . فانصرفت إليهن ^(١) .

قال : وكثرت المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصرُ في ذلك لأصحاب الحسين لقوَّة بأسهم ، وأنهم مستميتون لا عاصمَ لهم إلا سيوفهم ، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة ، وحمل عمرو بن الحجاج - أمير ميمنة جيش ابن زياد - وجعل يقول : قاتلوا مَنْ مَرَّقَ من الدين وفارق الجماعة . فقال له الحسين : ويحك يا بن حجاج ! أعليَّ تحرض الناس ؟ أنحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه ؟ ستعلمون إذا فارقت أرواحنا أجسادنا من أولى بصليَّ النار .

وقد قُتل في هذه الحملة مسلم بن عَوْسجة ، وكان أول من قُتل من أصحاب الحسين ، فمشى إليه الحسين وترخَّم عليه وهو على آخر رمق ، وقال له حبيب بن مُظْهر : أبشر بالجنة . فقال له بصوت ضعيف : بشرك الله بالخير . ثم قال له حبيب : لولا أنني أعلم أنني على أثرك لاحقك لكنت أقضي ما توصي به ، فقال له مسلم بن عَوْسجة : أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - إلى أن تموت دونه .

قالوا : ثم حمل شَمِر بن ذي الجَوْشن بالميسرة وقصدوا نحو الحسين ، فدافعت عنه الفرسان ، من أصحابه دفاعاً عظيماً ، وكافحوا دونه مكافحة بليغة ، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرُّماة الرَّجَّالة ، فبعث إليه نحواً من خمسمئة ، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فعقروها كلها حتى بقي جميعهم رجالة ، ولما عقروا جواد الحرَّ بن يزيد نزل عنه وفي يده السيف كأنه ليث وهو يقول :

إِنْ تَعْقِرُوا بِي فَأَنَا ابْنُ الْحَرِّ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لَيْدٍ هِزْبَرٍ ^(٢)

ويقال : إن عمر بن سعد أمر بتقويض تلك الأبنية التي تمنع من القتال مَنْ أتى ناحيتها ، فجعل أصحاب الحسين يقتلون من يتعاطى ذلك ، فأمر بتحريقها ، فقال الحسين : دعوهم يحرقونها فإنهم لا يستطيعون أن يجوزوا منها وقد أحرقت .

وجاء شَمِر بن ذي الجَوْشن - قَبَّحه الله - إلى فُسْطاط الحسين ، فطعنه برمحه - يعني الفُسْطاط - وقال : إيتوني بالنار لأحرقه على من فيه ، فصاحت النسوة وخرجن منه ، فقال له الحسين : أحرقك الله بالنار . وجاء شَبَث بن رُبَيعي إلى شَمِر - قَبَّحه الله - فقال له : ما رأيت أقبح من قولك ولا من فعلك وموقفك هذا ، أتريد أن ترعب النساء ؟ فاستحيى وهَمَّ بالرجوع . [وقال حُميد بن مسلم : قلت لشَمِر : سبحان الله ! إنَّ هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين : تعذَّب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء ؟ !

(١) القصة بكاملها سقطت من النسخة ب . وهي في تاريخ الطبري (٥/٤٢٩ ت ٤٣٠) وأوردها ابن الأثير في كامله (٤/٦٥ - ٦٦) دون ما فيها من الرجز .

(٢) البيت في تاريخ الطبري (٥/٤٣٦) وذو لبد وهزبر : من أسماء الأسد .

والله إنَّ في قتلِكَ الرجال لما ترضي به أميركَ . قال : فقال لي : من أنت ؟ قلت : لا أخبركَ من أنا - وخشيت أني إن أخبرته فعرفني أن يسوءني عند السلطان [١] .

وشدَّ زهير بن القين - في رجال من أصحاب الحسين - على شمر بن ذي الجَوْشن ، فأزالوه عن موقفه [وقتلوا أبا عزة الضبابي - وكان من أصحاب شمر - وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قُتل بان فيهم الخلل ، وإذا قُتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبين ذلك فيهم لكثرتهم] [٢] .

ودخل عليهم وقت الظهر ، فقال الحسين : مُروهم فليكفوا عن القتال حتى نصلي ، فقال رجل من أهل الكوفة : إنها لا تُقبل منكم . فقال له حبيب بن مظهر : ويحك ! أتقبل منكم ولا تُقبل من آل رسول الله ﷺ ؟ وقاتل حبيب قتالاً شديداً [حتى قتل رجلاً يقال له بُديل بن صُريم من بني عُقْهان (٣) وجعل يقول :

أنا حبيبٌ وأبي مظهرُ فارسٌ هيناء وحزبٌ مسعرُ
أنتم أوفرُّ عدَّةً وأكثرُ ونحنُ أوفى منكم وأضبرُ
ونحنُ أعلى حُجَّةً وأظهرُ حقاً وأنقى منكم وأظهرُ (٤)

ثم حمل على حبيب هذا رجلٌ من بني تميم ، فطعنه فوق ، ثم ذهب ليقوم ، فضربه الحُصين بن نُمير على رأسه بالسيف فوق ، ونزل إليه التميمي فاحتزَّ رأسه وحمله إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه فعرفه ، فقال لحامله : أعطني رأس أبي حتى أدفنه ، ثم بكى (وقال لقاتله : أما والله لقد قتلتَهُ وهو خير منك) (٥) . قال : فمكث الغلام إلى أن بلغ أشده ثم لم تكن له همة إلا قتل قاتل أبيه . قال : فلما كان زمن مصعب بن الزبير (٦) دخل الغلام عسكر مصعب ، فإذا قاتل أبيه في فسْطاطه ، فدخل عليه وهو قاتل (٧) ، فضربه بسيفه حتى برد .

وقال أبو مخنف : حدَّثني محمد بن قيس قال : لما قُتل حبيب بن مظهر هذَّ ذلك الحسين ، وقال عند ذلك : أحسب نفسي ، وأخذ الحرُّ يرتجز ويقول للحسين :

آليتُ لا تُقتل حتَّى أقتلا ولن أصابَ اليوم إلا مُقبِلا

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٤٣٨/٥) .

(٢) مكانه في ب : وقتلوا بعض أصحابه .

(٣) عقفان : حي في خزاعة .

(٤) الأبيات في تاريخ الطبري (٤٣٩/٥) .

(٥) ما بين قوسين سقط من المطبوع ، وهو في أ وتاريخ الطبري .

(٦) تحرف في ط إلى : عمير .

(٧) قاتل : من القيلولة : وهي النوم في الظهيرة .

أَضْرِبُهُمْ بِالسَّيْفِ ضَرْباً مَقْصَلاً لا ناكلاً عَنْهُمْ ولا مُهَلِّلاً^(١)

ثم قاتل هو وزهير بن القَيْن قتالاً شديداً ، فكان إذا شَدَّ أحدهما حتى استلحم شدَّ الآخر حتى يخلصه ، فعلا ذلك ساعة ، ثم إن رجالاً شَدُّوا على الحرِّ بن يزيد فقتلوه ، وقتل أبو ثمامة الصائدي ابن عمِّ له كان عدوًّا له [٢] .

ثم صلَّى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف ، ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً [٣] ودافع عن الحسين صناديد أصحابه . وقاتل زهير بن القَيْن بين يدي الحسين قتالاً شديداً ، ورمي بعض أصحابه بالنبل حتى سقط بين يدي الحسين ، وجعل زهير يرتجز ويقول :

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القَيْنِ أذودُكم بالسَّيْفِ عن حُسَيْنِ^(٤)

قال : وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول :

أَقْدِمْ هُدَيْتَ هَادِياً مَهْدِياً فاليومَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ

وَحَسْناً وَالْمُرْتَضَى عَلِيّاً وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الْفَتَى الْكَمِيَّ

وَأَسَدَ اللَّهِ الشَّهِيدَ الْحَيَّ

قال : فشَدَّ عليه كثير بن عبد الله الشَّعْبِي ومُهاجر بن أوس فقتلاه .

قال : وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلال الجَمَلِي ، وكان قد كتب اسمه^(٥) على فُوق^(٦) نبله ، فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول :

أَرْمِي بِهَا مُعَلِّماً أَفْوَاقَهَا وَالنَّفْسُ لا يَنْفَعُهَا شِقَاقُهَا

أنا الجَمَلِي ، أنا على دين علي .

فَقَتَلَ اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جَرَحَ ، ثم ضرب حتى كُسرت عضداه ، ثم أسروه فَأَتَوْا به عمر بن سعد ، فقال له : ويحك يا نافع ! ما حملك على ما صنعتَ بنفسك ؟ فقال : إن ربي يعلم ما أردت - والدماء تسيل عليه وعلى لحيته - ثم قال : والله لقد قتلْتُ من جندكم اثني عشر سوى من

(١) « المقتل » : القاطع . « النكول » : النكوص والجبن . التهليل - هنا - الفرار . وقد صُفِّ هذا البيت في طبعة دار الكتب العلمية صفحاً خاطئاً مما أخل بوزنه ومعناه . وانظر الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٥/٤٤٠ - ٤٤١) .

(٢) ما بين حاصرتين لم يرد في النسخة ب ، وفيها بدلاً عنه : حتى قتل رحمه الله ، وحمل رأسه إلى ابن زياد ، والضمير في ذلك يرجع إلى حبيب بن مظهر .

(٣) من هنا يبدأ سقط كبير في النسخة ب سنشير إليه عند نهايته .

(٤) في المطبوع : عن الحسين . ولا يستقيم به الوزن . والمثبت من أوتاريخ الطبري (٥/٤٤١) .

(٥) سقطت هذه اللفظة من الأصول ، واستدركتها من تاريخ الطبري (٥/٤٤١) وابن الأثير (٤/٧١) .

(٦) الفُوق من السهم : موضع الوتر ، والجمع : أفواق وفُوق .

جَرَحَتْ ، وما ألوم نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني . فقال شمر لعمر : اقتله ، قال : أنت جئت به ، فإن شئت فاقتله . فقام شمر فأنضى سيفه ، فقال له نافع : أما والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل مناينا على يدي شرار خلقه . ثم قتله .

ثم أقبل شمر فحمل على أصحاب الحسين ، وتكاثر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين ، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم ، وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم ، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه ، فجاءه عبد الرحمن وعبد الله ابنا عَزْرَةَ الغفاري ، فقالا : أبا عبد الله عليك السلام ، حازنا العدو إليك فأحبنا أن نُقتل بين يديك وندفع عنك . فقال : مرحباً بكما ، ادنوا مني ، فدنوا منه ، فجعلوا يقاتلان قريباً منه وهما يقولان :

قد علمتُ حقاً بنو غفار وخِذِفْ بعدَ بني نِزار
لنضربنَّ معشرَ الفُجَّار بكلِّ عَضْبٍ قاطعٍ بَيَّار
ياقومُ ذودُوا عن بني الأخيار بالمشرفيِّ والْقَنَا الخَطَّار^(١)

ثم أتاه أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول : جزاكم الله أحسن جزاء الممتقين . فجعلوا يسلمون على الحسين ويقاتلون حتى يقتلوا .

ثم جاءه عابس بن أبي شبيب فقال : يا أبا عبد الله ! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليّ منك ، ولو قدرتُ أن أدفع عنك الضَّيْمَ أو القتل بشيء أعز عليّ من نفسي ودمي لفعلته ، السلام عليك يا أبا عبد الله ، اشهد لي أنني على هدّيك . ثم مشى بسيفه^(٢) صُلْتاً وبه ضربة على جبينه - وكان أشجع الناس - فنادى : ألا رجل لرجل ؟ ألا ابرزوا لي . فعرفوه فنكلوا عنه ، ثم قال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة ، فُرْمِي بالحجارة من كل جانب . فلما رأى ذلك ألقي درعه ومغفره ثم شدَّ على الناس ، والله لقد رأيته يكرُد^(٣) أكثر من مئتين من الناس بين يديه ، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فقتل رحمه الله ، فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدد كل يدعي قتله ، فأتوا به عمر بن سعد فقال لهم : لا تختصموا فيه فإنه لم يقتله إنسان واحد . ففرَّق بينهم بهذا القول [٤] .

(١) الأبيات في تاريخ الطبري (٤٤٢/٥) .

(٢) سقطت هذه اللفظة من المطبوع .

(٣) « يكرُد » يسوق .

(٤) هنا ينتهي نقص في النسخة ب ضم عدداً من الأخبار مع أشعارها ، وقد ورد فيها بدلاً عنه : « ووصل إلى الحسين رضي الله عنه ، ودافع عنه صناديد أصحابه ، فقتل زهير بن القين بين يديه ، وقاتل دونه نافع بن هلال الجملي حتى قتل من أصحاب ابن زياد اثني عشر سوى من جرح ، ثم كسرت عضده ، ومع هذا ضرب عنقه بين يدي عمر بن سعد =

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تَفَانُوا ، ولم يبق أحد إلا سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخَنْعَمِي .

وكان أولَ قَتِيل قُتِلَ من أهل الحسين من بني أبي طالب عليُّ الأكبر ابن الحسين بن علي ، وأُمُّه ليلي بنت أبي مُرَّة بن عروة بن مسعود الثقفي ، طعنه مُرَّة بن مُنْقِذ بن النعمان العبدي فقتله ، لأنه جعل يَقي أباه ، وجعل يقصد أباه ، فقال علي بن الحسين :

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ علي نحنُ - وبيتِ الله - أولىُّ بالنبِيِّ
تالله لا يحكُمُ فينا ابنُ الدَّعي كيف تَرَوْنَ اليومَ ستري عن أبي

فلَمَّا طعنه مُرَّة احتوشته الرجال ففَقَطَعُوهُ بِأسيافهم ، فقال الحسين : قتل الله قوماً قتلوك يا بُني ، ما أجراًهم على الله وعلى انتهاك محارمه ؟! فعلى الدنيا بعدك العَفَاء . قال : وخرجت جارية كأنها الشمس حُسناً فقالت : يا أخِيَاه وَيابن أخِيَاه ! فإذا هي زينب بنت علي من فاطمة ، فأكَبَّت عليه وهو صريع . قال : فجاء الحسين فأخذ بيدها فأدخلها الفسطاط ، وأمر به الحسين فحوِّل من هناك إلى بين يديه عند فُسْطاطه^(١) .

ثم قُتِل عبد الله بن مسلم بن عَقِيل ، ثم قُتِل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر . ثم قُتِل عبد الرحمن وجعفر ابنا عَقِيل بن أبي طالب . ثم قُتِل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

[قال أبو مِخْنَف : وحدثني فضيل بن خَدِيج الكندي : أن يزيد بن زياد - وكان رامياً ، وهو أبو الشَّعْثَاء الكناني من بني بَهْدَلَة - جثا على ركبتيه بين يدي الحسين ، فرمى بمئة سهم ما سقط منها على الأرض خمسة أسهم . فلَمَّا فرغ من الرمي قال : قد تَبَيَّن لي أنني قتلت خمسة نفر :

أنا يزيدُ وأنا المُهَاجِرُ أشجعُ من ليثٍ قويٍّ حادِرُ
ياربِّ^(٢) إني للحسينِ ناصرُ ولابنِ سعدٍ تاركٌ وهاجرُ^(٣)

قالوا : ومكث الحسين نهاراً طويلاً وحده لا يأتي أحد إليه إلا رجع عنه ، لا يحب أن يلي قتله ، حتى

= شمر بن ذي الجوشن ، ثم حمل شمر على أصحاب الحسين وهو يقول :

خلوا عداة الله خلوا عن شمر يضربهم بسيفه ولا يفر

(١) الخبر في تاريخ الطبري (٤٤٦/٥) ومقاتل الطالبين (ص ٧٦ - ٧٧) وابن الأثير (٧٤/٤) وعلي هذا غير زين العابدين .

(٢) وقعت في المطبوع : برب .

(٣) الخبر برمته سقط من ب . وقد أورده الطبري في تاريخه (٤٤٥/٥) مع اختلاف ببعض ألفاظ الشعر .

جاءه رجل من بني بَدَا^(١) يقال له مالك بن البشير^(٢) ، فضرب الحسين على رأسه بالسيف ، فأدمى رأسه ، وكان على الحسين برنس ، فقطعه وجرح رأسه ، فامتلاً البُرْنس دماً ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربت ، وحشرك الله مع الظالمين . ثم ألقى الحسين ذلك البُرْنس ودعا بعمامة فلبسها .

[وقال أبو مخنف : حدثني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد قال : خرج إلينا غلام كأن وجهه فُلْقَة قمر ، في يده السيف ، وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شِئْع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى ، فقال لنا عمر بن سعد بن نُفيل الأزدي : والله لأشدنَّ عليه . قال : فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ؟ يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم . فقال : والله لأشدنَّ عليه . فشَدَّ عليه عمر بن سعد أمير الجيش فضربه ، وصاح الغلام : يا عمّاه ! قال : فشَدَّ الحسين على عمر بن سعد شدةً ليث أعضب ، فضرب عمر بالسيف ، فاتقاه بالساعد ، فأطنَّها من لَدُن المِرْفَق ، فصاح ثم تنحَّى عنه . وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين ، فاستقبلت عمر بصدورها وحركت حوافرها ، وجالت بفرسانها عليه ، ثم انجلت الغبرة فإذا الحسين قائم على رأس الغلام ، والغلام يفحص برجله ، والحسين يقول : بُعْداً لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك . ثم قال : عزَّ - والله - على عمك أن تدعوه فلا يُجيبك ، أو يُجيبك ثم لا ينفعلك ، صوت - والله - كثر واترؤه وقلَّ ناصره . ثم احتمله فكأنني أنظر إلى رجلي الغلام يخطآن في الأرض ، وقد وضع الحسين صدره على صدره ، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه عليٍّ الأكبر ومع مَنْ قُتل من أهل بيته ، فسألتُ عن الغلام ، ف قيل لي : هو القاسم بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب^(٣) .

وقال هانئ بن ثبيت الحضرمي : إني لواقف يوم مقتل الحسين عاشرَ عشرة ليس منا رجل إلا على فرس ، إذ خرج غلام من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية ، وعليه إزار وقميص ، وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً ، فكأنني أنظر إلى دُرَّتَيْن في أُذنيه تذبذبان كلِّما التفت ، إذ أقبل رجل يركض على فرسه ، حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ، ثم أخذ الغلام فقطعه بالسيف . قال هشام السَّكوني : هانئ بن ثبيت هو الذي قتل الغلام ، خاف أن يُعاب ذلك عليه فكَنَّى عن نفسه [٤] .

قال : ثم إن الحسين أعيأ ، فقعد على باب فُسْطاطه وأُتِيَ بصبي صغير من أولاده اسمه عبد الله ، فأجلسه في حجره ، ثم جعل يقبِّله ويشمُّه ويودِّعه ويوصي أهله ، فرماه رجل من بني أسد - يقال له : ابن^(٥) موقد النار - بسهم ، فذبح ذلك الغلام ، فتلَقَّى حسين دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال :

(١) « بَدَا » : بطن من كندة .

(٢) في تاريخ الطبري (٤٤٨/٥) وابن الأثير (٧٥/٤) النسير .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٤٤٧/٥ - ٤٤٨) ومقاتل الطالبين (ص ٥٨) وابن الأثير (٧٥/٤) .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب وتاريخ الطبري (٤٤٩/٥) .

(٥) لفظة ابن من ط فقط .

ربَّ إن تك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير ، وانتقم لنا من الظالمين .

ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضاً .

ثم قُتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنو علي بن أبي طالب - إخوة الحسين .

وقد اشتدَّ عطش الحسين ، فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر ، بل ما نعوه عنه ، فخلص إلى شربة منه ، فرماه رجل - يقال له حصين بن تميم - بسهم في حنكه فأثبته ، فانتزعه الحسين من حنكه ، ففار الدم ، فتلقاه بيديه ، ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دماً ، ثم رمى به إلى السماء وقال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تذر على الأرض منهم أحداً . ودعا عليهم دعاءً بليغاً .

[قال : فوالله إن مكث الرجل الرامي له إلا يسيراً حتى صب الله عليه الظماً ، فجعل لا يَرَوِي ويُسْقَى الماء مبرّداً ، وتارة يبرّد له اللبن والماء جميعاً ، ويُسْقَى فلا يَرَوِي بل يقول : ويلكم اسقوني قتلني الظماً . قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقذَّ بطنه انفداد بطن البعير .

ثم إن شمر بن ذي الجَوْشَن أقبل في نحو من عشرة من رَجالة الكوفة قَبْل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله ، فمشى نحوهم ، فحالوا بينه وبين رَحْله ، فقال لهم الحسين : ويلكم ! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا في دنياكم أحراراً وذوي أحساب ، امنعوا رَحْلي وأهلي من طغאתكم وجهالكُم . فقال ابن ذي الجَوْشَن : ذلك لك يا بن فاطمة . ثم أحاطوا به ، فجعل شمر يحرضهم على قتله ، فقال له أبو الجَنُوب : وما يمنعك أنت من قتله ؟ فقال له شمر : ألي تقول هذا ؟! فقال أبو الجَنُوب : وأنت لي تقول هذا ؟! فاستبأ ساعة ، فقال له أبو الجَنُوب - وكان شجاعاً : والله لقد هممتُ أن أخضخض هذا السَّنان في عينك . فانصرف عنه شمر] (١) .

ثم جاء شمر ومعه جماعة من الشُّجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فُسْطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه ، فجاء غلام يشتدُّ من الخيام كأنه البدر ، في أذنيه دُرَّتَان ، فخرجت زينب بنت عليّ لتردّه ، فامتنع عليها ، وجاء يحاجف عن عمّه ، فضربه رجل منهم بالسيف ، فائقاه بيده ، فأطنّها سوى جلده ، فقال : يا أبتاه ! فقال له الحسين : يا بنيّ احتسبت أجرك عند الله ، فإنك تلحق بآبائك الصالحين (٢) .

ثم حمل على الحسين الرجالُ من كل جانب ، وهو يجول فيهم بالسيف يميناً وشمالاً ، فيتنافرون عنه كتنافر المغزى عن السَّبُع . وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول : ليت السماء تقع على الأرض . وجاءت عمر بن سعد فقالت : يا عمر ! أرضيت أن يُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟! فتحدّرت

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) تاريخ الطبري (٤٥١/٥) .

الدموع على لحيته ، وصرف وجهه عنها . ثم جعل لا يُقدم أحد على قتله حتى نادى شمر بن ذي الجَوْشن : ويحكم ! ماذا تنتظرون بالرجل ؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم . فحملت الرجال من كل جانب على الحسين ، وضربه زُرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى ، وضرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو . ثم جاء إليه سنان بن أنس^(١) النَّخعي ، فطعنه بالرمح فوق ، ثم نزل فذبحه وحزَّ رأسه ، ثم دفع رأسه إلى خولي بن يزيد .

وقيل : إن الذي قتله شمر بن ذي الجَوْشن . وقيل : رجل من مذحج . وقيل : عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وليس بشيء ، وإنما كان عمر أمير السريّة التي قتلت الحسين فقط . والأول أشهر .

[وقال عبد الله بن عمّار : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على مَنْ عن يمينه حتى ابذعوا^(٢) عنه (وعلى مَنْ عن شماله حتى ابذعوا عنه)^(٣) ، فوالله ما رأيت مكثوراً^(٤) قطُّ قد قُتل أولاده وأصحابه أربط جاشاً منه ولا أمضى جناناً منه . والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله . قال : ودنا عمر بن سعد من الحسين ، فقالت له زينب : يا عمر ! أيقُتل أبو عبد الله وأنت تنظر ؟ فبكى وصرف وجهه عنها .

وقال أبو مخنف : حدّثني الصّنعبيّ بن زهير ، عن حميد بن مسلم قال : جعل الحسين يشدُّ على الرجال وهو يقول : أعلى قتلي تحاثون^(٥) ؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم بقتله مني ، وإيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم الله لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم ، وسفك دماءكم ، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم .

قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه (لفعلوا ، ولكن كان يتقي بعضهم ببعض دمه ، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء مؤنة قتله)^(٦) حتى نادى شمر بن ذي الجَوْشن : ماذا تنتظرون بقتله ؟ فتقدّم إليه زُرعة بن شريك التميمي ، فضربه بالسيف على عاتقه ، ثم طعنه سنان بن أنس بن عمرو النخعي بالرمح ، ثم نزل فاحزَّ رأسه ودفعه إلى خولي [^(٧)] .

(١) اضطربت النسخ في سنان بن أنس وأثبتته كما في تاريخ الطبري (٤٥٣/٥) ومقاتل الطالبين (ص ٧٩) وابن الأثير (٧٨/٤) .

(٢) « ابذعوا » : تفرقوا . وقعت في المطبوع : أنذعروا .

(٣) ما بين قوسين ليس في ط .

(٤) « المكثور » : مَنْ كثر عليه أعداؤه .

(٥) وردت هذه اللفظة في أ : تحاربون ، وفي ط : تحابون ، وما أثبتته من تاريخ الطبري (٤٥٢/٥) .

(٦) ما بين قوسين سقط من أ .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من ب .

وقد روى ابن عساكر في ترجمة شمر بن ذي الجَوْشَن - وذو الجَوْشَن : صحابي جليل ، قيل اسمه شرحبيل ، وقيل عثمان بن نَوْفَل ، ويقال ابن أوس بن الأعور العامري الضَّبَّابي ، بطن من كلاب ويكنى شمر بأبي السَّابِغَة - ثم من طريق عمر بن شَبَّة : حدثنا أبو أحمد ، حدثني عمي فضيل بن الزبير ، عن عبد الرحيم بن مَيْمُون ، عن محمد بن عمرو بن حسن قال : كنا مع الحسين بنهري كربلاء ، فنظر إلى شمر بن ذي الجَوْشَن فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : «كأنِّي أنظرُ إلى كلبٍ أبْقَعُ يَلْغُ في دماءِ أهلِ بَيْتِي» . وكان شمر - قبحه الله - أبرص^(١) .

وأخذ سنان وغيره سَلْبَهُ ، وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله ، وما في خبائه حتى ما على النساء من الثياب الطاهرة .

وقال أبو مَخْنَف : عن جعفر بن محمد قال : وجدنا بالحسين حين قُتل ثلاثاً وثلاثين طعنة ، وأربعاً وثلاثين ضربة . وهم شمر بن ذي الجَوْشَن بقتل علي بن الحسين الأصغر - زين العابدين - وهو صغير مريض ، حتى صرفه عن ذلك حميد بن مسلم أحد أصحابه ، وجاء عمر بن سعد فقال : ألا لا يدخلن على هؤلاء النسوة أحد ، ولا يقتل هذا الغلام أحد ، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه عليهم . قال : فوالله ما ردّ أحد شيئاً . فقال له علي بن الحسين : جُزيت خيراً فقد دفع الله عني بمقاتلتك شرّاً^(٢) .

قالوا : ثم جاء سنان بن أنس إلى باب فسطاط عمر بن سعد فنادى بأعلى صوته :

أَوْقِرْ رِكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا^(٣)

فقال عمر بن سعد : أدخلوه عليّ . فلما دخل رماه بالسوط وقال : ويحك أنت مجنون ؟! والله لو سمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك .

ومنَّ عمر بن سعد على عُقْبَة بن سَمْعَانَ حين أخبره أنه مولى ، فلم ينج منهم غيره . والمرفع بن يمان^(٤) أُسر ، فمنَّ عليه ابن زياد . وقُتل من أصحاب الحسين اثنان وسبعون نفساً^(٥) ، فدفنهم أهل الغاصرية^(٦) من بني أسد بعدما قُتلوا بيوم واحد .

(١) تاريخ ابن عساكر ، مختصره (٣٣٢/١٠) ، وهو حديث غريب .

(٢) تاريخ الطبري (٤٥٤/٥) .

(٣) الأبيات في تاريخ الطبري (٤٥٤/٥) ومقاتل الطالبين (ص ٨٠) ومروج الذهب (٧٠/٣) وابن الأثير (٧٩/٤) وتاريخ ابن عساكر (١٧٨/١٨) وسير أعلام النبلاء (٣٠٩/٣) .

(٤) كذا اسمه في الأصول ، والذي في تاريخ الطبري (٤٥٤/٥) وابن الأثير (٨٠/٤) المرقع بن ثمامة .

(٥) أسماؤهم مفصلة في تاريخ الطبري (٤٦٨/٥) وابن الأثير (٩٢/٤) .

(٦) « الغاصرية » : قرية قريبة من كربلاء .

[قال : ثم أمر عمر بن سعد أن يُوطأ الحسين بالخيل ، ولا يصح ذلك ، والله أعلم .

وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ثَمَانِيَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا]^(١) .

وروي عن محمد بن الحنفية أنه قال : قُتِلَ مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من أولاد فاطمة .

وعن الحسن البصري أنه قال : قُتِلَ مع الحسين ستة عشر رجلاً كلهم من أهل بيته ، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه .

وقال غيره : قُتِلَ معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً ، فمن أولاد علي رضي الله عنه : جعفر ، والحسين ، والعباس ، ومحمد ، وعثمان ، وأبو بكر . ومن أولاد الحسين : علي الأكبر ، وعبد الله . ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة : عبد الله ، والقاسم ، وأبو بكر بنو الحسن بن علي بن أبي طالب . ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان : عون ، ومحمد . ومن أولاد عقيل : جعفر ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ومسلم قُتِلَ قبل ذلك كما قدمنا ، فهؤلاء أربعة لصلبه ، واثنان آخران هما : عبد الله بن مسلم بن عقيل ، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ، فكملا ستة من ولد عقيل ، وفيهم يقول الشاعر^(٢) :

واندُبِي تسعة لصلبِ عليٍّ قد أصيَّبُوا وستة لعقيل

وسميَّ النبيَّ غُودِرَ فيهم قد علَّوهُ بصَّارمٍ مَضْقُول

وممن قُتِلَ مع الحسين بكر بلاء أخوه من الرضا عبد الله بن بقطر ، وقد قيل : إنه قُتِلَ قبل ذلك ، حيث بعث معه كتاباً إلى أهل الكوفة ، فحُمِلَ إلى ابن زياد فقتله .

وقُتِلَ من أهل الكوفة من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى ، فصلَّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم .

ويقال : إنَّ عمر بن سعد أمر عشرة فرسان فداسوا الحسين بحوافر خيولهم حتى ألصقوه بالأرض يوم المعركة ، وأمر برأسه أن يُحمل من يومه إلى ابن زياد مع خولي بن يزيد الأصبحي ، فلمَّا انتهى به إلى القصر وجده مغلقاً ، فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجمانة^(٣) ، وقال لامرأته نوار بنت مالك : جئتُك بعزِّ الدهر ، فقالت : وما هو ؟ فقال : برأس الحسين ، فقالت : جاء الناس بالذهب والفضة وجئتُ أنت برأس ابن بنت رسول الله ﷺ ؟! والله لا يجمعني وإياك فراشٌ أبداً ، ثم نهضت عنه من الفراش ، واستدعى بامرأة له أخرى من بني أسد ، فنامت عنده . قالت المرأة الثانية الأسديَّة : والله ما زلتُ أرى النور ساطعاً

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) هو مسلم بن قتيبة مولى بني هاشم ، كما في مروج الذهب (٣/ ٧١-٧٢) .

(٣) « الإجمانة » : المِرْكَن الذي تغسل فيه الثياب .

من تلك الإجانة إلى السماء ، وطيوراً بيضاً ترفرف حولها . فلما أصبح غدا به إلى ابن زياد فأحضره بين يديه . ويقال : إنه كان معه رؤوس بقية أصحابه - وهو المشهور - ومجموعها اثنان وسبعون رأساً ، وذلك أنه ما قُتل قتيل إلا احتزوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد ، ثم بعث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية بالشام .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا جرير ، عن محمد ، عن أنس قال : أتني عبيد الله بن زياد برأس الحسين ، فجعل في طست ، فجعل ينكت عليه ، وقال في حسنه شيئاً . فقال أنس : إنه كان أشبههم برسول الله ﷺ ، وكان مخضوباً بالوسمة^(١) .

ورواه البخاري في المناقب عن محمد بن الحسين^(٢) بن إبراهيم - هو ابن إشكاب - عن حسين بن محمد ، عن جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس . . . فذكره^(٣) .

وقد رواه الترمذي^(٤) من حديث حفصة بنت سيرين ، عن أنس . وقال : حسن صحيح . وفيه : « فجعل ينكت بقضيب في أنفه ويقول : ما رأيت مثل هذا حسناً » .

وقال البزار : حدثنا مفرج بن شجاع بن عبيد الله الموصلي ، حدثنا غسان بن الربيع ، حدثنا يوسف بن عتبة^(٥) ، عن ثابت وحميد ، عن أنس قال : لما أتني عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه ويقول : لقد كان - أحسبه قال - جميلاً ، فقلت : والله لأسوءئك ، إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث يقع قضيبك . قال : فانقبض . تفرد به البزار من هذا الوجه وقال : لا نعلم رواه عن حميد غير يوسف بن عتبة ، وهو رجل من أهل البصرة مشهور ، وليس به بأس^(٦) .

ورواه أبو يعلى الموصلي^(٧) : عن إبراهيم بن الحجاج ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس . . . فذكره .

ورواه قرة بن خالد ، عن الحسن ، عن أنس . . . فذكره .

وقال أبو مخنف : عن سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم قال : دعاني عمر بن سعد ، فسرّحني إلى أهله لأبشّرهم بما فتح الله عليه وبعاثيته ، فأجد ابن زياد قد جلس للناس ، وقد دخل عليه الوفد الذين قدموا عليه ، فدخلت فيمن دخل ، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه ، وإذا هو ينكت فيه

(١) « الوسمة » : نبت يختضب بورقه الشعر . ووقعت في الأصول : بالوسمة . والخبر في مسند أحمد (٣/ ٢٦١) .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : الحسن .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٧٤٨) .

(٤) برقم (٣٧٧٨) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين .

(٥) تصحفي في أ ، ط : يونس بن عبيدة ، والمثبت من ب وزوائد البزار وتهذيب التهذيب (١١/ ٤١٧) .

(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٣٤) رقم (٢٦٤٩) .

(٧) في مسنده (٣٩٨١) وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف .

بقضيب بين ثنياه ساعة ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع هذا القضيب عن هاتين الشئتين ، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيتُ شَفَتَي رسول الله ﷺ على هاتين الشئتين يقبلُهما . ثم انفضخ الشيخ يبكي ، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينك ، فوالله لولا أنك شيخ قد خرفتَ وذهب عقلك لضربتُ عنقك . قال : فنهض فخرج [فلما خرج قال الناس : والله لقد قال زيد بن أرقم كلاماً لو سمعه ابن زياد لقتله ، قال : فقلت : ما قال ؟ قالوا : مرَّ بنا وهو يقول : ملك عبدٌ عبيداً ، فاتخذهم تليداً^(١) ، أنتم - يا معشر العرب - العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمَّرتُم ابن مُرجانة^(٢) ، فهو يقتل خياركم ، ويستعبد شراركم ، فبعداً لمن رضي بالذُّل]^(٣) . وقد رُوي من طريق أبي داود بإسناده عن زيد بن أرقم . . . بنحوه . ورواه الطبراني من طريق ثابت ، عن زيد .

وقد قال الترمذي^(٤) : حدَّثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عُمارة بن عُمير قال : لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه ، فنُصبت في المسجد في الرَّحبة ، فانتَهيتُ إليه وهم يقولون : قد جاءت قد جاءت ، فإذا حيَّة قد جاءت تتخلَّل الرؤوس حتى دخلت في مَنْخري عبيد الله بن زياد ، فمكثتُ هنيهةً ثم خرجتُ ، فذهبتُ حتى تغيَّيتُ ، ثم قالوا : قد جاءت قد جاءت . ففعلتُ ذلك مرتين أو ثلاثاً . ثم قال الترمذي : حسن صحيح .

وأمر ابن زياد فنُودي : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فصعد المنبر ، فذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين الذي أراد أن يسلبهم الملك ويفرِّق الكلمة عليهم . فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي فقال : ويحك يا ابن زياد ! تقتلون أولاد النبيِّ وتتكلمون بكلام الصديقين ؟ ! فأمر به ابن زياد ، فقتل وصُلب . ثم أمر برأس الحسين ، فنُصب بالكوفة وطيف به في أزقتها ، ثم سيَّره مع زُحر بن قيس ومعه رؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية [بالشام ، وكان مع زُحر جماعة من الفرسان ، منهم أبو بُردة بن عوف الأزدي ، وطارق بن أبي ظبيان الأزدي ، فخرجوا حتى قدموا بالرؤوس كلَّها على يزيد بن معاوية]^(٥) .

قال هشام : فحدَّثني عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زُبَاع الجُدامي ، عن أبيه ، عن الغاز بن ربيعة الجُرشي - من حمير - قال : والله إني لعند يزيد بن معاوية بدمشق ، إذ أقبل زُحر بن قيس فدخل على يزيد ، فقال له يزيد : ويحك ما وراءك ؟ ! [فقال : أبشِر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره ، ورد

(١) « التليد » : أولاد الأعاجم .

(٢) « ابن مرجانة » : هو عبيد الله بن زياد ، حيث كانت أمه مرجانة من بنات ملوك الفرس .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في تاريخ الطبري (٤٥٦/٥) .

(٤) سنن الترمذي برقم (٣٧٨٠) . وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٤٩/٣) ضمن ترجمة عبيد الله بن زياد .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من ب . والروايات الحديثية الصحيحة والحسنة هي الحجة القاطعة في حمل الرأس الشريف من كربلاء إلى الكوفة ، وإلى الأمويين عبيد الله بن زياد هو الذي حمل القضيب ، والمعتز عليه أنس بن مالك رضي الله عنه ، وكان بالعراق . وما رواه : أبو مخنف في تاريخ الطبري (٤٥٩/٥) أن الرأس الشريف كان في دمشق ، وأن القضيب كان في يد يزيد بن معاوية ؛ فإسناده تالف ومنتنه منكر . انظر منهاج السنة (١٤٢/٨) والدولة الأموية للصلاحي (٦٠٥/١) .

علينا الحسينُ بن علي بن أبي طالب وثمانيةَ عشرَ من أهل بيته وستون من شيعته ، فسِرْنَا إليهم ، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال ، فغدونا إليهم مع شروق الشمس ، فأحطنا بهم من كل ناحية ، حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم ، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولا وِزَر ، ويلوذون منا بالآكام والحفر لوأذاً كما لا ذ الحمام من صقر ، فوالله ما كانوا إلا جزر جَزُور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مجرّدة ، وثيابهم مزملّة ، وخدودهم معفّرة ، تصهرهم الشمس ، وتسفي عليهم الريح ، زوّاهم العقبان والرّخم [١] .

قال : فدمعتُ عينا يزيد بن معاوية وقال : كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سميّة ، أما والله لو أني صاحبه لعفوتُ عنه ، ورحم الله الحسين . ولم يصل الذي جاء برأسه بشيء . ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال : أما والله لو أني صاحبك ما قتلْتُك . ثم أنشد قول الحُصَيْن (٢) بن الحُمَام المرّي الشاعر :

نُفِّلَقُ هَاماً مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جعفر العباسي [عن أبي عمارة العباسي] (٣) قال : وقام يحيى بن الحكم - أخو مروان بن الحكم - فقال :

لَهَامٌ يَجْنِبُ الطَّفَّ أَدْنَى قَرَابَةٍ مِنْ ابْنِ زِيَادِ الْعَبْدِ ذِي الْحَسَبِ الْوَعْلِ
سُمِيَّةٌ أَضْحَى نَسْلَهَا عَدَدَ الْحَصَى وَلَيْسَ لَأَلِ الْمُصْطَفَى الْيَوْمَ مِنْ نَسْلِ

قال : فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال له : اسكُت (٤) .

وقال محمد بن حميد الرازي - وهو شيعي : حدثنا محمد بن يحيى الأحمري ، حدثنا ليث ، عن مجاهد قال : لما جيء برأس الحسين ، فوضع بين يدي يزيد ، تمثل بهذه الأبيات :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بَيَذِرُ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ فِي وَقَعِ الْأَسْلِ
فَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحاً ثُمَّ قَالُوا لِي هَيْئاً لَا تَسْلُ

(١) ما بين حاصرتين مكانه في ب : فذكر له أمر الحسين وماكان من أمره بكر بلاء . والخبر بطوله في تاريخ الطبري (٤٥٩/٥ - ٤٦٠) .

(٢) تحرف في الأصول إلى : الحسين . والحصين بن الحمام : شاعر جاهلي مقل . والبيت في ديوان الحماسة (٣٩١/١) وغيره من كتب الأدب . تاريخ الطبري (٤٦٠/٥) ومروج الذهب (٧٠/٣) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصول ، واستدركته من تاريخ الطبري .

(٤) الخبر والشعر في تاريخ الطبري (٤٦٠/٥ - ٤٦١) وابن الأثير (٨٩/٤ - ٩٠) .

حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ^(١) بَزَكَهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَشْلِ^(٢)
 قَدْ قَتَلْنَا الضَّعْفَ مِنْ أَشْرَافِكُمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَاغْتَدَلْ^(٣)

قال مجاهد : نافق فيها والله ، ما بقي في جيشه أحد إلا تركه ؛ أي : ذمّه وعابه .

وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين : هل سيّره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا ؟ على قولين : الأظهر منهما أنه سيّره إليه ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة ، فالله أعلم^(٤) .

وقال أبو مخنف : عن أبي حمزة الثمالي ، عن عبد الله الثمالي ، عن القاسم بن بُخَيْت قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينكتُ بقضيب كان في يده في ثغره ، ثم قال : إِنَّ هذا وإيانا كما قال الحُصَيْن بن الحُمام المري :

نُفَلِّقُ هَاماً مَنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

فقال أبو بَرَزَةَ الأَسْلَمِي : أما والله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذاً ، لقد رأيت رسول الله ﷺ يَرْشُفُهُ ، ثم قال : ألا إِنَّ هذا سيجيء يوم القيامة وشفيعه محمد ، وتجيء وشفيعك ابن زياد . ثم قام فوَلَّى^(٥) .

وقد رواه ابن أبي الدنيا ، عن أبي الوليد ، عن خالد بن يزيد بن أسد ، عن عَمَّار الدهني ، عن جعفر قال : لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو بَرَزَةَ وجعل ينكت بالقضيب ، فقال له : « ارفع قضيبك ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يلثمهُ » .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثني سلمة^(٦) بن شبيب ، عن الحميدي ، عن سفيان : سمعت سالم بن أبي حفصة قال : قال الحسن : لما جيء برأس الحسين جعل يزيد يطعن بالقضيب . قال سفيان : وأخبرت أن الحسن^(٧) كان ينشد على إثر هذا :

سُمِيَّةُ أُمْسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْحَصَى وَبَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلٌ

وأما بقية أهله ونساؤه وحرمة فإن عمر بن سعد وكُلُّ بهم من يحرسهم ويكلؤهم ، ثم أركبهم على

(١) في ط : بفناء .

(٢) تحرفت الأشل في الأصول إلى : الأسل . « وعبد الأشل » : بنو عبد الأشهل ، من الأوس .

(٣) الأبيات لعبد الله بن الزبيري ، وهي مخرجة ومشروحة في ديوانه (ص ٤٢) من قصيدة قالها يوم أحد معرضاً بحسان ابن ثابت والخزرج .

(٤) رجَّح ابن كثير والذهبي إرسال رأس الحسين رضي الله عنه إلى يزيد انظر «تاريخ الإسلام» (٦١ - ٨١هـ) ص (١٠٦) .

(٥) رواية أبي مخنف التالف في تاريخ الطبري تقدمت (ص ٢٦٩) وهي ضعيفة جداً ، في إسنادها ضعف وجهالة وانقطاع ، وفي متنها أن المعترض على يزيد هو أبو بَرَزَةَ الأَسْلَمِي ، وكان مع أنس بن مالك بالعراق ، وفي رواية لأبي مخنف الكذاب أن المعترض زيد بن أرقم ! وحزن يزيد على الحسين ، وحسن استقباله لنسائه ؛ كما صح في الأخبار ، يدفع القارئ المنصف إلى استبعاد استهانة يزيد بالرأس الشريف . وانظر تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٠٩) .

(٦) تحرف في ط ، ب إلى : مسلمة .

(٧) تحرف في ط إلى : الحصين .

الرواحل في الهودج ، فلما مروا بمكان المعركة ورأوا الحسين وأصحابه مطّرحين هنالك بكت النساء وصرخن ، وندبت زينب أختها الحسين وأهلها فقالت وهي تبكي : يا محمداه ! يا محمداه ! صلى عليك الله وملك السماء ، هذا حسين بالعراء ، مزمل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، يا محمداه ! وبناتك سبايا ، وذريتك مقتلة ، تسفي عليها الصبا ! قال : فأبكت - والله - كلّ عدو وصديق^(١) .

قال قرّة بن قيس : لما مرّت النسوة بالقتلى صحنَ ولطمنَ خدودهنّ . قال : فما رأيت من منظر من نسوة قطّ أحسن من منظر رأيته منهن ذلك اليوم ، والله إنهنّ لأحسن من مهّا يبرّين . وذكر الحديث كما تقدم . قال : ثم ساروا بهم من كربلاء حتى دخلوا الكوفة ، فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم النفقات والكساوى وغيرها .

[قال : ودخلت زينب ابنة فاطمة في أرذل ثيابها قد تنكّرت وحفّت بها إماؤها ، فلما دخلت على عبيد الله بن زياد قال : من هذه ؟ فلم تكلمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة ، فقال : الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وكذب أحدوثنكم . فقالت : بل الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً ، لا كما تقول ، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر . قال : كيف رأيت صنع الله بأهل بيتكم ؟ فقالت : كُتب عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجونك إلى الله . فغضب ابن زياد واستشاط ، فقال له عمرو بن حُرَيْث : أصلح الله الأمير ! إنما هي امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقتها ؟ إنها لا تؤاخذ بما تقول ، ولا تلام على خطئ^(٢) .

وقال أبو مخنف : عن المجالد بن سعيد : إن ابن زياد لما نظر إلى علي بن الحسين (زين العابدين) قال لشرطي : انظر أدرك هذا الغلام ؟ فإن كان أدرك فانطلقوا به فاضربوا عنقه . فكشف إزاره عنه ، فقال : نعم ! فقال : اذهب به فاضرب عنقه . فقال له علي بن الحسين : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهنّ رجلاً يحافظ عليهنّ . فقال له ابن زياد : تعال أنت ، فبعثه معهنّ .

قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبي راشد ، فحدثني عن حميد بن مسلم قال : إني لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين ، قال : أولم يقتل الله عليّ بن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلّم ؟ قال : كان لي أخ يقال له عليّ أيضاً ، قتله الناس . قال : إن الله قتله ، فسكت ، فقال : مالك لا تتكلّم ؟ فقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] ﴿ وَمَا كَانَ لِئَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] قال : أنت والله منهم ، ويحك ! انظروا هذا أدرك ؟ والله إني لأحسبه رجلاً ، فكشف عنه مُري بن معاذ الأحمريّ ،

(١) تاريخ الطبري (٥/٤٥٦) .

(٢) الخبر عن هذا الحوار رواه أبو مخنف في تاريخ الطبري (٥/٤٥٦) وإسناده تالف ، وفي متنه نكارة وتكلف وقسوة مصنوعة ، وردود قاسية ، لا تليق مع هول المصاب وآلام الفاجعة .

فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتله ، فقال علي بن الحسين : من يوكل بهذه النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته فقالت : يا بن زياد ! حسبك منا ما فعلت بنا ، أما رويت من دمائنا ؟ وهل أبقيت منا أحداً ؟ قال : واعتنقته وقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتنني معه . وناداه عليّ فقال : يا بن زياد ! إن كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام قال : فنظر إليهن ساعة ثم نظر إلى القوم فقال : عجباً للرحم ! والله إني لأظن أنها ودّت لو أني قتلته أن أقتلها معه . دعوا الغلام . انطلق مع نسائك [١] .

قال : ثم إن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصبياناه وبناته فجهّزوا إلى يزيد ، وأمر بعلي بن الحسين فغلّ بغلّ إلى عنقه ، وأرسلهم مع محفّز^(٢) بن ثعلبة العائذي - من عائذة قريش - ومع شمر بن ذي الجوشن قبحه الله ، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية رفع محفّز بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفّز بن ثعلبة ، أتى أمير المؤمنين باللثام الفجرة . فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدت أم محفّز سرّاً وألأم .

فلما دخلت الرؤوس والنساء على يزيد دعا أشراف الشام فأجلسهم حوله ، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلوا عليه والناس ينظرون ، فقال لعلي بن الحسين : يا عليّ ! أبوك قطع رحمي ، وجهل حقّي ، ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت . فقال علي : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد : ٢٢] فقال يزيد لابنه خالد : أجبه . قال : فما درى خالد ما يردّ عليه ، فقال له يزيد : قل : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] فسكت عنه ساعة ، ثم دعا بالنساء والصبيان فرأى هيئة قبيحة ، فقال : قبح الله ابن مَرْجانة ! لو كانت بينهم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بهم ، ولا بعث بكم هكذا .

وروى أبو مخنف ، عن الحارث بن كعب ، عن فاطمة بنت علي قالت : لما أجلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا وأمر لنا بشيء والطفنا . ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي هذه - يعني - وكنت جارية وضيئة ، فارتعدت فزعاً من قوله ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب أختي زينب - وكانت أكبر مني وأعقل ، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز - فقالت لذلك الرجل : كذبت - والله - ولؤمت ، ما ذلك لك وله . فغضب يزيد فقال لها : كذبت ، والله إن ذلك لي ، ولو شئت أن أفعله لفعلت . قالت : كلا ، والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا . قالت : فغضب يزيد واستطار ثم قال : إياي تستقبلين بهذا ؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك ، فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديت أنت وأبوك وجدّك . قال : كذبت يا عدوة الله . قالت : أنت أمير

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . وهو في تاريخ الطبري (٥/٤٥٧ - ٤٥٨) .

(٢) كذا قيده ابن ماكولا والذهبي وغيرهما - بالفاء المشددة والزاي . وقد تحرف في المطبوع في غير موضع إلى : محقر .

المؤمنين [مسلط ، تشتم ظالماً ، وتقهر بسلطانك . قالت : فوالله لكأنه استحيى فسكت . ثم قام ذلك الرجل فقال : يا أمير المؤمنين ^(١) ! هب لي هذه ، فقال له يزيد : اعزُب ، وهب الله لك حتفاً قاضياً .

ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يبعث معهم إلى المدينة رجلاً أميناً معه رجال وخيل ، ويكون علي بن الحسين معهم . ثم أنزل النساء عند حريمه في دار الخلافة ، فاستقبلهن نساء آل معاوية يبكين وينحن على الحسين ، ثم أقمن المناحة ثلاثة أيام . وكان يزيد لا يتغذى ولا يتعشى إلا ومعه علي بن الحسين وأخوه عمر بن الحسين ، فقال يزيد يوماً لعمر بن الحسين - وكان صغيراً جداً - أتقاتل هذا ؟ يعني ابنه خالد بن يزيد - يريد بذلك ممازحته وملاعبته ، فقال : أعطني سكيناً وأعطه سكيناً حتى نتقاتل . فأخذه يزيد فضمه إليه وقال : شِشْنَةُ أعرِفها من أخزم ^(٢) ، هل تلد الحية إلا حية ؟ .

ولما ودّعهم يزيد قال لعلي بن الحسين : قبح الله ابن سميّة ، أما والله لو أني صاحب أبيك ما سألتني خصلة إلا أعطيتها إياها ، ولدفعت الحنف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن الله قضى ما رأيته . ثم جهّزه وأعطاه مالا كثيراً ، وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول ، وقال له : كاتِبنِي بكل حاجة تكون لك . فكان ذلك الرسول الذي أرسله معهم يسير عنهم بمعزل من الطريق ، ويبعد عنهم بحيث يدركهم طرفه ، وهو في خدمتهم حتى وصلوا المدينة . فقالت فاطمة بنت علي : قلت لأختي زينب : إن هذا الرجل الذي أرسل معنا قد أحسن صحبتنا فهل لك أن نصله ؟ فقالت : والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا ، قالت لها : نعطيه حلينا . قالت : فأخذت سوارِي ودُمَلَجِي ^(٣) ، وأخذت سوارها ودُمَلَجها ، وبعثنا به إليه واعتذرنا إليه وقلنا : هذا جزاؤك بحسن صحبتك لنا ، فقال : لو كان الذي صنعتُ معكم إنما هو للدنيا كان في هذا الذي أرسلتموه ما يُرضيني وزيادة ، ولكن - والله - ما فعلتُ ذلك إلا لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله ﷺ ^(٤) .

[وقيل : إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال : أتدرون من أين أتى ابن فاطمة ، وما الحامل له على ما فعل ، وما الذي أوقعه فيما وقع فيه ؟ قالوا : لا ، قال : يزعم أن أباه خيرٌ من أبي ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ خيرٌ من أمي ، وجدّه رسول الله خيرٌ من جدي ، وأنه خير مني وأحقُّ بهذا الأمر مني ! فأما قوله : أبوه خير من أبي ، فقد حاجَّ أبي أباه إلى الله عز وجل ، وعلم الناس أيهما حُكم له . وأما قوله : أمّه خير من أمي ، فلعمري إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي . وأما قوله : جدّه رسول الله خير من

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) قوله : شِشْنَةُ أعرِفها من أخزم . مثل عربي . « والشِشْنَةُ » : الطبيعة والسجية ، كأنه أراد : إنني أعرف منك مِشَابَةَ من أبيك في رأيه وعقله وذكائه . اللسان : مادة (شَنَن) .

(٣) الدملج - بفتح اللام وضمها : ما يوضع على العضد من الحلِيّ .

(٤) تاريخ الطبري (٥/٤٦٢ - ٤٦٣) .

جدي ، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله فينا عدلاً ولا ندّاً . ولكنه إنما أتى من قلة فقهه ، لم يقرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ الآية [٢٦ من سورة آل عمران] وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين - وكانت أكبر من سَكينة : يا يزيد ! بنات رسول الله ﷺ سبايا ، فقال يزيد : يا بنت أخي ! أنا لهذا كنت أكره . قالت : قلت : والله ما تركوا لنا خُرُصاً^(١) ، فقال : ابنة أخي ! ما أتى إليك أعظم مما ذهب لك . ثم أدخلهن داره ، ثم أرسل إلى كل امرأة منهن : ماذا أخذ لك ؟ فليس منهن امرأة تدّعي شيئاً بالغاً ما بلغ إلا أضعفه لها .

وقال هشام : عن أبي مخنف ، حدّثني أبو حمزة الثُمالي ، عن عبد الله الثُمالي ، عن القاسم بن بُخيت^(٢) قال : لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق ، فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً ، فأتينا - والله - على آخرهم ، وهذه الرؤوس والسبايا . فوثب مروان وانصرف . وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال : ما صنعتم ؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه ، فقال لهم : حُجِبتُم عن محمد ﷺ يوم القيامة ، لن أجامعكم على أمر أبداً ، ثم قام فانصرف . قال : ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بني هاشم ونُحْن عليه^(٣) .

وروي أن يزيد استشار الناس في أمرهم ، فقال رجال ممن قَبَّحهم الله : يا أمير المؤمنين ! لا تتخذن من كلب سوء جرواً ، اقتُل علي بن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد ، فسكت يزيد ، فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ! اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله ﷺ لو رآهم على هذه الحال . فرق عليهم يزيد ، وبعث بهم إلى الحَمَّام ، وأجرى عليهم الكساوى والعطايا والأطعمة ، وأنزلهم في داره .

وهذا يردُّ قول الرافضة : إنهم حُمِلوا على جنائب الإبل سبايا عرايا ، حتى كذب مَنْ زعم منهم أن الإبل البَختي إنما نبتت لها الأسنمة من ذلك اليوم لتستر عوراتهنَّ من قُبُلهنَّ ودُبُرهنَّ .

ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد - أمير الحرمين - يبشّره بمقتل الحسين ، فأمر منادياً فنادى بذلك ، فلما سمع نساء بني هاشم ارتفعت أصواتهنَّ بالبكاء والنوح ، فجعل عمرو بن سعيد يقول : هذا بيبكاء نساء عثمان بن عفان .

وقال عبد الملك بن عُمر : دخلتُ على عبيد الله بن زياد وإذا رأسُ الحسين بن علي بين يديه على

(١) الخرص - بضم الخاء وكسر ها : حلقة القُرط .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : نجيب .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من ب ، وماورد خلاله من أخبار في تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٤ - ٤٦٥) .

تُرس ، فوالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبي عبيد وإذا رأسُ عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على تُرس [ووالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على مصعب بن الزبير وإذا رأسُ المختار بين يديه على تُرس] ^(١) ووالله ما لبثتُ إلّا قليلاً حتى دخلت على عبد الملك بن مروان وإذا رأسُ مصعب بن الزبير على تُرس بين يديه .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في « تاريخه » : حدّثني زكريا بن يحيى الضّرير ، حدّثنا أحمد بن جناب ^(٢) المصيصي ، حدّثنا خالد بن يزيد بن ^(٣) عبد الله القسري ، حدّثنا عمّار الدّهني قال : قلت لأبي جعفر : حدّثني عن مقتل الحسين كأني حضرته ، فقال : أقبل الحسين بكتاب مسلم بن عقيل الذي كان قد كتبه إليه يأمره فيه بالقدوم عليه ، حتى إذا كان بينه وبين القادسيّة ثلاثة أميال لقيه الحرّ بن يزيد التميمي فقال له : أين تريد ؟ فقال : أريد هذا المضر ، فقال له : ارجع فإنني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه ، فهمّ الحسين أن يرجع ، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا ممن قتل أخانا أو نُقتل ، فقال : لا خير في الحياة بعدكم . فسار ، فلقيه أوائل خيل ابن زياد ، فلما رأى ذلك عدل ^(٤) إلى كربلاء ، فأسند ظهره إلى قصباء ^(٥) وخلاً ليقاتل من جهة واحدة ، فنزل وضرب أبنيته . وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومئة راجل . وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولّاه ابن زياد الري وعهد إليه عهده ، فقال : اكفني هذا الرجل واذهب إلى عملك ، فقال : اعفني ، فأبى أن يعفيه ، فقال : أنظرني الليلة ، فأخّره ، فنظر في أمره ، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمره به . فتوجّه إليه عمر بن سعد ، فلما أتاه قال له الحسين : اختر ^(٦) واحدة من ثلاث : إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت ، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد ، وإما أن تدعوني فألحق بالثغور . فقبل ذلك عمر ، فكتب إليه عبيد الله بن زياد : لا ، ولا كرامة حتى يضع يده في يدي ، فقال الحسين : لا والله لا يكون ذلك أبداً . فقاتله ، فقتل أصحاب الحسين كلّهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته ، وجاءه سهم فأصاب ابناً له في حجره ، فجعل يمسح الدم ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دَعَوْنَا لينصرونا فقتلونا . ثم أمر بحبّرة ^(٧) فشَقَّها ثم لبسها وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قُتل ، قتله رجل من مذحج ، وحزّ رأسه فانطلق به إلى ابن زياد وقال في ذلك :

أَوْقِرَ رِكَابِي فَضَّةً وَذَهَبًا فَقَدْ قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّجَا

(١) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع . والخبر في تاريخ الخلفاء (ص ٣٢٨-٣٢٩) .

(٢) في المطبوع : خباب ، تحريف .

(٣) في المطبوع : عن ، خطأ .

(٤) في المطبوع : عاد .

(٥) كذا في ب وتاريخ الطبري . ووقعت في أ ، ط : قصيتا .

(٦) في المطبوع : اختر ، خطأ .

(٧) الحبرة - بكسر الحاء وفتحها : ضرب من البرود اليمانية .

قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبًا

قال : فأوفده إلى يزيد بن معاوية ، فوضع رأسه بين يديه ، وعنده أبو بَرَزَةَ الأسلمي ، فجعل يزيد ينكت بالقضيب على فيه ويقول :

نُفِّلْتُ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

فقال له أبو بَرَزَةَ : ارفع قضيبك ، فوالله لربما رأيت رسول الله ﷺ واضعاً فيه على فيه يلثمه .

قال : وأرسل عمر بن سعد بحرمة وعياله إلى ابن زياد ، ولم يكن بقي من آل الحسين إلا غلام ، وكان مريضاً مع النساء ، فأمر به ابن زياد لِيُقْتَلَ ، فطرحت زينب نفسها عليه وقالت : والله لا يقتل حتى تقتلونني ، فرق لها وكف عنه .

قال : فأرسلهم إلى يزيد ، فجمع يزيد من كان بحضرته من أهل الشام ، ثم دخلوا عليه فهتؤوه بالفتح ، فقام رجل منهم أحمر أزرق - ونظر إلى وصيفة من بناته - فقال : يا أمير المؤمنين ! هب لي هذه ، فقالت زينب : لا ، ولا كرامة لك ولا له إلا أن تخرجنا من دين الله . قال : فأعادها الأزرق ، فقال له يزيد : كف عن هذا . ثم أدخلهم على عياله ، ثم حملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها ، واضعة كمها على رأسها ، تتلقاهم وهي تبكي وتقول :

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ
بِعَثْرَتِي وَبِأَهْلِي بَعْدَ مُفْتَقِدِي مِنْهُمْ أَسَارِي وَقَتْلَى ضُرِّجُوا بدم
مَاكَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ أَنْ تَخْلِفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِي^(١)

وقد روى أبو مخنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود : أن بنت عقيل هي التي قالت هذا الشعر .

وهكذا حكى الزبير بن بكار أن زينب الصغرى بنت عقيل بن أبي طالب هي التي قالت ذلك حين دخل آل الحسين المدينة النبوية .

وروى أبو بكر بن الأنباري بإسناده أن زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة - وهي زوج عبد الله بن جعفر أم بنيه - رفعت سجف^(٢) خبائها يوم كربلاء يوم قُتل الحسين وقالت هذه الأبيات^(٣) . فالله أعلم .

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري (٣٨٩/٥ - ٣٩٠) .

(٢) « السجف » : الستر .

(٣) الخبر في شاعرات العرب (ص ٢٥٧) وأعلام النساء (٣٢٤/٣) وفيهما أن هذه الأبيات لعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب .

وقال هشام بن الكلبي : حَدَّثَنِي بعض أصحابنا ، عن عمرو بن [أبي] ^(١) المقدام قال : حَدَّثَنِي عمر بن عكرمة قال : أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولاة لنا تحدَّثنا قالت : سمعت البارحة منادياً ينادي وهو يقول :

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ ظُلُمًا حُسَيْنًا أَبْشِرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ
كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَمَالِكٍ وَقَيْلِ
قَدْ لُعِنْتُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ وَمُوسَى وَحَامِلِ الْإِنْجِيلِ ^(٢)

قال هشام ^(٣) : حَدَّثَنِي عمرو بن حيزوم الكلبي ، عن أمِّه قالت : سمعت هذا الصوت . وقال الليث وأبو نعيم : يوم السبت .

ومما أنشده الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيره لبعض المتقدمين في مقتل الحسين :

جَاؤُوا بِرَأْسِكَ يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ مَتَزَمِّلًا بِدِمَائِهِ تَزْمِيلًا
وَكَأَنَّمَا بَكَ يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ قَتَلُوا جَهَارًا عَامِدِينَ رُسُلًا
قَتَلُوكَ عَطْشَانًا وَلَمْ يَتَدَبَّرُوا فِي قَتْلِكَ الْقُرْآنَ وَالتَّنْزِيلَ
وَيُكَبِّرُونَ بَأْنَ قُتِلْتَ وَإِنَّمَا قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ

فصل

وكان مقتل الحسين - رضي الله عنه - يوم الجمعة ، يوم عاشوراء من المحرم ، سنة إحدى وستين . وقال هشام بن الكلبي : سنة اثنتين وستين ، وبه قال علي بن المديني . وقال ابن لهيعة : سنة اثنتين أو ثلاث وستين . وقال غيره : سنة ستين . والصحيح الأول . بمكان من الطَّفِّ يقال له : كربلاء من أرض العراق ، وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها ، وأخطأ أبو نعيم في قوله : إنه قُتل وله من العمر خمس أو ست وستون سنة .

قال الإمام أحمد ^(٤) : حَدَّثَنَا عبد الصَّمد بن حسان ، حَدَّثَنَا عُمارة - يعني ابن زاذان - عن ثابت ، عن

(١) سقطت من المطبوع . وعمرو بن أبي المقدام : هو عمرو بن ثابت الكوفي . قال فيه ابن حجر : ضعيف ، رمي بالرفض .

(٢) تنسب هذه الأبيات للجن ، وهي في تاريخ الطبري (٤٦٧/٥) وابن الأثير (٩٠/٤) وتاريخ ابن عساكر (١٦٦/١٨) .

(٣) في المطبوع : قال ابن هشام ، خطأ .

(٤) مسند أحمد (٢٦٥/٣) وفيه عمارة بن زاذان وهو كثير الخطأ ، فإسناد الحديث ضعيف .

أنس قال : « استأذن ملك القطر أن يأتي النبي ﷺ فأذن له ، فقال لأم سلمة : احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسين بن علي ، فوثب حتى دخل ، فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ فقال الملك : أتجبه ؟ قال النبي ﷺ^(١) : نعم ، فقال : إن أمتك تقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه . قال : فضرب بيده فأراه تراباً أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرت في طرف ثوبها . قال : فكنا نسمع أنه يقتل بكرىلاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثني عبد الله بن سعيد ، عن أبيه ، عن عائشة - أو أم سلمة - : أن رسول الله ﷺ قال : « لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل قبلها [فقال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها]^(٢) قال : فأخرج تربة حمراء »^(٣) .

وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أم سلمة . ورواه الطبراني^(٤) عن أبي أمامة وفيه قصة أم سلمة . ورواه محمد بن سعد^(٥) عن عائشة بنحو رواية أم سلمة ، فالله أعلم . وروي ذلك من حديث زينب بنت جحش ، ولُبابة أم الفضل امرأة العباس . وأرسله غير واحد من التابعين .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا محمد بن هارون أبو بكر ، حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي وعلي بن الحسن الرازي قالا : حدثنا سعيد بن عبد الملك أبو واقد الحراني ، حدثنا عطاء بن مسلم ، حدثنا أشعث بن سُحيم^(٦) ، عن أبيه قال : سمعت أنس بن الحارث يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ابني - يعني الحسين - يُقتل بأرض يُقال لها كَرْبِلاء ، فمن شهد منكم ذلك فليَنصُرْه » . قال : فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء ، فقتل مع الحسين . قال : ولا أعلم رواه غيره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا شُرَحْبِيل^(٧) بن مُدْرِك ، عن عبد الله بن نُجَيْي^(٨) ، عن أبيه أنه سار مع علي - وكان صاحب مظهرته - فلما حاذى^(٩) نَيْنَوَى وهو منطلق إلى صفين ، فنادى

(١) لفظة : « النبي ﷺ » سقطت من ط .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٣) مسند أحمد (٢٩٤/٦) .

(٤) المعجم الكبير (٨٠٩٦) .

(٥) الطبقات الكبرى (١/٤٢٥ - ٤٢٦) الطبقة الخامسة من الصحابة .

(٦) في الاستيعاب (١/١١٢) : « سليم » ، ولم أقف له على ترجمة ، لكن ما أثبتناه اتفقت عليه النسخ ، وكذلك ذكره البخاري في ترجمة أنس بن الحارث من تاريخه الكبير (٢/٣٠) وابن الأثير في أسد الغابة (١/١٤٦) وابن حجر في الإصابة (١/٦٨) .

(٧) تحرف في أ ، ط إلى : شراحيل ، وهو من رجال التهذيب .

(٨) تحرف في ط إلى : يحيى ، وهو من رجال التهذيب .

(٩) في الأصل : جاؤوا وما أثبتته من المسند وزوائد البزار والسير .

علي : اصبر أبا عبد الله ! اصبر أبا عبد الله بشطّ الفُرات ! قلت : وماذا تريد ؟ قال : دخلتُ على رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ وعيناه تفيضان فقلت : ما أبكاك يا رسول الله ؟ قال : بلى ، قام من عندي جبريلُ قبلُ ، فحدّثني أنّ الحسينَ يُقتل بشطّ الفُرات ، قال : فقال : هل لك أن أُشَمِّكَ من تُربته ؟ قال : فمدَّ يده فقبضَ قبضةً من تراب فأعطانيها ، فلم أملك عيني أن فاضتاً . تفرد به أحمد^(١) .

وروى محمد بن سعد^(٢) ، عن علي بن محمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن رجل ، عن عامر الشعبي ، عن علي مثله .

وقد روى محمد بن سعد وغيره - من غير وجه - عن علي بن أبي طالب : أنه مرَّ بكربلاء عند أشجار الحنظل وهو ذاهب إلى صفّين ، فسأل عن اسمها ، فقيل : كربلاء ، فقال : كرب وبلاء . فنزل وصلى عند شجرة هناك ثم قال : يُقتل هاهنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة ، يدخلون الجنة بغير حساب . وأشار إلى مكان هناك ، فعلموه بشيء ، فقتل فيه الحسين .

وقد روي عن كعب الأحبار أنّا في كربلاء .

وقد حكى أبو الجناب الكلبي وغيره : أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نوح نساء الجنّ على الحسين وهنّ يقلن :

مَسَحَ الرُّسُولُ جَبِينَهُ فَلَهُ بَرِيقٌ فِي الْخُدُودِ
أَبَوَاهُ مِنْ عَلِيٍّ قَرَيْنَ شِجْرَةٍ جَدُّهُ خَيْرُ الْجُدُودِ^(٣)

وقد أجابهم بعض الناس فقال :

خَرَجُوا بِهِ وَفَدَا إِلَيْهِ فَهُمْ لَهُ شَرُّ الْوُفُودِ
قَتَلُوا ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ سَكَنُوا بِهِ ذَاتَ الْخُدُودِ

وروى ابن عساكر : أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم ، فوجدوا في كنيسة مكتوباً :

أَتَرْجُو أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ

فسألوهم : من كتب هذا ؟ فقالوا : إن هذا مكتوب هاهنا من قبل مبعث نبيكم بثلاث مئة سنة !

(١) وهو في مسنده (٨٥/١) وإسناده ضعيف .

(٢) طبقاته الكبرى (الطبقة الخامسة من صغار الصحابة) (٤٢٩/١) .

(٣) مجالس ثعلب (ص ٣٣٩) وتاريخ ابن عساكر (١٦٧/١٨) وسير أعلام النبلاء (٣/٣١٧) وتاريخ الخلفاء (ص ٣٣٠) .

وروي أنَّ الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والرأس معهم ، فبرز لهم قلم من حديد فرسم لهم في الحائط بدم هذا البيت :

أَتَرْجُو أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ^(١)

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَقَّان ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ بَنَصَفٍ^(٢) النَّهَارَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، مَعَهُ قَارُورَةٌ فِيهَا دَمٌ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا ؟ ! قَالَ : هَذَا دَمُ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ لَمْ أَزَلْ أَلْتَقِطُهُ مِنْذُ الْيَوْمِ » . قَالَ عَمَّارٌ : فَأَحْصَيْنَا ذَلِكَ فَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

تفرد به أحمد^(٣) ، وإسناده قوي .

وقال ابن أبي الدنيا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ هَانئٍ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّحْوِيُّ ، حَدَّثَنَا مَعْدِي^(٤) بْنُ سُلَيْمَانَ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ بْنُ جُدْعَانَ قَالَ : اسْتَيْقِظَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ نَوْمِهِ ، فَاسْتَرْجَعَ وَقَالَ : قُتِلَ الْحُسَيْنُ وَاللَّهُ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : لِمَ يَا بْنَ عَبَّاسٍ ؟ ! فَقَالَ : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ زَجَاجَةٌ مِنْ دَمٍ ، فَقَالَ : أَتَعْلَمُ مَا صَنَعْتُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ؟ قَتَلُوا بَنِيَّ الْحُسَيْنِ ، وَهَذَا دَمُهُ وَدَمُ أَصْحَابِهِ أَرْفَعُهُمَا إِلَى اللَّهِ » . فَكُتِبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي قَالَ فِيهِ وَتِلْكَ السَّاعَةُ ، فَمَا لَبِثُوا إِلَّا أَرْبَعَةً وَعَشْرِينَ يَوْمًا حَتَّى جَاءَهُمُ الْخَبَرُ بِالْمَدِينَةِ : أَنَّهُ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتِلْكَ السَّاعَةُ .

وروى الترمذي^(٥) ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشْجِيِّ ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْمَرِ ، عَنْ رَزِينٍ ، عَنْ سَلْمَى قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَهِيَ تَبْكِي ، فَقُلْتُ : مَا يُبْكِيكِ ؟ فَقَالَتْ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَعَلَى رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ التُّرَابَ ، فَقُلْتُ : مَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ! قَالَ : « شَهِدْتُ قَتْلَ الْحُسَيْنِ آفَاقًا » .

وقال محمد بن سعد^(٦) : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ ، أَنَّ أَبَا قُرَّةَ بْنَ خَالِدٍ ، أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ : إِنَّا لَعِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعْنَا صَارِخَةً ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ : قُتِلَ الْحُسَيْنُ ، فَقَالَتْ : قَدْ فَعَلُوهُمَا ؟ ! مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ - أَوْ بَيْتَهُمْ - عَلَيْهِمْ نَارًا ، وَوَقَعَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، وَقَمْنَا .

(١) مختصر تاريخ دمشق (٧/١٥٥) .

(٢) في ط : « نصف » ، وما أثبتناه من م وهو الموافق لما في المسند .

(٣) وهو في مسنده (١/٢٤٢ و ٢٨٣) .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : مهدي وهو من رجال التهذيب . وقد قال فيه أبو زرعة : واهي الحديث . وقال النسائي :

ضعيف . وقال ابن حبان : لا يجوز أن يحتج به - ميزان الاعتدال (٤/١٤٢ - ١٤٣) .

(٥) الترمذي (٣٧٧١) في المناقب . وإسناده ضعيف .

(٦) طبقاته الكبرى (١/٤٩٥-٤٩٦) الطبقة الخامسة من الصحابة . ونقله ابن عساكر في تاريخه (١٨/١٦٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا ابن سلمة^(١) ، عن عمّار قال : سمعت أمّ سلمة قالت : سمعتُ الجنَّ يكيّن على الحسين ، وسمعت الجنَّ تنوح على الحسين .

ورواه الحسين بن إدريس ، عن هاشم بن هاشم ، عن أمّه ، عن أمّ سلمة قالت : سمعتُ نساء الجنَّ ينحنّ على الحسين وهنّ يقلن :

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ جَهْلًا حُسَيْنًا أَبْشِرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ
كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَمُرْسَلٍ وَقَبِيلِ
قَدْ لُعِنْتُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ وَدَ وَمُوسَى وَصَاحِبِ الْإِنْجِيلِ^(٢)

وقد روي من طريق أخرى عن أمّ سلمة بشعر آخر غير هذا ، فالله أعلم .

وقال الخطيب : أخبرنا أحمد بن عثمان بن مَيّاح^(٣) الشُّكري ، حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدثنا محمد بن شدّاد المِسمعي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الله^(٤) بن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس قال : « أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ : أني قتلتُ بيحيى بن زكريّا سبعين ألفاً ، وأنا قاتلُ بَابَن بَنَتِكَ سبعين ألفاً وسبعين ألفاً »^(٥) .

هذا حديث غريب جدّاً ، وقد رواه الحاكم في « مستدركه »^(٦) .

وقد ذكر الطبراني هاهنا آثاراً غريبة جدّاً .

ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء ، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً : من كون الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم . وما رُفِعَ يومئذٍ حجرٌ إلا وُجد تحته دم . وأنَّ أرجاء السماء احمرّت . وأنَّ الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم . وصارت السماء كأنها عُلَقة^(٧) . وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً . وأمطرت السماء دماً أحمر . وأنَّ الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذٍ . . . ونحو ذلك .

(١) تحرفت . في أ ، ط إلى : مسلم . وابن سلمة هو حماد . والخبر في معجم الطبراني (٢٨٦٧) كما في التعليق على السير (٣١٦/٣) .

(٢) تقدمت هذه الأبيات قبل صفحات .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : ساج ، وهو مترجم في تاريخ الخطيب (٣٠٠/٤) وأيضاً في الإكمال لابن ماكولا (٣٠٧/٥) .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : عبيد الله .

(٥) تاريخ بغداد (١٤١/١ - ١٤٢) .

(٦) مستدرك الحاكم (٢/٢٩٠ و ٥٩٢) و (٣/١٨٧) ، وهو حديث موضوع كما بيناه في تعليقنا على تاريخ الخطيب (٤٧٢/١) (بشار) .

(٧) « العُلَقة » : القطعة من الدم الجامد .

وروى ابن لهيعة ، عن أبي قبيل المَعافري : أنَّ الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر . وأنَّ رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دماً . وأنَّ الأرض أظلمت ثلاثة أيام . ولم يمَسَّ زعفران ولا وَرْس بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسّه . ولم يُرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط^(١) . وأنَّ الإبل التي عقروها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العَلَقَم . إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء .

وأما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت مَنْ قَتَلَهُ فأكثرها صحيح ، فإنه قَلَّ مَنْ نجا من أولئك الذي قتلوه من آفةٍ وعاهة في الدنيا ، فلم يخرج منها حتى أُصيب بمرض ، وأكثرهم أصابهم الجنون .

ولهم في صفة مصرع الحسين كذبٌ كثير وأخبار باطلة ، وفيما ذكرنا كفاية ، وفي بعض ما أوردها نظر ، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقطت ، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى ، وقد كان شيعياً ، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة^(٢) ، ولكنه أخباري حافظ ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره ، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنِّفين في هذا الشأن ممن بعده . والله أعلم .

وقد أسرف الرافضة في دولة بني بُويه - في حدود الأربعمئة وما حولها - فكانت الدبادب^(٣) تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ، ويذُرُّ الرماد والتبن في الطرقات والأسواق ، وتعلّق المسوح^(٤) على الدكاكين ، ويظهر الناس الحزن والبكاء ، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتئذٍ موافقةً للحسين لأنه قتل عطشاً . ثم تخرج النساء حاسراتٍ عن وجوههنَّ ينحنَّ ويلطمنَّ وجوههنَّ وصدورهنَّ ، حافيات في الأسواق . . . إلى غير ذلك من البدع الشنيعة ، والأهواء الفظيعة ، والهتائنك المخترعة ، وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية لأنه قُتل في دولتهم .

[وقد عاكس الرافضة والشيعية يوم عاشوراء النواصبُ من أهل الشام ، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ، ويغتسلون ويتطيَّبون ، ويلبسون أفخر ثيابهم ، ويتَّخذون ذلك اليوم عيداً ، يصنعون فيه أنواع الأطعمة ، ويظهرون السرور والفرح ، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاصتهم]^(٥) .

وقد تأوَّل عليه مَنْ قَتَلَهُ أنه جاء ليفرِّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها ، وليخلع مَنْ بايعه الناس واجتمعوا عليه ، وقد ورد في « صحيح مسلم » الحديث بالزجر عن ذلك ، والتحذير منه ، والتوعُّد

(١) « دم عبيط » : دم طري .

(٢) نقل الذهبي أقوال العلماء فيه في ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٩ - ٤٢٠) .

(٣) « الدبادب » : الطبول .

(٤) « المسوح » : المناديل .

(٥) ما بين حاصرتين ليس في ب .

عليه . وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأوّلوا عليه وقتلوه ، ولم يكن لهم قتله ، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاث المتقدم ذكرها . فإذا ذمت طائفة من الجبارين لم تدم الأمة بكمالها وتتهم على نبيها ﷺ ، فليس الأمر كما ذهبوا إليه ، ولا كما سلكوه ، بل أكثر الأئمة - قديماً وحديثاً - كارهة لما وقع من قتله وقتل أصحابه ، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبّحهم الله ، وأكثرهم كانوا قد كاتّبوه ليتوصّلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة . [فلما علم ابن زياد منهم بلّغهم ما يريدون من الدنيا ، وأخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرغبة ، فانكفوا عن الحسين وخذلوهم ثم قتلوه]^(١) . وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله ، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك - والله أعلم - ولا كرهه ، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يُقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه ، وكما صرّح هو به مُخبراً عن نفسه بذلك . [وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتّمه فيما يظهر ويبدو ، ولكن لم يعزله على ذلك ، ولا عاقبه ، ولا أرسل يعيب عليه ذلك ، والله أعلم]^(٢) .

فكل مسلم ينبغي له أن يُحزنه قتله رضي الله عنه ، فإنه من سادات المسلمين وعلماء الصحابة ، وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته ، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخيّاً . ولكن لا يحسن ما يفعله هؤلاء من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء ، وقد كان أبوه أفضل منه فقتل ، وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين ، فإنّ أباه قُتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين . وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة ، وقد قُتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين ، وقد ذُبح من الوريد إلى الوريد ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً . وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي ، قُتل وهو قائم يصلّي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن ، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك الصديق كان أفضل منهم ، ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً . ورسول الله ﷺ سيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله ، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين . ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة مثل : كسوف الشمس ، والحمرة التي تطلع في السماء ، وغير ذلك .

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه الحسين بن علي^(٣) عن جدّه رسول الله ﷺ أنه قال : « مامن مسلم يُصاب بمصيبة فيتذكّرُها - وإن تقادم عهدُها - فيُحدث لها استرجاعاً إلاّ

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٣) في أ ، ط : علي بن الحسين وهو خطأ .

أعطاه الله من الأجر مثل يوم أُصيب بها . رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه ^(١) .

وأما قبر الحسين رضي الله عنه

فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أنه في مشهد علي ، بمكان من الطَّفِّ عند نهر كربلاء ، فيقال : إن ذلك المشهد بُني على قبره ، فالله أعلم .

وقد ذكر ابن جرير وغيره : أن موضع قتله عفي أثره حتى لم يطلع أحد لتعيينه على خبر . وقد كان أبو نعيم - الفضل بن دكين - ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين .

وذكر هشام بن الكلبي : أن الماء لمَّا أُجري على قبر الحسين ليمحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً ، فجاء أعرابي من بني أسد ، فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمُّها حتى وقع على قبر الحسين ، فبكى وقال : بأبي أنت وأمي ، ما كان أطيبك وأطيب تربتك ! ثم أنشأ يقول :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ ^(٢)

وأما رأس الحسين رضي الله عنه

فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير : أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية ، ومن الناس من أنكر ذلك . وعندي أن الأول أشهر ، فالله أعلم .

ثم اختلفوا بعد ذلك في المكان الذي دُفن فيه الرأس . فروى محمد بن سعد : أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد - نائب المدينة - فدفنه عند أمه بالبقيع .

وذكر ابن أبي الدنيا ، من طريق عثمان بن عبد الرحمن ، عن محمد بن عمر بن صالح - وهما ضعيفان - : أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي ، فأخذ من خزانته ، فكفَّن ، ودُفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق .

قلت : ويعرف مكانه بمسجد الرأس داخل باب الفراديس الثاني ^(٣) .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠١/١) وابن ماجه (١٦٠٠) في الجنايز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة ، وفي سنده هشام بن زياد وهو متروك ، وقد ترجم له ابن حبان في المجروحين (٨٨/٣) وأورد هذا الحديث ضمن ترجمته فالحديث ضعيف جداً . وانظر كتاب معاوية للدكتور الصلابي ص (٦٢١ - ٦٢٨) .

وقوله : يحدث لها استرجاعاً أي يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) الخبر في تاريخ ابن عساكر (١٧٠/١٨) وسير أعلام النبلاء (٣/٣١٧) . والبيت لمسلم بن الوليد وهو في ملحق ديوانه (٣٢٠) .

(٣) لم يتعرض الحافظ ابن كثير رحمه الله إلى احتمال الدفن في كربلاء ، وهو ما ذهب إليه الإمامية ، وهو أن الرأس الشريف أعيد إلى الجسد ودفن معه ، ولا دليل على ذلك . ورجَّح شيخ الإسلام الاحتمال الأول ، وهو الدفن بالبقيع ، والله أعلم أي ذلك كان . انظر منهاج السنة (٨/١٤١) والدولة الأموية ، للصلابي (١/٦٣٣) .

وذكر ابن عساكر في « تاريخه » في ترجمة ريا حاضنة يزيد بن معاوية : أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبير - يعني قوله :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدِ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مَنْ وَقَعَ الْأَسْلُ

قال : ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ، ثم وضع في خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك جيء به إليه وقد بقي عظماً أبيض ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين . فلما جاءت المسوودة - يعني بني العباس - نبشوه وأخذوه معهم . وذكر ابن عساكر : أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بني أمية وقد تجاوزت المئة سنة^(١) ، فالله أعلم .

وآذعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمئة إلى ما بعد سنة ستين وستمئة : أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر - الذي يقال له : تاج الحسين - بعد سنة خمسمئة . وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك ، وإنما أرادوا أن يروّجوا بذلك بطلان ما ادّعوه من النسب الشريف ، وهم في ذلك كذبة خونة ، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم في حدود سنة أربعمئة ، كما سنبين ذلك كله إذا انتهينا إليه في مواضعه إن شاء الله تعالى .

[قلت : والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فإنهم جاؤوا برأس ، فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور وقالوا : هذا رأس الحسين ، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك ، والله أعلم]^(٢) .

فصل

في ذكر شيء من فضائله

روى البخاري من حديث شعبة ومهدي بن ميمون ، عن محمد بن أبي يعقوب ، سمعت ابن أبي نُعم^(٣) قال : سمعت عبد الله بن عمر - وسأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الذباب - فقال : أهل العراق يسألون عن قتل الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ : « هما ريحانتي من الدنيا »^(٤) .

(١) تاريخ ابن عساكر : جزء تراجم النساء (ص ١٠١ - ١٠٤) .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٣) تحرف في الأصول إلى : نعيم .

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٥٣) في فضائل أصحاب النبي ، و(٥٩٩٤) في الأدب .

ورواه الترمذي^(١) ، عن عقبة بن مُكرم ، عن وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي يعقوب به نحوه : أنَّ رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يُصيب الثوب ، فقال ابن عمر : انظروا إلى أهل العراق يَسْأَلُونَ عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت محمد ﷺ . وذكر تمام الحديث ، ثم قال : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا سفيان ، عن أبي الجَحَاف^(٢) ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي » - يعني حسناً وحسيناً^(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا تَلِيد بن سليمان - كوفي - حدثنا أبو الجَحَاف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : نظر النبي ﷺ إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : « أنا حربٌ لمن حاربَكم ، سَلَمٌ لمن سَلَمَكم »^(٤) . تفرد بهما الإمام أحمد^(٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نُمير^(٦) ، حدثنا حجاج - يعني : ابن دينار - عن جعفر بن إياس ، عن عبد الرحمن بن مسعود ، عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين ، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة حتى انتهى إلينا ، فقال له رجل : يا رسول الله والله إنَّكَ لَتُحِبُّهُمَا ! فقال : « مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي » تفرد به أحمد^(٧) .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو سعيد الأشجّ ، حدثني عُقبة بن خالد ، حدثني يوسف بن إبراهيم التميمي : أنه سمع أنس بن مالك يقول : سئل رسول الله ﷺ : أيُّ أهل بيتك أحبُّ إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » . قال : وكان يقول [لفاطمة]^(٨) : « ادعي ابني ، فيشمّهما ويضمّهما إليه »^(٩) .

-
- (١) (٣٧٧٠) في المناقب .
 - (٢) تحرف في المطبوع في أكثر من موضع إلى : الحجاف . وأبو الجحاف : هو داود بن أبي عوف البرجمي الكوفي . تكلموا فيه . ميزان الاعتدال (١٨/٢) .
 - (٣) مسند أحمد (٢٨٨/٢) وإسناده قوي .
 - (٤) مسند أحمد (٤٤٢/٢) وإسناده ضعيف .
 - (٥) هكذا قال المصنف ، وفي قوله نظر حين أطلق تفرد الإمام أحمد بالحديثين ، وإنما تفرد الإمام أحمد بالحديث الثاني حسب . أما الأول فقد أخرجه أيضاً : ابن ماجه (١٤٣) في فضائل الصحابة ، والنسائي في فضائل الصحابة من سننه الكبرى (٨١٦٨) ، كلاهما من طريق سفيان الثوري ، به (بشار) .
 - (٦) تحرف في ط إلى : عمير .
 - (٧) وهو في مسنده (٤٤٠/٢) وهو حديث حسن .
 - (٨) سقطت من الأصول ، واستدركتها من مسند أبي يعلى .
 - (٩) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٧/رقم (٤٢٩٤) وإسناده ضعيف ، لضعف يوسف بن إبراهيم التميمي .

وكذا رواه الترمذي^(١) عن أبي سعيد الأشجّ به ، وقال : حسن غريب من حديث أنس .

وقال الإمام أحمد^(٢) : حدثنا أسود بن عامر وعفان ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

ورواه الترمذي^(٣) ، عن عبد بن حميد ، عن عفان به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة .

وقال الترمذي^(٤) : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو أسامة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عدي بن^(٥) ثابت ، عن البراء : « أن رسول الله ﷺ أبصر حسناً وحسيناً فقال : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . ثم قال : حسن صحيح .

وقد روى الإمام أحمد ، عن زيد بن الحُبَاب ، عن الحسين بن واقد ، وأهل السنن الأربعة ، من حديث الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : « كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من^(٦) المنبر ، فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] نظرتُ إلى هذين الصبيَّين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعْتُ حديثي ورفعتهما^(٧) » . وهذا لفظ الترمذي ، وقال : غريب^(٨) لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد .

ثم قال^(٩) : حدثنا الحسن^(١٠) بن عرفة ، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن عبد الله بن عثمان بن

(١) برقم (٣٧٧٢) في المناقب .

(٢) مسند أحمد (٢٥٩/٣) مع (٢٨٥) وإسناده ضعيف .

(٣) رقم (٣٢٠٦) .

(٤) رقم (٣٧٨٢) في المناقب .

(٥) في ط : عن ، خطأ .

(٦) في ط : « عن » ، وما هنا من ب وهو الموافق لما في جامع الترمذي وهذا لفظه كما سيذكر المصنف .

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥٤/٥) والترمذي (٣٧٧٤) ، وأبو داود (١١٠٩) ، وابن ماجه (٣٦٠٠) ، والنسائي (١٩٢/٣) وهو حديث صحيح .

(٨) هكذا في الأصول ، وفي المطبوع من جامع الترمذي : حسن غريب ، وهو الذي نقله المزي في تحفة الأشراف (٩٥/٢) حديث (١٩٥٨) ، وهو الأوفق لحال الحديث ، فإن الحديث صحيح فقد روي من طرق عدة ، وإنما حسنه الترمذي والله أعلم من أجل علي بن الحسين بن واقد ، فإنه ضعيف عند التفرد .

(٩) يعني الترمذي . والحديث في سننه برقم (٣٧٧٥) .

(١٠) تحرف في ط إلى : الحسين .

خُثَيْم^(١) ، عن سعيد بن راشد ، عن يعلى بن مَرْة قال : قال رسول الله ﷺ : « حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا ، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ » . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن^(٢) .

ورواه أحمد^(٣) ، عن عفان ، عن وهيب^(٤) ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم به .

ورواه الطبراني ، عن بكر بن سهل ، عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن^(٥) راشد بن سعد ، عن يعلى بن مَرْة : أن رسول الله ﷺ قال : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ »^(٦) .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ [عَنْ ابْنِ أَبِي نُعْمٍ]^(٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

ورواه الترمذي^(٨) ، من حديث سفيان الثوري وغيره ، عن يزيد بن أبي زياد ، وقال : حسن صحيح .

وقد رواه أبو القاسم البغوي ، عن داود بن رُشَيْد^(٩) ، عن مروان الفَزَارِي ، عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعْمٍ ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا ابْنَيِ الْخَالَةِ : يَحْيَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام » .
وأخرجه النسائي^(١٠) ، من حديث مروان بن معاوية الفَزَارِي به .

ورواه سويد بن سعيد ، عن محمد بن خازم ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ ابْنِ^(١١) سَابِطٍ قَالَ : دَخَلَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ

(١) تحرف في ط إلى : خُثَيْم .

(٢) في إسناده سعيد بن راشد ، أو ابن أبي راشد ، مجهول ، ولكن للحديث شاهد من حديث أبي رمثة عند ابن عساكر فهو به حسن .

(٣) في مسنده (١٧٢/٤) .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : وهب .

(٥) في ط : بن ، خطأ .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٠١/٢٢) ، وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث ، وجماع ترجمته تدل على ضعفه عند التفرد ، فهو حسن الحديث عند المتابعة .

(٧) ما بين حاصرتين سقط من أ ، وتصحف في ط ، ب إلى أبي نعيم . وابن أبي نعم : هو عبد الرحمن بن أبي نُعْمٍ البجلي ، أبو الحكم الكوفي . من رجال التهذيب ، وله ترجمة في سير أعلام النبلاء (٦٢/٥ - ٦٣) وفيها ذكر لهذا الحديث وتخريج موسع له . وأيضاً مخرج في سير أعلام النبلاء (٢١٥/٣) ومسند أحمد (٦٢/٣ و ٨٢) .

(٨) رقم (٣٧٦٨) .

(٩) تحرف في أ ، ب إلى : سعيد .

(١٠) في الكبرى رقم (٨٥٢٨) وهو حديث حسن .

(١١) في ط أبي ، خطأ .

المسجد ، فقال جابر بن عبد الله : « من أحبَّ أن ينظرَ إلى سيِّد شبابِ أهلِ الجَنَّةِ فليَنظُرْ إلى هذا » . سمعته من رسول الله ﷺ . تفرد به أحمد^(١) .

وروى الترمذي والنسائي ، من حديث إسرائيل ، عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر بن حبيش ، عن حذيفة : أن أمه بعثته ليستغفر له رسول الله ﷺ ولها ، قال : فأتيته فصليت معه المغرب ، ثم صليت حتى صلى العشاء ، ثم انفتل ، فتبعته ، فسمع صوتي ، فقال : مَنْ هذا حذيفة ؟ قلت نعم ، قال : ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ؟ إن هذا ملكٌ لم ينزل إلى الأرض قبل هذه الليلة ، استأذن ربّه أن يسلم عليّ ويبشّرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيّدا شبابِ أهل الجنة » . ثم قال الترمذي^(٢) : هذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف إلا من حديث إسرائيل .

وقد روي مثل هذا من حديث علي بن أبي طالب ، ومن حديث الحسين نفسه ، وعمر ، وابنه عبد الله ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وغيرهم . وفي أسانيده كلّها ضعف ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدّثنا موسى بن مُطير^(٣) ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في الحسن والحسين : « مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَحِبَّ هَذَيْنِ »^(٤) .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سليمان بن داود ، حدّثنا إسماعيل - يعني ابن جعفر - أخبرني محمد - يعني ابن [أبي]^(٥) حرمله - عن عطاء : أن رجلاً أخبره أنه رأى النبي ﷺ يضمُّ إليه حسناً وحسيناً ويقول : « اللهمَّ : إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا »^(٦) .

وقد روي عن أسامة بن زيد وسلمان الفارسي شيء يشبه هذا ، وفيه ضعف وسقم ، والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا كامل ، وأبو المنذر أخبرنا كامل ، قال أسود : أخبرنا المَعْنِي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : « كُنَّا نَصَلِّي مع رسول الله ﷺ العشاء ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فإذا رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً فيضعهما على الأرض ، فإذا عاد عاداً ، حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذيه . قال : فقمْتُ إليه فقلت : يا رسول الله أرُدُّهما ؟ فبرقَتْ برقةٌ ، فقال لهما : الحقّا بأَمْكُمَا . قال : فمكث ضوءهما حتى دخلا »^(٧) .

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٥/٢) .

(٢) في المناقب برقم (٣٧٨١) ورواه النسائي في الكبرى (٨٣٦٥) وهو حديث حسن كما قال الإمام الترمذي .

(٣) تحرف في الأصول إلى : عطية . وموسى بن مطير وإِوه ، كما قال الذهبي في ميزانه (٢٢٣/٤) .

(٤) أخرجه الطيالسي في مسنده برقم (٢٥٠٢) .

(٥) سقطت من الأصول . وترجمته في تهذيب التهذيب (١١٠/٩) وغيره .

(٦) مسند أحمد (٣٦٩/٥) وهو حديث صحيح .

(٧) مسند أحمد (٥١٣/٢) وإسناده حسن .

وقد روى موسى بن عثمان الحضرمي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة نحوه .
وقد روي عن أبي سعيد وابن عمر قريب من هذا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا معاذ بن معاذ ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن أبي المقدام [عن]^(١) عبد الرحمن الأزرق ، عن علي قال : « دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا نائم [على المنامة]^(٢) فاستسقى الحسنُ أو الحسين ، فقام رسول الله ﷺ إلى شاةٍ لنا بكى^(٣) يحلبها ، فدرّث ، فجاءه الآخر ، فنحّاه النبي ﷺ^(٤) ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه أحبُّهما إليك ؟! قال : لا ، ولكنّه استسقى قبله . ثم قال : إنّي وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة » . تفرد به أحمد^(٥) .

ورواه أبو داود الطيالسي ، عن عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن أبي فاختة ، عن علي . . فذكر نحوه [وقد روي عن أبي سعيد الخدري وعن ميمونة وأم سلمة أمي المؤمنين مثله أو نحوه]^(٦) .

وقد ثبت : أن عمر بن الخطاب كان يكرهُما ويحملُهما ويعطيهُما كما يعطي أباهما . وجيء مرة بحُلٍّ من اليمن ، فقسّمها بين أبناء الصحابة ولم يُعطِهما منها شيئاً ، وقال : ليس فيها شيء يصلح لهما . ثم بعث إلي نائب اليمن فاستعمل لهما حُلَّتَيْن تناسبهما .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا قبيصة بن عقبة ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن العيزار بن حُرَيْث قال : بينما عمرو بن العاص جالسٌ في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلاً فقال : هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء .

وقال الزبير بن بكار : حدثني سليمان ، عن^(٧) الدراوردي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : « أن رسول الله ﷺ بايع الحسنَ والحسينَ [وعبد الله بن عباس] وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، ولم يبايع صغيراً إلّا منّا » . وهذا مرسل غريب .

وقال محمد بن سعد : أنبأنا يعلى بن عبيد ، حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي^(٨) ، عن عبد الله بن

(١) سقطت من أ ، ط .

(٢) سقط من أ ، ط .

(٣) في ط : « كي » ، وما هنا من م ، وهو الموافق لما في المسند . والبكيء : هي الناقة والشاة التي قل لبنها فهي بكئية .

(٤) لفظ « النبي ﷺ » سقط من ط .

(٥) وهو في مسنده (١٠١/١) وإسناده ضعيف جداً .

(٦) ما بين الحاصرتين من م . وينظر تاريخ ابن عساكر (٨٥/١٨) .

(٧) وقعت في ط : بن وفي الكلام سقط ، والذي في تاريخ دمشق (١٨٠/٤) « عن الزبير عن أحمد بن سليمان عن

عبد العزيز الدراوردي عن جعفر ، به » وهو الصواب .

(٨) الوصافي : بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة وفي آخرها الفاء . هذه النسبة إلى الوصاف العجلي كما نص على ذلك

السمعاني . وقد تحرفت في ط ، ب إلى : الرصافي وفي أ إلى : الرماني . وعبيد الله بن الوليد الوصافي منكر

الحديث جداً . مترجم في المجروحين (٦٣/٢ - ٦٤) .

عبيد بن عمير^(١) قال : « حجَّ الحسينُ بن عليٍّ خمساً وعشرين حَجَّةً ماشياً ونجائبُهُ تُقَادُ بين يَدَيْهِ » .

وحدَّثنا أبو نعيم الفضل بن دُكين ، حدَّثنا حفص بن غياث ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : « أنَّ الحسين بن عليٍّ حجَّ ماشياً وإنَّ نجائبَهُ لَتُقَادُ وراءَهُ » . والصواب : أن ذلك إنما هو الحسن أخوه ، كما حكاه البخاري^(٢) .

وقال المدائني : جرى بين الحسن والحسين كلام ، فتهاجرا ، فلمَّا كان بعد ذلك أقبل الحسن إلى الحسين فأكبَّ على رأسه يقبِّله ، فقام الحسين فقَبَّلَهُ أيضاً وقال : إن الذي منعني من ابتدائك بهذا أني رأيتُ أنك أحقُّ بالفضل مِنِّي ، فكرهت أن أنازعَكَ ما أنت أحقُّ به مِنِّي .

وحكى الأصمعي عن ابن عون : أن الحسن كتب إلى الحسين يعيبُ عليه إعطاء الشعراء ، فقال الحسين : إن أحسن المال ما وقى العِرْض .

وقد روى الطبراني : حدَّثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي ، حدَّثنا يزيد بن البراء بن عمرو بن البراء الغنوي ، حدَّثنا سليمان بن الهيثم قال : كان الحسين بن علي يطوف بالبيت ، فأراد أن يستلم [الحجر]^(٣) فأوسع له الناس ، فقال رجل : يا أبا فراس من هذا ؟ فقال الفرزدق :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتُهُ	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِجْلُ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ	هَذَا التَّقِيُّ التَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ	رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا	إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ	فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
فِي كَفِّهِ خِيزْرَانُ رِيحُهُ عَبَقٌ	بَكْفٍ أَرُوغٌ فِي عَرْزِينِهِ شَمَمٌ
مَشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَسْبَتُهُ	طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيَمُ وَالشِّيمُ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بُعْدَ غَايَتِهِ	وَلَا يُدَانِيهِ قَوْمٌ إِنْ هُمْ كَرُمُوا
مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَةَ ذَا	فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ أَمُّ
أَيُّ الْعَشَائِرِ هُمْ لَيْسَتْ رِقَابُهُمْ	لَأَوْلِيَةِ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمُ

(١) تحرف اسمه في ط إلى : عبد الله بن عبيد الله بن عميرة .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٨) .

(٣) زيادة من الطبراني يقتضيها السياق .

هكذا أوردتها الطبراني في ترجمة الحسين في «معجمه الكبير»^(١) وهو غريب ، فإن المشهور أنها من قيل الفرزدق في علي بن الحسين لا في أبيه ، وهو أشبه ، فإن الفرزدق لم ير الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسين ذاهب إلى العراق ، فسأل الحسين الفرزدق عن الناس ، فذكر له ما تقدم ، ثم إن الحسين قُتل بعد مفارقتة له بأيام يسيرة ، فمتى رآه يطوف بالبيت ؟! والله أعلم .

وروى هشام ، عن عوانة قال : قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد : أين الكتاب الذي كتبتك إليك في قتل الحسين ؟ فقال : مضيت لأمرك وضاع الكتاب ، فقال له ابن زياد : لتجئني به ، قال : ضاع ، قال : والله لتجئني به ، قال : ترك والله يقرأ على عجائز قريش أعذر إليهم بالمدينة ، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها إلى سعد بن أبي وقاص لكنت قد أديت حقه . فقال عثمان بن زياد - أخو عبيد الله : صدق عمر والله ، ولوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزيمة^(٢) إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يقتل . قال : فوالله ما أنكر [ذلك] عليه عبيد الله بن زياد^(٣) .

فصل

في شيء من أشعاره التي رويت عنه

فمن ذلك ما أنشده أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب :

اغْنِ عَنِ الْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ تَسُدُّ عَلَى الْكَاذِبِ وَالصَّادِقِ
وَاسْتَرْزِقِ الرَّحْمَنَ مِنْ فَضْلِهِ فَلَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ رَازِقِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّاسَ يُغْنُونَهُ فَلَيْسَ بِالرَّحْمَنِ بِالْوَاقِقِ
أَوْ ظَنَّ أَنَّ الْمَالَ مِنْ كَسْبِهِ زَلَّ بِهِ التَّعْلَانِ مِنْ حَالِقِ^(٤)

وعن الأعمش : أن الحسين بن علي قال :

كَلَّمَا زَيْدَ صَاحِبُ الْمَالِ مَالاً زَيْدٌ فِي هَمِّهِ وَفِي الْاِسْتِغَالِ
قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا مُنْعَصَةَ الْعَيْدِ شِ يَا دَارَ كُلِّ فَاِنٍ وَبَالِ
لَيْسَ يَصْفُو لَزَاهِدٍ طَلِبُ الزُّهْدِ إِذَا كَانَ مُثْقَلًا بِالْعِيَالِ^(٥)

(١) (٣/١٠١-١٠٢) برقم (٢٨٠٠) .

(٢) «الخزامة» : حلقة توضع في أنف البعير .

(٣) ينظر الخبر في تاريخ الطبري (٥/٤٦٧) .

(٤) الأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٨/١٠٨) .

(٥) الأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٨/١٠٨) .

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال :

نَادَيْتُ سَكَانَ الْقُبُورِ فَأُسْكِتُوا وَأَجَابَنِي عَنْ صَمْتِهِمْ نَدْبُ الْجُثَى
قَالَتْ أَتَدْرِي مَا فَعَلْتُ بِسَاكِنِي مَزَقْتُ لَحْمَهُمْ وَخَرَقْتُ الْكُسَا
وَحَشَوْتُ أَعْيُنَهُمْ تَرَاباً بَعْدَمَا كَانَتْ تَأْذَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الْقَدَى
أَمَّا الْعِظَامُ فَإِنِّي مَزَقْتُهَا حَتَّى تَبَايَنْتِ الْمَفَاصِلُ وَالشَّوَى
قَطَعْتُ ذَا مِنْ ذَا وَمِنْ هَذَا كَذَا فَتَرَكْتُهَا رِمَماً يَطُوفُ بِهَا الْبَلَى^(١)
وَأُنْشِدُ بَعْضَهُمْ لِلْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً :

لِئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً فَدَارُ ثَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ
وَإِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ
وَإِنْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ شَيْئاً مَقْدَرَاً فَقِلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الْكَسْبِ أَجْمَلُ
وَإِنْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ لِلتَّرِكِ جَمْعُهَا فَمَا بِالْ مَتْرُوكِ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ^(٢)

ومما أنشد الزبير بن بكار من شعره في امرأته الرباب بنت أنيف - ويقال : بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبي - أم ابنته سَكِينَة :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحِبُّ دَاراً تَحَلُّ بِهَا سَكِينَةُ وَالرَّبَابُ
أُحِبُّهُمَا وَأَبْذُلُ جَلَّ مَالِي وَلَيْسَ لَلْأَيْمِي فِيهَا عِتَابُ
وَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ عَتَبُوا مُطِيعاً حَيَاتِي أَوْ يُعَيِّبَنِي الثُّرَابُ^(٣)

وقد أسلم أبوها على يدي عمر بن الخطاب ، وأمره عمر على قومه ، فلما خرج من عنده خطب إليه علي بن أبي طالب أن يزوجه ابنه الحسن والحسين من بناته ، فزوج الحسن ابنته سلمى ، والحسين ابنته الرباب ، وزوج علياً ابنته الثالثة - وهي المحياة بنت امرئ القيس - في ساعة واحدة . فأحبَّ الحسين زوجته الرباب حباً شديداً ، وكان بها معجباً ، ويقول^(٤) فيها الشعر . ولما قُتل بكر بلاء كانت معه ، فوجدت عليه وجداً شديداً ، وذكر أنها أقامت على قبره سنة ثم انصرفت وهي تقول :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلَ كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ^(٥)

(١) تاريخ ابن عساكر (١٤/١٨٦) .

(٢) الأبيات في تاريخ ابن عساكر (١٤/١٨٧) .

(٣) الأبيات في نسب قريش (٥٩) والأغاني (١٦/١٣٩ - ١٤٠) .

(٤) سقطت الواو من ط .

(٥) البيت للبيد ، وهو في ديوانه طبعة صادر (ص ٧٩) من قصيدة قالها في مخاطبة ابنتيه لما حضرته الوفاة ، ومطلعها : =

وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش ، فقالت : ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ ، والله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين سقفاً أبداً . ولم تزل كمدةً حتى ماتت . ويقال : إنها إنما عاشت بعده أياماً يسيرة ، فالله أعلم [وابنتها سُكينة بنت الحسين كانت من أجمل النساء حتى إنه لم يكن في زمانها أحسن منها ، فالله أعلم ^(١) .

وروى أبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب : أن ابن زياد - بعد مقتل الحسين - تفقّد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحرّ بن يزيد ، فتطلبه حتى جاءه [بعد أيام ، فقال : أين كنت يا بن الحرّ ؟ قال : كنت مريضاً ، قال : مريض القلب أم مريض البدن ؟ قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد منّ الله عليه بالعافية . فقال له ابن زياد : كذبت ، ولكنك كنت مع عدوّنا ، قال : لو كنت مع عدوك لم يخف مكانٌ مثلي ولكان الناس شاهدوا ذلك . قال : وغفل عنه ابن زياد غفلة ^(٢) ، فخرج ابن الحرّ فقعد على فرسه ، ثم قال : أبلغوه أنني لا آتية - والله - طائعاً . فقال ابن زياد : أين ابن الحرّ ؟ قالوا : خرج ، فقال : عليّ به ، فخرج الشرط في طلبه ، فأسمعهم غليظ ما يكرهون ، وترضى عن الحسين وأخيه وأبيه ، ثم أسمعهم في ابن زياد غليظاً من القول ^(٣) ثم امتنع منهم وقال في الحسين وفي أصحابه شعراً :

يقول أميرٌ غادرٌ حقَّ غادرٍ	ألا كنت قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمة
[ونفسي على خذلانه واعتزاله	وبيعة هذا الناكثِ العهدِ لائمه ^(٤)
فيا ندمي أن لا أكون نصرته	ألا كلُّ نفسٍ لا تُسدّد نادمه ^(٥)
سقى الله أرواحَ الذين تآزروا	على نصره سُقياً من الغيثِ دائمه
وقفتُ على أجداثهم ومجالهم	فكادَ الحشَى ينقضُّ والعينُ ساجمه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى	سراعاً إلى الهيجا حُماة خضارمه
تأسوا على نصرِ ابنِ بنتِ نبيهم	بأسيافهم آساد غيلِ ضراغمه
فإن تقتلوا تلك النفوسَ تقيّة	على الأرضِ قد أضحتَ لذلك واجمه

تمنى ابتائي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

- (١) ما بين حاصرتين ليس في ب .
 (٢) كذا في أ وتاريخ الطبري . ووقعت في ط : وعقل عن ابن زياد عقله .
 (٣) ما بين حاصرتين اختصر في ب إلى : فأسمع ابن الحر لابن زياد غليظ ما يكره ، ثم خرج من عنده .
 (٤) هذا البيت في النسخة ب فقط . وقد أورده ابن عساكر وابن الأثير .
 (٥) اضطرب هذا البيت في المطبوع ، حيث ورد الشطر الثاني فيه : لذو حسرة ما إن تفارق لازمة ، وهذا شطر من بيت ذكره الطبري وابن عساكر ولم يرد في نسخ كتابنا ، ولفظه :
 وإنني لأنني لم أكن من حماته لذو حسرة ما إن تفارق لازمة

فما إن رأى الزَّائُونَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ لَدَى الْمَوْتِ سَادَاتُ وَزَهْرٌ قِمَاقِمَةٌ
أَتَقْتُلُهُمْ ظِلْمًا وَتَرْجُو وَدَادَنَا فَذِي خَطَّةٌ لَيْسَتْ لَنَا بِمَلَائِمَةٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ رَاغَمْتُمُونَا بِقَتْلِهِمْ فَكَمْ نَاقِمٌ مِنَّا عَلَيْكُمْ وَنَاقِمَةٌ
أَهُمُّ مِرَاراً أَنْ أَسِيرَ بِجَحْفَلٍ إِلَى فِتَّةٍ زَاغَتْ عَنِ الْحَقِّ ظَالِمَةٌ
فِيابْنَ زِيَادٍ إِسْتَعَدَّ لِحَرْبِنَا وَمَوْقِفِ ضَنْكِ تَقْصِمُ الظَّهَرَ قَاصِمَةٌ^(١)

وقال الزبير بن بكار : قال سليمان بن قتة^(٢) يرثي الحسين رضي الله عنه :

وإنَّ قَتِيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رَقَاباً مِنْ قَرِيشٍ فَذَلَّتْ
فَإِنْ تُتَبَعُوهُ عَائِذَ الْبَيْتِ تُصْبِحُوا كَعَادٍ تَعَمَّتْ عَنْ هُدَاهَا فَضَلَّتْ
مَرَرْتُ عَلَى آيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَأَلْفَيْتُهَا أَمْثَالَهَا حَيْثُ حَلَّتْ
وَكَانُوا لَنَا غُنْماً فَعَادُوا رِزْيَةً لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتْ
فَلَا يُنْعِدُ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ بَرَّغَمِي تَحَلَّتْ
إِذَا افْتَقَرْتُ قَيْسٌ جَبَزْنَا فَقِيرَهَا وَتَقَتُّلْنَا قَيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ
وَعِنْدَ يَزِيدٍ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا سَنَجْزِيهِمْ يَوْماً بِهَا حَيْثُ حَلَّتْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ أَضْحَتْ مَرِيضَةً لِقَتْلِ حَسَنِ وَالْبِلَادِ اقْشَعَرَّتْ

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة

- أعني سنة إحدى وستين - بعد مقتل الحسين

ففيها ولَّى يزيد بن معاوية سَلَمَ بن زياد سجستان وخراسان حين وفد عليه ، وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وعزل عنها أخويه عباداً وعبد الرحمن . وسار سَلَمَ إلى عمله ، فجعل ينتخب الوجوه والفرسان ، ويحرِّض الناس على الجهاد ، ثم خرج في جحفل عظيم ليغزو بلاد الترك ، ومعه امرأته أمُّ محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فكانت أول امرأة من العرب قُطِع بها النهر ،

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري (٤٦٩/٥ - ٤٧٠) وأيضاً في ابن الأثير (٢٨٨/٤ - ٢٨٩) . والبيت الأخير سقط من ب ولم أجده في المصادر المشار إليها ، لكن ورد في تلك المصادر :

فكفوا وإلا ذدتكم في كتائب أشد عليكم من زحوف الديالمه

(٢) كذا ضبطه ابن حجر وغيره - بفتح القاف والتاء المشددة . وقد تحرف في أ ، ط إلى : قتيبة . والأبيات - أو بعضها - في شرح ديوان الحماسة (٩٦١/٢) والاستيعاب (٣٩٤/١) والكامل لابن الأثير (٩١/٤) وتاريخ ابن عساكر (١٨٥/١٨) وسير أعلام النبلاء (٣١٨/٣) ومعجم البلدان (الطف) (٣٦/٤) وقد نسبها فيه ياقوت لأبي دهب ، ولم يتابع على ذلك .

وولدت هنالك ولداً أسموه صُغدي^(١) ، وبعثت إليها امرأة صاحب الصُّغد بتاجها من ذهب ولآل .

وكان المسلمون قبل ذلك لا يشتون في تلك البلاد ، فشئى بها سَلَم بن زياد [وبعث المهلب بن أبي صُفْرة إلى تلك المدينة التي هي للترك - وهي خوارزم - فحاصروهم حتى صالحوه على نيّف وعشرين ألف ألف ، وكان يأخذ منهم عُروضاً عوضاً ، فيأخذ الشيء بنصف قيمته ، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظي بذلك المهلب عند سَلَم بن زياد]^(٢) . ثم بعث من ذلك ما اصطفاه ليزيد بن معاوية مع مرزبان ومعه وفد . وصالح سَلَم أهل سَمَرْقند في هذه الغزوة على مال جزيل .

وفي هذه السنة عزل يزيد عن إمرة الحرمين عمرو بن سعيد وأعاد إليها الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ، فولّاه المدينة ، وذلك أن عبد الله بن الزبير لمّا بلغه مقتل الحسين شرع يخطب الناس ، ويعظّم قتل الحسين وأصحابه جدّاً ، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين ، ويترخّم على الحسين ويلعن من قتله ، ويقول : أما والله قتلوه طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء والملاهي ، ولا بالبكاء من خشية الله اللغو والحذاء ، ولا بالصيام شرب المدام وأكل الحرام ، ولا بالجلوس في حِلَق الذكر طلب الصيد - يعرض في ذلك بيزيد بن معاوية - فسوف يلقون غيّا . ويؤلّب الناس على بني أمية ، ويحثّهم على مخالفتهم وخلع يزيد . فبايعه خلق كثير في الباطن ، وسألوه أن يُظهرها فلم يمكنه ذلك مع وجود عمرو بن سعيد ، وكان شديداً عليه ولكن فيه رفيق . وقد كان كاتبه أهل المدينة وغيرهم ، وقال الناس : أما إذ قُتل الحسين فليس أحد ينازع ابن الزبير . فلمّا بلغ ذلك يزيد شقّ ذلك عليه ، وقيل له : إن عمرو بن سعيد لو شاء لبعث إليك برأس ابن الزبير ، أو يحاصره حتى يخرج من الحرم . فبعث فعزله ووّلّى الوليد بن عتبة في هذه السنة - وقيل : في مستهلّ ذي الحجة - فأقام للناس الحج فيها .

وحلف يزيد : ليأتيّني ابن الزبير في سلسلة من فضة ، وبعث بها مع البريد ومعه بُرنس من خزّ ليبرّ يمينه ، فلما مرّ البريد على مروان وهو بالمدينة وأخبره بما هو قاصد له وما معه من الغل أنشأ مروان يقول^(٣) :

فَحْذُهَا فَمَا هِيَ لِلْعَزِيزِ بِخَطَّةٍ	وفيهامَقَالٌ لَامِرِيٍّ مَتَذَلِّلِ
أَعَامِرُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خَطَّةً	وذلكَ فِي الْجِيرَانِ غَزْلٌ بِمِغْزَلِ
أَرَاكَ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْقَوْمِ نَاصِحاً	يُقَالُ لَهُ بِالْذُّلِّ أَدْبَرُ وَأَقْبَلِ

(١) تحرف في المطبوع إلى : صفدي .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٣) والأبيات للعباس بن مرداس . كما في الأغاني (١٤ / ٣١١) .

فلما انتهت الرسل إلى عبد الله بن الزبير بعث مروان ابنه عبد الملك وعبد العزيز ليحضرا مراجعته في ذلك وقال : أسمعاه قولي في ذلك . قال عبد العزيز : فلما جلس الرسل بين يديه جعلتُ أنشده ذلك وهو يسمع ولا أشعره ، فالتفت إليّ فقال : أخبرا أباكما أنني أقول :

[إِنِّي لَمَنْ نَبَعَةٍ صُمِّمَ مَكَاسِرُهَا إِذَا تَنَافَحَتِ الْقَضَبَاءُ وَالْعُشُرُ]^(١)
ولا أَلِيْنُ لغيرِ الحقِّ أَسْأَلُهُ حَتَّى يَلِيْنُ لِفِرْسِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

قال عبد العزيز : فما أدري أيهما كان أعجب^(٢) !

قال أبو مَعْشَر : لا خلاف بين أهل السَّير أن الوليد بن عتبة حجَّ بالناس في هذه السنة وهو أمير الحرمين ، وعلى البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى خراسان وسجستان سَلَم بن زياد - أخو عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبيرة .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن علي رضي الله عنهما : ومعه بضعة عشر من أهل بيته قُتلوا جميعاً بكرِلاء ، وقيل : بضعة وعشرون ، كما تقدم . وقُتل معهم جماعة من الأبطال والفرسان .

جابر^(٣) بن عَتِيك بن قَيْس^(٤) : أبو عبد الله الأنصاري السَّلَمي . شهد بدرًا وما بعدها ، وكان حامل راية الأنصار^(٥) يوم الفتح . كذا قال ابن الجوزي . قال : وتوفي في هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة .

حمزةُ بنُ عَمْرٍو الأسَلَمي^(٦) : صحابي جليل . ثبت في « الصحيحين » عن عائشة أنها قالت : سأل

(١) سقط هذا البيت من أ .

(٢) الخبر مع الشعر في تاريخ الطبري (٤٧٦/٥) وابن الأثير (٩٩/٤ - ١٠٠) .

(٣) كذا في أ ، ط ، ووقع في ب : جبر ، وكلاهما صحيح . وللدكتور بشار عواد تعليق موسع على تهذيب الكمال (٤٥٤/٤ - ٤٥٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤٦٩/٣) مسند أحمد (٤٤٥/٥) تاريخ البخاري الكبير (٢٠٨/١/٢) الجرح والتعديل (٤٩٣/٢) ، ٥٣٢ مشاهير علماء الأمصار (ت ٨٩) معجم الطبراني الكبير (٢٠٥/٢) الاستيعاب (٢٢٢/١) إكمال ابن ماكولا (١٣/٢ - ١٤) أنساب السمعاني (٣٨٦/١١) أسد الغابة (٣٠٩/١ ، ٣١٧) تهذيب الكمال (٤٥٤/٤) سير أعلام النبلاء (٣٦/٢) الكاشف (١٢٢/١) تهذيب التهذيب (١/ ورقة ١٠٠) تاريخ الإسلام (٢/٣) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٥٥) تهذيب التهذيب (٤٣/٢) الإصابة (٥٨/٢) خلاصة الخزرجي (٥٩ ، ٦٠) .

(٥) كذا في أ ، ط ، وفي ب : كان حامل راية بني أمية . وفي طبقات ابن سعد وغيره من المصادر : كان حامل راية بني معاوية بن مالك .

(٦) طبقات ابن سعد (٣١٥/٤) طبقات خليفة (١١١) تاريخ خليفة (٢٣٥) مسند أحمد (٤٩٤/٣) تاريخ البخاري الكبير (٣/ت ١٧٣) الجرح والتعديل (٢١٢/٣) ثقات ابن حبان : (٧٠/٣) مشاهير علماء الأمصار (ت ٥١) ، معجم الطبراني الكبير (٢٣٨/٣) الاستيعاب (٣٧٥/١) الجمع لابن القيسراني (١٠٦/١) أنساب السمعاني (١/٢٤٩) =

حمزة بن عمرو رسول الله ﷺ فقال : إني كثير الصيام ، أفأصوم في السفر ؟ فقال له : « إِنْ شِئْتَ فَصُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ »^(١) .

وقد شهد فتح الشام ، وكان هو البشير للصدِّيق يوم أجنادين .

قال الواقدي : وهو الذي بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه ، فأعطاه ثوبيه .

وروى البخاري في « التاريخ »^(٢) بإسناد جيد عنه أنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة ، فأضاءت لي أصابعي حتى جمعتُ عليها كلَّ متاع كان للقوم » .

اتفقوا على أنه توفي في هذه السنة - أعني إحدى وستين .

شَيْبَةُ بن عثمان بن أبي طَلْحَةَ^(٣) : العَبْدَرِي الْحَجَبِي ، صاحب مفتاح الكعبة .

كان أبوه ممَّن قتلته علي بن أبي طالب يوم أحد كافرًا . وأظهر شيبه الإسلام يوم الفتح ، وشهد حُنينًا وفي قلبه شيء من الشكِّ ، وقد همَّ بالفتك برسول الله ﷺ ، فأطلع الله على ذلك رسوله ، فأخبره بما همَّ به ، فأسلم باطنًا وجاد إسلامه ، وقاتل يومئذ وصبر فيمن صبر .

قال الواقدي عن أشياخه : إِنَّ شَيْبَةَ قال : كنت أقول : والله لو آمنَ بمحمد جميعُ الناس ما آمنت به ، فلما فتح مكة وخرج إلى هوازن خرجتُ معه رجاء أن أجد فرصة أخذ بثأر قريش كلَّها منه . قال : فاختلط الناس ذات يوم ، ونزل رسول الله ﷺ عن بغلته ، فدنوتُ منه وانتضيتُ سيفي لأضربه به ، فرُجع لي

= الكامل لابن الاثير (١٠١/٤) أسد الغابة (٥٥/٢) تهذيب الأسماء واللغات (١٦٩/١) مختصر تاريخ دمشق (٢٦٤/٧) تهذيب الكمال (٣٣٣/٧) تاريخ الإسلام (١٤/٣) العبر (٦٥/١) الكاشف (١٩٠/١) تهذيب التهذيب (١/ورقة ١٧٨) تجريد أسماء الصحابة (١٣٩/١) إكمال مغلطاي (ورقة ٢٩٤) نهاية السؤل (ورقة ٧٧) تهذيب التهذيب (٣١/٣) خلاصة الخزرجي (٩٣) شذرات الذهب (٢٨٠/١) تهذيب ابن عساكر (٤٥٠/٤) .

(١) أخرجه البخاري في الصوم (٣٣/برقم ١٩٤٣) ومسلم (١١٢١) في الصيام : باب التخيير في الصوم والفطر في السفر .

(٢) ٣/ترجمة (١٧٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤٤٨/٥) نسب قريش (٢٥٢) طبقات خليفة (ت٧٤ ، ٢٥٠٤) تاريخ خليفة (١٩٨ ، ٢٢٦ ، ٢٥١) مسند أحمد (٤٠٩/٣) المحبر (١٧) تاريخ البخاري الكبير (٢٤١/٤) الجرح والتعديل (٣٣٥/٤) مشاهير علماء الأمصار (ت١٥٨) جمهرة أنساب العرب (١١٤) الاستيعاب (٧١٢/٢) الجمع بين رجال الصحيحين (٢١٩/١) أنساب السمعاني (٦٤/٤ و ٤٤٠/٧) تاريخ ابن عساكر (٨/٧٧/آ) أسد الغابة (٥٣٤/٢) مختصر تاريخ دمشق (٨/١١) تهذيب الكمال (٦٠٤/١٢) تاريخ الإسلام (٢٩٣/٢) تهذيب التهذيب (٨٤/٢) سير أعلام النبلاء (١٢/٣) تجريد أسماء الصحابة (١/ت٢٧٥٣) العبر (٦٤/١) الكاشف (١٥/٢) إكمال مغلطاي (٢/ورقة ١٧٦) مرآة الجنان (١٣١/١) العقد الثمين (١٩/) نهاية السؤل (ورقة ١٤٣) تهذيب التهذيب (٣٧٦/٤) الإصابة (ت٣٩٤٥) خلاصة الخزرجي (١٦٨) شذرات الذهب (٢٦٨/١) تهذيب ابن عساكر (٣٤٩/٦) .

شُواظ^(١) من نار كاد يَمْحُشَنِي^(٢) ، فالتفتَ إِلَيَّ رسول الله ﷺ وقال : يا شِيبَةَ ادْنُ مِنِّي ، فدنوت منه ، فوضع يده على صدري وقال : اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ . قال : فوالله ما رفع يده حتى لهو يومئذ أحبُّ إِلَيَّ من سمعي وبصري ، ثم قال : اذهبْ فقاتل . قال : فتقدمت إلى العدو ، ووالله لو لقيتُ أباي لقتلته لو كان حيًّا ، فلما تراجع الناس قال لي : يا شِيبَةَ ! الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردتَ لنفسك ، ثم حدَّثني بكل ما كان في نفسي مما لم يطلع عليه أحدٌ إلَّا الله عز وجل ، فتشهدت وقلت : أَسْتَغْفِرُ الله ، فقال : غفر الله لك^(٣) .

وليَّ الحجابة بعد عثمان بن طلحة ، واستقرَّت الحجابة في بنيه وبيته إلى اليوم ، وإليه يُنسب بنو شِيبَةَ ، وهم حجة الكعبة .

قال خليفة بن خياط^(٤) وغير واحد : توفي سنة تسع وخمسين . وقال محمد بن سعد^(٥) : بقي إلى أيام يزيد بن معاوية . وقال ابن الجوزي في « المنتظم » : مات في هذه السنة .

عبدُ المطلب بن رَبِيعَةَ^(٦) بن الحارث : بن عبد المطلب بن هاشم .

صحابي ، انتقل إلى دمشق وله بها دار ، ولما مات أوصى إلى يزيد بن معاوية - وهو أمير المؤمنين .

الوليدُ بنُ عُقْبَةَ^(٧) : بن أبي مُعَيْط أبان^(٨) بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو وهب ، القرشي العبشمي .

- (١) « الشواظ » : اللهب .
- (٢) « يَمْحُشَنِي » : يحرقني .
- (٣) مختصر تاريخ دمشق (١٠/١١) .
- (٤) تاريخه (٢٢٦) . وينظر تهذيب الكمال (١٢/٦٠٦) .
- (٥) طبقاته الكبرى (٥/٤٤٨) .
- (٦) طبقات ابن سعد (٤/٥٧) نسب قريش (٨٧) طبقات خليفة (ت ١٤ ، ٢٨٠٨) مسند أحمد (٤/١٦٥) تاريخ البخاري (٦/١٣١) الجرح والتعديل (٦/٦٨) جمهرة أنساب العرب (٧١) الاستيعاب (٣/١٠٠٦) الجمع بين رجال الصحيحين (١/٣٢٩) أسد الغابة (٣/٥٠٨) تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٠٨) مختصر تاريخ دمشق (١٥/٢٩٣) تهذيب الكمال (١٨/٢٧٨) تاريخ الإسلام (٣/٤٦) العبر (١/٦٦) سير أعلام النبلاء (٣/١١٢) الكاشف (٢/١٨٢) تهذيب التهذيب (٢/٢٤٨) مرآة الجنان (١/١٣٧) العقد الثمين (٥/٤٩٤) تهذيب التهذيب (٦/٣٨٣) الإصابة (٢/٤٣٠) خلاصة الخزرجي (٣٧٩) شذرات الذهب (١/٢٨٢) .
- (٧) طبقات ابن سعد (٦/٢٤ و ٧/٤٧٦) نسب قريش (١٣٨) طبقات خليفة (ت ٥٧ ، ٨٢٥ ، ٩٧٤ ، ١٤٨٧ ، ٣٠٦٤) مسند أحمد (٤/٣٢) ، المحبر (الفهرس) المعارف (٣١٨) المعرفة والتاريخ (٣/٣٠٩ ، ٣٢٩) الجرح والتعديل (٩/٨) مشاهير علماء الأمصار (ت ٢٨٤) الأغاني (٥/١٢٢) جمهرة أنساب العرب (١١٥) الاستيعاب (٤/١٥٥٢) تاريخ ابن عساكر (١٧/٤٣٤) ب) أسد الغابة (٥/٤٥١) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٤٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/٣٣٥) تهذيب الكمال (٣١/٥٣) سير أعلام النبلاء (٣/٤١٢) الكاشف (٣/٢١١) تهذيب التهذيب (٤/١٣٨) العقد الثمين (٧/٣٩٨) الإصابة (٣/٦٣٧) تهذيب التهذيب (١١/١٤٢) خلاصة الخزرجي (٤١٧) .
- (٨) في ط : « بن أبان » خطأ .

وهو أخو عثمان بن عفان لأُمّه أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأُمّها أُمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب .

وللوليد من الإخوة : خالد ، وعمارة ، وأُمّ كلثوم .

وقد قتل رسول الله ﷺ أباه بعد وقعة بدر من بين الأسرى صَبْرًا [بين يديه ، فقال : يا محمد ! من للصبية ؟ فقال : لهم النار] ^(١) . وكذلك فعل بالنضر بن الحارث .

وأسلم الوليد هذا يوم الفتح ، وقد بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المُصطلق ، فخرجوا يتلقّونه ، فظن أنهم إنما خرجوا لقتاله فرجع ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يجهّز إليهم جيشاً ، فبلغهم ذلك ، فجاء مَنْ جاء منهم ليعتذروا إليه ويخبروه بصورة ما وقع ، فأنزل الله تعالى في الوليد : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بَنِي فَتَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] . ذكر ذلك غير واحد من المفسرين ^(٢) . والله أعلم بصحة ذلك . وقد حكى أبو عمر ^(٣) بن عبد البرّ على ذلك الإجماع .

وقد ولّاه عمر صدقات بني تغلب ، وولّاه عثمان نيابة الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة خمس وعشرين ، ثم شرب الخمر وصلّى بأصحابه ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ ووقع منه تخييط ، ثم إن عثمان جلده وعزّله عن الكوفة بعد أربع سنين ، فأقام بها ، فلما جاء علي إلى العراق سار إلى الرقة واشترى له عندها ضيعة وأقام بها معتزلاً جميع الحروب التي كانت أيام علي ومعاوية وما بعدها إلى أن توفي بضيعته في هذه السنة ، ودفن بضيعته - وهي على خمسة عشر ميلاً من الرقة . ويقال : إنه توفي في أيام معاوية ، فالحق أعلم .

روى له الإمام أحمد وأبو داود ^(٤) حديثاً واحداً في فتح مكة .

وقد ذكر ابن الجوزي وفاته في هذه السنة . وذكر أيضاً وفاة أُمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وقد تقدم ذكر وفاتها في سنة إحدى وخمسين ، وقيل : إنها توفيت سنة ثلاث وستين . وقيل : سنة ست وستين . والصواب ما ذكرناه .

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب . والخبر في سيرة ابن هشام (١/٦٤٤) .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحي (ص ٤١٢) .

(٣) تحريف في المطبوع إلى : عمرو . وينظر كلامه في الاستيعاب (٤/١٥٥٣) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٣٢) ، وأبو داود (٤١٨١) في الترمذ ، وإسناده ضعيف .

أُمّ سَلَمَة أُمّ المؤمنين^(١) : هند بنت أبي أمية حذيفة - وقيل : سُهَيْل^(٢) - بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، القرشية المخزومية .

كانت أولاً تحت ابن عمّها أبي سَلَمَة بن عبد الأسد ، فمات عنها ، فتزوَّجها رسول الله ﷺ ودخل بها في شوال سنة اثنتين بعد وقعة بدر^(٣) . وقد كانت سمعتُ من زوجها أبي سَلَمَة حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما مِنْ مسلم يُصابُ بِمُصِيبَةٍ فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهمَّ أجِرْني في مُصِيبتي ، واخلفْ لي خيراً منها ، إلّا أبدله الله خيراً منها » . قالت : فلما مات أبو سَلَمَة قلت ذلك ثم قلت : ومن هو خيرٌ من أبي سَلَمَة أول رجلٍ هاجر؟ ثم عزم الله لي فقلتُها ، فأبدلني الله خيراً منه - رسول الله ﷺ^(٤) . وكانت من حَسَن النساء وعابداتهن .

قال الواقدي : توفيت سنة تسع وخمسين ، وصَلَّى عليها أبو هريرة . وقال ابن أبي خيثمة : توفيت أيام يزيد بن معاوية . قلت : والأحاديث المتقدمة في مقتل الحسين تدلُّ على أنها عاشت إلى ما بعد مقتله ، والله أعلم . ورضي الله عنها .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

يقال : فيها قدم وفد المدينة النبوية على يزيد بن معاوية ، فأكرمهم وأجازهم بجوائز سنّية ، ثم عادوا من عنده بالجوائز فخلعوه وولّوا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، فبعث إليهم يزيد جنداً في السنة الآتية [إلى المدينة ، فكانت وقعة الحرّة على ما سنبينه في التي بعدها إن شاء الله تعالى .

(١) طبقات ابن سعد (٨٦/٨) تاريخ ابن معين (٧٤٢) نسب قريش (٣٣٧) طبقات خليفة (٣٣٤) مسند أحمد (٦/٢٨٨) المعارف (١٣٦) الجرح والتعديل (٩/٤٦٤) مستدرک الحاكم (٤/١٦) الاستيعاب (٤/١٩٢٠) أسد الغابة (٧/٣٤٠) تهذيب الكمال (٣٥/٣١٧) سير أعلام النبلاء (٢/٢٠١) الكاشف (٣/٤٣٦) العبر (١/٦٥) مجمع الزوائد (٩/٢٤٥) تهذيب التهذيب (١٢/٤٥٥) الإصابة (١٣/٢٢١) خلاصة الخرجي (٤٩٦) كنز العمال (١٣/٦٩٩) شذرات الذهب (١/٢٨٠) أعلام النساء (٥/٢٢١) .

(٢) في ط وم : « سهل » ، وما هنا يعضده ما في طبقات ابن سعد (٨٦/٨) وتهذيب الكمال (٣٥/٣١٧) ، وغيرهما .
(٣) هذا كلام شيخه أبي الحجاج المزي في تهذيب الكمال (٣٥/٣١٧) ، لكن تعقبه الحافظ ابن حجر في هذا فقال : « إنما تزوجها النبي ﷺ سنة أربع على الصحيح ، ويقال : سنة ثلاث ، فإن أبا سلمة بن عبد الأسد شهد أحداً ورُمي بسهم فعاش خمسة أشهر أو سبعة ، وحلت أم سلمة في شوال سنة أربع ، وقد نص على ذلك خليفة والواقدي . وقال ابن عبد البر : مات في جمادى الآخرة سنة ثلاث (تهذيب التهذيب ١٢/٤٥٦) ، وتعليق الدكتور بشار على تهذيب الكمال .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٧ - ٢٨) وابن ماجه (١٥٩٨) في الجنائز : باب ما جاء في الصبر على المصيبة وأخرجه مسلم مختصراً رقم (٩١٨) (٣) .

وقد كان يزيد عزل عن الحجاز عمرو بن سعيد بن العاص ، وولّى عليهم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فلما دخل المدينة [١] احتاط على الأموال والحواصل والأموال ، وأخذ العبيد الذين لعمرو بن سعيد فحبسهم - وكانوا نحواً من ثلاثمئة عبد - فتجهّز عمرو بن سعيد إلى يزيد ، وبعث إلى عبيده أن يخرجوا من السجن ويلحقوا به ، وأعدّ لهم إبلًا يركبونها ، ففعلوا ذلك ، فما لحقوه حتى وصل إلى يزيد ، فأكرمه واحترمه ورخّب به وأدنى مجلسه ، ثم إنه عاتبه في تقصيره في شأن ابن الزبير ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وإن جلّ أهل مكة والحجاز مالؤوه علينا وأحبّوه ، ولم يكن لي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته ، وقد كان يحذرني ويحترس مني ، وكنت أرفق به كثيراً وأداريه لأستمكن منه فأثب عليه ، مع أنني قد ضيّقت عليه ومنعته من أشياء كثيرة ، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا اسمه واسم أبيه ، ومن أي بلاد هو ، وما جاء له ، وماذا يريد ، فإن كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريده رددته صاغراً ، وإلا خلّيت سبيله . وقد وليت الوليد ، وسيأتيك من عمله وأمره ما لعلك تعرف به فضل مسارعتي واجتهادي في أمرك ومناصحتي لك إن شاء الله ، والله يصنع لك ويكبّ عدوك . فقال له يزيد : أنت أصدق ممن رماك وحملني عليك ، وأنت ممن أثق به ، وأرجو معونته ، وأدّخره لذات الصدع وكفاية المهم ، وكشف نوازل الأمور العظام . . . في كلام طويل .

وأما الوليد بن عتبة فإنه أقام بالحجاز ، وقد همّ مراراً أن يبطش بعبد الله بن الزبير ، فيجده متحذراً ممتنعاً قد أعدّ للأمر أقرانها .

وثار باليمامة رجل آخر يقال له : نجدة بن عامر الحنفي حين قتل الحسين ، وخالف يزيد بن معاوية ، ولم يخالف ابن الزبير ، بل بقي على حدة ، له أصحاب يتبعونه . فإذا كان ليلة عرفة دفع الوليد بن عتبة بالجمهور ، وتخلّف عنه أصحاب ابن الزبير وأصحاب نجدة ، ثم يدفع كل فريق وحدهم . ثم كتب نجدة إلى يزيد : إنك بعثت إلينا رجلاً أخرج لا يتّجه لأمر رشد ولا يرعوي لعظة الحكيم ، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق ليّن الكنف ، رجوت أن يسهل به من الأمور ما استوعر منها وأن يجتمع ما تفرق ، فانظر في ذلك فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله تعالى . قالوا : فعزل يزيد الوليد ، وولّى عثمان [بن] [٢] محمد بن أبي سفيان ، فسار إلى الحجاز ، وإذا هو فتى غرّ حدث غمر لم يمارس الأمور ، فطمعوا فيه ، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد منها وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة الحضرمي ، والمنذر بن الزبير ، ورجال كثير من أشرف أهل المدينة ،

(١) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٢) سقطت من المطبوع .

فقدموا على يزيد ، فأكرمهم ، وأحسن إليهم ، وعظّم جوائزهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة إلا المنذر بن الزبير فإنه سار إلى صاحبه عبيد الله بن زياد بالبصرة ، وكان يزيد قد أجازته بمئة ألف نظير أصحابه من أولئك الوفد ، ولما رجع وفد المدينة إليها أظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا : قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، وتعزف عنده القيان بالمعازف ، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه . فتابعهم الناس على خلعه ، وبائعوا عبد الله بن الغسيل على الموت ، وأنكر عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ورجع المنذر بن الزبير من البصرة إلى المدينة ، فوافق أولئك على خلع يزيد ، وأخبرهم أنه يشرب الخمر ويسكر حتى يترك الصلاة ، وعابه أكثر مما عابه أولئك . فلما بلغ ذلك يزيد قال : اللهم إني آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت ، فأدركه وانتقم منه .

ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة النعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا ويحدّثهم غبّ ذلك ، ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة ، فسار إليهم ففعل ما أمره يزيد ، وخوّفهم الفتنة ، وقال لهم : إن الفتنة وخيمة ، وقال : لا طاقة لكم بأهل الشام . فقال له عبد الله بن مطيع : ما يحملك - يا نعمان - على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا ؟ فقال له النعمان : أما والله لكأني بك وقد تركت^(١) تلك الأمور التي تدعو إليها ، وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ، ودارت رحى الموت بين الفريقين ، قد ضربت بغلتك إليّ وخلفت هؤلاء المساكين - يعني الأنصار - يُقتلون في سِكَكِهِمْ ومساجدهم وعلى أبواب دورهم . فعصاه الناس فلم يسمعوا منه ، فانصرف وكان والله كما قال سواء .

قال ابن جرير^(٢) : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة .

كذا قال ، وفيه نظر ، فإنه إن كان وفد في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فإنما وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلا في أول سنة ثلاث وستين ، وهو أشبه ، والله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

بُرَيْدة بن الحُصَيْب الأَسْلَمِي^(٣) : كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة عند

(١) في تاريخ الطبري (٥/٤٨١) نزلت .

(٢) في تاريخه (٥/٤٨١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/٢٤١ و ٨/٧ ، ٣٦٥) طبقات خليفة (١٠٩ ، ١٨٧ ، ٣٢٢) تاريخ خليفة (٢٥١) مسند أحمد

(٥/٣٤٦) تاريخ البخاري الكبير (٢/١٤١) ثقات العجلي (٧٩) المعارف (٣٠٠) الجرح والتعديل (٢/٤٢٤) ثقات

ابن حبان (٣/٢٩) مشاهير علماء الأمصار (ت ٤١٤) معجم الطبراني الكبير (٢/٣) الاستيعاب (١/١٨٥) الجمع لابن=

كُرَاعِ الْغَمِيمِ^(١) ، فلما كان هناك تلقاه بُريدة في ثمانين نفساً من أهله فأسلموا ، وصلى بهم صلاة العشاء ، وعلمه ليلتئذ صدرأ من سورة مريم .

ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد أُحُد ، فشهد معه المشاهد كلها ، وأقام بالمدينة ، فلما فتحت البصرة نزلها واختط بها داراً ، ثم خرج إلى غزو خراسان فمات بمرو في خلافة يزيد بن معاوية . ذكر موته غير واحد في هذه السنة .

الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ^(٢) : أبو يزيد الثوري الكوفي ، أحد أصحاب ابن مسعود .

[قال له عبد الله بن مسعود^(٣) : ما رأيك قطُّ إلا ذكرت المُخْبِتِينَ ، ولو رَأَى رسول الله ﷺ لأَحْبَبَكَ^(٤) .

وكان ابن مسعود يجعله كثيراً .

وقال الشعبي : كان الربيع من معادن الصدق ، وكان أروع أصحاب ابن مسعود .

وقال ابن معين : لا يُسأل عن مثله .

وله مناقب كثيرة جداً .

أرخ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة .

عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ^(٥) : أبو شبل النَّخْعِي الكوفي .

= القيسراني (٦١/١) أسد الغابة (٢٠٩/١) تهذيب الكمال (٥٣/٤) تهذيب التهذيب (٨١/١) سير أعلام النبلاء (٤٦٩/٢) تاريخ الإسلام (٣٨٦/٢) العبر (٦٦/١) الكاشف (٩٩/١) مجمع الزوائد (٣٩٨/٩) الإصابة (٢٤١/١) تهذيب التهذيب (٤٣٢/١) خلاصة الخزرجي (٤٧) شذرات الذهب (٢٨١/١) .

(١) « كراع الغميم » : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عُسفان بثمانية أميال . معجم البلدان (٤٤٣/٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٨٢/٦) طبقات خليفة (١٤١) تاريخ البخاري الكبير (٢٦٩/٣) ثقات العجلي (١٥٤) المعارف (٤٩٧) المعرفة والتاريخ (٥٦٣/٢) الجرح والتعديل (٤٥٩/٣) العقد الفريد (٢٧٥/١) و ٤٢٤/٢ و ١٥٠/٣ ، ١٧١ ، ١٧٩) ثقات ابن حبان (١/ورقة ١٢٨) مشاهير علماء الأمصار (٧٣٧) حلية الأولياء (١٠٥/٢) جمهرة أنساب العرب (٢٠١) الجمع لابن القيسراني (١٣٤/١) أنساب السمعاني (١٤٦/٣ ، ١٤٧) تهذيب الكمال (٧٠/٩) تهذيب التهذيب (٢١٧/١) تذكرة الحفاظ (٥٧/١) تاريخ الإسلام (١٥/٣ ، ٢٤٧ ، ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (٢٥٨/٤) الكاشف (٢٣٥/١) معرفة التابعين (ورقة ١١) إكمال مغلطاي (٢/ورقة ١٥) غاية النهاية (٢٨٣/١) نهاية السؤل (ورقة ٩٥) تهذيب التهذيب (٢٤٢/٣) خلاصة الخزرجي (١١٥) .

(٣) ما بين حاصرتين سقط من أ .

(٤) حلية الأولياء (١٠٦/٢) . و « المختون » : المطمئنون ، وقيل : هم المتواضعون الخاشعون لربهم .

(٥) طبقات ابن سعد (٨٦/٦) طبقات خليفة (ت ١٠٥٤) تاريخ خليفة (١٩٦ ، ٢٣٦) تاريخ البخاري الكبير (٤١/٧) =

كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم ، وكان يُشَبَّه بابن مسعود .

وقد روى علقمة عن جماعة من الصحابة ، وعنه خلق من التابعين .

عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفَهْرِيُّ^(١) : بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف ، فافتتحها ، واخط القَيْرَوَان ، وكان موضعها غيضة لا تُرام من السباع والحيات والحشرات ، فدعا الله تعالى ، فجعلن يخرجن منها بأولادهن من الأوكار والجحار ، فبناها ولم يزل بها حتى هذه السنة .

غزا أقواماً من البربر والروم ، فقتل شهيداً رضي الله عنه .

عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ^(٢) : صحابي جليل . استعمله رسول الله ﷺ على نجران وعمره سبع عشرة سنة ، وأقام بها مدة ، وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

مَسْلَمَةُ^(٣) بْنُ مُخَلَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ الرَّزْقِيُّ^(٤) : ولد عام الهجرة ، وسمع من رسول الله ﷺ ، وشهد

التاريخ الصغير (١٢٣/١) ثقات العجلي (٣٣٩) المعارف (٤٣١) المعرفة والتاريخ (٥٥٢/٢) الجرح والتعديل (٤٠٤/٦) مشاهير علماء الأمصار (ت ٧٤١) حلية الأولياء (٩٨/٢) تاريخ بغداد (٢٩٦/١٢) طبقات الشيرازي (٧٩) أنساب السمعاني (٦١/١٢) تاريخ ابن عساكر (٤٠٤/١١) ب) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤٢/١/١) مختصر تاريخ دمشق (١٦٦/١٧) تهذيب الكمال (٣٠٠/٢٠) طبقات علماء الحديث (١٠٠/١) سير أعلام النبلاء (٥٣/٤) العبر (٦٦/١) تاريخ الإسلام (٥٠/٣) تذكرة الحفاظ (٤٨/١) الكاشف (٢٤٢/٢) معرفة القراء الكبار (٥١/١) مرآة الجنان (١٣٧/١) غاية النهاية (٥١٦/١) تهذيب التهذيب (٢٧٦/٧) الإصابة (ت ٦٤٥٤) النجوم الزاهرة (١٥٧/١) طبقات الحفاظ (١٢) خلاصة الخرجي (٢٧١) شذرات الذهب (٢٨١/١) .

(١) تاريخ البخاري الكبير (٤٣٥/٦) فتوح مصر (١٩٤ ، ١٩٧) تاريخ الطبري (٢٤٠/٥) رياض النفوس (٦٢/١) جمهرة أنساب العرب (١٦٣ ، ١٧٨) الاستيعاب (١٠٧٥/٣) تاريخ ابن عساكر (٣٥٨/١١) ب) معجم البلدان (٤٢٠/٤) أسد الغابة (٥٩/٤) الكامل في التاريخ (١٠٥/٤) معالم الإيمان (١٦٤/١) ١٦٧) مختصر تاريخ دمشق (١٠٦/١٧) تاريخ الإسلام (٤٩/٣) سير أعلام النبلاء (٥٣٢/٣) العقد الثمين (١١١/٦) الإصابة (٤٩٢/٢) حسن المحاضرة (٢٢٠/٢) .

(٢) طبقات خليفة (٨٩) تاريخ خليفة (٦٧ ، ٢٥٨) التاريخ الصغير (٨١/١) الجرح والتعديل (٢٢٤/٦) مشاهير علماء الأمصار (ت ٩٦) الاستيعاب (١١٧٢/٣) جمهرة أنساب العرب (٣٤٨) إكمال ابن ماكولا (٤٤٩/٢) أسد الغابة (٢١٤/٤) مختصر تاريخ دمشق (١٩٥/١٩) تهذيب الكمال (٥٨٥/٢١) الكاشف (٢٨٢/٢) تهذيب التهذيب (٢٠/٨) الإصابة (٢٩٣/٤) خلاصة الخرجي (٢٨٨) .

(٣) تحرف في الأصول إلى : مسلم .

(٤) طبقات ابن سعد (٥٠٤/٧) طبقات خليفة (٩٨ ، ٢٩٢) مسند أحمد (١٠٤/٤) تاريخ البخاري الكبير (٣٨٧/٧) المعرفة والتاريخ (٤٩٤/٢ ، ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٢٩) الجرح والتعديل (٢٦٥/٨) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٩٤) الولاة والقضاة (٣٨) مستدرك الحاكم (٤٩٥/٣) جمهرة أنساب العرب (٣٦٦) الاستيعاب (١٣٩٧/٣) إكمال ابن ماكولا (٢٢٣/٧ و ٤٣٨) تاريخ ابن عساكر (١٦/٢٢٨) آ) أسد الغابة (١٧٤/٥) مختصر تاريخ دمشق (٢٧١/٢٤) تهذيب الكمال (٥٧٤/٢٧) تاريخ الإسلام (٧٨/٣) العبر (٦٦/١) سير أعلام النبلاء (٤٢٤/٣) الكاشف (١٢٨/٣) =

فتح مصر ، وولي الجند بها لمعاوية ويزيد ، ومات في ذي القعدة من هذه السنة .

نُوفَل بنُ معاوية الدِّيلي^(١)^(٢) : صحابي جليل ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق مع المشركين ، وكانت له في المسلمين نِكاية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد فتح مكة وحُنيناً ، وحج مع أبي بكر سنة تسع ، وشهد حجة الوداع ، وعمرّ ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام . قاله الواقدي . قال : وأدرك أيام يزيد بن معاوية .

وقال ابن الجوزي : مات في هذه السنة .

وفيهما توفيت :

الرَّباب بنت أنيف^(٣) : امرأة الحسين بن علي التي كانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعدُّون في السبت - أو في الجمعة - على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ففيهما كانت :

وَقَعَةُ الْحَرَّةِ

وكان سببها : أنَّ أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولّوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، فلما كان في أول هذه السنة أظهروا ذلك واجتمعوا عند المنبر ، فجعل الرجل منهم يقول : قد خلعت يزيد كما خلعت عماتي هذه ، ويلقيها عن رأسه ، ويقول الآخر : قد خلعته كما خلعت نعلي هذه ، حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هناك . ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم - وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ابن عم يزيد - وعلى إجلاء بني أمية

= تذهيب التهذيب (٤/٤٠/آ) الإصابة (٣/٤١٨) تهذيب التهذيب (١٠/١٤٨) حسن المحاضرة (١/٢٣٥) خلاصة الخزرجي (٣٧٧) شذرات الذهب (١/٢٨٢) .

(١) تحرف اسمه في المطبوع إلى : مسلم بن معاوية الديلمي .

(٢) مسند أحمد (٥/٤٢٩) المعارف (٣١٤) تاريخ الطبري (٣/٤٤ ، ٨٤ ، ٢٤١) الاشتقاق (١٧٤) الجرح والتعديل

(٨/٤٨٧) مشاهير علماء الأمصار (ت١٩١) الاستيعاب (٤/١٥١٣) أنساب السمعاني (٥/٤٠٢ و ١٢/١٢٢) أسد

الغابة (٥/٣١٧) تهذيب الكمال (٣٠/٧٠) الكاشف (٣/١٨٧) تهذيب التهذيب (١٠/٤٩٢) الإصابة (ت٨٨٣١)

خلاصة الخزرجي (٤٠٥) .

(٣) المحبر (٣٩٦) الكامل في التاريخ (٤/٨٨) أعلام الزركلي (٣/١٣) شاعرات العرب (١٢٨) أعلام النساء لكحالة

(١/٤٣٨) .

من المدينة ، فاجتمعت بنو أمية - [وهم قريب من ألف رجل]^(١) - في دار مروان بن الحكم ، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم .

واعتزل الناس عليّ بن الحسين زين العابدين ، وكذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب ، لم يخلعا يزيد ، ولا أحد من بيت ابن عمر ، وقد قال ابن عمر لأهله : لا يخلعن أحد منكم يزيد فيكون الفيصل - ويروى : الصيلم - بيني وبينه . وسيأتي هذا الحديث بلفظه وإسناده في ترجمة يزيد . وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت ، وقال : إنّما كنّا نبايع رسول الله ﷺ على ألا نفرّ . وكذلك لم يخلع يزيد أحد من بني عبد المطلب . وقد سئل محمد ابن الحنفية في ذلك ، فامتنع أشدّ الامتناع ، وناظرهم وجادلهم في يزيد ، ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شربه الخمر وتركه بعض الصلوات ، كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله .

وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه [من الحصر والإهانة والجوع والعطش ، وأنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه]^(٢) وإلا استوصلوا عن آخرهم ، وبعثوا ذلك مع البريد ، فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرّد به مما به من النّقرس^(٣) في رجله . فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال : ويلك ! أما فيهم ألف رجل ؟ قال : بلى ، قال : فهلاً قاتلوا ولو ساعة من نهار ؟ ! ثم بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم ، وعرض عليه أن يبعثه إليهم ، فأبى عليه ذلك ، وقال : إن أمير المؤمنين عزلني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة ، فأما الآن فإنما دماء قریش تراق بالصعيد ، فلا أحب أن أتولى ذلك منهم ، ليتولّى ذلك من هم أبعد منهم مني . قال : فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المرّي وهو شيخ كبير ضعيف ، فانتدب لذلك ، وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس - وقيل : اثني عشر ألفاً - وخمسة عشر ألف راجل ، وأعطى كل واحد منهم مئة دينار - وقيل : أربعة دنانير - ثم استعرضهم يزيد وهو على فرس له .

قال المدائني : وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري ، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السّكوني ، وعلى أهل الأردن حبيش بن دُلْجة القيني ، وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجُدّامي ، وشريك الكناني ، وعلى أهل قَسْرين طريف بن الحسحاس الهلالي ، وعليهم جميعاً مسلم بن عقبة المرّي من غطفان ، وإنما يسمّيه السلف مسرف بن عقبة . فقال النعمان بن بشير : يا أمير المؤمنين ! ولّني عليهم أكفك - وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمه عمرة بنت رواحة - فقال يزيد : لا ، ليس لهم إلا

(١) سقط من المطبوع .

(٢) سقط من أ .

(٣) « النقرس » : داء ووجع يأخذ في الرجل والمفاصل .

هذا الغشمة^(١) ، والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة ، فقال النعمان : يا أمير المؤمنين ! أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ . وقال له عبد الله بن جعفر : رأيت إن رجعوا إلى طاعتك أتقبل منهم ؟ قال : إن فعلوا فلا سبيل عليهم .

وقال يزيد لمسلم بن عقبة : ادع القوم ثلاثاً ، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم ، وكف عنهم ، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا ظهرت عليهم فأبج المدينة ثلاثاً ثم اكفف عن الناس ، وانظر إلى علي بن الحسين فكفف عنه ، واستوص به خيراً ، وأدن مجلسه ، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه . وأمره إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن الزبير^(٢) . وقال له : إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوني .

وقد كان يزيد كتب إلى عبيد الله بن زياد أن يسير إلى [ابن]^(٣) الزبير فيحاصره بمكة ، فأبى عليه وقال : والله لا أجمعهما للفاسق أبداً ، أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ وأغزو البيت الحرام ؟! وقد كانت أمّه مَرَجَانة قالت له حين قتل الحسين : ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت ؟! وعنته تعنيفاً شديداً .

قالوا : وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته : يزيد القروء ، شارب الخمر ، تارك الصلوات ، منعكف على القينات . فلما جهّز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول :

أَبْلِغْ أبا بكرٍ إذا الجيشُ سَرى وأشرفَ الجيشُ على وادي القرى
أَجْمَعَ سكرانَ من القومِ ترى يا عَجَباً من مُلحدٍ في أمِّ القرى
مخادعٍ للدينِ يَقْضي بالفري^(٤)

وفي رواية :

أَبْلِغْ أبا بكرٍ إذا الأمرُ انبرى ونزلَ الجيشُ على وادي القرى
عشرونَ ألفاً بينَ كهلٍ وفتى أَجْمَعَ سكرانَ من القومِ ترى^(٥)

قالوا : وسار مسلم بمن معه من الجيوش إلى المدينة ، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية وقالوا لهم : والله لنقتلنكم عن آخركم أو تعطونا مَوْثِقاً ألا تدلّوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين ، ولا تمالئوهم علينا ، فأعطوهم العهود بذلك ، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية ، فجعل مسلم يسألهم

(١) « الغشمة » : الظالم .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : نمير .

(٣) سقطت من المطبوع .

(٤) « الفري » : جمع فرية ، وهي الكذبة .

(٥) الأبيات في تاريخ الطبري (٤٨٤/٥) وابن الأثير (١١٢/٤) ومختصر تاريخ دمشق (٢٩٣/٢٤) .

عن الأخبار فلا يخبره أحد ، فأنحصر لذلك . وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له : إن كنت تريد النصر فانزل شرقيّ المدينة في الحرّة ، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أفقيّكم وفي وجوههم ، فادعهم إلى الطاعة ، فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة . فشكره مسلم بن عقبة على ذلك ، وامتل ما أشار به ، فنزل شرقيّ المدينة في الحرّة ، ودعا أهلها ثلاثة أيام ، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة ، فلما مضت الثلاثة قال لهم في اليوم الرابع - وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين - قال لهم : يا أهل المدينة! مضت الثلاثة ، وإن أمير المؤمنين قال لي : إنكم أصله وعشيرته ، وإنه يكره إراقة دمائكم ، وإنه أمرني أن أؤجلكم ثلاثاً فقد مضت ، فماذا أنتم صانعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا : بل نحارب . فقال : لا تفعلوا ، بل سالموا ونجعل حدنا وقوتنا على هذا الملحد - يعني ابن الزبير - فقالوا : يا عدو الله! والله لو أردت ذلك لما مكثك منه ، أنحن نذرکم تذهبون فتلحدوا في بيت الله الحرام؟ ثم تهيؤوا للقتال ، وقد كانوا اتخذوا خندقاً بينهم وبين ابن عقبة ، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير ، وجعلوا أجل الأرباع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغسيل ، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم أهل المدينة إليها . وقد قُتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان منهم : عبد الله بن مطيع وبنون له سبعة بين يديه ، وعبد الله بن حنظلة الغسيل ، وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شماس ، ومحمد بن عمرو ابن حزم ، وقد مرّ به مروان وهو مجندل^(١) فقال : رحمك الله ، فكم من سارية قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود!

ثم أباح مسلم بن عقبة - الذي يقول فيه السلف : مسرف بن عقبة ، قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله - المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد لا جزاءه الله خيراً ، وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها ، وانتهب أموالاً كثيرة منها ، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد ، فكان ممن قُتل بين يديه صبراً معقل بن سنان ، وقد كان صديقه قبل ذلك ، ولكن أسمعته في يزيد كلاماً غليظاً ، فنقم عليه بسببه^(٢) .

واستدعى بعلي بن الحسين ، فجاء يمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ليأخذ له بهما عنده أماناً ، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به ، فلما جلس بين يديه استدعى مروان بشارب - وقد كان مسلم بن عقبة حمل معه من الشام ثلجاً إلى المدينة ، فكان يُشاب^(٣) له بشاربه - فلما جيء بالشراب شرب مروان قليلاً ، ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أماناً ، وكان مروان مواداً لعلي بن الحسين ، فلما نظر إليه مسلم بن عقبة قد أخذ الإنياء في يده قال له : لا تشرب من شرابنا ، ثم قال له : إنما جئت مع هذين لتأمن بهما؟ فارتعدت يد علي بن الحسين ، وجعل لا يضع الإنياء من يده ولا يشربه ، ثم قال له : لولا أن أمير

(١) « مجندل » : صريع .

(٢) استباحة المدينة المنورة أو انتهابها لمدة ثلاثة أيام من جيش الشام بقيادة مسلم بن عقبة وأمر من يزيد ثابت عند الإمام أحمد ، وشيخ الإسلام ، والحافظ ابن حجر . ولم يذكره خليفة بن خياط ، وأورده الطبري عن أبي مخنف (٥/ ٤٩٤) .

وأما رواية استباحة الأعراض فرواها المدائني عن هشام بن حسان ، والبيهقي في الدلائل عن المغيرة ، وكتاها لا تصح لا سنداً ولا متناً ، ومن الأباطيل مقتل (١٠٠٠٠) من أهل المدينة في بعض يوم! وفي تاريخ خليفة (٤٠٠) وعن مالك (٧٠٠) . انظر تاريخ خليفة (ص ٢٣٦) ودلائل النبوة (٦/ ٤٧٥) ونبوءات النبي ﷺ لعبد الستار الشيخ (٤/ ١٦٧) والدولة الأموية للصلابي (١/ ٦٧١) .

(٣) « يشاب » : يخلط .

المؤمنين أوصاني بك لضربت عنقك ، ثم قال له : إن شئت أن تشرب فاشرب ، وإن شئت دعونا لك غيرها ، فقال : هذه الذي في كفي أريد ، فشرب . ثم قال له مسلم بن عقبة : قم إلى هاهنا فاجلس ، فأجلسه معه على السرير وقال له : إن أمير المؤمنين أوصاني بك ، وإن هؤلاء شغلوني عنك ، ثم قال : لعل أهلك فزعوا ؟ فقال : إي والله ! فأمر بدابته فأسرجت ، ثم حمله عليها حتى رده إلى منزله مكرماً .
ثم استدعى بعمر بن عثمان بن عفان - ولم يكن خرج مع بني أمية - فقال له : إنك إن ظهر أهل المدينة قلت : أنا معكم . وإن ظهر أهل الشام قلت : أنا ابن أمير المؤمنين . ثم أمر به فتفتت لحيته بين يديه ، وكان ذا لحية كبيرة .

قال المدائني : وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام ، يقتلون من وجدوا من الناس ، ويأخذون الأموال . فأرسلت سعدى بنت عوف المريّة إلى مسلم بن عقبة تقول له : أنا بنت عمك ، فمر أصحابك ألا يتعرضوا لإبلنا بمكان كذا وكذا ، فقال لأصحابه : لا تبدؤوا إلا بأخذ إبلها أولاً .
وجاءته امرأة فقالت : أنا مولاتك وابني في الأسارى ، فقال : عجّلوه لها ، فضربت عنقه ، وقال : أعطوها رأسه ، أما ترضين ألا يقتل حتى تتكلمي في ابنك ؟!

ووقعوا على النساء حتى قيل : إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج ، فالله أعلم .
قال المدائني : عن أبي قرّة قال : قال هشام بن حسان : ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرّة من غير زوج^(١) .

وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله . وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل ، فلحقه رجل من أهل الشام ، قال : فلما رأيته انتضيت سيفي ، فقصدني ، فلما رأيته صمّ على قتلي ، فشمت سيفي ثم قلت : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنِّي أَصْحَابُ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٩] فلما رأى ذلك قال : من أنت ؟ قلت : أنا أبو سعيد الخدري ، قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم ، فمضى وتركني .

قال المدائني : وجيء إلى مسلم بسعيد بن المسيّب ، فقال له : بايع ، فقال : أباع على سيرة أبي بكر وعمر . فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون ، فخلّى سبيله .
وقال المدائني : عن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التميمي قالا : لما انهزم أهل المدينة يوم الحرّة صاح النساء والصبيان ، فقال ابن عمر : بعثمان وربّ الكعبة .
قال المدائني : عن شيخ من أهل المدينة قال : سألت الزُّهري : كم كانت القتلى يوم الحرّة ؟ قال :

(١) خبر عدد قتلى الحرّة والمبالغة فيها ، وانتهاك أعراض أهل المدينة روايات لا أساس لها ، إنما جاءت متأخرة بدافع حزبي بغض ، وقد قام الأستاذ محمد بن عبد الهادي الشيباني بدراسة معمقة حول هذين الموضوعين وغيرها ، وأثبت بطلان هذه الأكاذيب في كتابه «مواقف المعارضة في خلافة يزيد» ص (٤٣٢ - ٤٤٤) .

سبعمئة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي ، وممن لا أعرف من حُر وعبد وغيرهم عشرة آلاف . قال : وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام .

قال الواقدي وأبو معشر : كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين .

قال الواقدي : عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن عون قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكانوا يسمونه العائد - يعني العائد بالبيت - ويرون الأمر شوري . وجاء خبر الحرّة إلى أهل مكة ليلة مستهل المحرم مع سعيد مولى المِسُور بن مَحْرمة ، فحزنوا حزناً شديداً ، وتأهبوا لقتال أهل الشام .

قال ابن جرير^(١) : وقد رويت قصة الحرّة على غير ما رواه أبو مخنف ، فحدثني أحمد بن زهير ، حدثنا أبي ، سمعت وهب بن جرير ، حدثنا جُويرية ابن أسماء قال : سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته لنا . فلما هلك معاوية وفد إلى يزيد وفد من أهل المدينة ، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - وكان شريفاً فاضلاً سيّداً عابداً - ومعه ثمانية بنين له ، فأعطاه يزيد مئة ألف درهم ، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدمها أتاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا : قد بلغنا أنه أعطاك وأحذاك وأكرمك ! قال : قد فعل ، وما قبلت منه إلا لأتقوى به على قتاله . ثم حضّ الناس فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فبعث إليهم مسلم بن عقبة . وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبّوا فيه زقاً من قطران وغوّروه ، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً ، فلم يستقوا حتى وردوا المدينة ، فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم يُر مثلاً ، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، وكان أميرهم مسلم شديد الوجد ، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير^(٢) من خلفهم في جوف المدينة ، قد أقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدر ، فانهزم الناس ، فكان من أُصيب في الخندق أعظم ممن قتل ، فدخلوا المدينة وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يغطّ نوماً ، فتنبّه ابنه ، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه ، فتقدم فقاتل حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناس للبيعة على أنهم خول^(٣) ليزيد بن معاوية ، ويحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء .

(١) في تاريخه (٤٩٥/٥) .

(٢) كذا في ط ، ومثله في تاريخ الطبري ، ووقع في أ ، ب : النكبة .

(٣) « الخول » : الخدم والعبيد .

وقد روى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد الصمد « من تاريخه » من كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكي : حدثنا الحسين بن الحسن الشكري ، حدثنا الزيّادي ، عن الأصمعي ح وحدثني محمد بن الحارث ، عن المدائني قال : لما قتل أهل الحرّة هتف هاتف بمكة على أبي قُبيس مساء تلك الليلة وابن الزبير جالس يسمع :

قَتَلَ الْخِيَارُ بُنُو الْخِيَا رِذْوُ الْمَهَابَةِ وَالسَّمَا ح
وَالصَّائِمُونَ الْقَائِمُونَ نَ أُولُو الْعِبَادَةِ وَالصَّلَا ح
الْمُهْتَدُونَ الْمُحْسِنُونَ نَ السَّابِقُونَ إِلَى الْفَلَا ح
مَاذَا بِوَأَقِمْ وَالبَقِي عِ مِنَ الْجَحَاجِحَةِ الصُّبَا ح
وَبِقَاعٍ يَثْرَبُ وَيَحْهَنُّ مِنَ النَّوَادِبِ وَالصُّيَا ح

فقال ابن الزبير لأصحابه : يا هؤلاء ! قتل أصحابكم ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون^(١) .

وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام [مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم . وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيد الله بن زياد]^(٢) . وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ، ودوام أيامه من غير منازع ، فعاقبه الله بنقيض قصده ، وحال بينه وبين ما يشتهي ، فقصمه الله قاصم الجبابرة ، وأخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] .

قال البخاري في « صحيحه »^(٣) : حدثنا الحسين بن الحرّيث^(٤) ، حدثنا الفضل بن موسى ، حدثنا الجّعيد ، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، عن أبيها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يكيد أهل المدينة أحدٌ إلّا انماع كما ينماع الملح في الماء » .

وقد رواه مسلم من حديث أبي عبد الله القَرَظَ المدني - واسمه : دينار - عن سعد بن أبي وقاص : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يُريدُ أحدُ المدينة بسوءٍ إلّا أذابه الله في النَّارِ ذوبَ الرَّصَاصِ - أو ذوبَ الملح في الماء » . وفي رواية لمسلم من طريق أبي عبد الله القَرَظَ ، عن سعد وأبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ »^(٥) .

(١) الخبر والشعر في تاريخ ابن عساكر مختصره (٣/ ١٥٦) .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٣) كتاب : فضائل المدينة (١٨٧٧) .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : الحارث . وترجمته في تهذيب الكمال (٦/ ٣٥٨ - ٣٥٩) .

(٥) أخرجه مسلم (١٣٨٦) و(١٣٨٧) في الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا أنس بن عياض ، حدّثنا يزيد بن خُصيفة [عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة]^(١) عن عطاء بن يسار ، عن السائب بن خلّاد : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا »^(٢) .

ورواه النسائي^(٣) من غير وجه ، عن علي بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن يزيد بن خُصيفة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن عطاء بن يسار ، عن [ابن]^(٤) خلّاد ابن منجوف بن الخزرج . . . أخبره ، فذكره .

وكذلك رواه الحميدي ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن يزيد بن خصيفة .

ورواه النسائي أيضاً^(٥) ، عن يحيى بن حبيب بن عربي ، عن حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن مسلم بن أبي مريم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن خلّاد - وكان من أصحاب النبي ﷺ - فذكره .

وقال ابن وهب : أخبرني حَيوة بن شريح ، عن ابن الهاد ، عن أبي بكر ، عن عطاء بن يسار ، عن السائب بن خلّاد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللَّهُ ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »^(٦) .

وقال الدارقطني : حدّثنا علي بن أحمد بن القاسم ، حدّثنا أبي ، حدّثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، حدّثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري ، عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله قالا : خرجنا مع أبينا يوم الحرّة وقد كُفّ بصره فقال : تعس من أخاف رسول الله ﷺ ، فقلنا : يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله ﷺ ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ - وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَنْبِهِ »^(٧) . قال الدارقطني : تفرد به سعيد بن عبد الحميد^(٨) لفظاً وإسناداً .

(١) سقط من الأصول ، واستدرّكته من المسند .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥٥/٤) وهو حديث صحيح .

(٣) في الكبرى رقم (٤٢٦٦) .

(٤) سقطت من المطبوع .

(٥) في الكبرى رقم (٤٢٦٥) .

(٦) هو بمعنى حديث أحمد في المسند (٥٥/٤) الذي تقدم .

(٧) أخرجه الدارقطني في الأفراد كما نص عليه صاحب كنز العمال (٣٣٧٥) . وأخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط برقم (١٠٩٣) .

(٨) في المطبوع : سعد بن عبد العزيز ، خطأ .

وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخّص في لعنة يزيد بن معاوية ، وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين ، وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد . ومنع من ذلك آخرون ، وصنفوا فيه أيضاً لثلاً يجعل لعنة وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة ، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ ، وقالوا : إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً ، والإمام إذا فسق لا يُعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة ، ووقوع الهرج [وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه]^(١) كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا .

وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرّة من مسلم بن عقبة وجيشه ، فرح بذلك فرحاً شديداً ، فإنه كان يرى أنه الإمام وقد خرجوا عن طاعته وأمّروا عليهم غيره ، فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة ، كما أنذرهم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم . وقد جاء في الصحيح : « مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَكُمْ فَأَقْتُلُوهُ كَاتِئاً مَنْ كَانَ »^(٢) .

وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزُبَيْر في وقعة أحد التي يقول فيها :

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْذِرُ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ
حِينَ حَلَّتْ بِقُبَاهِمَ بَرْكَهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلُ
قَدْ قَتَلْنَا الضُّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذْرِ فَاغْتَدَلُ^(٣)

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال :

لَعِبْتُ هَاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا مَلِكُ جَاءَ وَلَا وَخِي نَزَلَ

فهذا إن كان قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين ، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنّ به عليه . وسنذكر ترجمة يزيد بن معاوية قريباً ، وما ذكر عنه ، وما قيل فيه ، وما كان يعانيه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية [فإنه لم يمهل بعد وقعة الحرّة وقتل الحسين

(١) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢) (٦٠) في الإمارة : باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، وأحمد في مسنده (٢٣/٥ - ٢٤) من حديث عرفة بن أسعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون هنات وهنات ، فمن أراد

أن يفرق أمر هذه الأمة وهم جميع فاضربوه بالسيف كاتئاً من كان » .

(٣) تقدم تخريج هذه الأبيات . وهي في ديوان ابن الزُبَيْر (ص ٤٢) .

إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجبابرة قبله وبعده ، إنه كان عليماً قديراً ^(١) .

وقد توفي في هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرّة مما يطول ذكرهم ، فمن مشاهيرهم من الصحابة :

عبدُ الله بن حَنْظَلَة ^(٢) أمير المدينة في وقعة الحرّة .

ومَعْقِلُ بن سِنَان ^(٣) .

وعبدُ الله ^(٤) بن زيد بن عاصم رضي الله عنهم .

وفيها :

مَسْرُوقُ بنُ الأَجْدَع ^(٥) : [كان أبوه الأجدع - واسمه عبد الرحمن بن مالك - أفرس من باليمن .

وقيل : إن مسروقاً كان عاملاً على بعض البلاد ، فلما قدم على أهله نظروا في خُرْجِه فلم يجدوا فيه سوى فأس بلا عود ، فقالوا له : غبت سنتين ثم جئت بفأس بلا عود ؟! فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، تلك فأس استعرناها فنسينا أن نردّها .

وأهدى عامل البصرة إلى مسروق ثلاثين ألفاً ، فأبى أن يقبلها وكان أحوج الناس إليها . ولما ولي القضاء كان لا يأخذ عليه ورقاً .

وكان شريح يستشيرهُ ، وهو لا يستشير شريحاً .

وقام مسروق حتى انتفخت قدماه .

وقد حضر أبا بكر وعمر وعثمان . وروى عن جماعة من الصحابة . وشهد الحكمين .

قال : بحسب امرئ من الجهل أن يُعجب بعمله ، وبحسب المرء من العلم أن يخشى الله .

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٢١) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٥٧٦) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : عبيد الله ، وهو مترجم في السير (٢/٣٧٧) وفيه ثبت بأهم مصادر ترجمته .

(٥) طبقات ابن سعد (٦/٧٦) طبقات خليفة (ت ١٠٦٦) تاريخ خليفة (٢٥١) تاريخ البخاري الكبير (٨/٣٥) ثقات العجلي (٤٢٦)

المعارف (٤٣٢) المعرفة والتاريخ (٢/٥٦٠) الجرح والتعديل (٨/٣٩٦) مشاهير علماء الأمصار (ت ٧٤٦) حلية الأولياء

(٢/٩٥) تاريخ بغداد (١٣/٢٣٢) طبقات الشيرازي (٧٩) أنساب السمعاني (١٢/٣٤٥) تاريخ ابن عساكر (١٦/٢٠٧/ب) أسد

الغابة (٥/١٥٦) تهذيب الأسماء واللغات (١/٨٨) مختصر تاريخ دمشق (٢٤/٢٤٣) تهذيب الكمال (ورقة ١٣٢١) طبقات

علماء الحديث (١/١٠٢) سير أعلام النبلاء (٤/٦٣) تاريخ الإسلام (٣/٧٥) تذكرة الحفاظ (١/٤٩) العبر (١/٦٨) الكاشف

(٣/١٢٠) غاية النهاية (٢/٢٩٤) الإصابة (١٠/٢٥) تهذيب التهذيب (١٠/١٠٩) النجوم الزاهرة (١/١٦١) طبقات الحفاظ

(١٤) خلاصة الخزرجي (٣٧٤) شذرات الذهب (١/٢٨٥) .

وقال : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ جذره من الله .

وقال : لو أتاني آتٍ من ربي - عز وجل - فأخبرني أنه يعذبني لاجتهدت في العبادة لثلاً ألوم نفسي إن دخلت جهنم ، أما بلغك من قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة : ٢] إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم واعتنقتهم الزبانية ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، وانقطعت عنهم الأمانى ، ورُفعت عنهم الرحمة ، وأقبل كل امرئٍ منهم يلوم نفسه .

قال الإمام أحمد : حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع . وكان يصلي حتى تورم قدماه .

وقال : إن أحسن ما أكون ظناً بربي حين يقول الخادم : ليس في البيت قفيز ولا درهم .

وقال : إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذكر ذنوبه ، فيستغفر الله منها .

قال ابن مرثد : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم مسروق .

وقد قالت امرأة مسروق : ما كان يوجد إلا وساقاه قد انتفختا من طول الصلاة .

ولما احتضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : ومالي لا أبكي وإنما هي هدة ثم لا أدري أين يسلك بي بين يدي طريقين لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

وكان صائماً في يوم حار ، فغشي عليه ، فقالت له ابنته : أفطر ، فقال لها : ما أردت بي ؟ قالت : الرفق ، قال : إنما أطلب الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ^(١) .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ففيها - في أول المحرم منها - سار مسلم بن عقبة إلى مكة قاصداً قتال ابن الزبير ومن التف عليه من الأعراب على مخالفة يزيد بن معاوية ، واستخلف على المدينة رُوح بن زباع ، فلما بلغ ثنية هَرَشَى ^(٢) بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهم فقال : إن أمير المؤمنين عهد إليّ إن حدث بي حادث الموت أن أستخلف عليكم حُصين بن نمير السَّكوني ، والله لو كان الأمر إليّ ما فعلت . ثم دعا به فقال : انظر يا بن بردعة ^(٣) الحمار فاحفظ ما أوصيك به ، ثم أمره إذا وصل مكة أن يناجز ابن الزبير قبل ثلاث . ثم قال : اللهم إني لم أعمل عملاً قط - بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - أحب إليّ من قتل أهل

(١) انفردت النسخة (أ) بهذه الترجمة ، ولم يرد في ط ، ب إلا اسم مسروق على أنه توفي في هذه السنة .

(٢) رسمت هذه اللفظة في الأصول وتاريخ الطبري (٤٩٦/٥) : بالمد (هرشا) . وقد قيدها ياقوت في معجمه (٣٩٧/٥) بالقصر (هرشى) وقال : هي ثنية في طريق مكة قريبة من الجُحفة ، يرى منها البحر .

(٣) البردعة - بالبدال والذال - الحلس .

المدينة وأجزى عندي في الآخرة ، وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي . ثم مات - قبحه الله - ودفن بالْمُشَلَّل (١) (٢) .

وسار حُصَيْن بن نمير بالجيش نحو مكة ، فانتهى إليها لأربع بقين من المحرم - فيما قاله الواقدي - وقيل : لسبع مضي من . وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشراف المدينة ، وانضاف إليه أيضاً نَجْدَةُ بن عامر الحنفي - من أهل اليمامة - في طائفة من أهلها ليمنعوا البيت من أهل الشام . فنزل حُصَيْن بن نمير ظاهر مكة ، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن التف معه ، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ، وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام ، فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة صادقة ، فانكشف أهل مكة ، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به ، فكَرَّ عليه المِسُور بن مَخْرَمَة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة ، فقاتلوا دونه حتى قُتِلوا جميعاً ، وصابرهم ابن الزبير حتى الليل ، فانصرفوا عنه ، ثم اقتتلوا في بقية شهر المحرم وصفرأ بكماله ، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورموها بالنار ، فاحترق جدار الكعبة في يوم السبت - هذا قول الواقدي - وهم يقولون :

خَطَّارَةٌ مِثْلَ الْفَنَيْقِ (٣) الْمُزْبِدِ تَرْمِي بِهَا جُدْرَانُ هَذَا الْمَسْجِدِ

وجعل عمرو بن حوطة السدوسي يقول :

كَيْفَ تَرَى صَنِيعَ أُمَّ فَرْوَةَ تَأْخُذُهُمْ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ (٤)

وأُمُّ فَرْوَة : اسم المنجنيق .

وقيل : إنما احترقت لأن [أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة ، فعلمت النار في بعض أستار الكعبة ، فسرت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت . وقيل : إنما احترقت لأن] (٥) ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء ، فظن أنهم أهل الشام ، فرفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل ، فأطارت الريح شَرَرَةً من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من

(١) تحرفت في المطبوع إلى : المسلك . والمشلل كما في معجم ياقوت (١٣٦/٥) : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر .

(٢) وجاء بعد هذا في ط : « ثم أتبعه الله بيزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه ، فما متعهما الله بشيء مما رجوه وأملوه ، بل قهرهم القاهر فوق عباده ، وسلبهم الملك ، ونزعه منهم من ينزع الملك ممن يشاء » وهو ليس في النسخ المعتمدة ومنها ب وم ، وهو كلام مقحم .

(٣) تحرفت في أ ، ط إلى : الفتيق وشرحها على ذلك محققو طبعة دار الكتب العلمية . « والفتيق » : هو الفحل المكرم من الإبل . اللسان (خطر ، فتق) .

(٤) الخبر والرجز في تاريخ الطبري (٤٩٧/٥ - ٤٩٨) وأيضاً في ابن الأثير (٤/١٢٣ - ١٢٤) .

(٥) ما بين حاصرتين ليس في ب .

الكعبة ، فعُلقت في أَسْتارها وأخشابها فاحترقت ، واسودَّ الركنُ وانصدعَ في ثلاثة أمكنة منه .

واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر ، وجاء الناسُ نعيُّ يزيد بن معاوية ، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو ابن خمس - أو ثمان أو تسع - وثلاثين سنة ، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة - أو ثمانية - أشهر ، فغلب أهل الشام هنالك وانقلبوا صاغرين ، فحينئذٍ خمدت الحرب وطفئت نار الفتنة . ويقال : إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد نحو أربعين ليلة . ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام ، فنادى فيهم : يا أهل الشام ! قد أهلك الله طاغيتكم ، فمن أحبَّ منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل ، ومن أحب أن يرجع إلى شامه فليرجع . فلم يصدق الشاميون أهل مكة فيما أخبروهم به ، حتى جاء ثابت بن قيس بن القيقع^(١) بالخبر اليقين .

ويذكر أن حصين بن نمير دعاه ابن الزبير ليحدثه بين الصَّفَّين ، فاجتمعا حتى اختلفت رؤوس فرسيهما ، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفُّها ، فقال له ابن الزبير : مالك ؟ فقال : إن الحمام تحت رجلي فرسي تأكل الروث فأكره أن أطأ حمام الحرم . فقال له : تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين ؟! فقال له حصين : فائذن لنا فلننظف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا ، فأذن لهم ، فطافوا .

وذكر ابن جرير^(٢) : أن حصيناً وابن الزبير اتَّعدا ليلة أن يجتمعا ، فاجتمعا بظاهر مكة ، فقال له حصين : إن كان هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر بعده ، فهلَمَّ فارحل معي إلى الشام ، فوالله لا يختلف عليك اثنان . فيقال : إن ابن الزبير لم يثق منه بذلك ، وأغلظ له في المقال ، فنفر منه ابن نمير وقال : أنا أدعوه إلى الخلافة وهو يغلظ لي في المقال ؟! ثم كَرَّ بالجيش راجعاً إلى الشام ، وقال : أعداه بالملك ويتوعدني بالقتل ؟! ثم ندم ابن الزبير على ما كان منه إليه من الغلظة ، فبعث إليه يقول له : أما الشام فلستُ آتيه ، ولكن خذ لي البيعة على من هنالك ، فإني أوْمنكم ، وأعدل فيكم . فبعث إليه يقول له : إن من يبتغي من أهل هذا البيت بالشام لكثير . ورجع فاجتاز بالمدينة ، فطمع فيه أهلها ، وأهانوهم إهانة بالغة ، وأكرمهم علي بن الحسين (زين العابدين) وأهدى لحصين بن نمير قَتاً^(٣) وعلفاً . وارتحلت بنو أمية مع الجيش إلى الشام ، فوجدوا معاوية بن يزيد بن معاوية قد استُخلف مكان أبيه بدمشق عن وصية من أبيه له بذلك ، والله سبحانه أعلم .

(١) كذا في الأصول . وفي تاريخ الطبري (٥٠١/٥) : المنقَع .

(٢) في تاريخه (٥٠٢/٥ - ٥٠٣) مع اختلاف ببعض الألفاظ .

(٣) « القَت » : الفصْفصة ، وهي الرطبة من علف الدواب .

وهذه ترجمة يزيد بن معاوية^(١)

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر^(٢) بن حَرْب بن أمية بن عبد شمس ، أمير المؤمنين ، أبو خالد الأموي . ولد سنة خمس - أو ست ، أو سبع - وعشرين ، وبويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعده ، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين ، فاستمرّ متولياً إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين . وأمه : ميسون بنت بحدل^(٣) بن أنيف بن دُلجة بن قُنافه^(٤) بن عديّ بن زهير بن حارثة الكلبي .

روى عن أبيه معاوية : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »^(٥) . وحديثاً آخر في الوضوء .

وعنه ابنه خالد ، وعبد الملك بن مروان .

وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة - وهي العليا - وقال : له أحاديث .

وكان كثير اللحم ، عظيم الجسم ، كثير الشعر ، جميلاً ، طويلاً ، ضخماً الهامة ، محدد الأصابع غليظها ، مجدراً .

وكان أبوه قد طلق أمّه وهي حامل به ، فرأت في المنام أنه خرج منها قمر من قُبْلِها ، فقَصَّت رؤياها على أمها ، فقالت : إن صدقت رؤياك لتلدن من يُبايع له بالخلافة .

وجلسَت أمّه ميسون يوماً تمشطه وهو صبي صغير ، وأبوه مع زوجته الحظية عنده في المنظر - وهي فاختة بنت قَرْظَة - فلما فرغت من مَشْطِه نظرت أمه إليه فأعجبها ، فقَبَلت بين عينيه ، فقال معاوية عند ذلك :

(١) نسب قريش (١٢٧) المعارف (٣٥١) تاريخ يعقوبي (٢/٢١٥) الأخبار الطوال : (الفهرس) تاريخ الطبري (٤٩٩/٥) العقد الفريد : (الفهرس) مروج الذهب (٣/٦٣ ، ٧٥) الأغاني (١٧/٢٠٩) جمهرة الأنساب (١٠٣) تاريخ ابن عساكر (١٨/١٩٥/آ) الكامل في التاريخ (٤/١٢٥) منهاج السنة (٢/٢٣٧) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/١٨) تاريخ الإسلام (٣/٩١) العبر (١/٦٩) سير أعلام النبلاء (٤/٣٥) ميزان الاعتدال (٤/٤٤٠) فوات الوفيات (٤/٣٢٧) تهذيب التهذيب (١١/٣٦٠) لسان الميزان (٦/٢٩٣) تاريخ الخلفاء (٣٢٥) القلائد الجوهريّة (٢٦٢) تاريخ الخميس (٢/٣٠٠) شذرات الذهب (١/٢٨٦) رغبة الأمل (٤/٨٣ و ٥/١٢٩) .

(٢) في ط : « بن صخر » ، خطأ .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : مخول .

(٤) في ط : « نفائة » ، وهو تحريف . ينظر نسب قريش (ص ١٢٧) وترجمة ميسون من تاريخ دمشق (٧٠/١٣٠) .

(٥) رواه ابن عساكر من طريق يزيد ، وهو في مختصره (٢٨/١٨) وهو في الصحيحين من غير طريقه ، في البخاري رقم (٧١) ومسلم رقم (١٠٣٧) ومن طرق أخرى عندهما .

إِذَا مَاتَ لَمْ تُفْلَحْ مُزَيْنَةُ بَعْدَهُ فَنُوطِي عَلَيْهِ يَا مُزَيْنُ التَّمَائِمَا^(١)

وانطلق يزيد يمشي وفاخحة تُتبعه بصرها ثم قالت : لعن الله سواد ساقي أمك . فقال معاوية : أما والله إنه لخير من ابنك عبد الله - وهو ولده منها ، وكان أحق - فقالت فاخحة : لا والله ، ولكنك تؤثر هذا عليه ، فقال : سوف أبين لك ذلك حتى تعرفيه قبل أن تقومي من مجلسك هذا ، ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له : إنه قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا ، فقال : حاجتي أن تشتري لي كلباً فارهاً وحماراً ، فقال : يا بني ! أنت حمار ويشتري لك حمار ؟! قم فاخرج . ثم قال لأمه : كيف رأيت ؟! ثم استدعى بيزيد فقال : إني قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا ، فسألني ما بدا لك . فخرّ يزيد ساجداً ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة وأراه في هذا الرأي ، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك ، وتوليّني العام صائفة المسلمين ، وتأذن لي في الحج إذا رجعت ، وتوليّني الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل في عطائه ، وتجعل ذلك بشفاعتي ، وتفرض لأيتام بني جُمح ، وأيتام بني سهم ، وأيتام بني عدي . فقال : مالك ولأيتام بني عدي ؟ فقال : لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى داري . فقال معاوية : قد فعلت ذلك كله . وقبّل وجهه ثم قال لفاخحة بنت قرظة : كيف رأيت ؟! فقالت : يا أمير المؤمنين ! أوصه بي فأنت أعلم به مني . ففعل .

وفي رواية : أن يزيد لما قال له أبوه : سلني حاجتك ، قال له يزيد : اعتقني من النار أعتق الله رقبتك منها ، قال : وكيف ؟ قال : إني وجدت في الأثر أنه « مَنْ تَقَلَّدَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » فاعهد إليّ من بعدك . ففعل^(٢) .

وقال العتبي : رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً له ، فقال له : اعلم أن الله أقدر عليك منك عليه ، سوء لك ! أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك ؟ والله لقد منعني القدرة من الانتقام من ذوي الإحن ، وإن أحق من عفا لمن قدر .

قلت : وقد ثبت في الصحيح : أن رسول الله ﷺ رأى أبا مسعود يضرب غلاماً له ، فقال : « اعلم أبا مسعود الله أقدر عليك منك عليه »^(٣) .

قال العتبي : وقدم زياد بأموال كثيرة وبسقط مملوء جواهر على معاوية ، فسُرَّ بذلك معاوية ، فقام

(١) البيت في نسب قريش (١٢٧) والأغاني (٢١١/١٧) ومختصر تاريخ دمشق (١٩/٢٨) واللسان مادة (تم) .

(٢) الخبر بطوله في تاريخ ابن عساكر مختصره (٢٨/٢٠-٢١) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/١٢٠) ومسلم (١٦٥٩) في الإيمان : باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده ، وأبو داود (٥١٦٠) في الأدب : باب في حق المملوك ، والترمذي (١٩٤٨) في البر والصلة : باب النهي عن ضرب الخدم وشتهم .

زيد فصعد المنبر ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية ، فقام يزيد فقال : إن تفعل ذلك - يا زiad - فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قریش ، ومن القلم إلى المنابر ، ومن زiad بن عُبید إلى حرب بن أمية . فقال له معاوية : اجلس فذاك أبي وأمي .

وعن عطاء بن السائب قال : غضب معاوية على ابنه يزيد ، فهجره ، فقال له الأحنف بن قيس : يا أمير المؤمنين ! إنما هم أولادنا ، ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهورنا ، ونحن لهم سماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، إن غضبوا فأرضهم ، وإن طلبوا فأعطهم ، ولا تكن عليهم ثقلًا فيملؤا حياتك ويتمنؤا موتك . فقال معاوية : لله دُرُك يا أبا بحر ! يا غلام انت يزيد فأقره مني السلام وقل له : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمئة ألف درهم ومئة ثوب . فقال يزيد : من عند أمير المؤمنين ؟ فقال : الأحنف ، فقال يزيد : لا جرم لأفاسمته ! فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفاً وخمسين ثوباً^(١) .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، حدثنا ابنُ عائشة ، عن أبيه قال : كان يزيدُ في حديثه صاحبَ شراب ، يأخذ مأخذ الأحداث ، فأحسَّ معاويةُ بذلك ، فأحبَّ أن يعظه في رفق ، فقال : يا بني ! ما أقدركَ على أن تصلَ إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك ، ويشمت بك عدوك ، ويسيء بك صديقك . ثم قال : يا بني ! إني منشذك أبياتاً فتأدب بها واحفظها ! فأنشده :

انصبَ نهراً في طَلابِ العُلا	واصبِرْ على هَجْرِ الحَبِيبِ القَرِيبِ
حتَّى إذا اللَّيْلُ أتى بالدُّجى	واكتحلْتُ بالغمُضِ عينُ الرَّقِيبِ
فباشرِ اللَّيْلَ بما تشتهي	فإنَّما اللَّيْلُ نهارُ الأَرِيبِ
كم فاسقٍ تحسُّبه ناسِكاً	قد باشرَ اللَّيْلَ بأمرٍ عَجِيبِ
غَطَّى عليه اللَّيْلُ أَسْتارَهُ	فباتَ في أَمْنٍ وعيشٍ خَصِيبِ
ولذَّةُ الأحمقِ مكشُوفَةٌ	يسعى بها كلُّ عدوٍّ مُرِيبِ ^(٢)

قلت : وهذا كما جاء في الحديث : « مَنْ ابْتَلِيَ بشيءٍ من هذه القاذوراتِ فليستَرِ بسترَ الله عزَّ وجلَّ »^(٣) .

(١) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/٢٢) وقد أورده صاحب العقد الفريد (٢/٤٣٧) وفيه : أنه أمر له بمئتي ألف درهم ومئتي

ثوب ، فبعث يزيد إلى الأحنف بمئة ألف ومئة ثوب - شاطره إياها .

(٢) الخبر والأبيات في مختصر تاريخ دمشق (٢٨/٢٢ - ٢٣) .

(٣) أخرجه الطحاوي في شرح المشكل (٩١) و(٩٢) ، والحاكم (٤/٢٤٤) و(٣٨٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى

(٨/٣٣٠) بإسناد قوي . ورواه مالك في الموطأ (٢٣٨٦) برواية الليثي بتحقيق الدكتور بشار عن زيد بن أسلم

مرسلاً .

وروى [الواقدي و ^(١) المدائني] : أن ابن عباس وفد إلى معاوية ، فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رَحَّب به وأكرمه ، وجلس عنده بين يديه ، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه ، فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزي لا المهني ، ثم ذكر الحسن فقال : رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها ، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاك ، وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب حلما ^(٢) الناس . ثم أنشد متمثلاً :

مَغَاضٍ عَنِ الْعَوْرَاءِ لَا يَنْطَقُونَهَا وَأَهْلُ وِرَاثَاتِ الْحُلُومِ الْأَوَائِلِ ^(٣)

وقد كان يزيد أول من غزا مدينة قُسْطَنْطِينِيَّة في سنة تسع وأربعين - في قول يعقوب بن سفيان . وقال خليفة بن خياط ^(٤) : سنة خمسين . ثم حج بالناس في تلك السنة بعد مرجعه من هذه الغزوة من أرض الروم . وقد ثبت في الحديث : أن رسول الله ﷺ قال : « أول جيش يَغْزُو مدينةَ قَيْصَرٍ مغفورٌ لهم » ^(٥) . وهو الجيش الثاني الذي رآه رسول الله ﷺ في منامه عند أمِّ حرام ، فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ » . يعني : جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها في سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان ، وكانت معهم أمِّ حرام فماتت هنالك بقبرص ، ثم كان أمير الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية ، ولم تدرك أمِّ حرام جيش يزيد هذا . وهذا من أعظم دلائل النبوة .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر هاهنا الحديث الذي رواه محاضر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن ^(٦) عبيدة ، عن عبد الله : أن رسول الله ﷺ قال : « خيرُ النَّاسِ قَرْزِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ » ^(٧) .

وكذلك رواه عبد الله بن شقيق ^(٨) ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ مثله .

-
- (١) سقط من المطبوع .
 - (٢) كذا في ب ومثله في مختصر تاريخ دمشق . والذي في أ ، ط : علماء .
 - (٣) الخبر والبيت في مختصر تاريخ دمشق (٢٣/٢٨) .
 - (٤) في تاريخه (ص ٢١١) .
 - (٥) أخرجه البخاري في الجهاد : ٩٣ برقم (٢٩٢٤) . وقد تقدم في أول هذا الجزء .
 - (٦) تحرفت في أ ، ط إلى : بن .
 - (٧) تمامه : « ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » . وقد أخرجه البخاري : من طريق أخرى عن الأعمش رقم (٦٤٢٩) ، ومسلم (٢٥٣٣) من طريق أخرى عن منصور في فضائل الصحابة .
 - (٨) تحرف في المطبوع إلى : شقيق .

ثم أورد من طريق حمّاد بن سلمة ، عن أبي محمد ، عن زُرارة بن أوفى قال : القرن عشرون ومئة سنة ، فُبِعث رسول الله ﷺ في قرن وكان آخره موت يزيد بن معاوية .

قال أبو بكر بن عياش : حج بالناس يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين ، واثنين وخمسين ، وثلاث وخمسين .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا أبو كُريب ، حدّثنا رشدين [عن] عمرو بن الحارث ، عن بُكير^(١) بن الأشج : أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلاً إن وليت ؟ قال : يمتّع الله بك يا أمير المؤمنين ! قال : لتخبرني ، قال : كنتُ - والله يا أبة - عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بني ! والله لقد جهدتُ على سيرة عثمان بن عفان فما أطقتها ، فكيف بك وسيرة عمر^(٢) ؟!

وقال الواقدي : حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرَة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلّى قال : قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت : يا يزيد ! اتقِ الله فقد وطّأتُ لك هذا الأمر ، ووليت من ذلك ما وليت ، فإن يك خيراً فأنا أسعد به ، وإن كان غير ذلك شقيت به ، فارقُ بالناس ، وأغمض عما بلغك من قول تؤذى به وتتنقص به ، وطأً عليه يهنك عيشك ، وتصلح لك رعيتك ، وإياك والمناقشة وحمل الغضب ، فإنك تهلك نفسك ورعيتك ، وإياك وجفوة^(٣) أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم ، ولن لهم ليناً لا يري منك ضعفاً ولا خوراً ، وأوطئهم فراشك ، وقربهم إليك ، وأدبهم منك ، فإنهم يعلمون لك حقك ، ولا تُهنهم ولا تستخفّ بحقهم فيهنوك ويستخفّوا بحقك ويقعوا فيك . فإذا أردت أمراً فادع أهل السنّ والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى ، فشاؤزهم ولا تخالفهم . وإياك والاستبدادَ برأيك ، فإن الرأي ليس في صدر واحد ، وصدّق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف ، واخزن ذلك عن نساءك وخدمك ، وشمر إزارك ، وتعاهد جندك ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، لا تدع لهم فيك مقالاً ، فإن الناس سراع إلى الشرّ . واحضر الصلاة ، فإنك إذا فعلت ما أوصيك به عرف الناس لك حقك ، وعظمت مملكتك ، وعظمت في أعين الناس . واعرف شرف أهل المدينة ومكة ، فإنهم أصلك وعشيرتك . واحفظ لأهل الشام شرفهم ، فإنهم [أنصارك وحمائك وجندك الذين بهم تصل إلى]^(٤) أهل طاعتك . واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعدّهم فيه منك بالمعروف ، فإن ذلك يبسط آمالهم . وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم ، وأكرمهم فإنهم

(١) في المطبوع : عن أبي بكير وفي ب عن بكر وكلاهما خطأ . وبكير بن الأشج : هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشي . من رجال التهذيب .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٨/٢٥) .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : خيرة .

(٤) سقط من ط .

لمن وراءهم . ولا تسمعن قول قاذف ولا ما حل^(١) ، فإنني رأيتهم وزراء سوء^(٢) .

ومن وجه آخر : أن معاوية قال ليزيد : إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه ، قال : ومن هو ؟ قال : عبد الله بن جعفر . فلما وفد بعد موت معاوية على يزيد أضعف جائزته التي كان معاوية يعطيه إياها ، وكانت جائزته على معاوية ستمئة ألف ، فأعطاه يزيد ألف ألف ، فقال له : بأبي أنت وأمي ، فأعطاه ألف ألف أخرى ، فقال له ابن جعفر : والله لا أجمع أبوي لأحد بعدك . ولما خرج ابن جعفر من عند يزيد - وقد أعطاه ألفي ألف - رأى على باب يزيد بَخَاتِي^(٣) مبركات قد قدم عليها هدية من خراسان ، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد ، فسأله منها ثلاث بَخَاتِي ليركب عليها إلى الحج والعمرة وإذا وفد إليه ، فقال يزيد للحاجب : ما هذه البَخَاتِي التي على الباب ؟ - ولم يكن شعر بها - فقال : يا أمير المؤمنين ! هي أربعمئة بُخْتِيَّة جاءتنا من خراسان تحمل أنواع الألفاظ - وكان عليها أنواع من الأموال كلها - فقال : اصرفها إلى أبي جعفر بما عليها . فكان عبد الله بن جعفر يقول : أتلمومني على حسن الرأي في هذا ؟! يعني : يزيد^(٤) .

وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك . وكان ذا جمال ، حسن المعاشرة . وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني : أن الوليد بن قيس حدثه : أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة وأتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً^(٥) » ، ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم . ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ، ومنافق ، وفاجر^(٦) . [قال بشير]^(٦) : فقلت للوليد : ما هؤلاء الثلاثة ؟ فقال : المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به . تفرد به أحمد^(٧) .

(١) « الماحل » : الماكر .

(٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/٢٨) .

(٣) « البخاتي » : جمال طوال الأعناق خراسانية . يقال : جمل بُخْتِي ، وناقاة بُخْتِيَّة .

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/٢٨ - ٢٧) .

(٥) وقعت هذه اللفظة في المطبوع : عيّا ثم شرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية بقولهم : عيّا : كلاً وتعباً وضلال . قلت : لا يخفى على متعلم أن لفظ هذه العبارة متفق مع الآية ٥٩ من سورة مريم ، وقد قال المفسرون : « الغي » : واد - أو نهر - في جهنم أعده الله للغاوين . كما قيل : معناه : فسوف يلقون مجازاة غيهم . اللسان : مادة (غوي) .

(٦) سقط من المطبوع .

(٧) وهو في مسنده (٣٨/٣ - ٣٩) وأخرجه ابن حبان رقم (٧٥٥) والحاكم (٣٧٤/٢) وهو حديث حسن .

وقال الحافظ أبو يعلى : حَدَّثَنَا زهير بن حرب ، حَدَّثَنَا الفضل بن دُكين ، حَدَّثَنَا كامل أبو العلاء ، سمعت أبا صالح ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ سَنَةِ سَبْعِينَ ، وَمِنْ إِمَارَةِ الصَّبِيَّانِ »^(١) .

وروى الزبير بن بكار ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : أنه قال في يزيد بن معاوية :

لَسْتُ مَنَّا وَلَيْسَ خَالُكَ مَنَّا يَا مُضِيعَ الصَّلَاةِ لِلشَّهَوَاتِ^(٢)

قال : وزعم بعض الناس أن هذا الشعر لموسى بن يسار ، ويعرف بموسى شهوات .

وروي عن عبد الله بن الزبير : أنه سمع جارية له تغني بهذا البيت ، فضربها وقال : قولي :

أَنْتَ مَنَّا وَلَيْسَ خَالُكَ مَنَّا يَا مُضِيعَ الصَّلَاةِ لِلشَّهَوَاتِ

وقال الحافظ أبو يعلى : حَدَّثَنَا الحكم بن موسى ، حَدَّثَنَا يحيى بن حمزة ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي عبيدة : أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِمًا بِالْقِسْطِ حَتَّى يَثْلِمَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ يَقَالُ لَهُ : يَزِيدُ » . وهذا منقطع بين مكحول وأبي عبيدة ، بل معضل .

وقد رواه ابن عساكر من طريق صدقة بن عبد الله الدمشقي ، عن هشام بن الغاز ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الحُشني ، عن أبي عبيدة ، عن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ حَتَّى يَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَثْلِمُهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ يَقَالُ لَهُ : يَزِيدُ » . ثم قال : وهو منقطع أيضاً بين مكحول وأبي ثعلبة .

وقال أبو يعلى : حَدَّثَنَا عثمان بن أبي شُيبة ، حَدَّثَنَا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن عوف ، عن خالد بن أبي المهاجر ، عن أبي العالية قال : كُنَّا مَعَ أَبِي ذَرٍّ بِالشَّامِ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَوَّلُ مَنْ يَغْيِرُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ » .

ورواه ابن خزيمة ، عن بُنْدَارٍ ، عن عبد الوهاب بن عبد المجيد ، عن عوف : حَدَّثَنَا مهاجر بن أبي مخلد ، حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ ، حَدَّثَنِي أَبُو مُسْلِمٍ ، عن أبي ذرٍّ . فذكر نحوه . وفيه قصة وهي : أن أبا ذرٍّ كان في غزاة عليهم يزيد بن أبي سفيان ، فاغتصب يزيد من رجل جارية ، فاستعان الرجل بأبي ذرٍّ على يزيد أن يردها عليه ، فأمره أبو ذرٍّ أن يردها عليه ، فتلكأ ، فذكر أبو ذرٍّ له الحديث ، فردّها ، وقال يزيد لأبي ذرٍّ : نشدتك بالله أهو أنا ؟ قال : لا .

(١) ورواه أحمد في المسند (٣٢٦/٢) وإسناده ضعيف .

(٢) البيت مع بيت آخر في الأخبار الطوال (ص ٢٦٥) .

وكذا رواه البخاري في « التاريخ » ، وأبو يعلى عن محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب . ثم قال البخاري : والحديث معلول ، ولا يعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب . قال : وقد مات يزيد بن أبي سفيان زمن عمر ، فولّى مكانه أخاه معاوية . وقال عباس الدوري : سألت ابن مَعين : أسمع أبو العالية من أبي ذر ؟ قال : لا ، إنما يروي عن أبي مسلم عنه ، قلت : فمن أبو مسلم هذا ؟ قال : لا أدري .

وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلّها موضوعة لا يصح شيء منها ، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه ، والله أعلم .

قال الحارث بن مسكين : عن سفيان ، عن شبيب بن عَرْقَدَة ، عن المستظل^(١) قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قد علمتُ - وربّ الكعبة - متى تهلكُ العرب ، إذا ساسَهم من لم يدرك الجاهليّة ولم يكن له قدم في الإسلام .

قلت : يزيد بن معاوية أكثر مانّقم عليه في عمله شربُ الخمر وإتيان بعض الفواحش ، فأما قتل الحسين فإنه - كما قال جده أبو سفيان يوم أحد - لم يأمر بذلك ولم يسوّه . وقد قدّمنا أنه قال : لو كنت أنا لم أفعل معه ما فعله ابن مَرْجَانَة - يعني : عبيد الله بن زياد - وقال للرسول الذين جاؤوا برأسه : قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا . ولم يعطهم شيئاً ، وأكرم آل بيت الحسين ، وردّ عليهم جميع ما فقد لهم وأضعافه ، وردّهم إلى المدينة في محامل وأبهة عظيمة ، وقد ناح أهله في منزله على الحسين - حين كان أهل الحسين عندهم - ثلاثة أيام . وقد قيل : إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ، ثم ندم على ذلك . فقال أبو عبيدة مَعمر بن المثنى : إن يونس بن حبيب الجَرْمي حدثه قال : لما قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث برؤوسهم إلى يزيد ، فسُرّ بقتلهم أولاً ، وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده ، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم ، فكان يقول : وما كان عليّ لو احتملتُ الأذى وأنزلته في داري ، وحكمته فيما يريد ، وإن كان عليّ في ذلك وَكَفَ^(٢) ووهن في سلطاني حفظاً لرسول الله ﷺ ورعايةً لحقّه وقرابته ؟! ثم يقول : لعن الله ابن مَرْجَانَة ، فإنه أخرجّه واضطرّه ، وقد كان سأله أن يخلي سبيله ، أو يأتيني ، أو يكون بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله ، فلم يفعل ، بل أبى عليه وقتله ، فبَغْضني بقتله إلى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ، فأبغضني البرّ والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً . مالي ولا ابن مَرْجَانَة ؟! لعنه الله وغضب عليه .

(١) تحرف هذا السند في الأصول إلى : ... عن شبيب ، عن عرقدة بن المستظل . الجرح والتعديل (٤/٣٥٧) و(٨/٤٢٩) ، وتهذيب الكمال (١٢/٣٧٠) .

(٢) « الوكف » : الإثم .

ولما خرج أهل المدينة عن طاعة يزيد وخلعوه وولّوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة ، لم يذكروا عنه - وهم أشد الناس عداوة له - إلا ما ذكروه عنه من شربه الخمر وإتيانه بعض القاذورات . لم يتَّهموه بزندقه كما يقذفه بذلك بعض الروافض ، بل قد كان فاسقاً ، والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة [ووقوع الهَرْج كما وقع زمن الحرّة ، فإنه بعث إليهم من يردّهم إلى الطاعة ، وأنظرهم ثلاثة أيام ، فلما لم يرجعوا قاتلهم]^(١) . وقد كان في قتال أهل الحرّة كفاية ، ولكنه تجاوز الحدّ بإباحة المدينة ثلاثة أيام ، فوقع بسبب ذلك شرٌّ عظيم كما قدّمنا .

وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات من أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد ، ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد . قال الإمام أحمد^(٢) : حدّثنا إسماعيل بن عليّة ، حدّثني صخر بن جويرية ، عن نافع قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابنُ عمر بنيه وأهلّه ، ثم تشهّد ، ثم قال : أما بعد ، فإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ » وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشراك بالله - أن يبايع رجلٌ رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته ، فلا يخلعن أحدٌ منكم يزيد ، ولا يسرفن أحدٌ منكم في هذا الأمر فيكون الصَّيْلَمُ^(٣) بيني وبينه .

وقد رواه^(٤) مسلم^(٥) والترمذي^(٦) من حديث صخر بن جويرية . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، عن صخر بن جويرية ، عن نافع ، عن ابن عمر . . فذكر مثله^(٧) .

ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد ابن الحنفية ، فأرادوه

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ .

(٢) مسند أحمد (٤٨/٢) .

(٣) كذا وردت هذه اللفظة في أ ، ب ، وهي كذلك في مسند أحمد . ووقعت في المطبوع : الفیصل ثم شرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية بقولهم : الفیصل : من أسماء السيف .

قلت : كلا اللفظين - الفیصل والصیلم - بمعنى واحد ، وهو القطيعة التامة أو المنكرة ، كما شرحه ابن الأثير في النهاية (٤٩/٣ ، ٤٥٢) .

(٤) يعني متن الحديث الوارد خلال كلام نافع .

(٥) برقم (١٧٣٥) في الجهاد والسير : باب تحريم الغدر .

(٦) برقم (١٥٨١) في السير : باب ما جاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة ورواه البخاري رقم (٧١١١) من طريق أيوب عن نافع به .

(٧) ورد في هامش النسخة أ ما نصه : ورواه البخاري في كتاب الفتن (٧١١١) عن سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع . . . بنحوه .

على خلع يزيد ، فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيت موافقاً على الصلاة ، متحرّياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة . قالوا : فإن ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر لي الخشوع ؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلو كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه ، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال : ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] ولست من أمركم في شيء . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك ، فنحن نوليكم أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ماتريدوني عليه تابِعاً ولا متبوعاً . قالوا : قد قاتلت مع أبيك ! قال : جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه . فقالوا : فمر ابنك أبا هاشم ^(١) والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحضُّ الناس فيه على القتال . قال : سبحان الله ! أمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه ؟! إذا ما نصحت لله في عباده . قالوا : إذا نكرهك . قال : إذا أمر الناس بتقوى الله ، وألا يُرضوا المخلوق بسخط الخالق . وخرج إلى مكة .

وقال أبو القاسم البغوي : حدَّثنا مصعب الزبيري ، حدَّثنا ابن أبي حازم ، عن هشام ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن ابن عمر دخل - وهو معه - على ابن مطيع ، فلما دخل عليه قال : مرحباً بأبي عبد الرحمن ، ضعوا له وسادة . فقال : إنما جئتكم لأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ نَزَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ ، وَمَنْ مَاتَ مُفَارِقَ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » .

وهكذا رواه مسلم ^(٢) من حديث هشام بن سعد ، عن زيد ، عن أبيه ، عن ابن عمر به . وتابعه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه .

وقد رواه الليث ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر . . . فذكره .

وقال أبو جعفر الباقر : لم يخرج أحدٌ من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحرّة ، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرم أبي ، وأدنى مجلسه ، وأعطاه كتاب أمان .

وروى المدائني : أن مسلم بن عقبة بعث رَوْح بن زنباع إلى يزيد ببشارة الحرّة ، فلما أخبره بما وقع قال : واقوماه ، ثم دعا الضحّاك بن قيس الفهري فقال له : ترى ما لقي أهل المدينة ، فما الذي يجبرهم ؟ قال : الطعام والأعطية ، فأمر بحمل الطعام إليهم ، وأفاض عليهم أعطيته .

(١) وقع في أ ، ط : أبا القاسم وهو خطأ .

(٢) برقم (١٨٥١) (٥٨) في الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض عنه من أنه شمت بهم ، واشتفى بقتلهم ، وأنه أشد ذاكراً وآثراً
شعر ابن الزبير المتقدم ذكره .

وقال أبو بكر محمد بن خلف بن المَرْزبان بن بسام : حدّثني محمد بن القاسم ، سمعت الأصمعي
يقول : سمعت هارون الرشيد ينشد ليزيد بن معاوية :

إِنَّهَا بَيْنَ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ حِينَ تَنْمِي وَبَيْنَ عَبْدِ مَنَافٍ
وَلَهَا فِي الطَّيِّينِ جَدُودٌ ثُمَّ نَالَتْ مَكَارِمَ الْأَخْلَافِ
بَنَتْ عَمَّ النَّبِيِّ أَكْرَمَ مَنْ يَمُ شَيْ بِنَعْلٍ عَلَى التُّرَابِ وَحَافِي
لَنْ تَرَاهَا عَلَى التَّبَدُّلِ وَالْغَدِّ ظِلَّةً إِلَّا كَدُرَّةِ الْأَصْدَافِ

وقال الزبير بن بكار : أنشدني عمي مصعب ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان :

أَبَ هَذَا الْهَمُّ فَاكْتَنَعَا^(١) ثُمَّ مَرَّ النَّوْمُ فَاكْتَنَعَا
رَاعِيَاً لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ فَإِذَا مَا كُوكِبٌ طَلَعَا
حَامٌ حَتَّى إِنَّنِي لَأَرَى أَنَّهُ بِالْغَوْرِ قَدْ وَقَعَا
وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ^(٢) إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
نُزْهَةً حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ نَزَلَتْ مِنْ جِلْقٍ^(٣) يَبْعَا
فِي قَبَابٍ وَسَطَ دَسْكَرَةٍ^(٤) حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنْعَا^(٥)

[ومن شعره :

وقائلة لي حينَ شَبَّهْتُ وَجْهَهَا بِيَدِ الدُّجَى يَوْماً وَقَدْ ضَاقَ مَنَهِجِي
تُشَبِّهُنِي بِالْبَدْرِ هَذَا تَنَاقُصٌ بَقْدَرِي وَلَكِنْ لَسْتُ أَوَّلَ مَنْ هُجِّي
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَدْرَ عِنْدَ كَمَالِهِ إِذَا بَلَغَ التَّشْبِيهِ عَادَ كَدُمُلْجِي^(٦)

(١) تحرفت هذه اللفظة في المطبوع إلى : فاكتنفا وشرحها محققو طبعة دار الكتب العلمية على ذلك .

قلت : البيت من شواهد اللسان : مادة (كنع) . وقوله : اكتنع ، يعني : حضر .

(٢) تحرفت في المطبوع إلى : بالمطارون وقال محققو طبعة دار الكتب العلمية : المطارون : موضع بالشام .

قلت : ليس هنالك موضع اسمه المطارون ، لكن الصحيح ما أثبتناه في النسختين آ و ب ، وقد أورده ياقوت في معجمه (٤٢/٥) وقال : موضع بالشام قرب دمشق ، ومن شروطه أن يلزم الواو وتعرب نونه . ثم ذكر الأبيات .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : خلق .

(٤) « الدسكرة » : بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

(٥) الأبيات في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٣٣٢) وقد أورد الجريري ثلاثة منها في الجليس الصالح (١/٢٧٨) .

(٦) « الدملج » : العقد .

فلا فخرَ إن شَبَّهْتَ بالبدرِ مَبْسَمِي وبالسَّحَرِ أَجْفَانِي وباللَّيْلِ مَدْعَجِي^(١) ،
وقد ذكر الزبير بن بكار ، عن أبي محمد الجزري قال : كانت بالمدينة جارية مغنّية يقال لها سلامة ،
من أحسن النساء وجهاً ، وأتمهنّ عقلاً ، وأحسنهنّ قدّاً ، قد قرأت القرآن ، وروت الشعر وقالته ، وكان
عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يجلسان إليها . فعلمت الأحوص ، وصدّت عن
عبد الرحمن ، فرحل ابن حسان إلى يزيد بن معاوية إلى الشام ، فامتدحه ودلّه على سلامة وجمالها
وحسنها وفصاحتها . وقال : لا تصلح إلا لك يا أمير المؤمنين ، وأن تكون من سَمّارك ، فأرسل يزيد ،
فاشترى له وحملت إليه ، فوقعت منه موقعاً عظيماً ، وفضلها على جميع من عنده . ورجع عبد الرحمن
إلى المدينة فمرّ بالأحوص فوجده مهموماً ، فأراد أن يزيده إلى مابه من الهم همّاً فقال :

يا مُبْتَلَى بِالْحَبِّ مَقْرُوحَا	لَاقَى مِنَ الْحَبِّ تَبَارِيحَا
أَفْحَمَهُ الْحَبُّ فَمَا يَتَنَنِي	إِلَّا بِكَأْسِ الْحَبِّ مَضْبُوحَا
وَصَارَ مَا يُعْجِبُهُ مُغْلَقَا	عَنْهُ وَمَا يَكْرَهُ مَفْتُوحَا
قَدْ حَازَهَا مَنْ أَصْبَحَتْ عَنْدَهُ	يَنَالُ مِنْهَا الشَّمَّ وَالرِّيْحَا
خَلِيفَةُ اللَّهِ فَسَلَّ الْهَوَى	وَعَزَّ قَلْباً مِنْكَ مَجْرُوحَا

قال : فأمسك الأحوص عن جوابه ، ثم غلبه وجده عليها ، فسار إلى يزيد ، فامتدحه ، فأكرمه يزيد
وحظي عنده ، فدسّت إليه سلامة خادماً وأعطته مالاً على أن يدخله عليها ، فأخبر الخادم يزيد بذلك ،
فقال : امض لرسالتها ، ففعل وأدخل الأحوص عليها وجلس يزيد في مكان يراها ولا يريانه ، فلما
بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فألقي له كرسي فقعد عليه ، وجعل كل واحد
منهما يشكو إلى صاحبه شدة شوقه إليه ، فلم يزالا يتحدثان إلى السحر ، ويزيد يسمع كلامهما من غير أن
يكون بينهما ريبة ، حتى إذا همّ الأحوص بالخروج قال :

أَمْسَى فُوَادِي فِي هَمٍّ وَبَلْبَالٍ مِنْ حَبٍّ مَنْ لَمْ أَزُلْ مِنْهُ عَلَى بَالٍ

فقالت :

صَحَا الْمُحِبُّونَ بَعْدَ النَّأْيِ إِذْ يَتَسَوَا وَقَدْ يَتَسَوَا وَمَا أَصْحُو عَلَى حَالٍ

فقال :

مَنْ كَانَ يَسْلُو بِيَأْسٍ عَنْ أَخِي ثِقَةً فَعَنْكَ سَلَامٌ مَا أَمْسَيْتُ بِالسَّالِي

فقالت :

(١) سقطت هذه الأبيات من النسخة ب .

والله والله لا أنساكَ يا شَجَنِي حَتَّى تَفَارِقَ مِنِّي الرُّوحُ أَوْصَالِي

فقال :

والله ما خَابَ مَنْ أَمْسَى وَأَنْتَ لَهُ يَا قَرَّةَ الْعَيْنِ فِي أَهْلِ وَفِي مَالٍ

قال : ثم ودَّعها وخرج ، فأخذه يزيد ودعا بها فقال : أخبراني عما كان في ليلتكما واصلتاني . فأخبراه وأنشده ما قالوا ، فلم يحرفا منه حرفاً ، ولا غيَّرا شيئاً مما سمعه ، فقال لها يزيد : أتحبينه ؟ قالت : إي والله يا أمير المؤمنين !

حَبًّا شَدِيداً جَرَى كَالرُّوحِ فِي جَسَدِي فَهَلْ يَفْرَقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

فقال له : أتحبها ؟ فقال : إي والله يا أمير المؤمنين !

حَبًّا شَدِيداً تَلِيداً غَيْرَ مَطْرَفٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِثْلَ النَّارِ يَضْطَرِمُّ

فقال يزيد : إنكما لتصفان حبًّا شديداً ، خذاها يا أحوص فهي لك ، ووصله صلة سنية . فرجع بها الأحوص إلى الحجاز وهو قرير العين^(١) .

[وقد روي أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصَّيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدباب والقروء ، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً ، وكان يشدُّ القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ، ويُلبس القروء قلانس الذهب وكذلك الغلمان ، وكان يسابق بين الخيل ، وكان إذا مات القرد حزن عليه . وقيل : إن سبب موته أنه حمل قرده وجعل ينقزها فعضَّته . وذكروا عنه غير ذلك ، والله أعلم بصحة ذلك]^(٢) .

وقال عبد الرحمن بن أبي مذعور : حدَّثني بعض أهل العلم قال : آخر ما تكلم به يزيد بن معاوية : اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه ولم أرد ، واحكُم بيني وبين عبيد الله بن زياد .

وكان نقش خاتمه : آمَنت بالله العظيم .

مات يزيد بحوَّارين - من قرى دمشق - في رابع عشر ربيع الأول ، وقيل : يوم الخميس للنصف منه ، سنة أربع وستين . وكانت ولايته بعد موت أبيه في منتصف رجب سنة ستين . وكان مولده في سنة خمس - وقيل : سنة ست ، وقيل : سبع - وعشرين . ومع هذا فقد اختلف في سنِّه ومبلغ أيامه في الإمارة على أقوال كثيرة ، وإذا تأملت ما ذكرته لك من هذه التحديدات انزاح عنك الإشكال من هذا الخلاف ، فإن منهم

(١) الخبر مطولاً في الأغاني (١٣٣/٩ - ١٣٦) وتاريخ دمشق جزء تراجم النساء (ص ١٨٣ - ١٨٦) وهو - كما يرى الأصفهاني - موضوع .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في ب .

من قال : جاوز الأربعين حين مات ، فالله أعلم . ثم حُمل بعد موته إلى دمشق ، وصُلّي عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذ ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفي أيامه وسَّع النهر المسمّى بيزيد في ذيل جبل قاسيون ، وكان جدولاً صغيراً فوسَّعه أضعاف ما كان يجري فيه من الماء .

وقال ابن عساكر : حدّثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدي - قاضي البحرين - من لفظه وكتبه لي بخطّه قال : رأيت يزيد بن معاوية في النوم ، فقلت له : أنت قتلت الحسين ؟ فقال : لا . فقلت له : هل غفر الله لك ؟ قال : نعم ، وأدخلني الجنة . قلت : فالحديث الذي يروى : أن رسول الله ﷺ رأى معاوية يحمل يزيد فقال : « رجلٌ من أهل الجنة يحمل رجلاً من أهل النار » ؟ فقال : ليس بصحيح . قال ابن عساكر : وهو كما قال ، فإن يزيد بن معاوية لم يولد في حياة النبي ﷺ وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة .

وقال أبو جعفر بن جرير :

ذكر أولاد يزيد بن معاوية وعددهم

فمنهم : معاوية بن يزيد بن معاوية ، يكنى أبا ليلي ، وهو الذي يقول فيه الشاعر^(١) :

إِنِّي أَرَى فِتْنَةً قَدْ حَانَ أَوَّلُهَا وَالْمَلِكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

وخالد بن يزيد ، يكنى أبا هاشم ، كان يقول : إنه أصاب علم الكيمياء ، وأبو سفيان ، وأمهما أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وقد تزوجها بعد يزيد مروان بن الحكم ، وهي التي يقول فيها الشاعر :

إِنْعَمِي أُمَّ خَالِدٍ رَبِّ سَاعٍ كَقَاعِدِ

وعبد الله^(٢) بن يزيد - ويقال له : الأسوار^(٣) - كان من أرمى العرب ، وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر . وهو الذي يقول فيه الشاعر :

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ خَيْرَ قَرِيشٍ كُلُّهُمْ حِينَ يُذَكَّرُ الْأُسُورُ

(١) هو أزنم الفزاري ، كما سيأتي قريباً .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : عبد العزيز . ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (١٣٤/١٤) .

(٣) « الأسوار والإسوار » : هو الجيد الرمي بالسهم . وقد لقب عبد الله بذلك لجودة رميه .

وعبد الله الأصغر [وعمر] ^(١) وأبو بكر ، وعتبة ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد ، لأمهات أولاد شتى ^(٢) . [ويزيد ، وحرب ، وعمر ، وعثمان . فهؤلاء خمسة عشر ذكراً . وكان له من البنات : عاتكة ، وزميلة ، وأم عبد الرحمن ، وأم يزيد ، وأم محمد . فهؤلاء خمس بنات . وقد انقضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب ، والله سبحانه أعلم] ^(٣) .

إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية ^(٤)

أبي عبد الرحمن - ويقال : أبو يزيد ، ويقال : أبو ليلي ^(٥) - القرشي الأموي . وأمه : أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة .

بويح له بعد موت أبيه - وكان وليّ عهده من بعده - في رابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين . وكان رجلاً صالحاً ناسكاً . ولم تطل مدّته ، قيل : إنه مكث أربعين يوماً . وقيل : عشرين يوماً . وقيل : شهرين . وقيل : شهراً ونصف شهر . وقيل : ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . وقيل : أربعة أشهر . فإله أعلم . وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج إلى الناس ، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلّي بالناس ويسد الأمور .

ثم مات معاوية بن يزيد هذا عن إحدى وعشرين - وقيل : ثلاث وعشرين - سنة وثمانية عشر يوماً ، وقيل : تسع عشرة سنة ، وقيل : عشرين ، وقيل : ثلاث وعشرين ، وقيل : إنما عاش ثماني عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة . فإله أعلم . وصلى عليه أخوه خالد ، وقيل : عثمان بن عفّسة ، وقيل : الوليد بن عتبة ، وهذا هو الصحيح ، فإنه أوصى إليه بذلك . وشهد دفنه مروان بن الحكم . وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلّي بالناس بعده حتى استقر الأمر لمروان بالشام . ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق . ولما حضرته الوفاة قيل له : ألا توصي ؟ فقال : لا أتزود مرارتها لآخرتي ، وأترك حلاوتها لبني أمية .

(١) زيادة من تاريخ الطبري .

(٢) هنا ينتهي كلام ابن جرير كما في تاريخه (٥٠٠/٥) وأيضاً الكامل لابن الأثير (١٢٥/٤) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في ب .

(٤) نسب قريش (١٢٨) المعارف (٣٥٢) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٣٥٨/١) تاريخ الطبري (٥٠١/٥) مروج الذهب (٨٢/٣) تاريخ ابن عساكر (٣٩٥/١٦) الكامل لابن الأثير (١٢٩/٤) مختصر تاريخ دمشق (١١٠/٢٥) تاريخ الإسلام (٨٣/٣) العبر (٦٩/١) سير أعلام النبلاء (١٣٩/٤) النجوم الزاهرة (١٦٣/١) تاريخ الخلفاء (٣٣٤) شذرات الذهب (٢٨٧/١) .

(٥) في المطبوع : أبو يعلى ، تحريف .

وكان - رحمه الله - أبيض شديد البياض ، كثير الشعر ، كبير العينين ، جعد الشعر ، أفنى الأنف ، مدور الرأس ، جميل الوجه دقيقه ، حسن الجسم .

قال أبو زرعة الدمشقي : معاوية ، وعبد الرحمن ، وخالد : إخوة ، وكانوا من صالحى القوم^(١) .

وقال فيه بعض الشعراء - وهو عبد الله بن همام السلولي :

تلقّاها يزيدٌ عن أبيه فدونكها معاوي^(٢) عن يزيداً
أديروها بني حربٍ عليكم ولا ترمؤا بها الغرضَ البعيداً^(٣)

ويروى : أن معاوية بن يزيد هذا نادى في الناس : الصلاة جامعة ، ذات يوم ، فاجتمع الناس ، فقال لهم فيما قال : يا أيها الناس ! إني قد وليتُ أمركم وأنا ضعيف عنه ، فإن أحببتم تركتها لرجل قوي كما تركها الصديق لعمر ، وإن شئتم تركتها شورى في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب ، وليس فيكم من هو صالح لذلك ، وقد تركت لكم أمركم فولّوا عليكم من يصلح لكم ، ثم نزل ودخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى . فيقال : إن سُقي ، ويقال : إنه طعن .

ولما دفن حضر مروان دفنه ، فلما فرغ منه قال مروان : أتدرون من دفنتم ؟ قالوا : نعم ، معاوية بن يزيد ، فقال مروان : هو أبو ليلى الذي قال فيه أزنم^(٤) الفزاري :

إنني أرى فتنةً تغلي مَراجِلُها والملكُ بعدَ أبي ليلى لَمَنْ غَلَبَا^(٥)

قالوا : فكان كما قال ، وذلك أن أبا ليلى توفي من غير عهد منه إلى أحد ، فتغلّب على الحجاز عبد الله بن الزبير ، وعلى دمشق وأعمالها مروان بن الحكم ، وباع أهل خراسان سَلَمَ بن زياد حتى يتولى على الناس خليفة ، وسار فيهم سَلَمَ سيرة حسنة أحبّوه عليها ، ثم أخرجوه من بين أظهرهم . وخرج القراء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق ، وطرّدوا عنهم عبيد الله بن زياد بعدما كانوا بايعوه عليهم حتى يصير للنّاس إمام ، فذهب إلى الشام بعد فصول يطول ذكرها ، وقد بايعوا بعده عبد الله بن الحارث بن نوفل المعروف ببيّة ، وأمه : هند بنت أبي سفيان ، وقد جعل على شرطة البصرة هميان بن عدي

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/٣٥٨) .

(٢) في المطبوع : معاوية . ولا يستقيم بها الوزن .

(٣) البيتان من قصيدة لعبد الله بن همام أوردها ابن سلام الجمحي في الطبقات (٢/٦٢٨) . وأيضاً في نسب قريش (١٢٩) ومروج الذهب (٣/٦٣) ومختصر تاريخ دمشق (١٤/١٢٦ - ١٢٧) و (٢٥/١١٠) .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : أرثم .

(٥) الخبر والشعر أورده ابن سعد في طبقاته (٥/٣٩) ونقله عنه ابن عساكر ، مختصره (٤/٢٤٧) .

السدوسي ، فبايعه الناس في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وستين . وقد قال الفرزدق^(١) في ذلك :

وبايعتُ أقواماً وفيتُ بعهدهم وبَيَّةٌ قد بايعتُه غيرَ نادم

فأقام فيهم أربعة أشهر ثم لزم بيته ، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير ، فكتب ابن الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلّي بهم شهرين ، ثم كان ماسنذكره . وخرج نجدة بن عامر الحنفي باليمامة ، وخرج بنو ماحور في الأهواز وفارس ، وغير ذلك على ماسياتي تفصيله .

إمارة عبد الله بن الزبير^(٢)

وعند ابن حزم وطائفة أنه أمير المؤمنين آنذاك

قد قدّمنا أنه لما مات يزيد أُلّع الجيش عن مكة ، وهم الذين كانوا يحاصرون ابن الزبير ، وهو عائذ بالبيت ، فلما رجع حُصين بن نُمير السَّكُونِي بالجيش إلى الشام استفحل أمر ابن الزبير بالحجاز وما والاها ، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة عامة هنالك ، واستتاب على أهل المدينة أخاه عُبيد الله بن الزُّبير ، وأمره بإجلاء بني أمية منها ، فأجلاهم ، فرحلوا إلى الشام ، وفيهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك .

ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير - بعد حروب جرت بينهم وفتن كثيرة يطول استقصاؤها ، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحواً من أربعة أمراء من بينهم ثم تضطرب أمورهم - ثم بعثوا إلى ابن الزبير وهو بمكة يخطبونه لأنفسهم ، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلّي بهم .

[ويقال : إن أول من بايع ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن ، فقال الناس : هذا أمر فيه صعوبة . وبايعه عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن علي بن أبي طالب ، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفية وابن عباس ليبايعوا فأبوا عليه . وبُويع في رجب بعد أن أقام الناس ثلاثة أشهر بلا إمام]^(٣) .

وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبد الله^(٤) بن يزيد الأنصاري على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن

(١) البيت ليس في ديوانه ، لكن نسب إليه في سفر السعادة (١١٢/١) والنقائض (٢٧٢/٢) ونسب في طبقات ابن سعد (٢٥/٥ و ١٠١/٧) إلى سحيم بن وثيل اليربوعي ، وروايته فيه :

بايعت أيقاظاً فأوفيت بيعتي وبَيَّةٌ قد بايعته وهو نائم

(٢) وستأتي ترجمته في أوائل الجزء اللاحق إن شاء الله تعالى .

(٣) ما بين حاصرتين من ط فقط .

(٤) في ط : عبد الرحمن . وهو خطأ .

طلحة بن عبيد الله على الخَراج ، واستوسق^(١) له المصران جميعاً . وأرسل إلى أهل مصر فبايعوه ، واستتاب عليها عبد الرحمن بن جَحْدَر ، وأطاعت له الجزيرة وبلاد الشام سوى دمشق وأعمالها من الأردن فإنهم بايعوا لمروان بن الحكم .

ولما رجع الحُصَيْن بن نُمَيْر من مكة إلى الشام كان قد التفَّ على عبد الله بن الزبير جماعة من الخوارج يدافعون عنه ، منهم : نافع بن الأزرق ، وعبد الله بن إياض ، وجماعة من رؤوسهم . فلما استقرَّ أمره في الخلافة قالوا فيما بينهم : إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيَه في عثمان بن عفان - وكانوا يبغضون عثمان - فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان ، فأجابهم فيه بما يسوءهم ، وذكر لهم ما كان متصفاً به من الإيمان والتصديق والعدل والإحسان والسيرة الحسنة والرجوع إلى الحق إذا تبَيَّن له . فعند ذلك نفروا عنه ، وفارقوه ، وقصدوا بلاد العراق وخراسان ، ففرقوا فيها بأبدانهم ، وأديانهم ، ومذاهبهم ، ومسالكهم المختلفة المنتشرة التي لا تنضبط ولا تنحصر ، لأنها مفرعة على الجهل ، وقوة النفس ، والاعتقاد الفاسد . ومع هذا استحوذوا على كثير من البلدان والكُور ، حتى انتزعت منهم بعد ذلك على ما سنده في ما بعد إن شاء الله .

ذكر بيعة مروان بن الحكم^(٢)

وكان سبب ذلك أن حُصَيْن بن نُمَيْر لما رجع من أرض الحجاز ، وارتحل عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام ، وانتقلت بنو أمية من المدينة إلى الشام ، اجتمعوا إلى مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ، وقد كان عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق ، وقد بايع أهلها الضحَّاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على إمام ، والضحَّاك يريد أن يبايع لابن الزبير . وقد بايع لا بن الزبير الثُّعْمَان بن بشير بحمص ، وبايع له زُفَر بن عبد الله الكِلَابِي بِقَنْسَرِينَ^(٣) ، وبايع له نائل^(٤) بن قيس بفلسطين وأخرج منها رُوح بن زنباع الجُدَامِي . فلم يزل عبيد الله بن زياد والحُصَيْن بن نُمَيْر بمروان بن الحكم حتى ثنياه عن رأيَه ، وحذراه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام ، وقالوا له : أنت شيخ قريش وسيِّدُها ، فأنت أحقُّ بهذا الأمر . [فرجع عن البيعة لابن الزبير . وخاف ابن زياد الهلاك إن تولَّى غير بني أمية ، فعند ذلك]^(٥) التفَّ هؤلاء كلُّهم مع قومه بني أمية ومع أهل اليمن على مروان ، فوافقهم على ما أرادوا ، وجعل يقول : ما فات شيء .

(١) « استوسق » : انضم وأطاع .

(٢) وستأتي ترجمته لاحقاً .

(٣) « قنسرين » : بلدة قريية من حلب .

(٤) تحرف في أ ، ط إلى : نائل ، وفي ب إلى : بابل وما أثبتته من ترجمته في مختصر تاريخ دمشق (٩٦/٢٦) وغيره .

(٥) ما بين حاصرتين سقط من أ ، ب .

وكتب حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبِي إلى الضحَّاك بن قيس يثنيه عن المبايعة لابن الزبير ، ويعرِّفه أيادي بني أمية عنده وإحسانهم إليه ، ويذكر فضلهم وشرفهم . وقد بايع حسان بن مالك أهل الأردن لبني أمية ، وهو يدعو إلى ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وبعث إلى الضحَّاك كتاباً بذلك ، وأمره أن يقرأ كتابه على أهل دمشق يوم الجمعة على المنبر ، وبعث بالكتاب مع رجل يقال له : ناغضة بن كريب الطابخي - وقيل : هو من بني كلب - وقال له : إن لم يقرأه هو على الناس فاقرأه أنت . وأعطاه نسخة به ، فسار إلى الضحَّاك ، فأمره بقراءة الكتاب ، فلم يقبل ، فقام ناغضة فقرأه على الناس ، فصَدَّقَه جماعة من أمراء الناس وكذَّبه آخرون ، واثارت فتنة عظيمة بين الناس ، فقام خالد بن يزيد بن معاوية - وهو شاب حدث - على درجتين من المنبر فسكَّن الناس ، ونزل الضحَّاك فصلَّى بالناس الجمعة ، وأمر الضحَّاك بن قيس بأولئك الذين صدقوا ناغضة أن يُسجنوا ، فاثارت قبائلهم فأخرجوهم من السجن ، واضطرب أهل دمشق في ابن الزبير وبني أمية . وكان اجتماع الناس لذلك ووقوفهم بعد صلاة الجمعة بباب جَيْرُون^(١) ، فسمي هذا اليوم يوم جَيْرُون .

قال المدائني : وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يتولَّى عليهم ، فأبى ، وهلك في تلك الليالي .

ثم إن الضحَّاك بن قيس صعد منبر المسجد الجامع فخطبهم به ، ونال من يزيد بن معاوية ، فقام إليه شاب من بني كلب فضربه بعصا كانت معه ، والناس جلوس متقلِّدي سيوفهم ، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا في المسجد قتالاً شديداً ، فقَيِّس ومن لَفَّ لفيها يدعون إلى ابن الزبير وينصرون الضحَّاك بن قيس ، وبنو كلب يدعون إلى بني أمية وإلى البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية ، ويتعصَّبون ليزيد وأهل بيته ، فنهض الضحَّاك بن قيس فدخل دار الإمارة وأغلق الباب ولم يخرج إلى الناس إلا يوم السبت لصلاة الفجر ، ثم أرسل إلى بني أمية فجمعهم إليه ، فدخلوا عليه وفيهم مروان بن الحكم ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية - قاله المدائني - فاعتذر إليهم مما كان منه ، واتَّفَقَ معهم أن يركب معهم غدوة إلى حسان بن مالك الكلبِي فيتَّفَقوا على رجل يرتضونه من بني أمية للإمارة ، فركبوا جميعاً إليه ، فبينما هم يسرون إلى الجابية لقصد حسان بن مالك إذ جاء معنُ بن ثور^(٢) بن الأخنس في قومه قيس ، فقال له : إنك دعوتنا إلى بيعة ابن الزبير فأجبنك ، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية ! فقال له الضحَّاك : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن نُظْهِرَ ما كنا

(١) « باب جيرون » : هو الباب الشرقي من أبواب الجامع الأموي بدمشق .

(٢) تصحف في تاريخ الطبري (٥/٥٣٣) والكامل لابن الأثير (٤/١٤٧) إلى ثور بن معن . وترجمته في مختصر تاريخ دمشق (١٤٩/٢٥) .

نُسِرَ ، وأن ندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها . فمال الضحاك بمن معه فرجع إلى دمشق ، فأقام بها بمن معه من قيس ومن لفَّ لفيها ، وبعث إلى أمراء الأجناد وبائع الناس لابن الزبير ، وكتب بذلك إلى ابن الزبير يعلمه بذلك . فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعه ، وكتب إليه بنيابة الشام . وقيل : بل بايع الناس لنفسه بالخلافة . فالله أعلم أي ذلك كان .

والذي ذكره المدائني : أنه إنما دعا إلى بيعة ابن الزبير أولاً ، ثم حَسَنَ له عبيد الله بن زياد أن يدعو إلى نفسه ، وذلك إنما فعله مكرراً منه وكباراً ليفسد عليه ما هو بصدد ، فدعا الضحاك إلى نفسه ثلاثة أيام ، فَتَقَمَّ الناس عليه ذلك وقالوا : دعوتنا إلى بيعة رجل فبايعناه ثم خلعتنا من غير سبب ولا عذر ، ثم دعوتنا إلى نفسك؟! فرجع إلى البيعة لابن الزبير ، فسقط بذلك عند الناس ، وذلك الذي أراد ابن زياد .

وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه بمروان وتحسينه له أن يدعو إلى نفسه ، ثم فارق مروان ليخضع له الضحاك ، فنزل عنده بدمشق ، وجعل يركب إليه كل يوم ، ثم أشار ابن زياد على الضحاك أن يخرج من دمشق إلى الصحراء ويدعو بالجيوش إليه ليكون أمكن له ، فركب الضحاك إلى مرج راهط فنزل بمن معه من الجنود ، وعند ذلك اجتمع بنو أمية ومن اتبعهم بالأردن ، واجتمع إليهم مَنْ هنالك من قوم حسان بن مالك من بني كلب .

ولما رأى مروان بن الحكم ما انتظم من البيعة لابن الزبير وما استوسق له من الملك عزم على الرحيل إليه لمبايعته ، وليأخذ منه أماناً لبني أمية ، فسار حتى بلغ أذرعاً ، فلقه ابن زياد مقبلاً من العراق ، فصده عن ذلك ، وهَجَنَ رأيه ، واجتمع إليه عمرو بن سعيد بن العاص وخصين بن نُمير وابن زياد وأهل اليمن وخلق ، فقالوا لمروان : أنت كبير قریش ورئيسها ، وخالد بن يزيد غلام ، وعبد الله بن الزبير كهل ، فإنما يُقرع الحديد ببعضه ببعض ، فلا تبار بهذا الغلام ، وارم بنحرك في نحره ، ونحن نبايعك ، أبسط يدك ، فبسط يده ، فبايعوه بالجابية في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين . قاله الواقدي .

فلما تمهّد له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس ، فالتقيا بمرج راهط ، فغلبه مروان بن الحكم وقتله وقتل من قيس مقتلة لم يُسمع بمثلها ، على ما سيأتي تفصيله في أول سنة خمس وستين ، فإن الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت هذه الواقعة في المحرم من سنة خمس وستين . وفي رواية محمد بن سعد عن الواقدي وغيره قالوا : إنما كانت في أواخر هذه السنة . وقال الليث بن سعد والواقدي والمدائني وأبو سليمان بن يزيد وأبو عبيد وغير واحد : كانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقعة مَرَجِ رَاهِط

ومقتل الضَّحَّاك بن قَيْسِ الْفَهْرِي^(١)

قد تقدم : أن الضحَّاك كان نائب دمشق لمعاوية بن أبي سفيان ، وكان يصلي عنه إذا اشتغل أو غاب ، و يقيم الحدود ويسد الأمور ، فلما مات معاوية قام بأعباء بيعة يزيد ابنه ، ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد ، فلما مات معاوية بن يزيد بايعه أهل دمشق حتى يجتمع الناس على إمام ، فلما اتسعت البيعة لابن الزبير عزم على المبايعة له ، فخطب الناس يوماً وتكلم في يزيد بن معاوية وذمه ، فقامت فتنة في المسجد الجامع حتى اقتتل الناس فيه بالسيوف ، فسكن الناس ثم دخل دار الإمارة من الخضراء وأغلق عليه الباب ، ثم اتفق مع بني أمية على أن يركبوا إلى حسان بن مالك بن بحدل وهو بالأردن فيجتمعوا عنده على من يراه أهلاً للإمارة ، وكان حسان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد - ويزيد ابن ميسون ، وميسون بنت بحدل أخت حسان - فلما ركب الضحَّاك معهم انخزل^(٢) بأكثر الجيش ، فرجع إلى دمشق فامتنع بها ، وبعث إلى أمراء الأجناد فبايعهم لابن الزبير ، وسار بنو أمية ومعهم مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ، حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية ، وليس لهم قوة طائلة بالنسبة إلى الضحَّاك بن قيس ، فعزم مروان بن الحكم على الرحيل إلى ابن الزبير لبياعه ويأخذ أماناً منه لبني أمية ، فإنه كان قد أمر بإجلائهم عن المدينة ، فسار حتى وصل إلى أذرعات ، فلقه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق ، فاجتمع به ومعه حصين بن نمير وعمرو بن سعيد بن العاص ، فحسّنوا إليه أن يدعو لنفسه ، فإنه أحق بذلك من ابن الزبير الذي قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من الخلفاء ، فلم يزلوا بمروان حتى أجابهم إلى ذلك ، وقال له عبيد الله بن زياد : وأنا أذهب لك إلى الضحَّاك بدمشق فأخذه لك وأخذل أمره ، فسار إليه ، وجعل يركب إليه كل يوم ويظهر له الودّ والنصيحة والمحبة ، ثم حسّن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع ابن الزبير ، فإنك أحق بالأمر منه لأنك لم تزل في الطاعة مشهوراً

(١) طبقات ابن سعد (٤١٠/٧) نسب قريش (٤٤٧) طبقات خليفة (١٢٧ ، ١٨٥ ، ٣٠١) تاريخ خليفة (٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠) مسند أحمد (٤٥٣/٣) المحبر (٢٩٥ ، ٣٠٢) تاريخ البخاري الكبير (٣٣٢/٤) المعارف (٤١٢) تاريخ الطبري (الفهرس) الجرح والتعديل (٤٥٧/٤) مروج الذهب (٩٥/٣) وغيرها مشاهير علماء الأمصار (ت٣٦٨) معجم الطبراني الكبير (٢٩٦/٨) مستدرک الحاكم (٥٢٤/٣) جمهرة أنساب العرب (١٧٨) الاستيعاب (٧٤٤/٢) إكمال ابن ماکولا (٣٨٦/٧) تاريخ ابن عساکر (٢٠٥/٨ ب) أسد الغابة (٤٩/٣) الكامل في التاريخ (١٤٩/٤) مختصر تاريخ دمشق (١٢٩/١١) تهذيب الكمال (٢٧٩/١٣) تاريخ الإسلام (٢١/٣) تذهيب التهذيب (٧٠/١) العبر (٩٨/٢) الكاشف (٣٣/٢) سير أعلام النبلاء (٢٤١/٣) تجريد أسماء الصحابة (٢٨٥١/١) إكمال مغلطاي (٢/ ورقة ٢٠٠) العقد الثمين (٤٨/٥) نهاية السؤل (ورقة ١٤٩) الإصابة (٢٠٧/٢) تهذيب التهذيب (٤٤٨/٤) خلاصة الخزرجي (١٧٦) شذرات الذهب (٢٨٧/١) تهذيب ابن عساکر (٧/٧) .

(٢) « انخزل » : انفرد .

بالأمانة ، وابن الزبير خارج عن الناس . فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يصمد معه ، فرجع إلى الدعوة لابن الزبير ، ولكن انحطَّ عند الناس ، ثم قال ابن زياد : إن من يطلب ما تطلب لا ينزل المدن والحصون ، وإنما ينزل الصحراء ويدعو إليه بالجنود ، فبرز الضحاك إلى مرج راهط فنزله ، وأقام ابن زياد بدمشق ، وبنو أمية بتدمر ، وخالد وعبد الله عند خالهم حسان بالجابية ، فكتب ابن زياد إلى مروان يأمره أن يظهر دعوته ، فدعا إلى نفسه ، وتزوج بأم خالد بن يزيد - وهي أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة - فعظم أمره ، وبايعه الناس ، واجتمعوا عليه ، وسار إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس ، وركب إليه عبيد الله بن زياد وأخوه عبّاد بن زياد ، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً ، وبدمشق من جهته يزيد بن أبي النّمس^(١) . وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو يمدُّ مروان بالسلاح والرجال وغير ذلك . ويقال : كان نائبه على دمشق يومئذ عبد الرحمن ابن أم الحكم . وجعل مروان على ميمنته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص .

وبعث الضحاك إلى النعمان بن بشير ، فأمدّه النعمان بأهل حمص عليهم شرحبيل بن ذي الكلاع . وركب إليه زفر بن الحارث الكلابي في أهل قنّسرين ، فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ، على ميمنته زياد بن عمرو العقيلي ، وعلى ميسرته زكريا بن شمر الهلالي . فتصافّوا ، وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون بالمرج في كل يوم ، فيقتتلون قتالاً شديداً . ثم أشار عبيد الله على مروان أن يدعوهم إلى المواجهة خديعة ، فإنَّ الحربَ خُذعة^(٢) ، وأنت وأصحابك على الحق وهم على الباطل ، فتودي في الناس بذلك . ثم غدر أصحاب مروان فمالوا يقتلونهم قتلاً شديداً ، وصبر أصحاب الضحاك صبراً بليغاً ، فقتل الضحاك بن قيس في المعركة ، قتله رجل يقال له : زحمة بن عبد الله - من بني كلب ، طعنه بحربة فأنفذها ولم يعرفه . وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فرَّ أولئك بين يديه ، فنادى مروان : ألا لا يتبع مُدبر . ثم جيء برأس الضحاك ، ويقال : إن أول من بشره بقتله رَوْح بن زنباع الجُدّامي .

واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم . وروي أنه بكى على نفسه يوم مَرَج راهط فقال : أبعدما كبرت وضعفت صرت إلى أن أقتل بالسيوف على الملك !؟

قلت : ولم تطل مدّة في الملك إلا تسعة أشهر على ما سنذكره .

وقد كان الضّحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن مُحارب

(١) كذا في أ ، ب وتاريخ الطبري : ووقعت في المطبوع : النمر . وقال ابن الأثير في كامله (١٥٣/٥) : يزيد بن أبي الغمس - بالسين المهملة ، وقيل : بالشين المعجمة - كان قد ارتد عن الإسلام ودخل الروم مع جبلة بن الأيهم ، ثم عاود الإسلام ، وشهد صفين مع معاوية ، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان .

(٢) قوله : فإن الحرب خدعة مقتبس من حديث صحيح .

ابن فُهر بن مالك - أبو أنيس^(١) الفُهري - أحد الصحابة على الصحيح . وقد سمع من النبي ﷺ وروى عنه أحاديث عدة . وروى عنه جماعة من التابعين . وهو أخو فاطمة بنت قيس - وكانت أكبر منه بعشر سنين . وكان أبو عبيدة بن الجراح عمه . حكاه ابن أبي حاتم^(٢) .

وزعم بعضهم : أنه لا صحبة له .

وقال الواقدي : أدرك النبي ﷺ وسمع منه قبل البلوغ . وفي رواية عن الواقدي أنه قال : ولد الضحاك قبل وفاة النبي ﷺ بستين .

وقد شهد فتح دمشق ، وسكنها ، وله بها دار عند حجر الذهب مما يلي نهر بردى . وكان أميراً على أهل دمشق يوم صفين مع معاوية ، ولما أخذ معاوية الكوفة استنابه بها في سنة أربع وخمسين . وقد روى البخاري في « التاريخ » : أن الضحاك قرأ بالناس في الكوفة سورة (ص) في الصلاة فسجد فيها ، فلم يتابعه علقمة وأصحاب ابن مسعود في السجود .

ثم استنابه معاوية عنده بدمشق فلم يزل عنده حتى مات معاوية وتولى ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد ، ثم صار أمره إلى ما ذكرنا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد ، عن الحسن : أن الضحاك بن قيس كتب إلى [قيس بن]^(٣) الهيثم حين مات يزيد بن معاوية : سلام عليك ، أما بعد : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ، فِتْنًا كَقَطْعِ الدُّخَانِ ، يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدْنُهُ ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خِلَافَهُمْ وَدِينَهُمْ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ » وإن يزيد بن معاوية قد مات وأنتم إخواننا وأشقائنا فلا تسبقونا حتى نختار لأنفسنا^(٤) .

وقد روى ابن عساكر^(٥) من طريق ابن قتيبة ، عن العباس بن الفرّج الرّياشي ، عن يعقوب بن إسحاق بن توبة ، عن حماد بن زيد قال : دخل الضحاك بن قيس على معاوية ، فقال معاوية منشداً له :

تَطَاوَلَتِ لِلضَّحَّاكِ حَتَّى رَدَدْتُهُ إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ مَقَاصِرَ

(١) ويقال : أبو أمية . ويقال : أبو عبد الرحمن . ويقال : أبو سعيد .

(٢) في الجرح والتعديل (٤٥٧/٤) .

(٣) سقط من المطبوع .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥٣/٣) وابن سعد في الطبقات (٤١٠/٧) وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان . وهو عند ابن الأثير في أسد الغابة (٥٠/٣) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٤٢/٣) والمرفوع منه صحيح ، دون قوله : « فِتْنًا كَقَطْعِ الدُّخَانِ » .

(٥) تاريخ دمشق (٢٩١/٢٤) .

فقال الضحاك : قد علم قومنا أنا أحلاسُ الخيل . فقال : صدقت ، أنتم أحلاسُها ونحن فرسانُها . يريد معاوية : أنتم راضةٌ وساسةٌ ، ونحن الفرسان . وأرى أن أصل الكلمة من الجِلس وهو كساء يكون تحت البردعة ، أي : أنهم يلزمون ظهورها كما يلزم الجِلسُ ظهر البعير والدابة .

وروي أيضاً^(١) : أن مؤذن دمشق قال للضحاك بن قيس : والله - أيها الأمير - إني لأحبك في الله . فقال له الضحاك : ولكنني - والله - أبغضك في الله . قال : ولم أصلحك الله ؟ قال : لأنك تتراءى في أذانك ، وتأخذُ على تعليمك أجراً .

قُتل الضحاك - رحمه الله - يوم مرج راهط ، وذلك للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين . قاله الليث بن سعد ، وأبو عبيد ، والواقدي ، وابن زبر ، والمدائني . وفيها مقتل :

الثُّعْمان بن بَشِير الأنصاري^(٢) : وأمه عَمْرَة بنت رواحة . كان النعمان أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة من الأنصار في جمادى الأولى سنة اثنتين من الهجرة ، فأتت به أمُّه تحمله إلى النبي ﷺ فحنَّكه وبشَّرها بأنه يعيشُ حميداً ، ويُقتلُ شهيداً ، ويدخلُ الجنة . فعاش في خير وسعة .

ولي نيابة الكوفة لمعاوية تسعة أشهر ، ثم سكن الشام ، وولي قضاءها بعد فضالة بن عبيد ، وفضالة بعد أبي الدرداء . وناب بحمص لمعاوية . وهو الذي ردَّ آل رسول الله ﷺ إلى المدينة بأمر يزيد بن معاوية في ذلك . وهو الذي أشار على يزيد بالإحسان إليهم [وقال : عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله ﷺ لو رآهم على هذه الحالة]^(٣) فرق لهم يزيد ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

ثم لما كانت وقعة مَرَج راهط وقُتل الضحاك بن قيس ، وكان النعمان قد أمده بأهل حمص [عدا عليه أهل حمص]^(٣) فقتلوه بقرية يقال لها : بَيْرين^(٤) ، قتله رجل يقال له خالد بن خَلِيّ المازني -

(١) تاريخ دمشق (٢٤/٢٩٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥٣/٦) طبقات خليفة (ت ٥٩٣ ، ٩٣٠ ، ٢٨٥٣) مسند أحمد (٤/٢٦٧ و ٣٧٥) المحبر (٢٧٦) ، ٢٩٤ ، ٤٢١) تاريخ البخاري الكبير (٨/٧٥) ثقات العجلي (٤٥٠) المعارف (٢٩٤) أخبار القضاة (٣/٢٠١) الجرح والتعديل (٨/٤٤٤) مشاهير علماء الأمصار (ت ٣٣٢) الأغاني (١٦/٢٨) مستدرک الحاكم (٣/٥٣٠) جمهرة أنساب العرب (٣٦٤) الاستيعاب (٤/١٤٩٦) الجمع بين رجال الصحيحين (٢/٥٣١) تاريخ ابن عساكر (١٧/٢٩٣/ب) أسد الغابة (٥/٣٢٦) الكامل في التاريخ (٤/١٤٩) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٢٩/٢) مختصر تاريخ دمشق (٢٦/١٦٠) تهذيب الكمال (٢٩/٤١١) تاريخ الإسلام (٣/٨٨) العبر (١/٧٠) تهذيب التهذيب (٤/٩٧/ب) سير أعلام النبلاء (٣/٤١١) الكاشف (٣/١٨١) تهذيب التهذيب (١٠/٤٤٧) الإصابة (٣/٥٥٩) خلاصة الخرجي (٢٠٢/٤٠٢) شذرات الذهب (١/٢٨٧) .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في ط .

(٤) « بيرين » : من قرى حمص .

وقيل : خلي بن داود ، وهو جد خالد بن خلي . وقد رثته ابنته حميدة بنت النعمان فقالت :

لَيْتَ ابْنَ مُزْنَةَ وَابْنَهُ كَانُوا لَقَتْلِكَ وَاقِيَهُ
وَبَنِي أُمَيَّةَ كُلَّهُمْ لَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَهُ
جَاءَ الْبَرِيدُ بِقَتْلِهِ يَا لِلْكَلابِ الْعَاوِيَهُ
يَسْتَفْتَحُونَ بِرَأْسِهِ دَارَتْ عَلَيْهِمْ ثَانِيَهُ
فَلَا بُكْيَنَ مُسِرَّةً وَلَا بُكْيَنَ عَلاَنِيَهُ
وَلَا بُكْيَنَ مَا حَيَّيْتُ مَعَ السَّبَاعِ الْعَادِيَهُ^(١)

[وقيل : إن أعشى همدان^(٢) قدم على النعمان بن بشير وهو على حمص وهو مريض ، فقال له النعمان : ما أقدمك ؟ قال : جئت لتصلني وتحفظ قرابتي ، وتقضي ديني ، فقال : والله ما عندي ، ولكنني سائلهم لك شيئاً ، ثم قام فصعد المنبر ثم قال : يا أهل حمص ! إن هذا ابن عمكم من العراق ، وهو مُسترفدكم شيئاً ، فما ترون ؟ فقالوا : احتكم في أموالنا ، فأبى عليهم ، فقالوا : قد حكمنا من أموالنا كل رجل دينارين - وكانوا في الديوان عشرين ألف رجل - فعجلها له النعمان من بيت المال أربعين ألف دينار ، فلما خرجت أعطياتهم أسقط من عطاء كل رجل منهم دينارين]^(٣) .

ومن كلام النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قوله : إن الهلكة كل الهلكة أن تعمل السيئات في زمن البلاء .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن أبي راحة يزيد بن أبيهم ، عن الهيثم بن مالك الطائي قال : سمعت النعمان بن بشير وهو على المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ مَصَالِي وَفُخُوحاً ، وَإِنَّ مِنْ مَصَالِيهِ وَفُخُوحِهِ الْبَطْرَ بِنِعَمِ اللَّهِ ، وَالْفَخْرَ بِعَطَاءِ اللَّهِ ، وَالْكِبْرَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ ، وَاتَّبَاعَ الْهَوَى فِي غَيْرِ ذَاتِ اللَّهِ »^(٤) .

(١) الأبيات في مختصر تاريخ دمشق (١٦٣/٢٦ - ١٦٤) .

(٢) هو أبو المصباح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث . شاعر مفوه شهير .

(٣) هذا الخبر من المطبوع فقط . وتماهه كما في الأغاني (٥٠/٦) ومختصر تاريخ دمشق (١٦٢/٢٦) أنه عندما قبضها قال يمدح النعمان :

ولم أر للحاجات عند التماسها كنعمان نعمان الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن كمدل إلى الأقوام جبل غرور
متى أكفر النعمان لم ألف شاكرأ وماخير ممن لا يقتدي بشكور

(٤) أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٤٤٦/٢) وابن عساكر ، مختصره (١٦٢/٢٦) . والمصالي - كما قال ابن الأثير في النهاية (٥١/٣) شبيهة بالشرك ، واحداثها مضللة . أراد ما يستفز به الناس من زينة الدنيا وشهواتها .

ومن أحاديثه الحسان ما سمعه من رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى يَوْشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . رواه البخاري ومسلم ^(١) .

وقال أبو مُسْهَرٍ : كان النعمان بن بشير على حمص عاملاً لابن الزبير ، فلما تَمَزَّوْنَ أهل حمص خرج النعمان هارباً ، فاتبعه خالد بن خَلِي فقتله . قال أبو عبيد وغير واحد : في هذه السنة .

وقد روى محمد بن سعد بأسانيده : أن معاوية كان قد تزوج امرأة ^(٢) جميلة جداً ، فبعث إحدى امرأتيه - مَيْسُون ^(٣) أو فاختة - لتنظرَ إليها ، فلما رأتها أعجبتها جداً ، ثم رجعت إليه ، فقال : كيف رأيتهَا ؟ قالت : بديعة الجمال ، غير أنني رأيتُ تحت سُرَّتِهَا خالاً أسود ، وإنني أحسب أن زوجها يُقْتَل ويُلْقَى رأسه في حَجَرِهَا . فطلَّقَهَا معاوية ، وتزوجها النعمان بن بشير . فلما قُتِلَ أُتِيَ برأسه فَأُلْقِيَ فِي حَجَرِهَا سنة خمس وستين .

وقال أبو سليمان بن زُبَيْر ^(٤) : قتل بِسَلْمِيَّة ^(٥) سنة ست وستين ^(٦) . وقال غيره : سنة خمس وستين . وقيل : سنة ستين . والصحيح ما ذكرناه .

وفيها توفي :

المِسُور ^(٧) بَنُ مَحْرَمَةَ بن نَوْفَل ^(٨) : صحابي صغير ، أصابه حَجَرُ المنجنيق مع ابن الزُّبَيْر بمكة

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٢) في الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه ، ومسلم (١٥٩٩) في المساقاة : باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، وأبو داود (٣٣٣٠) والترمذي (١٢٠٥) في البيوع : باب ما جاء في ترك الشبهات ، وابن ماجه (٣٩٨٤) في الفتن : باب الوقوف عند الشبهات ، والدارمي (٢٤٥/٢) وأحمد في مسنده (٢٦٩/٤) .

(٢) هي نائلة بنت عمار الكلبية .

(٣) هي ميسون بنت بحدل الكلبية . وقد تحرفت في المطبوع إلى : قيسون .

(٤) تحرف في المطبوع إلى : زير . والخبر في تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زير (١/١٨١) . على أن المصنف لا ينقل منه مباشرة ، وإنما ينقل من تهذيب الكمال لشيخه المزي (٤١٧/٢٩) ، وليس في وفيات ابن زير لفظة « سلمية » فقد زادها غيره .

(٥) « سلمية » : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة . قال ياقوت في معجمه (٢٤/٣) وفي طريقها إلى حمص قبر النعمان بن بشير .

(٦) تحرف لفظ ستين في المطبوع إلى : خمسين .

(٧) « المِسُور » : بكسر الميم وسكون السين ، هكذا ضبطه ابن الأثير في أسد الغابة (١٧٦/٥) وغيره . ووقع في المطبوع في أكثر من موضع المِسُور وهو خطأ .

(٨) نسب قريش (٢٦٢) طبقات خليفة (ت ٨١) المحبر (٦٨) تاريخ البخاري الكبير (٧/٤١٠) المعارف (٤٢٩) المعرفة =

وهو قائم يصلّي في الحجر . وهو من أعيان من قُتل في حصار مكة .

[وهو ^(١) المِسُور بن مَخْرمة بن نوفل ، أبو عبد الرحمن الزُّهري . أمُّه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف .

له صحبة ورواية . ووفد على معاوية . وكان ممّن يلزم عمر بن الخطاب .

وقيل : إنه كان ممن يصوم الدهر ، وإذا قدم مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعاً وصلّى ركعتين .

وقيل : إنه وجد يوم القادسية إبريق ذهب مرصعاً بالياقوت ، فلم يدر ما هو ، فلقه رجل من الفرس فقال له : بعنيه بعشرة آلاف ، فعلم أنه شيء له قيمة ، فبعث به إلى سعد بن أبي وقاص ، فنقله [سعد] ^(٢) إياه ، فباعه بمئة ألف .

ولما توفي معاوية قدم مكة ، فأصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير لمّا رموا به الكعبة ، فمات بعد خمسة أيام ، وغسّله عبد الله بن الزبير ، وحمله في جملة من حمل إلى الحَجُون ^(٣) ، وكانوا يطؤون به القتلى ويمشون به بين أهل الشام .

واحتكر المِسُور بن مخرمة طعاماً في زمن عمر بن الخطاب ، فرأى سحاباً فكرهه ، فلما أصبح عدا إلى السوق فقال : من جاءني أعطيته ، فقال عمر : أجننت يا أبا مخرمة ؟! فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكنني رأيت سحاباً ، فكرهت ما فيه الناس ، فكرهت أن أربح فيه شيئاً . فقال له عمر : جزاك الله خيراً .

ولد المِسُور بمكة بعد الهجرة بستين .

المُنذر بن الزُّبير بن العَوّام ^(٤) : ولد في خلافة عمر بن الخطاب . وأمُّه أسماء بنت أبي بكر الصديق .

= والتاريخ (٣٥٨/١) الاشتقاق (٩٦) الجرح والتعديل (٢٩٧/٨) مشاهير علماء الأمصار (ت٨٧) مستدرك الحاكم (٥٢٣/٣) جمهرة أنساب العرب (١٢٩) الاستيعاب (١٣٩٩/٣) الجمع بين رجال الصحيحين (٥١٥/٢) تاريخ ابن عساكر (١٦/٢٥١/أ) أسد الغابة (١٧٥/٥) تهذيب الأسماء واللغات (٩٤) مختصر تاريخ دمشق (٣٠٥/٢٤) تهذيب الكمال (٥٨١/٢٧) تاريخ الإسلام (٧٩/٣) سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٣) العبر (٧٠/١) الكاشف (١٢٨/٣) تهذيب التهذيب (٤٠/٤/ب) مرآة الجنان (١٤٠/١) العقد الثمين (١٩٧/٧) تهذيب التهذيب (١٥١/١٠) الإصابة (٤١٩/٣) خلاصة الخزرجي (٣٧٧) شذرات الذهب (٢٨٧/١) .

(١) من هنا يبدأ سقط من النسختين أ ، ب ، وينفرد المطبوع بصفحة تقريباً يمر خلالها ترجمة كل من المنذر بن الزبير ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف . وسنشير إلى هذا السقط عند نهايته .

(٢) زيادة من سير أعلام النبلاء (٣٩٢/٣) يقتضيها السياق . والخبر أيضاً في تاريخ ابن عساكر مختصر (٣٠٨/٢٤) . وقوله : نقله ، يعني : أهده .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها . معجم البلدان (٢٢٥/٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (١٨٢/٥) نسب قريش (٢٤٤) المحبر (٧٠ ، ١٠٠) جمهرة نسب قريش (٢٣٦/١) وما بعدها ، =

وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن معاوية ، ووفد على معاوية فأجازه بمئة ألف ، وأقطعه أرضاً ، فمات معاوية قبل أن يقبض المال .

وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام يقاتلان^(١) أهل الشام بالنهار ويطعمانهم بالليل .

قتل المنذر بمكة في حصارها مع أخيه . ولما مات معاوية أوصى إلى المنذر أن ينزل في قبره .

مُصْعَبُ بن عبد الرَّحْمَنِ بن عَوْف^(٢) : كان شائِبًا دَيِّنًا فاضلاً .

قُتِلَ مصعب - أيضاً - في حصار مكة مع ابن الزُّبَيْر [٣] .

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وستين - جرت حروب كثيرة وفتن منتشرة ببلاد المشرق ، واستحوذ على بلاد خراسان رجل يقال له : عبد الله بن حازم ، وقهر عمَّالها وأخرجهم منها ، وذلك بعد موت يزيد وابنه معاوية قبل أن يستقر ملك ابن الزبير على تلك النواحي ، وجرت بين عبد الله بن حازم هذا وبين عمرو بن مَرْثَد حروب يطول ذكرها وتفصيلها ، اكتفينا بذكرها إجمالاً إذ لا يتعلَّق بذكرها كبير فائدة ، وهي حروب فتنة وقتال بغاة بعضهم في بعض ، والله المستعان .

[وقال الواقدي : وفي هذه السنة بعد موت معاوية بن يزيد بايع أهل خراسان سَلْمَ بن زياد بن أبيه ، وأحبُّوه حتى إنهم سمَّوا باسمه - في تلك السنة - أكثر من ألف غلام مولود ، ثم نكثوا واختلفوا ، فخرج عنهم سَلْمَ وترك عليهم المهلب بن أبي صفرة]^(٤) .

وفيهما اجتمع ملا الشيعية على سليمان بن صُرَد بالكوفة ، وتواعدوا التُّخيلة ليأخذوا بثأر الحسين بن علي بن أبي طالب ، وما زالوا في ذلك مجدِّين وعليه عازمين من بعد مقتل الحسين بكر بلاء في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ، وقد ندموا على ما كان منهم من بعثهم إليه ، فلما أتاهاهم خذلوه وتخلَّوا عنه

= المعارف (٢٢٣) تاريخ الطبري (٥/٤٨٠ ، ٥٧٥) وغيرها ، جمهرة أنساب العرب (١٢٣) تاريخ ابن عساكر (١٧/١٠٢ ب) الكامل في التاريخ (٤/١٠٢ ، ١٢٤) وغيرها ، مختصر تاريخ دمشق (٢٥/٢٤٧) تاريخ الإسلام (٣/٨٦) سير أعلام النبلاء (٣/٣٨١) العقد الثمين (٧/٢٨٠) تعجيل المنفعة (٢٦٩) .

(١) في المطبوع : يقاتلون ، خطأ . والخبر في جمهرة نسب قريش (ص ٣٨٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٥/١٥٧) نسب قريش (٢٦٧) المعارف (٢٣٨) أخبار القضاة (١/١١٨) تاريخ الطبري (٥/٣٤٥ ،

٤٩٧ ، ٥٧٥) الجرح والتعديل (٨/٣٠٣) العقد الفريد (٤/٣٩٢) مشاهير علماء الأمصار (ت ٤٦١) الكامل في

التاريخ (٤/١٢٤) وغيرها .

(٣) هنا ينتهي النقص من النسختين أ ، ب الذي أشرنا إلى ابتدائه قبل صفحة تقريباً .

(٤) انفرد المطبوع بهذه الفقرة ، ولم ترد في النسختين أ ، ب .

ولم ينصروه . [فجادت بوصل حين لا ينفع الوصل]^(١) . فاجتمعوا في دار سليمان بن صُرد - وهو صحابي جليل . [وكان رؤوس القائمين في ذلك خمسة : سليمان بن صُرد الصحابي]^(٢) والمسيب بن نَجَبَة^(٣) الفزاري - أحد كبار أصحاب علي ، وعبد الله بن سعد بن نُفيل الأزدي ، وعبد الله بن وال التيمي ، ورفاعة بن شدّاد البجلي - وكلهم من أصحاب علي رضي الله عنه . فاجتمعوا كلهم بعد خطب ومواعظ على تأمير سليمان بن صُرد عليهم ، فتعاهدوا وتعاقدوا وتواعدوا التُّخيلة ، وأن يجتمع من يستجيب لهم إلى ذلك بها في سنة خمس وستين ، ثم جمعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئاً كثيراً وأعدّوه لذلك .

[وقام المسيب بن نَجَبَة خطيباً فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد ، فقد ابتُلينا بطول العمر وكثرة الفتن ، وقد ابتلانا الله فوجدنا كاذبين في نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ بعد أن كتبنا إليه وراسلناه ، فأتانا طمعاً في نصرتنا إياه ، فخذلناه ، وأخلفناه ، وأتينا به إلى مَنْ قُتل وقُتل أولاده وذريّته وقراباته الأخيار ، فما نصرناهم بأيدينا ، ولا خذلنا عنهم بألسنتنا ، ولا قويناهم بأموالنا ، فالويل لنا جميعاً وَيْلاً متصلاً أبداً لا يفتر ولا يبيد دون أن نقتل قاتلهم والممالئين عليه ، أو نُقتل دون ذلك وتذهب أموالنا وتخرب ديارنا ، أيها الناس ! قوموا في ذلك قومة رجل واحد ، وتوبوا إلى بارئكم فاقتُلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم . . . وذكر كلاماً طويلاً . ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن يجتمعوا بالتُّخيلة في السنة الآتية]^(٤) .

وكتب سليمان بن صُرد إلى سعد بن حُذيفة بن اليمان وهو أمير على المدائن يدعوه إلى ذلك ، فاستجاب له ، ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المدائن ، فبادروا إليه بالاستجابة والقبول ، وتمالؤوا عليه ، وتواعدوا التُّخيلة في التاريخ المذكور . وكتب سعد بن حُذيفة إلى سليمان بن صُرد بذلك ، ففرح أهل الكوفة بموافقة أهل المدائن لهم على ذلك ، وتنشّطوا لأمرهم الذي تمالؤوا عليه . فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بعد قليل طمعوا في الأمر ، واعتقدوا أن أهل الشام قد ضعفوا ولم يبق من يقيم لهم أمراً ، فاستشاروا سليمان بن الظهور وأن يخرجوا إلى التُّخيلة قبل الأجل ، فنهاهم عن ذلك وقال : لا ، حتى يأتي الأجل الذي واعدوا إخوانهم فيه ، ثم هم في الباطن يعدون السلاح والقوة ولا يشعر بهم جمهور الناس ، وحينئذ عمّد جمهور أهل الكوفة إلى عمرو بن حُرَيْث - نائب عبيد الله بن زياد على الكوفة - فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الملقب : دُخْرُوجَة ، فباع

(١) ما بين حاصرتين ليس في أ ، ب .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٣) كذا قيده ابن ماكولا وغيره . ووقع في أ ، ط في مواضع كثيرة : نجية ، وهو تحريف .

(٤) انفرد المطبوع بهذه الفقرة ولم ترد في النسختين أ ، ب .

لعبد الله بن الزبير ، فهو يسد الأمور حتى تأتي نواب ابن الزبير . فلما كان يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من هذه السنة - أعني سنة أربع وستين - قدم أميران إلى الكوفة من جهة ابن الزبير ، أحدهما عبد الله بن يزيد الخطمي على الحرب والثغر ، والآخر إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي على الخراج والأموال . وقد كان قدم قبلهما بجمعة واحدة للنصف من هذا الشهر المختار بن أبي عبيد - وهو المختار الثقفي الكذاب - فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صُرد وعظّموه تعظيماً زائداً ، وهم معذّون للحرب . فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا - في الباطن - إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب - وهو محمد بن الحنفية ، ولقبه المهدي - فاتّبعه على ذلك كثير من الشيعة ، وفارقوا سليمان بن صُرد ، وصارت الشيعة فرقتين : الجمهور منهم مع سليمان بن صُرد يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين ، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، وإنما يتقوّلون عليه ليروّجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة .

وجاءت العين الصافية إلى عبد الله بن يزيد الخطمي - نائب ابن الزبير - بما تمالأ عليه فرقنا الشيعة على اختلافهما من الخروج على الناس والدعوة إلى ما يريدون ، وأشار عليه من أشار بأن يبادر إليهم ، ويحتاط عليهم ، ويبعث الشرط والمقاتلة فيقمعهم عمّا هم مجمعون عليه من إرادة الشر والفتنة . فقام خطيباً في الناس ، وذكر في خطبته ما بلغه عن هؤلاء القوم ، وما أجمعوا عليه من الأمر ، وأن منهم من يريد الأخذ بثأر الحسين ، ولقد علموا أنني لست ممن قتله ، وأناي والله لممن أصيب بقتله وكره قتله ، فرحمه الله ولعن قاتله ، وإني لا أتعرض لأحد قبل أن يبدأني بالشر ، وإن كان هؤلاء يريدون الأخذ بثأر الحسين فليعمدوا إلى ابن زياد ، فإنه هو الذي قتل الحسين وخيار أهله ، فليأخذوا منه بالثأر ، ولا يخرجوا بسلاحهم على أهل بلدهم فيكون فيه حتفهم واستئصالهم .

فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة الأمير الآخر فقال : أيها الناس ! لا يغرنكم من أنفسكم كلام هذا المداهن ، إنا - والله - قد استيقنا من أنفسنا أن قوماً يريدون الخروج علينا ، ولناخذنّ الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، والحميم بالحميم ، والعريف بما في عرافته ، حتى يدينوا للحق ويدلّوا للطاعة .

فوثب إليه المسيّب بن نجبة الفزاري ، فقطع عليه كلامه فقال : يا بن الناكثين أتهدّدنا بسيفك وعِشْمَك^(١) ؟ أنت والله أذلّ من ذلك ، إنا والله لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك ، وإنا لنرجو أن نلحقك بهما قبل أن تخرج من هذا القصر .

وساعد المسيّب بن نجبة من أصحاب إبراهيم بن محمد بن طلحة جماعة من العمال ، وجرت فتنة

(١) « الغشم » : الظلم .

وشترٌ كبير في المسجد ، فنزل عبد الله بن يزيد الخطمي عن المنبر ، وحاولوا أن يوقعوا بين الأميرين فلم يتفق لهم ذلك ، ثم ظهرت الشيعة أصحاب سليمان بن صُرد بالسلاح ، وأظهروا ما كان في أنفسهم من الخروج على الناس ، وركبوا مع سليمان بن صُرد فقصدوا نحو الجزيرة ، وكان من أمرهم ما سنذكره .

وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب فإنه قد كان بغيضاً إلى الشيعة من يوم طعن الحسين وهو ذاهب إلى الشام بأهل العراق ، فلجأ إلى المدائن ، فأشار المختار على عمّه - وهو نائب المدائن - بأن يقبض على الحسين ويبعثه إلى معاوية فيتخذ بذلك عنده اليد البيضاء ، فامتنع عمُّ المختار من ذلك ، فأبغضته الشيعة بسبب ذلك ، فلما كان من أمر مسلم بن عَقل ما كان وقتله ابن زياد كان المختار يومئذ بالكوفة ، فبلغ ابن زياد أنه يقول : لأقومنَّ بنصرة مسلم ولاأخذنَّ بثأره ، فأحضره بين يديه ، وضرب عينه بقضيب كان بيده فشرها ، وأمر بسجنه ، فلما بلغ أخته سجنه بكت وجزعت عليه ، وكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنده في إخراج المختار من السجن ، فبعث يزيد إلى ابن زياد : أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن أبي عبيد من السجن ، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك ، فأخرجه وقال له : إن وجدتكَ بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك . فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول : والله لأقطعنَّ أنامل عبيد الله بن زياد ، ولأقتلنَّ بالحسين ابن علي على عدد من قُتل بدم يحيى بن زكريا . فلما استفحل أمر عبد الله بن الزبير بمكة بايعه المختار بن أبي عبيد ، وكان من كبار الأمراء عنده ، ولما حاصره الحُصين بن نُمير مع أهل الشام قاتل المختار دون ابن الزبير أشدَّ القتال ، فلما بلغه موت يزيد بن معاوية واضطراب أهل العراق نَقَم على ابن الزبير في بعض الأمر ، وخرج من الحجاز ، وقصد الكوفة فدخلها في يوم الجمعة والناس يتهيؤون للصلاة ، فجعل لا يمرُّ بملاً من الناس إلا سلَّم وقال : أبشروا بالنصر والظفر بالأعداء . ودخل المسجد فصلَّى إلى سارية هنالك حتى أقيمت الصلاة ، ثم صلَّى من بعد الصلاة حتى صليت العصر ، ثم انصرف ، فسَلَّم عليه الناس وأقبلوا إليه وعليه وعظَّموه ، وجعل يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن الحنفية ، ويظهر الانتصار لأهل البيت ، وأنه ما جاء إلا بصدد أن يقيم شعارهم ، ويظهر منارهم ، ويستوفي ثأرهم ، ويقول للناس الذين اجتمعوا على سليمان بن صُرد من الشيعة - وقد خشي أن يبادروا إلى الخروج مع سليمان - فجعل يخذلهم ويستميلهم إليه ويقول لهم : إني قد جئتكم من قِبل وليِّ الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصي الرضي ، والإمام المهدي بأمر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النعماء ، وأن سليمان بن صُرد - يرحمنا الله وإياه - إنما هو غشمة من الغشم ، وشَنَّ^(١) بالٍ ، ليس بذئ تجربة للأمر ، ولا له علم بالحروب ، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، وإني إنما أعمل على مثل مثَّل لي ، وأمر قد بُيِّن

لي ، فيه عزٌّ وليكم ، وقتلُ عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا مني وأطيعوا أمري ، ثم أبشروا وتباشروا فإنني لكم بكل ما تأملون وتحبّون كفيل . فالتفَّ عليه خلق كثير من الشيعة ، ولكن الجمهور منهم مع سليمان بن صُرد ، فلمّا خرجوا مع سليمان إلى التُّخيلة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشبث بن ربعي وغيرهما لعبد الله بن زياد نائب الكوفة : إن المختار بن أبي عبيد أشدُّ عليكم من سليمان بن صُرد . فبعث إلى الشرط ، فأحاطوا بداره ، فأخذ فذهب به إلى السجن مقيّداً - وقيل : بغير قيد - فأقام به مدة ، ومرض فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى أنه قال : دخلتُ إليه مع حميد بن مسلم الأزدي نعوذه ونتعاهده ، فسمعتَه يقول : أما وربُّ البحار ، والنخيل والأشجار ، والمَهامة^(١) والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصلِّين الأخيار ، لأقتلنَّ كلَّ جَبَّارٍ بكلِّ لَدَنٍ^(٢) خطَّار ، ومهند بتار ، في جموع من الأنصار ، ليسوا بمِيلِ أَعْمارٍ^(٣) ، ولا بعزْلٍ أشرار ، حتى إذا أقمتُ عمود الدِّين ، ورأبتُ صدع المسلمين ، وشفيتُ غليل صدور المؤمنين ، وأدركتُ ثار أولاد النِّبيين ، لم أبك على زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا دنا . قال : وكان كلما أتينا وهو في السجن يرُدُّ علينا هذا القول حتى خرج .

ذكر هدم الكعبة وبنائها في أيام ابن الزُّبير

قال ابن جرير : وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة ، وذلك لأنه مال جدارها مما رُميت به من حجارة المنجنيق ، فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلُّون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سَرَقَة من حرير ، وأدَّخِر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب عند الخُزَّان^(٤) حتى أعاد ابن الزبير بناءها^(٥) على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنها عليه من الشكل . وذلك كما ثبت في « الصحيحين » وغيرهما من المسانيد والسنن من طرق عن عائشة أم المؤمنين : أن رسول الله ﷺ قال : « لولا حدثان قومك بكُفْرٍ لنقضتُ الكعبةَ ولأدخلتُ فيها الحجر ، فإنَّ قومك قصرتُ بهم التَّفَقَّة ، ولجعلتُ لها باباً شرقياً وباباً غريباً يدخلُ الناسُ من أحدهما ويخرجون من الآخر ، ولألصقتُ بابها بالأرض فإنَّ قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شأؤوا ويمنعوا من شأؤوا »^(٦) .

(١) « المَهامة » : جمع مهمة ، وهي المفازة البعيدة .

(٢) « اللدن » : الرمح . وفي اللسان : رمح خطار : ذوا اهتزاز شديد .

(٣) « المِيل » : جمع أميل ، وهو الجبان . « والأعمار » : جمع عُمر ، وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور .

(٤) « الخُزَّان » : الحجابة في خزانة البيت .

(٥) هنا ينتهي كلام ابن جرير . تاريخه (٥/ ٥٨٢) .

(٦) أخرجه البخاري (١٥٨٤) في الحج : باب فضل مكة وبنائها ، ومسلم (١٣٣٣) في الحج : باب نقض الكعبة =

فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به حالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ فجزاه الله خيراً . ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين - كما سيأتي - هدم الحائط الشمالي وأخرج الحجر كما كان أولاً ، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصّها فيها ، فارتفع الباب ، وسدّ^(١) الغربي ، وتلك آثاره إلى الآن ، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان له في ذلك ، ولم يكن بلغه الحديث ، فلما بلغه الحديث قال : ودننا أنا تركناه وما تولّى من ذلك .

وقد همّ المهدي ابن المنصور أن يعيدها على ما بناها ابن الزبير ، واستشار الإمام مالك بن أنس في ذلك ، فقال : إني أكره أن يتخذها الخلفاء لعبة - يعني : يتلاعبون في بنائها بحسب آرائهم - فهذا يرى رأي ابن الزبير ، وهذا يرى رأي عبد الملك بن مروان ، وهذا يرى رأياً آخر . والله أعلم .

قال ابن جرير : وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عامله على المدينة أخوه عبيدة^(٢) ، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي ، وعلى قضائها سعيد بن نمران^(٣) ، وامتنع شريح أن يحكم في زمن الفتنة ، وعلى البصرة عمر [بن عبيد الله]^(٤) بن معمر التيمي ، وعلى قضائها هشام بن هبيرة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

وكان في أواخر هذه السنة وقعة مرج راهط كما قدّمنا . وقد استقر ملك الشام لمروان بن الحكم ، وذلك بعد ظفره بالضحاك بن قيس وقتله له في الوقعة .

وقيل : إن فيها دخل مروان الديار المصرية ، وأخذها من نائبها الذي من جهة ابن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جحدم^(٥) ، واستقرت يد مروان على الشام ومصر وأعمالها ، والله أعلم .

[وقال الواقدي : لما أراد ابن الزبير هدم البيت شاور الناس في هدمها ، فأشار عليه جابر بن عبد الله ، وعبيد الله بن عُمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ، فلا تزال تُهدم حتى يتهاون الناس بحُرمتها ، ولكن أرى أن تصلح ما وهى منها (وتدع بيتاً أسلم الناس عليه ، وأحجاراً بُعث رسول الله ﷺ عليها . فقال ابن الزبير : لو احترق بيت أحدكم ما رضي حتى يجدّده ، فكيف بيت

= وبنائها ، ومالك في الموطأ (١/٣٦٣ ، ٣٦٤) في الحج : باب ما جاء في بناء الكعبة ، والنسائي : (٥/٢١٤) - (٢١٦) في الحج : باب بناء الكعبة ، والترمذي (٨٧٥) في الحج : باب ما جاء في كسر الكعبة .
(١) تحرفت في المطبوع إلى : وسه .

(٢) كذا في ب ، م ومثله في تاريخ الطبري . ووقع في أ ، ط : عبيد الله .

(٣) في الأصول : سعيد بن المرزبان خطأ ، والمثبت من تاريخ الطبري . وأيضاً من أخبار القضاة لوكيع (٢/٣٩٧) .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من المطبوع ، ووقع في أ ، ب : بن عبد الله .

(٥) كذا وردت في أ ، ب وتاريخ الطبري وابن الأثير . ووقعت في المطبوع : جحدر .

ربكم) ^(١) ! ثم إن ابن الزبير استخار الله ثلاثة أيام ، ثم غدا في اليوم الرابع ، فبدأ بنقض الركن من الأساس ، فلما وصلوا إلى الأساس وجدوا أصلاً بالحجر مشبكاً كأصابع اليد ، فدعا ابن الزبير خمسين رجلاً فأمرهم أن يحفروا ، فلما ضربوا المعاول في تلك الأحجار المشبكة ارتجت مكة ، فتركه على حاله ، ثم أسس عليه البناء ، وجعل للكعبة بايين موضوعين بالأرض : باب يُدخل منه ، وباب يُخرج منه ، ووضع الحجر الأسود بيده ، وشده بفضة لأنه كان قد تصدّع ، وزاد في وسع الكعبة عشرة أذرع ، ولطّخ جدرانها بالمسك وسترها بالديباج ، ثم اعتمر من مسجد عائشة ، وطاف بالبيت وصلى وسعى ، وأزال ما حول الكعبة من الزباله وما كان حولها من الدماء . وكانت الكعبة قد وهت من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق ، واسودّ الركن ، وانصدع الحجر الأسود من النار التي كانت حول الكعبة . وكان سبب تجديد ابن الزبير لها ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة المتقدم ذكره ، والله أعلم ^(٢) .

ثم دخلت سنة خمس وستين

فيها اجتمع إلى سليمان بن صُرد نحو من سبعة عشر ألفاً ، كلهم يطلبون الأخذ بشار الحسين ممن قتله .

[قال الواقدي : لما خرج الناس إلى الثخيلة كانوا قليلاً ، فلم تعجب سليمان قلتهم ، فأرسل حكيم بن منقذ فنأدى في الكوفة بأعلى صوته : يا ثارات الحسين ، فلم يزل ينادي حتى بلغ المسجد الأعظم ، فسمع الناس ، فخرجوا إلى الثخيلة ، وخرج أشراف الكوفة فكانوا قريباً من عشرين ألفاً أو يزيدون - في ديوان سليمان بن صُرد - فلما عزم على المسير بهم لم يصف معه سوى أربعة آلاف ، فقال المسيّب بن نجبة لسليمان : إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية وباع نفسه لله عز وجل ، فلا تنتظرن أحداً ، وامض لأمرك في جهاد عدوك ، واستعن بالله عليهم . فقام سليمان في أصحابه وقال : يا أيها الناس ! من كان خرج لوجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه ، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا . فقال الباقر معه : ما للدنيا خرجنا ، ولا لها طلبنا . فقليل له : أنسير إلى قتلة الحسين بالشام وقتلته عندنا بالكوفة كلهم مثل عمر بن سعد وغيره ؟! فقال سليمان : إن ابن زياد هو الذي جهّز الجيش إليه وفعل به ما فعل ، فإذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة ، ولو قاتلتموهم أولاً - وهم أهل مصركم - ما عدم الرجل منكم أن يرى رجلاً قد قتل أباه ، قد قتل أخاه أو حميمه ، فيقع التخاذل ، فإذا فرغتم من الفاسق ابن زياد حصل لكم المراد . فقالوا : صدقت .

(١) ما بين هذين القوسين ليس في المطبوع ، وهو من أقط .

(٢) هذه الفقرة برمتها سقطت من النسخة ب .

فنادى فيهم : سيروا على اسم الله تعالى ، فساروا عشية الجمعة لخمس مضيّن من ربيع الأول [١] .

وقال في خطبته : من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزَبَرَجدها فليس معنا مما يطلب شيء ، وإنما معنا سيوف على عواتقنا ، ورماح في أكفنا ، وزاد يكفينا حتى نلقى عدونا . فأجابوه إلى السمع والطاعة والحالة هذه . وقال لهم : عليكم بابن زياد الفاسق أولاً فليس له إلا السيف وها هو قد أقبل من الشام قاصداً العراق . فصمّم الناس معه على هذا الرأي .

فلما أزمعوا على ذلك بعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد - أمراء الكوفة من جهة ابن الزبير - إلى سليمان بن صُرد يقولان له : إنا نحب أن تكون أيدينا واحدة على ابن زياد ، وأنهم يريدون أن يبعثوا معهم جيشاً ليقوّيهم على ما هم قد قصدوا له ، وبعثوا إليه البريد أن ينتظرهم حتى يقدموا عليه . فتهيأ سليمان بن صُرد لقدومهم عليه في رؤوس الأمراء ، وجلس في أبيته والجيش محدقة به ، وأقبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم [بن محمد]^(٢) بن طلحة في أشرف أهل الكوفة من غير قتلة الحسين لئلا يطمعوا فيهم - وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص في هذه الأيام كلّها لا يبيت إلا في قصر الإمارة عند عبد الله بن يزيد خوفاً على نفسه - فلما اجتمع الأميران عند سليمان بن صُرد قالوا له وأشارا عليه : ألا يذهبوا حتى تكون أيديهم واحدة على قتال ابن زياد ، ويجهّزوا معهم جيشاً ، فإن أهل الشام جمع كثير وجمّ غفير وهم يحاجفون عن ابن زياد ، فامتنع سليمان من قبول قولهما وقال : إنا قد خرجنا لأمر فلا نرجع عنه ولا نتأخر فيه . فانصرف الأميران راجعين إلى الكوفة .

وانتظر سليمان بن صُرد وأصحابه أصحابهم الذين كانوا قد واعدوهم من أهل البصرة وأهل المدائن ، فلم يقدموا عليهم ولا واحد منهم ، فقام سليمان في أصحابه خطيباً وحرّضهم على الذهاب لما خرجوا له ، وقال : لو قد سمع إخوانكم بخروجكم للحقوقم سراعاً . فخرج سليمان وأصحابه من النخيلة يوم الجمعة لخمس مضيّن من ربيع الأول سنة خمس وستين ، فسار بهم مراحل ما يتقدمون مرحلة إلى نحو الشام إلا تخلف عنه طائفة من الناس الذين معه ، فلما مرّوا بقبر الحسين صاحوا صيحة رجل واحد ، وتباكوا ، وباتوا عنده ليلة يصلّون ويدعون ، وظلّوا يوماً يترحمون عليه ، ويستغفرون له ، ويترضون عنه ، ويتمنون أن لو كانوا ماتوا معه شهداء .

قلت : لو كان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك المنزلّة لكان أنفع له وأنصر من اجتماع سليمان وأصحابه لنصرته بعد أربع سنين .

(١) هذه الفقرة من المطبوع فقط . وقد ورد بدلاً عنها في النسختين آ ، ب ما نصه : وقد خطبهم سليمان بن صرد حين خرجوا من الكوفة في ربيع الأول من هذه السنة بالنخيلة ، فحرّضهم على الجهاد في ذلك .

(٢) سقط من المطبوع .

ولما أرادوا الانصراف جعل لا يريم^(١) أحد منهم حتى يأتي القبر فيترحم عليه ويستغفر له ، حتى جعلوا يزدحمون أشدَّ من ازدحامهم عند الحجر الأسود .

ثم ساروا قاصدين الشام ، فلما اجتازوا بقرقيسيا^(٢) تحصَّن منهم زفر بن الحارث ، فبعث إليه سليمان بن صُرد : إنا لم نأت لقتالكم ، فأخرج إلينا سوقاً ، فإننا إنما نقيم عندكم يوماً أو بعض يوم ، فأمر زفر بن الحارث أن يخرج السوق إليهم ، وأمر للرسول إليه - وهو المسيب بن نجبة - بفرس وألف درهم . فقال : أما المال فلا ، وأما الفرس فنعم ، وبعث زفر بن الحارث إلى سليمان بن صُرد ورؤوس الأمراء الذين معه إلى كل واحد عشرين جزوراً وطعاماً وعلفاً كثيراً ، ثم خرج زفر بن الحارث فشيّعهم وسار مع سليمان بن صُرد وقال له : إنه قد بلغني أن أهل الشام قد جهزوا جيشاً كثيفاً وعدداً كثيراً مع حصين بن نُمير ، وشرحبيل بن ذي الكلاع ، وأدهم بن محرز الباهلي ، وربيعه بن المخارق الغنوي ، وجبله بن عبد الله الخثعمي . فقال سليمان بن صُرد : على الله توكلنا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

ثم عرض عليهم زفر أن يدخلوا مدينته أو يكونوا عند بابها ، فإن جاءهم أحد كان معهم عليه . فأبوا أن يقبلوا وقالوا : قد عرض علينا أهل بلدنا مثل ذلك فامتنعنا . قال : فإذا أبيتم ذلك فبادروهم إلى عين الوردة ، فيكون الماء والمدينة والأسواق والسباق خلف ظهوركم ، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه . ثم أشار عليهم بما يعتمدونه في حال القتال [فقال : ولا تقاتلوهم في فضاء فإنهم أكثر منكم عدداً فيحيطون بكم ، فإني لا أرى معكم رجالاً والقوم ذوو رجال وفرسان ، ومعهم كراديس فاحذروهم]^(٣) . فأثنى عليه سليمان بن صُرد والناسُ خيراً . ثم رجع عنهم .

وسار سليمان بن صُرد ، فبدر إلى عين الوردة ، فنزل غربيها ، وأقام هنالك [خمساً] قبل وصول أعدائه إليه ، واستراح سليمان وأصحابه واطمأنوا .

وقعة عين وردة

فلما اقترب قدوم أهل الشام إليهم خطب سليمان أصحابه ، فرغَّبهم في الآخرة ، وزهَّدهم في الدنيا ، وحثَّهم على الجهاد ، وقال : إن قُتلت فالأمير عليكم : المسيب بن نجبة ، فإن قُتل فعبد الله بن سعد بن نفيل ، فإن قُتل فعبد الله بن وال ، فإن قُتل فرفاعة بن شداد ، ثم بعث بين يديه المسيب بن نجبة في

(١) « لا يريم » : لا يبرح .

(٢) « قرقيسيا » : بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك ، وعندها مصب الخابور في الفرات .

(٣) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

أربعمئة^(١) فارس ، فأغاروا على جيش شرحبيل بن ذي الكلاع وهم غارون^(٢) ، فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين ، واستاقوا نعماً . وأتى الخبر إلى عبيد الله بن زياد ، فأرسل بين يديه الحصين بن نمير ، فصبح سليمان بن صُرد وجيشه ، فتوافقوا في يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى ، وحُصين بن نمير قائم في اثني عشر ألفاً ، وقد تهيأ كل من الفريقين لصاحبه ، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدخول في طاعة مروان بن الحكم ، ودعا أصحاب سليمان الشاميين إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلوه عن الحسين . وامتنع كل من الفريقين أن يجيب إلى ما طُلب منه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً عامة يومهم إلى الليل ، وكانت الدائرة فيه للعراقيين . فلما أصبحوا أصبح ابن ذي الكلاع وقد وصل إلى الشاميين في ثمانية آلاف^(٣) فارس ، وقد أنبّه وشمته ابن زياد ، فاقتتل الناس في هذا اليوم قتالاً لم يرَ الشيب والمرد مثله قط ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل ، فلما أصبح الناس في اليوم الثالث وصل إلى الشاميين أدهم بن محرز في عشرة آلاف - وذلك في يوم الجمعة - فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى حين ارتفاع الضحى ، ثم استدار أهل الشام بأهل العراق وأحاطوا بهم من كل جانب ، فخطب سليمان بن صُرد الناس وحرّضهم على الجهاد ، فاقتتل الناس قتالاً عظيماً جداً ، ثم ترجّل سليمان بن صُرد [وكسر جفن سيفه ونادى : يا عباد الله ! من أراد الرواح إلى الجنة والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فليأت إلي . فترجّل معه ناس كثيرون ، وكسروا جفون سيوفهم ، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم ، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا في الدماء ، وقُتل سليمان بن صُرد أمير العراقيين]^(٤) رماه يزيد بن الحصين بسهم فوق ، ثم وثب ثم وقع ، ثم وثب ثم وقع وهو يقول : فزت وربّ الكعبة . فأخذ الراية المسيّب بن نجبة ، فقاتل بها قتالاً شديداً وهو يقول :

قد عَلِمْتُ مِثْلَ الدَّوَابِّ وَاضِحَةُ اللَّبَاتِ وَالتَّرائِبِ

أَنْيَ غَدَاةَ الرَّوْعِ وَالتَّغَالِبِ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لَبْدَةٍ^(٥) مُوَابِّ

قَصَّاعٌ^(٦) أَقْرَانِ مَخَوْفِ الْجَانِبِ^(٧)

ثم قاتل قتالاً شديداً ، ففضى ابن نجبة نحبه ، ولحق في ذلك الموقف صحبه رحمهم الله . فأخذ

(١) مثله في تاريخ الطبري (٥/٥٩٦) ، ووقع في المطبوع : خمسمئة .

(٢) « غارون » : غافلون . وقد تحرفت في المطبوع إلى : عارون .

(٣) مثله في تاريخ الطبري (٥/٥٩٨) ، ووقع في المطبوع : ثمانية عشر ألف . وهو خطأ .

(٤) ما بين حاصرتين سقط من ب .

(٥) « ذو اللبدة » : الأسد .

(٦) في اللسان : قصعت الرجل قصعاً : صغرتة وحقرته .

(٧) الأبيات في تاريخ الطبري (٥/٦٠٠) ومروج الذهب (٣/١٠٢) .

الراية عبد الله بن سعد بن نفيل ، فقاتل قتالاً شديداً أيضاً [وهو يقول : رحم الله إخواني ، منهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلاً]^(١) . وحمل حينئذ ربيعة بن المخارق على أهل العراق حملة منكراً ، وتبارز هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ، ثم اتحدا ، فحمل ابن أخي ربيعة على عبد الله بن سعد فقتله ، ثم احتمل عمه ، فأخذ الراية عبد الله بن وال ، فحرّض الناس على الجهاد وجعل يقول : الرواح إلى الجنة - وذلك بعد العصر - وحمل بالناس ففرّق من كان حوله ، ثم قُتل - وكان من الفقهاء المفتين - قتله أدهم بن محرز الباهلي أمير حرب الشاميين ساعئذ ، فأخذ الراية رفاعه بن شدّاد ، فانحاز بالناس وقد دخل الظلام ، ورجع الشاميون إلى رحالهم ، وانشمر رفاعه بمن بقي معه راجعاً إلى بلاده ، فلما أصبح الشاميون إذا العراقيون قد كُروا راجعين إلى بلادهم ، فلم يبعثوا وراءهم طلباً ولا أحداً [فقطع رفاعه بمن معه الخابور، ومَرَّ على قَرْقِيسيا، فبعث إليهم زفر بن الحارث الطعام والعلف والأطباء، فأقاموا ثلاثاً حتى استراحوا، ثم ارتحلوا]^(٢) فلما وصلوا إلى هَيْت إذا سعد بن حذيفة بن اليمان قد أقبل بمن أطاعه من أهل المدائن قاصدين إلى نصرتهم ، فلما أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم ، ونَعُوا إليه أصحابهم ترحموا عليهم ، واستغفروا لهم ، وتباكوا على إخوانهم ، وانصرف أهل المدائن إليها ، ورجع راجعة أهل الكوفة إليها وقد قتل منهم خلق كثير وجُمٌ غفير ، وإذا المختار بن أبي عبيد كما هو في السجن لم يخرج منه بعد ، فكتب إلى رفاعه بن شدّاد يعزّيه فيمن قُتل منهم ، ويترحم عليهم ، ويغبطهم بما نالوا من الشهادة وجزيل الثواب [ويقول : مرحباً بالذين أعظم الله أجورهم ورضي عنهم ، والله ما خطا منهم أحد خطوة إلا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها ، وإن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه في أرواح النبيين والشهداء والصالحين ، وبعد : فأنا الأمير المأمون ، قاتل الجبّارين والمفسدين إن شاء الله ، فأعدّوا واستعدّوا وأبشروا ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل البيت . . . وذكر كلاماً كثيراً في هذا المعنى]^(٣) . وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن رَيْثِهِ^(٤) الذي كان يأتي إليه من الشياطين ، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان ، فيوحي إليه قريباً مما كان يوحي شيطان مسيلمة إلى مسيلمة .

وكان جيش سليمان بن صُرْد وأصحابه يسمى بجيش التوابين رحمهم الله .

وقد كان سليمان بن صُرْد [الخزاعي - أبو مطرّف - الكوفي]^(٥) صحابياً جليلاً نبيلاً عابداً . وروى عن

(١) ما بين حاصرتين ليس في ب ، ط .

(٢) ما بين حاصرتين من أ فقط . ومكانه في المطبوع : لما لقوا منهم من القتل والجراح وكلاهما سقط من النسخة ب .

(٣) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط ، ونحوه في تاريخ الطبري (٦٠٦/٥) من رواية أبي مخنف .

(٤) تحرفت في المطبوع إلى : ربه ، « والرئي » : ما يعتاد الإنسان من الجن - اللسان (رأي) .

(٥) ما بين حاصرتين من أ فقط . وترجمته وأهم مصادرها في سير أعلام النبلاء (٣/٣٩٤) .

النبي ﷺ أحاديث في « الصحيحين » وغيرهما . وشهد مع علي صفين . وكان أحد من كان يجتمع الشيعة في داره لبيعة الحسين ، وكتب إلى الحسين فيمن كتب بالقدوم إلى العراق ، فلما قدمها وقُتل بكر بلاء بعد ذلك ورأى هؤلاء أنهم كانوا سبباً في قدومه وأنهم خذلوه حتى قُتل هو وأهل بيته ، فندموا على ما فعلوا معه ، ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسمّوا جيشهم : جيش التوابين ، وسمّوا أميرهم سليمان بن صُرد : أمير التوابين ، فقتل سليمان - رضي الله عنه - في هذه الوقعة بعين وردة سنة خمس وستين ، وقيل : سنة سبع وستين ، والأول أصح . وكان عمره يوم قتل ثلاثاً وتسعين سنة رحمه الله .

[وأما المسيّب بن نجبة بن ربيعة الفزاري فإنه قدم مع خالد بن الوليد من العراق ، وشهد فتح دمشق ، ثم عاد إلى العراق وشهد مع علي صفين وغيرها . وكان أحد الكبار الذين خرجوا يطلبون بدم الحسين رضي الله عنه]^(١) وحُمل رأسه ورأس سليمان بن صُرد إلى مروان بن الحكم بعد الوقعة .

وكتب أمراء الشاميين إلى مروان بما فتح الله عليهم وأظفرهم به من عدوهم ، فخطب الناس وأعلمهم بما كان من أمر الجنود ومن قتل من أهل العراق [وقد قال : أهلك الله رؤوس الضلال سليمان بن صُرد وأصحابه . وعلّق الرؤوس بدمشق]^(٢) .

وكان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز ، وأخذ بيعة الأمراء على ذلك في هذه السنة . قاله ابن جرير^(٣) وغيره .

وفيهما دخل مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدق إلى الديار المصرية ، فأخذها من يد نائبها الذي كان لعبد الله بن الزبير ، وهو عبد الرحمن بن جَخدم ، وكان سبب ذلك أن مروان قصدها ، فخرج إليه نائبها ابن جَخدم ، فقابله مروان ليقاتله ، فاشتغل به ، وخلص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جَخدم فدخل مصر فملكها ، وهرب عبد الرحمن ، ودخل مروان إلى مصر فتملّكها ، وجعل عليها ولده عبد العزيز .

وفيهما بعث ابن الزبير أخاه مصعباً ليفتح له الشام ، فبعث إليه مروان عمرو بن سعيد ، فتلقاه إلى فلسطين ، فهرب منه مصعب بن الزبير وكرّ راجعاً ولم يظفر بشيء . واستقر ملك الشام ومصر لمروان .

[وقال الواقدي : إن مروان حاصر مصر ، فخندق عبد الرحمن بن جَخدم على البلد خندقاً وخرج في

(١) ما بين حاصرتين من فقط .

(٢) ما بين حاصرتين من ط فقط .

(٣) في تاريخه (٦١٠/٥) .

أهل مصر إلى قتاله ، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون ، ويسمى ذلك يوم التراويح ، واستمر القتل في خواص أهل البلد ، فقتل منهم خلق كثير ، وقتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معدي كرب الكلاعي أحد الأشراف . ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله ، فأجابه مروان إلى ذلك ، وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده ، وتفرق الناس ، وأخذوا في دفن موتاهم والبكاء عليهم ، وضرب مروان عنق ثمانين رجلاً تخلّفوا عن مبايعته ، وضرب عنق الأكيدر بن حملة اللخمي - وكان من قتلة عثمان - وذلك في نصف جمادى الآخر يوم توفي عبد الله بن عمرو بن العاص ، فما قدروا أن يخرجوا بجنازته ، فدفنوه في داره . واستولى مروان على مصر ، وأقام بها شهراً ، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز ، وترك عنده أخاه بشر بن مروان ، وموسى بن نصير وزيراً له ، وأوصاه بالإحسان إلى الأكابر ، ورجع إلى الشام ^(١) .

وفيهما جهّز مروان جيشين : أحدهما مع حُيَيش بن دُلَجَة القيني ^(٢) ليأخذ له المدينة ، وكان من أمره ما سنذكره ، والآخر مع عبيد الله بن زياد إلى العراق لينتزع من نواب ابن الزبير ، فلما كانوا ببعض الطريق لقوا جيش التوابين مع سليمان بن صُرَد ، وكان من أمرهم ما تقدم ذكره . واستمر جيش الشاميين ذاهباً إلى العراق ، فلما كانوا بالجزيرة بلغهم موت مروان بن الحكم .

وكانت وفاته في شهر رمضان من هذه السنة . وكان سبب موته أنه تزوج بأُمّ خالد امرأة يزيد بن معاوية - وهي أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة - وإنما أراد مروان بتزويجه إياها ليصغر ابنها خالداً في أعين الناس ، فإنه قد كان في نفوس كثير من الناس أن يملكوه بعد أخيه معاوية ، فتزوج أمّه ليصغر أمره فيما بينهم . فبينما هو ذات يوم داخل إلى عند مروان إذ جعل مروان يتكلم فيه عند جلسائه ، فلما جلس قال له فيما خاطبه به : يا بن الرطبة الاست . فذهب خالد إلى أمّه ، فأخبرها بما قال له ، فقالت : اكتم ذلك ولا تُعلمه أنك أعلمتني بذلك . فلما دخل عليها مروان قال لها : هل ذكرني خالد عندك بسوء ؟ فقالت له : وماذا عساه يقول لك وهو يحبك ويعظمك ؟ ! ثم إن مروان رقد عندها ، فلما أخذه النوم عمّدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه ، وتحاملت عليها هي وجواريتها حتى مات غمّاً . وكان ذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بدمشق ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وقيل : إحدى وثمانون سنة . وكانت إمارته تسعة أشهر ، وقيل : عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام .

(١) هذه الفقرة من المطبوع فقط .

(٢) وقعت في المطبوع : العتيبي ، وهو تحريف ، تنظر ترجمته في تاريخ دمشق (١٢/٨٦) .

ترجمة مَرْوَان بن الْحَكَم^(١)

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن [عبد] ^(٢) شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، أبو عبد الملك ، ويقال : أبو الحكم ، ويقال : أبو القاسم .

وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه ولد في حياة النبي ﷺ وروى عنه في حديث صلح الحديبية ، وفي رواية في « صحيح البخاري » عن مروان والمِسُور بن مخزومة عن جماعة من الصحابة الحديث بطوله ^(٣) .

وروى مروان عن : عمر ، وعثمان - وكان كاتبه : أي : كان كاتب عثمان - وعلي ، وزيد بن ثابت ، وبُسْرة^(٤) بنت صفوان الأسدية - وكانت حماته . وقال الحاكم أبو أحمد : كانت خالته . ولا منافاة بين كونها حماته وخالته .

وروى عنه : ابنه عبد الملك ، وسهل بن سعد ، وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعلي بن الحسين زين العابدين ، ومجاهد ، وغيرهم .

قال الواقدي ومحمد بن سعد : أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه شيئاً ، وكان عمره ثمان سنين حين توفي النبي ﷺ^(٥) .

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين^(٦) .

وقد كان مروان من سادات قريش وفضلائها .

(١) طبقات ابن سعد (٣٥/٥) نسب قريش (١٥٩ ، ١٦٠) طبقات خليفة (ت ١٩٨٤) المحبر (٢٢ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٢٢٨ ، ٣٧٧) تاريخ البخاري الكبير (٣٦٨/٧) المعارف (٣٥٣) الأخبار الطوال (٢٨٥) الجرح والتعديل (٢٧١/٨) تاريخ الطبري (٥/٥٣٠ و ٦١٠) مروج الذهب (٩٤/٣) ، معجم الشعراء (٣١٧) ، جمهرة أنساب العرب (٨٧) الاستيعاب (١٣٨٧/٣) الجمع بين رجال الصحيحين (٥٠١/٢) تاريخ ابن عساكر (١٦/١٧٠/أ) أسد الغابة (٥/١٤٤) الكامل في التاريخ (١٩١/٤) الحلة السرياء (٢٨/١) تهذيب الأسماء واللغات (٨٧/٢/١) مختصر تاريخ دمشق (١٧٢/٢٤) تهذيب الكمال (ورقة ١٣١٥) تاريخ الإسلام (٧٠/٣) العبر (٧١/١) تهذيب التهذيب (٤/٣٠/أ) سير أعلام النبلاء (٤٧٦/٣) الكاشف (١١٦/٣) فوات الوفيات (٤/١٢٥) العقد الثمين (٧/١٦٥) الإصابة (٣/٤٧٧) تهذيب التهذيب (٩١/١٠) النجوم الزاهرة (١/١٦٤ ، ١٦٩) حسن المحاضرة (١/٢٣٤) خلاصة الخزرجي (٣٧٣) شذرات الذهب (١/٢٨٩) .

(٢) سقط من ط .

(٣) هو في صحيح البخاري في عدة مواضع . ينظر تخريج هذا الحديث وعدة أحاديث أخرى في تحفة الأشراف للمزي (٥١/٨) (بشار) .

(٤) كذا قيدها الحافظ في التقریب ، بضم أولها وسكون المهملة . وقد تحرفت في المطبوع إلى : بسيرة .

(٥) تاريخ دمشق (٥٧/٢٣٢) .

(٦) الطبقات الكبرى (٥/٣٥) .

روى ابن عساكر^(١) وغيره : أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها ، فقالت : قد خطبها جرير بن عبد الله البجلي وهو سيد شباب المشرق ، ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قريش ، وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم . فقالت المرأة : أجاد يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قالت : قد زوجناك يا أمير المؤمنين !

وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويعظمه . وكان كاتب الحكم بين يديه . ومن تحت رأسه جرت قضية الدار ، وبسببه حُصر عثمان بن عفان فيها ، وألحَّ عليه أولئك أن يسلم مروان إليهم ، فامتنع عثمان أشد الامتناع . وقد قاتل مروان يوم الدار قتالاً شديداً ، وقتل بعض الخوارج ، وكان على الميسرة يوم الجمل ، ويقال : إنه رمى طلحة بسهم في ركبته فقتله ، فإله أعلم .

وقال ابن عبد الحكم^(٢) : سمعت الشافعي يقول : كان عليّ يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه تعطفني عليه رحم ماسّة ، وهو سيد من شباب قريش .

وقال ابن المبارك : عن جرير بن حازم ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية : من تركت لهذا الأمر من بعدك ؟ فقال : أما القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، الشديد في حدود الله ، مروان بن الحكم . وقد استنابه على المدينة غير مرة ، يعزله ثم يعيده إليها . وأقام للناس الحج في سنين متعددة .

وقال حنبل عن الإمام أحمد قال : يقال : كان عند مروان قضاء ، وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب .

وقال ابن وهب : سمعت مالكا يقول - وذكر مروان يوماً فقال : قال مروان : قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة ، ثم أصبحت فيما أنا فيه من إهراق الدماء وهذا الشأن !

وقال إسماعيل بن عياش : عن صفوان بن عمرو^(٣) ، عن شريح بن عبيد وغيره قال : كان مروان إذا ذكر الإسلام قال :

بِنِعْمَةِ رَبِّي لَا بِمَا قَدَّمْتُ يَدَيَّ وَلَا بِتُرَاثِي^(٤) إِنَّنِي كُنْتُ خَاطِئًا

(١) في تاريخ دمشق (٥٧/٢٣٨) .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، كما في مختصر تاريخ دمشق (٢٤/١٧٩) ووقع في المطبوع : وقال أبو الحكم .

(٣) تحرف في المطبوع إلى : عمرة ، وصفوان بن عمرو : هو السكسكي ، من رجال التهذيب .

(٤) في مختصر تاريخ دمشق (٢٤/١٨٠) بيراتي .

وقال الليث عن يزيد بن [أبي]^(١) حبيب ، عن سالم أبي النضر أنه قال : شهد مروان جنازة ، فلما صُلِّيَ عليها انصرف ، فقال أبو هريرة : أصاب قيراطاً وحُرم قيراطاً . فأخبر بذلك مروان ، فأقبل يجري حتى بدت ركبته ، ففعد حتى أذن له .

وروى المدائني ، عن إبراهيم بن محمد ، عن جعفر بن محمد : أن مروان كان أسلف علي بن الحسين حين رجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه الحسين ستة آلاف دينار ، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من علي بن الحسين شيئاً ، فبعث إليه عبد الملك بذلك ، فامتنع من قبولها ، فألحَّ عليه ، فقبلها .

وقال الشافعي : أنبأنا حاتم بن إسماعيل ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن الحسن والحسين كانا يصليان خلف مروان ولا يُعيدانها ، ويعتدان بها .

وقد روى عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : أول من قدَّم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان ، فقال له رجل : خالفت السنة ، فقال مروان : إنه قد ترك ما هنالك . فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ منكراً فليغيِّرْهُ بيده ، فَإِنْ لم يستطع فبلسانه ، فَإِنْ لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »^(٢) .

قالوا : ولما كان نائباً بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع مَنْ عنده من الصحابة ، فاستشارهم فيها .

قالوا : وهو الذي جمع الصَّيعان ، فأخذ بأعدلها ، فنُسب إليه الصاع ، فقليل : صاع مروان .

وقال الزبير بن بكار : حدَّثنا إبراهيم بن حمزة ، حدَّثني ابن أبي علي اللِّهَبي^(٣) ، عن إسماعيل بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : خرج أبو هريرة من عند مروان فلقَّيه قوم قد خرجوا من عنده فقالوا له : يا أبا هريرة إنه أشهدنا الآن على مئة رقبة أعتقها الساعة ، قال : فغمز أبو هريرة يدي وقال : يا أبا سعيد : يَكُ^(٤) من كسب طيِّب خيرٌ من مئة رقبة . قال الزبير : اليك^(٥) الواحد .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن

(١) سقطت من ط .

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف رقم (٥٦٤٩) أخرجه مسلم (٤٩) في الإيمان : باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، والترمذي (٢١٧٢) في الفتن : باب ما جاء في تغيير المنكر من طريق أخرى عن سفيان به .

(٣) هو علي بن علي . و « اللِّهَبي » : نسبة إلى أبي لهب . ذكره السمعاني في الأنساب (٤٤/١١) وقال : يروي عن الثقات الموضوعات ، وعن الأثبات المقلوبات . ولا يجوز الاحتجاج به .

(٤) تحرفت هذه اللفظة في أ ، ط إلى : « بك » .

(٥) تحرفت هذه اللفظة في أ ، ط إلى « البك » .

أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغَ بنو أبي فلانٍ ثلاثين رجلاً اتَّخذوا مال الله دُولاً ، ودين الله دَخَلاً ، وعباد الله خَوَلاً »^(١) .

ورواه أبو يعلى ، عن زكريا بن يحيى زُحمويه ، عن صالح بن عمر ، عن مطرّف ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا بلغَ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتَّخذوا دين الله دَخَلاً ، وعباد الله خَوَلاً ، ومال الله دُولاً »^(٢) .

وقد رواه الطبراني^(٣) ، عن أحمد بن عبد الوهاب ، عن أبي المغيرة ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن راشد بن سعد ، عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا بلغَ بنو أمية أربعين رجلاً . . . » وذكره . وهذا منقطع .

ورواه العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة من قوله : « إذا بلغَ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً . . . » فذكره .

ورواه البيهقي وغيره من حديث ابن لهيعة عن أبي قبيل ، عن ابن وهب ، عن معاوية وعبد الله بن عباس ، عن رسول الله ﷺ : أنه قال : « إذا بلغَ بنو الحكم ثلاثين اتَّخذوا مال الله بينهم دُولاً ، وعباد الله خَوَلاً ، وكتاب الله دخلاً . فإذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمئة كان هلاكهم أسرع من لوك ثمرة » . وأن رسول الله ﷺ ذكر عبد الملك بن مروان فقال : « أبو الجبابرة الأربعة » . وهذه الطرق كلها ضعيفة .

وروى أبو يعلى وغيره - من غير وجه - عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : « أن رسول الله ﷺ رأى في المنام أن بني الحكم يَزَقُونَ على منبره وَيَنْزِلُونَ ، فأصبح كالمتغيظ وقال : رأيت بني الحكم يَنْزِلُونَ على منبري نَزَوْ القردة ! فما رُؤي رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات » .

ورواه الثوري ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيّب مرسلًا وفيه : فأوحى الله إليه : إنما هي دنيا أعطوها . فقرّت عينه . وهي قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّهْيَا الَّتِي أَرَبْتِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] يعني : بلاء للناس واختباراً .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨٠/٣) وهو حديث ضعيف ، كما سيبين المصنف حيث يقول : « وهذه الطرق كلها ضعيفة » ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله (الصحيحه ٢/ ٣٧٩ حديث ٧٤٤) ، ولم أر له سنداً يفرح به ، فمدار أسانيده على عطية العوفي وهو ضعيف ، فحكم ابن كثير أولى (بشار) . « والدخل » : الفساد . « والخول » : الخدم والعبيد .

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ رقم ١١٥٢) .

(٣) في مسند الشاميين (١٤٥١) .

وهذا مرسل ، وسنده إلى سعيد ضعيف .

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة ، فلهذا أضربنا صفحاً عن إيرادها لعدم صحتها .
[وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي ﷺ وإنما أسلم يوم الفتح ، وقدم الحكم المدينة ، ثم طرده النبي ﷺ إلى الطائف ، ومات بها .

ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان ، لأنه زور على لسانه كتاباً إلى مصر بقتل أولئك الوفد .
ولما كان متولياً على المدينة لمعاوية كان يسبُّ عليّاً كل جمعة على المنبر . وقال له الحسين بن علي : لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صُلْبِهِ على لسان نبيّه فقال : « لعن الله الحكم وما ولد » . والله أعلم ^(١) .

وقد تقدم أن حسان بن مالك بن بَخلد لما قدم عليه مروان أرض الجابية أعجبه إتيانه إليه ، فبايعه ، وبايع أهل الأردن على أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الإمرة لخالد بن يزيد ، ويكون لمروان إمرة حمص ، ولعمرو بن سعيد نيابة دمشق . وكانت البيعة لمروان يوم الإثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وستين . قاله الليث بن سعد وغيره .

وقال الليث : وكانت وقعة مرج راهط في ذي الحجة من هذه السنة بعد عيد النحر بيومين .

قالوا : فغلب الضحاك بن قيس ، واستوسق له ملك الشام ومصر ، فلما استقرَّ ملكه في هذه البلاد بايع من بعده لولده عبد الملك ، ثم من بعده لولده عبد العزيز - والد عمر بن عبد العزيز - وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية لأنه كان لا يراه أهلاً للخلافة ، ووافقه على ذلك حسان بن مالك ^(٢) بن بَخلد - وإن كان خالاً لخالد بن يزيد - وهو الذي قام بأعباء بيعة عبد الملك . ثم إن أمَّ خالد دبَّرت أمر مروان فسمَّته - ويقال : بل وضعت على وجهه وهو نائم وسادةً فمات مخنوقاً ، ثم إنها أعلنت الصُّراخ هي وجواريتها وصيخن : مات أمير المؤمنين فجأة . ثم قام من بعده ولده عبد الملك بن مروان كما سنذكره .

وقال عبد الله بن أبي مذعور : حدَّثني بعض أهل العلم قال : كان آخر ما تكلم به مروان : « وجبت الجنة لمن خاف النار » . وكان نقش خاتمه : العزة لله .

وقال الأصمعي : حدَّثنا عدي بن أبي عمار ، عن أبيه ، عن حرب بن زياد قال : كان نقش خاتم مروان : آمَنْتُ بالعزیز الرحيم .

(١) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

(٢) تحرف في المطبوع إلى : مالك بن حسان .

وكانت وفاته بدمشق عن إحدى - وقيل : ثلاث - وستين سنة . وقال أبو مَعْشَر وغير واحد : كان عمره يوم توفي إحدى وثمانين سنة .

وقال خليفة : حَدَّثَنِي الوليد بن هشام ، عن أبيه ، عن جدّه قال : مات مروان بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين ، وصَلَّى عليه ابنه عبد الملك ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وقال غيره : عشرة أشهر .

وقال ابن أبي الدنيا وغيره : كان قصيراً ، أحمر الوجه ، أَوْقَص^(١) ، دقيق العنق ، كبير الرأس واللحية ، وكان يُلقَّب : خيط باطل .

قال الحافظ ابن عساكر^(٢) : وذكر سعيد بن كثير بن عُفَيْر : أن مروان مات حين انصرف من مصر بالصَّنْبَرَة^(٣) ، ويقال : بِلُد^(٤) . وقد قيل : إنه مات بدمشق ودفن بين باب العجائية وباب الصغير .

[وكان كاتبه عبيد بن أوس ، وحاجبه المِنْهَال مولاة ، وقاضيه أبو إدريس الخَوْلاني ، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغساني .

وكان له من الولد : عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومعاوية ، وغير هؤلاء . وكان له عدة بنات من أمّهات شَتَّى]^(٥) .



(١) « الوقص » : قصر العنق .

(٢) تاريخ دمشق (٥٧/ ٢٨٠) .

(٣) « الصنبرة » : موضع بالأردن مقابل لعقبة أفيق ، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال معجم البلدان (٣/ ٤٢٥) .

(٤) « لُد » : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين معجم البلدان (٥/ ١٥) .

(٥) ما بين حاصرتين من المطبوع فقط .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان وملكه	٥
فضل معاوية بن أبي سفيان	٧
خروج طائفة من الخوارج عليه	٨
وفيات سنة ٤١ هـ	٩
رفاعه بن رافع	
ركانة بن عبد يزيد	
صفوان بن أمية	
عثمان بن طلحة	
عمرو بن الأسود السكوني	
عاتكة بنت زيد	
أحداث سنة ٤٢ هـ	١٢
أحداث سنة ٤٣ هـ	١٣
وفيات سنة ٤٣ هـ	١٥
عمرو بن العاص	
محمد بن مسلمة الأنصاري	
عبد الله بن سلام	
أحداث سنة ٤٤ هـ	١٩
وفيات سنة ٤٤ هـ	٢١
أم حبيبة بنت أبي سفيان	
أحداث سنة ٤٥ هـ	٢٢
وفيات سنة ٤٥ هـ	٢٣
زيد بن ثابت الأنصاري	
سلامة بن سلامة بن وقش	
عاصم بن عدي	
حفصة بنت عمر بن الخطاب	
أحداث سنة ٤٦ هـ	٢٦

الصفحة	الموضوع
٢٧	وفيات سنة ٤٦ هـ سالم بن عمير سراقة بن كعب عبد الرحمن بن خالد بن الوليد هرم بن حيان العبدي
٢٨	أحداث سنة ٤٧ هـ
٢٩	وفيات سنة ٤٧ هـ قيس بن عاصم المنقري
٣٠	أحداث سنة ٤٨ هـ
٣١	أحداث سنة ٤٩ هـ
٣٢	وفيات سنة ٤٩ هـ الحسن بن علي بن أبي طالب
٥٣	أحداث سنة ٥٠ هـ
٥٤	وفيات سنة ٥٠ هـ مدلاج بن عمرو السلمي جبير بن مطعم الحكم بن عمرو الغفاري دحية بن خليفة الكلبي عبد الرحمن بن سمرة عثمان بن أبي العاص عقيل بن أبي طالب عمرو بن أمية الضمري عمرو بن الححق الخزاعي كعب بن مالك المغيرة بن شعبة جويرية بن الحارث صفية بنت حيي بن أخطب أم شريك الأنصارية
٦٣	أحداث سنة ٥١ هـ
٧٣	وفيات سنة ٥١ هـ جرير بن عبد الله البجلي جعفر بن أبي سفيان

	الموضوع
	حارثة بن النعمان الأنصاري
	سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
	عبد الله بن أنس الجهني
	نفيع بن الحارث (أبو بكرة)
	أم المؤمنين ميمونة
٧٨	أحداث سنة ٥٢هـ
٧٨	وفيات سنة ٥٢هـ
	خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصاري)
	عبد الله بن قيس الأشعري
	عمران بن حصين
	كعب بن عجرة الأنصاري
	معاوية بن حديج
	هانئ بن نيار
٨٤	أحداث سنة ٥٣هـ
٨٥	وفيات سنة ٥٣هـ
	الربيع بن زياد الحارثي
	رويفع بن ثابت
	زياد بن أبي سفيان
	صعصة بن ناجيه
	جبله بن الأيهم الغساني
٩٢	أحداث سنة ٥٤هـ
٩٣	وفيات سنة ٥٤هـ
	أسامة بن زيد بن حارثة
	ثوبان بن بجدد
	جبير بن مطعم
	الحارث بن ربيعي
	حكيم بن حزام
	حويطب بن عبد العزى العامري
	سعيد بن يربوع
	مرة بن شراحيل الهمداني
	النعيمان بن عمرو
	سودة بنت زمعة

الصفحة	الموضوع
١٠١	أحداث سنة ٥٥هـ
١٠١	وفيات سنة ٥٥هـ
	الأرقم بن أبي الأرقم
	سحبان بن زفر الباهلي
	سعد بن أبي وقاص
	فضالة بن عبيد الأنصاري
	قثم بن العباس بن عبد المطلب
	كعب بن عمرو
١١٤	أحداث سنة ٥٦هـ
١١٨	أحداث سنة ٥٧هـ
١١٨	أحداث سنة ٥٨هـ
١١٩	قصة عزية
١٢١	وفيات سنة ٥٨هـ
	سعيد بن العاص
	شداد بن أوس
	عبد الله بن عامر
	عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق
١٣٠	قصته مع ليلى بنت الجودي
	عبيد الله بن عباس
	عائشة بنت أبي بكر الصديق
١٣٧	أحداث سنة ٥٩هـ
١٣٨	قصة يزيد بن ربيعة الحميري
١٤٠	وفيات سنة ٥٩هـ
	الحطيئة الشاعر
	عبد الله بن مالك بن القشب
	قيس بن سعد بن عبادة
	معقل بن يسار المزني
	أبو هريرة الدوسي
١٦٨	أحداث سنة ٦٠هـ
١٧١	ترجمة معاوية وذكر شيء من أيامه
٢٠٩	ذكر من تزوج من النساء و من ولد له
٢١١	وفيات سنة ٦٠هـ

الصفحة

الموضوع

	صفوان بن المعطل
	أبو مسلم الخولاني
٢١٢	إمارة يزيد بن معاوية
٢١٧	قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة
٢٢٨	صفة مخرج الحسين إلى العراق
٢٤٥	أحداث سنة ٦١ هـ
٢٤٥	صفة مقتل الحسين
٢٨٥	قبر الحسين رضي الله عنه
٢٨٥	رأس الحسين رضي الله عنه
٢٨٦	ذكر شيء من فضائل الحسين
٢٩٣	ذكر شيء من أشعار الحسين
٢٩٦	من أحداث سنة ٦١ هـ
٢٩٨	وفيات سنة ٦١ هـ
	الحسين بن علي رضي الله عنهما
	حمزة بن عمرو الأسلمي
	شيبة بن عثمان بن أبي طلحة
	عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث
	الوليد بن عقبة بن أبي معيط
	أم سلمة (أم المؤمنين)
٣٠٢	أحداث سنة ٦٢ هـ
٣٠٤	وفيات سنة ٦٢ هـ
	بريدة بن الحصيب الأسلمي
	الربيع بن خثيم الثوري الكوفي
	علقمة بن قيس النخعي
	عقبة بن نافع الفهري
	عمرو بن حزم
	مسلمة بن مخلد الأنصاري الزرقي
	نوفل بن معاوية الديلي
	الرباب بنت أنيف
٣٠٧	أحداث سنة ٦٣ هـ
٣٠٧	وقعة الحرة
٣١٦	وفيات سنة ٦٣ هـ

	عبد الله بن حنظلة
	معقل بن سنان
	عبد الله بن زيد بن عاصم
	مسروق بن الأجدع
٣١٧	أحداث سنة ٦٤ هـ
٣٢٠	ترجمة يزيد بن معاوية
٣٣٣	ذكر أولاد يزيد بن معاوية
٣٣٤	إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية
٣٣٦	إمارة عبد الله بن الزبير
٣٣٧	ذكر بيعة مروان بن الحكم
٣٤٠	وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك
٣٤٣	وفيات سنة ٦٤ هـ
	النعمان بن بشير الأنصاري
	المسور بن مخزومة
	المنذر بن الزبير بن العوام
	معصب بن عبد الرحمن بن عوف
٣٥١	ذكر هدم الكعبة وبنائها
٣٥٣	أحداث سنة ٦٥ هـ
٣٥٥	وقعة عين وردة
٣٦٠	ترجمة مروان بن الحكم
٣٦٧	الفهرس

